مجلة الدراسات الإفريقية



العدد السادس والعشرين ٢٠٠٤

يصدرها سنوياً معهد البحوث والدراسات الإفريقية ـ جامعة القاهرة

ترسل المقالات والأبحاث على العنوان التالى :
الأستاذ الدكتور السيد على أحمد فليفل
معهد البحوث والدراسات الإفريقية
جامعة القاهرة
رمز بريدى ١٢٦١٣ أورمان / جيزة
(ج.م.ع)

كلمة

الأستاذ الدكتور السيد على أحمد فليفل

عميد المعهد

ورئيس تحرير مجلة الدراسات الافريقية

بين يدي القارئ الكريم العدد السادس والعشرون من مجلة الدراسات الأفريقية لعام ٢٠٠٤ ، بصدور هذا العدد تكون المجلة قد انتظم صدورها في ثوبها الجديد .

ويتضمن العدد مجموعة متميزة من البحوث المحكمة التي تتوافق مع طبيعة المعهد وتكوينه العلمي وأدائه واتصالاته .

فالبحث الأول "دراسة تاريخية لنشأة القاضي عياض وتكوينه العلمي"، أعده الدكتور/ حسين مراد الأستاذ المساعد بقسم التاريخ بالمعهد.

أما البحث الثاني ، فهو **"دراسة لغوية عن الفعل بين البناء للمعلوم والبناء للمجهول في لغة الهوسا"** ، أعده الدكتور / سمير عزت المدرس بقسم اللغات بالمعهد .

والبحث الثالث ، هو بحث أعده الأستاذ الدكتور/ فاروق شويقه الأستاذ غير المتفرغ بقسم الأنثروبولوجيا يعرض فيه **"للمحات أنثروبولوجية في مورفولوجية البيئة وحياة الناس في مجتمعات مختارة من القارة الأفريقية"** .

أما البحث الرابع ، هو بحث تاريخي عن عائلة **"أقيت و إسهاماتها الثقافية في تنبكت"** ، أعدته الدكتورة / سوزى أباظه المدرس بقسم التاريخ بالمعهد .

والبحث الخامس ، أعده الدكتور / كمال بوناح رئيس قسم علم الاجتماع ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة منتوري ، قسنطينة ، الجزائر وهو حول **"مفهوم التنمية الاقتصادية في الجزائر"**.

أما البحث السادس والأخير ، فقد أعدته الدكتورة / فاتن البنا أستاذ مساعد بقسم الجغرافيا بالمعهد ، وهو عن **"الأخطار التي تواجه صحة المرأة في أفريقيا واستراتيجيات الحد منها"**.

كما يتضمن العدد بحثين باللغة الإنجليزية ، قام بإعدادهما الدكتور / سمير جميل السليماني والدكتور / ماجد حسن هاشم ، الباحثان بكلية الأرصاد والبيئة وزراعة المناطق الجافة ، جامعة الملك عبد العزيز بجدة ، ويتعلق البحثان بمجال استخدام مياه الصرف الصحي في عدة تطبيقات ، وقد أهتم الأول منهما **"بأثرها علي قوام التربة ومادتها العضوية"** ، بينما اهتم الثاني بدراسة **"أثرها علي التركيب الكيميائي لنوع من الحشائش التي تنمو بطول مجري الصرف الصحي"**.

وإذ أرجو أن يجد القارئ الكريم مبتغاه في بحوث " مجلة الدراسات الأفريقية " فإنني أتقدم بجزيل الشكر لكل من بذل الجهد من زملائي بالمعهد ، الذين عاونوا بصدق في تحكيم البحوث ، وكذلك الذين عاونوا في المراجعة ، وفي إخراج المجلة في ثوبها الجميل.

وبالله التوفيق ،،،

أ.د. السيد فليفل

المحتـويـــات

صفحة

القاضى عياض
دراسة فى النشأة والتكوين العلمى

د / حسين سيد عبد الله مراد (*)

مقدمة :

تتناول هذه الدراسة علماً شهيراً من أعلام المغرب بوجه خاص ، والعالم الإسلامى بوجه عام ، هو القاضى أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبى السبتى - رحمه الله - اعترافاً بما له من قدر مكين ، ومكان رفيع ، وسط أعلام الحضارة الإسلامية فى الغرب الإسلامى حتى شاع على ألسنة الجماهير المغربية القول بأنه : « لولا عياض ما ذكر المغرب » .

وتهتم هذه الدراسة بالنشأة والتكوين العلمى للقاضى عياض أى دراسة المرحلة الأولى من حياته ، وذلك بدراسة مجتمع سبتة الذى أنجبه بأوضاعه الجغرافية والاقتصادية والسياسية ، بالإضافة إلى موارد ثقافته التى أسهمت فى تفرده ونبوغه. وتبدأ هذه المرحلة من حياته منذ أن أبصر النور فى مسقط رأسه سبتة، فى منتصف شعبان عام ٤٧٦ هـ / ١٠٨٣ م ، وتنتهى بعودته من رحلته العلمية إلى الأندلس رائداً من رواد الفكر والثقافة عام ٥٠٨ هـ / ١١١٤م .

أما المرحلة الثانية والتى تبدأ بعودته من الأندلس وتوليه منصب القضاء ، وتفرغه للتأليف والمشاركة فى الحياة العامة وتنتهى بوفاته عام ٥٤٤ هـ / ١١٤٩ م، فقد تناولتها دراسات عديدة . ففى ندوة الإمام مالك ، دور القاضى عياض(**) ، جاءت عناوين الأبحاث كالأتى « عياض المحدث »

(*) أستاذ مساعد بقسم التاريخ - معهد البحوث والدراسات الإفريقية .

(**) عقدت هذه الندوة برعاية وزارة الأوقاف المغربية في مدينة مراكش في مارس ١٩٨١ .

« القاضى عياض مفسراً » « القاضى عياض الشاعر » « الجانب الأدبى فى حياة عياض » « القاضى عياض المصلح الاجتماعى » « موقف القاضى عياض من الإمام الغزالى » « موقف القاضى عياض من المرابطين والموحدين » وغير ذلك من الدراسات .

إن هذا التنوع والشخصية العلمية للقاضى عياض والسبق الذى حازه فى ميدان الفكر والثقافة ، دفعنى أولاً للبحث عن نشأته لارتباطها الوثيق بما وصل إليه من مكانة علمية سامية أشاد بها المؤرخون ، ودفعنى ثانياً إلى البحث عن العوامل التى أسهمت فى تكوينه العلمى حتى أصبح الأفضل بين معاصريه .

ولكن العالم ـ آخر الأمر ـ هو ابن بيئته ، ولهذا فقد إنشغلت هذه الورقة البحثية بدراسة المجتمع الذى نشأ فيه القاضى عياض ، بإعتباره المسئول الأول عن تكوينه ، سواء من حيث الأسرة والعائلة ، أو من حيث المجتمع المحلى ـ العلمى والدينى ـ الذى ترعرع فيه ، أو من حيث البيئة السياسية والاقتصادية كذلك . وقد اجتهدت فى الربط بين ذلك كله واتجاهات القاضى عياض البحثية والعلمية ، وذلك فى محاولة لتقديم منظور تاريخى دقيق لهذه الشخصية الهامة .

نسب القاضى عياض :

حين ذكر القاضى عياض المكنى بأبى الفضل نسبه لأبنه محمد قال إنه عياض بن موسى بن عياض بن عمرون بن موسى بن عياض بن محمد بن عبد الله بن موسى بن عياض اليحصبى السبتى . كما قال إنه لا يدرى هل محمد والد عياض أم بينهما رجل فهو جده .[1] وقد ذكر القاضى عياض هذا النسب

---

1) محمد بن عياض : التعريف بالقاضي عياض ، تقديم وتحقيق محمد بن شريفة ، مطبعة فضالة ، المحمدية ، الطبعة الثانية ١٩٨٢ ، ص ٢ .

أيضاً للشيخ أبى القاسم بن الملجوم حين أجتاز مدينة فاس وهو فى طريقه إلى مدينة مراكش عام ٥٤٣ هـ / ١١٤٨ م ، حين سأله ابن الملجوم عن نسبه(١) .

أما ابن الأبار المتوفى عام ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م فقد أورد نسبه لكن نراه قد أسقط عمرون فيما بين عياض وموسى وذكر عمرو ، كما أسقط أيضاً عبد الله فيما بين محمد وموسى(٢) . وحين ذكر ابن خلكان المتوفى عام ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م نسبه يذكر عمرو بدلاً من عمرون ، كما لم يذكر عبد الله فيما بين محمد وموسى(٣) .

وبناء على ما ذكره عياض لابنه محمد فقد استقر أجداده قديما بالأندلس فى مدينة بسطة Baza (٤) ، ثم انتقلوا إلى مدينة فاس ، كما كان لهم استقرار فى القيروان ، سواء أكان ذلك قبل استقرارهم فى الأندلس أم بعد ذلك (٥) ، وإن كان الباحث يرجح أن أجداد القاضى عياض بدأ استقرارهم أولاً فى القيروان مع بدء الاستقرار العربى فى تلك المدينة عقب تأسيسها ، أو مع استمرار التدفق العربى إليها للاستيطان مع استمرار حملات استكمال فتح بلاد المغرب ، وفى خلال عصر الولاة . فمدينة القيروان استوطنتها عائلات عربية تنتمى إلى سائر بطون العرب من مضر وربيعة وقحطان(٦) . ومن القبائل القحطانية التى

---

(١) المقري : أزهار الرياض في أخبار القاضى عياض ، الجزء الأول تحقيق مصطفى السقا وأخرين ، الرباط ١٩٧٨ ، ص ٢٣ ، ٢٤ .

(٢) المعجم في أصحاب القاضي أبي علي الصدفي، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٨٩ ، ص ٣٠١ .

(٣) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت، ١٩٧٨، جـ ٣، ص ٤٨٣ .

(٤) بسطة مدينة بالأندلس بالقرب من وادي أش ، وهي من كورجيان ومشهورة بالمياه والبساتين ، ولذلك فقد كانت حسنة الوضع أهله حصينه ذات أسوار ، أنظر : الحميري : الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق إحسان عباس ، مؤسسة ناصر الثقافة ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٨٠ ، ص ١١٣ .

(٥) ابن عياض : مصدر سابق ، ص ٢ .

(٦) اليعقوبي : البلدان ، النجف ، الطبعة الثالثة ١٩٥٧ ، حسين مراد ، العرب في مدينة القيروان ودورهم الثقافي حتى نهاية عصر الولاة ، بحوث في مجلة الدراسات الأفريقية رقم ٤٣ ، عام ١٩٩٥ ، ص ٣٠ وما بعدها .

استوطنتها قبيلة يحصب التى ينتسب إليها القاضى عياض ، فقد كانت لهم خطة فى تلك المدينة تسمى حارة يحصب[١] . وبعد أن مكثوا فترة من الزمن سواء كانت قصيرة أو طويلة انتقل أجداده إلى الأندلس وسكنوا مدينة بسطة ومنها انتقلوا إلى مدينة فاس ، وأخيراً استقروا فى مدينة سبتة .

بدأ استقرار أجداد القاضى عياض فى سبتة فى عهد جد أبيه عمرون[٢] بعد دخول الفاطميين بلاد المغرب ، ويرجع السبب فى ذلك أنه كان له ولآبائه نباهة وشهرة بمدينة فاس ، كما كانوا من أعيان تلك المدينة . ولذلك حين أخذ المنصور بن أبى عامر رهناً من أعيان فاس ، أخذ منهم أخوى عمرون : عيسى والقاسم ، فخرج عمرون إلى مدينة سبتة ليكون قريباً من أخبارهم بمدينة قرطبة Cordova واستحسن سكنى هذه المدينة[٣] .

وإذا كان عمرون هذا هو أول من استقر من أجداد عياض فى سبتة فإن المصادر المتاحة لا تعين فى معرفة بدء هذا الاستقرار ، ولذلك فإننا نعتمد على بعض المعطيات التى أوردها ابن القاضى عياض المتوفى عام ٥٧٥ هـ / ١١٧٩ م لتحديد التاريخ التقريبى لبداية الاستقرار . وأول هذه المعطيات أنه يقول إن الاستقرار بدأ بعد دخول الفاطميين بلاد المغرب ، أى بعد عام ٣٤٩ هـ / ٩٦٠ م . ففى هذا العام وصلت جيوش القائد الفاطمى جوهر الصقلى مدينة فاس وقتل خلقاً كثيراً[٤] . وثانى هذه المعطيات أن ابن القاضى عياض يقول إن عمرون خرج من فاس بعد أن أخذ المنصور بن أبى عامر رهناً من أعيان فاس ، كان من بينهما أخوى عمرون ، فخرج إلى سبتة ليكون بالقرب من أخويه فى قرطبة وتذكر المصادر أن حملة ابن أبى عامر التى وصلت مدينة فاس كانت فى عام ٣٨٧ هـ /

---

(١) عياض : تراجم أغلبية مستخرجة من مدارك القاضي عياض ، تحقيق محمد الطالبي ، نشر الجامعة التونسية ، تونس ١٩٦٨ ، ص ٧١ .

(٢) عمرون بن موسى بن عياض كان رجلاً خيراً صالحاً من أهل القرآن ، غزا مع المنصور بن أبي عامر غزوات كثيرة . ابن عياض ، مصدر سابق ، ص ٢ ، ٣ .

(٣) ابن عياض : مصدر سابق ، ص ٢، ٣ .

(٤) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، المطبعة الملكية ، الرباط ، الطبعة الثانية ١٩٩٩ ، ص ١٢٤ .

٩٩٧ م بقيادة مولاه واضح ، للقضاء على تمرد زيرى بن عطية المغراوى على المنصور . ونتيجة لعجز واضح فى تنفيذ الأهداف التى خرج من أجلها ، أرسل المنصور جيشاً آخر بقيادة ابنه عبد الملك فى عام ٣٨٨ هـ / ٩٩٨ م ، ونجح هذا الجيش فى دخول مدينة فاس ، واستمر عبد الملك مقيماً فيها ستة أشهر حتى أواخر العام المذكور ، ولم يلبث أن خرج عائداً إلى قرطبة ومعه رهائن من أعيان فاس ليضمن ولاء هذه المدينة [١] . ويمكن التوفيق بين المعطى الأول والثانى بأن عمرون خرج من فاس بعد حملة جوهر الصقلى التى كانت عام ٣٤٩ هـ / ٩٦٠ م لكن لم يخرج مع وصول جوهر الصقلى إلى هذه المدينة ، بل ظل مقيماً فيها حتى أخذ ابن أبى عامر أخويه رهناً فى عام ٣٨٨ هـ / ٩٩٨ م ، فغادرها عمرون فى هذا العام إلى مدينة سبتة ليكون قريباً من قرطبة حيث يقيم أخويه .

استثمر عمرون ـ بعد أن استقر فى سبتة ـ أمواله فى أعمال البر ، فاشترى أرضاً تعرف باسم المنارة ، وبنى فى بعضها مسجداً ، وفى بعضها دياراً حبسها على المسجد ، وحبس باقى الأرض للدفن . ولم يزل منقطعاً فى ذلك المسجد إلى أن توفى سنة ٣٩٧ هـ / ١٠٠٦ م وكان قد أنجب ـ قبل وفاته بيسير ـ ابنه عياض ، ثم ولد لعياض ابنه موسى ثم ولد لموسى ابنه عياض فى منتصف شعبان عام ٤٧٦ هـ / ١٠٨٣م [٢] ، ولذلك يعد عياض بن موسى عربى الأصل ، سبتى الدار والميلاد ، استقر أجداده فى القيروان والأندلس وفاس قبل استقرارهم النهائى فى مدينة سبتة .

أما عن المكانة العلمية لتلك الأسرة ، فإن المصادر المتاحة لا تعين فى الحديث عن هذا الأمر ، فلا نعرف شيئاً عن موسى والد عياض ، ولا جده عياض،

---

(١) ابن عذاري : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق كولان وليفي بروفنسال ، الدار العربية للكتاب ، بيروت ، الطبعة الثالثة ١٩٨٣ ، جـ ١ ، ص ٢٥٢ ، ٢٥٣م ابن أبي زرع : مصدر سابق ، ص ١٣٢ – ١٣٤ ، ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ١٩٧١ ، ص ٣٢ – ٣٣ ، بروفنسال : تاريخ أسبانيا الإسلامية ، ترجمة علي عبد الرءوف وآخرين ، منشورات المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ٢٠٠٠ ، ص ٤٨١ .

(٢) ابن عياض : مصدر سابق ، ص ٣ ، المقرى : أزهار الرياض ، حـ ١ ، ص ٢٨ ، ٢٩ .

وجد أبيه عمرون ، أول من استقر فى سبتة . لكن نرجح أن هذه الأسرة كانت ذات شأن فى مجال العلم ، يشهد على ذلك المكانة العلمية لصاحب هذه الدراسة . فالوراثة تلعب دوراً هاماً فى توجيه السلوك الذى لا يمكن أن يتحرر مطلقاً من كل ماله إرتباط وثيق بالأسرة .فسلوك القاضى عياض نحو العلم والثقافة ، ورغبته الملحة فيهما ورحلته إلى الأندلس من أجلهما ، واتصاله بعلماء المشرق الإسلامى سلوك مكتسب من الأسرة التى نشأ فيها .

أما مجتمع سبتة الذى نشأ فيه من الناحية السياسية والجغرافية والاقتصادية ، لارتباط هذا المجتمع بنشأته وتكوينه العلمى . ولذلك سنبدأ بتناول الحياة السياسية لمدينة سبتة ، وليس الغرض من هذا العرض استعراض التاريخ السياسى لهذه المدينة فى فترة الدراسة ، إنما الهدف هو التعرف على أهم سمات الحياة السياسية وأثر ذلك على القاضى عياض .

أولاً: الحياة السياسية فى سبتة وأثرها فى تفرد القاضى عياض ونبوغه:

أدى قيام الخلافة الفاطمية فى الشمال الأفريقى كقوة كبرى مناوئة للخلافة الأموية بالأندلس إلى حدوث صراع ونزاع بين الخلافتين ، إذ لم يقف العاهل الأموى عبد الرحمن الناصر - الذى تلقب بالخلافة عام ٣١٦ هـ / ٩٢٩ م - مكتوف اليدين أمام الأطماع الفاطمية التى قلصت النفوذ الأموى الأندلسى فى الشمال الأفريقى ، خاصة بعد أن بدأ الفاطميون يفكرون فى مد نفوذهم إلى الأندلس بأرسال أعداد من الدعاة المهرة المخلصين للمذهب الشيعى ليمهدوا الطريق أمام الغزو الفاطمى بالدعاية وبث الأفكار الشيعية فى ربوع الأندلس[1].

---

(١) لمعرفة المزيد عن الأطماع الفاطمية في الأندلس ، أنظر : أحمد مختار العبادي سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس ، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد ، مجلد ٥ ، عدد ١ ، ٢ ، مدريد سنة ١٩٥٧ ، ص ١٣ وما بعدها ، محمود علي مكي : التشيع في الأندلس منذ الفتح حتى نهاية الدولة الأموية ، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية ، مدريد ، مجلد ٢ ، العدد ١ ، ٢ ، مدريد ١٩٥٤ ، ص ١٩ وما بعدها ، عبد العزيز فيلالي : العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، الطبعة الثانية ١٩٨٣ ، ص ١٢٧ وما بعدها .

ولذلك قام عبد الرحمن الناصر (٣٠٠ - ٣٥٠ هـ / ٩١٢ - ٩٦٢ م) بإجراءات وقائية سريعة لمواجهة الفاطميين والحد من انتشار نفوذهم ومذهبهم . فأتخذ سياسة اصطناع رؤساء القبائل المغربية ، ولا سيما مغراوة وباقى فروع قبيلة زنانة ، التى أيدته تأييداً مطلقاً[١] ، كما حاول أن يكسب ولاء بعض أمراء الدويلات القائمة فى الشمال الأفريقى آنذاك مثل أمراء بنى صالح حكام نكور[٢].

ولم يكتف عبد الرحمن الناصر عند حد التحريض والنشاط العدائى ضد الفاطميين ، بل تعدى ذلك إلى احتلال بعض الثغور الواقعة على الساحل المغربى والمواجهة للشاطئ الأندلسى الجنوبى وذلك بالاستيلاء على مدينة سبتة عام ٣١٩ هـ / ٩٣١ م[٣] ، ومنذ ذلك الحين أصبح حاكمها يعين من قبل الأمويين فى الأندلس .

سبتة تحت حكم الحموديين :

بعد أن خضعت سبتة للأمويين فى الأندلس ، لم تكن هناك أحداث تذكر تخص تلك المدينة إلا فى بداية القرن الخامس الهجرى ، حين تولى سليمان بن الحكم الملقب بالمستعين (٤٠٣ - ٤٠٧ هـ / ١٠١٢ - ١٠١٦) أمر الخلافة الأموية بالأندلس ، فولى قائده على بن حمود العلوى حكم سبتة وطنجة عام ٤٠٣ هـ / ١٠١٣ م لتفانيه فى خدمته .[٤] إلا أن والى سبتة كان مطلعاً على أحوال الأندلس ، وما آل إليه أمره من فوضى ، حتى عجز الخليفة سليمان عن

---

(١) مجهول: نبذة تاريخية في أخبار البربر في القرون الوسطى، نشر ليفي بروفنسال، الرباط ١٩٣٤، ص ٤ .

(٢) عبد العزيز فيلالي : مرجع سابق ، ص ١٤٠ .

(٣) ابن عذاري : مصدر سابق ، جـ٢ ، ٢٠٤ .

(٤) المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق محمد سعيد العريان ، القاهرة ١٩٦٣ ، ص ٩٠ ، ابن عذاري : مصدر سابق ، جـ ٣ ، ص ١١٣ . ٦ الضبي : بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ١٩٦٧ ، ص ٢٤ .

ضبطه فبدأ يتطلع للخلافة . ولذلك اتجه إلى الأندلس ونجح فى هزيمة جيوش سليمان المستعين الذى قتل عام ٤٠٧ هـ / ١٠١٦ م ، وأعلن على بن حمود نفسه خليفة فى ذلك العام ، وظل خليفة لمدة عام ، إذ قتل على يد الغلمان الصقالبة عام ٤٠٨ هـ / ١٠١٧ م [١] .

أما أمر سبتة فقد تولاه يحيى بن على بن حمود (٤٠٧ - ٤١٢ هـ / ١٠١٦ - ١٠٢١ م) بعد خروج أبيه إلى الأندلس ، إلا أن يحيى نازع عمه القاسم بن حمود فى خلافة قرطبة ونجح فى مسعاه عام ٤١٣ هـ / ١٠٢٢ م ، فحكم سبتة أخوه إدريس بن على بن حمود (٤١٢ - ٤٢٧ هـ / ١٠٢١ - ١٠٣٥ م)[٢] . ولما قتل يحيى بن على المتولى أمر قرطبة عام ٤٢٧ هـ / ١٠٣٥ م ، خاطب مدبراً أمر بنى حمود وهما أبو جعفر أحمد بن موسى المعروف بابن بقنَّة ، ونجا الخادم الصقلبى أخاه إدريس بن على حاكم سبتة وطنجة واستدعياه ، وبايعاه بالخلافة فى مالقة،[٣] على أن يجعل حسن ابن يحيى بن على بن حمود والياً على سبتة فتولاها فى الفترة

(٤٢٧ - ٤٣١ هـ / ١٠٣٥ - ١٠٣٩ م) [٤] ، وانتهت ولايته بموت إدريس ابن على . إذ أن نجا الخادم الصقلى وكان بسبتة استخلف عليها من وثق به من الصقالبة وركب البحر هو وحسن بن يحيى إلى مالقة Malaga ، وهناك تمت مبايعته بالخلافة [٥] .

صارت سبتة يعهد بها إلى الصقالبة فى الفترة من ٤٣١ هـ / ١٠٣٩ م إلى ٤٣٨ هـ / ١٠٤٦ م بعد ما كان يتولى حكمها مباشرة أمراء بنى حمود . ثم

---

(١) الضبي : مصدر سابق ، ٢٧ ، المراكشي : مصدر سابق ، ص ٩٨ .

(٢) المراكشي : مصدر سابق ، ص ٩٩ ، ١٠١ .

(٣) مالقة مدينة بالأندلس على شاطئ البحر الذي يقع في قبليها ، قصبتها في شرقي المدينة ولها سور صخر ولذلك كانت في غاية الحصانة ، أنظر : الحميري : مصدر سابق ، ص ٥٠٧ ، ٥٠٨ .

(٤) المراكشي : مصدر سابق ، ص ١١٣ .

(٥) المصدر السابق ، ص ١١٥ .

تخلصت سبتة من كابوس هؤلاء الصقالبة الطغاة السفاكين ، [1] حين تولى أمر الأسرة الحمودية إدريس بن يحيى الذى تمت مبايعته بمالقة سنة ٤٣٨ هـ / ١٠٤٦ م . إذ خرج من مالقة إلى سبتة ، وقضى على حكم الصقالبة ، ولى عليها رجلين من برغواطة[2] من عبيد أبيه اسم أحدهما رزق الله ، والآخر سكوت ، حكم الأول مدينة طنجة ، أما الثانى فتولى أمر سبتة . ثم حدث صراع بين الاثنين انتهى لصالح سكوت ، وقتل رزق الله عام ٤٥٣ هـ / ١٠٦١ ، وبذلك أصبح سكوت الحاكم المطلق والأوحد لسبتة وطنجة ، ودعا للخليفة العباسى وضرب النقود باسمه ، وجعل ابنه العز بهاء الدولة ولى عهده[3] . وكانت دولة بنى حمود نفسها فى مالقة قد سقطت قبل ذلك بأربعة أعوام ، مما شجعه على اتباع هذه السياسية . لكنه لم يلبث أن انشغل فى صراع مع المعتمد بن عباد حاكم إشبيلية Sevilla[4] لرغبة الأخير فى الاستيلاء على سبتة وانتهت المعارك لصالح سكوت[5] . وما كاد ينتهى من القضاء على أطماع حاكم إشبيلية حتى تعرضت سبتة لخطر داهم هو خطر المرابطين .

الفتح المرابطى لمدينة سبتة :

بسبب سوء أحوال الأندلس وطغيان الفونسو السادس Alfonso VI عليها ، تواترت الكتب والرسل على أمير المرابطين يوسف بن تاشفين (٤٥٣ - ٥٠٠ هـ / ١٠٦١ - ١١٠٦ م) تستحثه على الجهاد . وكان من أكثر ملوك

---

(١) محمد بن تاويت : تاريخ سبتة ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٢ ، ص ٤٠ .

(٢) برغواطة قبيلة تنسب إلى قبائل المصامدة ، استقرت في منطقة تامسنا التي تقع بين نهري أم الربيع ونهر أبي رقراق ، أنظر : الادريسي : نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ، جـ ١ ، ص ٢٣٦ ، ٢٣٧ .

(٣) ابن عذاري : مصدر سابق ، جـ ٣ ، ص ٢٥٠ .

(٤) إشبيلية مدينة بالأندلس بينها وبين قرطبة ثمانون ميلا ، وهي مدينة قديمة أزلية وهي كبيرة عامرة لها أسوار حصينة وسوقها عامرة ، يصدر منها الزيت إلى المشرق والمغرب ، أنظر : الحميري : مصدر سابق صـ ٥٨ ، ٥٩ .

(٥) محمد بن تاويت : مرجع سابق ، ص ٤٢ .

الطوائف سعيا لطلب لنجدة ملك إشبيلية والجزيرة الخضراء Algeciras المعتمد بن عباد ، نتيجة لما ذاقته دولته من عسف هذا الملك النصرانى ، ولذلك أرسل فى عام ٤٦٧ هـ / ١٠٧٤ م إلى يوسف بن تاشفين يستدعيه للجواز إلى بلاد الأندلس برسم الجهاد ونصر البلاد . فقال له : « لا يمكننى ذلك إلا بعد أن أتملك سبتة وطنجة » فعرض عليه ابن عباد أن تسير جيوش المرابطين إليها وتحاصرها من البر ، ويقوم هو بأساطيله ليحاصرها من البحر . وفى سنة ٤٧٠ هـ / ١٠٧٧ م بدأ يوسف بن تاشفين العمل للقضاء على دولة سكوت البرغواطى فى سبتة وطنجة ، وفى هذا العام نجح قائده صالح ابن عمران فى فتح طنجة بعد مقتل سكوت البرغواطي وهزيمته ولم يبق إلا سبتة وكان عليها يحيى بن سكوت البرغواطي[١] .

ونتيجة لاستمرار سوء أحوال الأندلس ورد على يوسف بن تاشفين كتاب آخر من المعتمد بن عباد فى أواخر سنة ٤٧٥ هـ / ١٠٨٢ م يخبره بحال الأندلس وما آل إليه من تغلب العدو على أكثر ثغوره ومدنه ، وسأله العون والنصرة . فأجابه يوسف : « إذا فتح الله لى سبتة وصلت بكم فبذلت فى جهاد العدو الجهود » . [٢] واستمر عدوان الفونسو السادس على بلاد الأندلس ، إذ أغار عليها وأخذ يقتل ويسبى ، ويفسد ويخرب فلما رأى ذلك أمراء الأندلس اتفق رأيهم على مكاتبه يوسف بن تاشفين يستنصرونه . لذلك بعث ولده المعز إلى سبتة فى جيش عظيم عام ٤٧٧ هـ ، فنزل عليها وحاصرها حتى فتحها فى شهر ربيع الأول من هذه السنة / يوليو ١٠٨٤م وكتب إلى أبيه بالفتح ففرح به. ودخل يوسف بن تاشفين المدينة وأصلح أحوالها وأسطولها ، بعد ذلك خرج منها فى جيش ضخم متجهاً إلى الأندلس لمواجهة الأسبان وما قام به ألفونسو السادس من إفساد لأحوال العباد والبلاد . والتقى الجيشان فى الزلاقة من أحواز

(١) ابن ابي زرع : مصدر سابق ، ص ١٨٠ ، ١٨١ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٨١ .

بطليوس Badalos يوم الاثنين الرابع عشر من شهر رجب عام ٤٧٩ هـ / ٢٦ أكتوبر ١٠٨٦ م وانتصر المرابطون[١] ، وتخلصت الأندلس من براثن العدو الذى أحاط بها ، وقدر للإسلام بعدها أن يستمر فى الجزيرة قرونا أخرى .

ثم جاز أمير المسلمين يوسف بن تاشفين مرتين إلى الأندلس الأولى فى عام ٤٨١ هـ / ١٠٨٨ م لأصلاح أحواله ، ولمواجهة خروج ألفونسو السادس وتعديه على المسلمين[٢] . أما الثانية فكانت فى عام ٤٨٣ هـ / ١٠٩٠ م حينما حاز من سبتة وقضى على ملوك الطوائف الذين كانوا قد أقاموا إمارات متناحرة بعضها يستعين بالأعداء ضد البعض الآخر ، حتى كادت دولة الإسلام أن تتصدع فى تلك البلاد ، وبالقضاء على هؤلاء الملوك توحدت البلاد تحت راية المرابطين[٣] .

أصبحت سبتة تحت حكم المرابطين ككل مدن المغرب الأقصى تتمتع بالراحة والسكينة ، بفضل جهود يوسف بن تاشفين التى نجحت فى توحيد المغرب والأندلس وجعلهما كياناً سياسياً واحداً ، على أية حال تخلصت سبتة من التمزق السياسى الذى عاشته أثناء فترة حكم أمراء الحموديين ، وحكم الصقالبة والبرغواطيين ، ونعمت المدينة بالأمن والطمأنينة .

لقد شاهد عياض وهو فى صباه جهود المرابطين وهم يوطدون سلطانهم فى سبتة ، كما شاهد أيضاً بحكم - موقع مدينته - جيوش المرابطين تزحف من مدينته إلى الأندلس لإخماد شوكة نصارى أسبانيا ، والقضاء على ملوك

---

(١) لمزيد من التفاصيل عن معركة الزلاقة أنظر : المراكشي : مصدر سابق ، ص ١٩٣ - ١٩٥ ، ابن أبي زرع : مصدر سابق ، ١٨٤ - ١٨٩ ، الحميري : مصدر سابق ، ص ٢٨٧ - ٢٨٩ ، سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربي ، منشأة المعارف ، الإسكندرية الطبعة الأولى ١٩٩٥ ، جـ ٤ خاص المرابطين ، ص ٢٩٩ - ٣١٦ .

عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، بدون تاريخ، ص ٦٣٧ - ٦٤٢ .

(٢) مجهول : الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، تحقيق سهيل زكار وآخرين ، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٩ ، ٦٦ - ٧٠ .

(٣) ابن أبي زرع : مصدر سابق ، ص ١٩٤ وما بعدها ، مجهول : الحلل الموشية ، ص ٧١ - ٧٧ .

الطوائف. ومما لا شك فيه أن هذه الروح الجهادية التى بثها المرابطون، وأعانتهم فى تحقيق الوحدة السياسية للمغرب والأندلس ، قد تركت أثرها فى شخصية القاضى عياض الذى اتخذ من العلم وسيلة لرفع راية الإسلام فى مجال الثقافة والعلوم الإسلامية .

ولقد أسهمت جهود المرابطين السياسية والعسكرية فى تحقيق الأمن والاستقرار فى كافة ربوع المغرب والأندلس ، وخاصة مدينة سبتة التى تدفق عليها العلماء من مدن المغرب والأندلس وأخذ عنهم عياض فنون العلم والمعرفة . فعلى سبيل المثال وفد من مدن المغرب إليها القاضى أبو محمد عبد الله بن إبراهيم بن قاسم بن منصور اللخمي(٤٥٨ - ٥١٣ هـ / ١٠٦٥ - ١١١٩ م) ، أصله من نكور،[١] أخذ عنه القاضى عياض الفقه وأصوله[٢] . كما جالس القاضى عياض الفقيه أبا على الحسن بن عبد الأعلى الكلاعى الصفا قسى المتوفى عام ٥٠٥ هـ / ١١١١ م فترة سكناه سبتة وانتفع به[٣] . كما تلقى القاضى عياض دروسه فى الأدب والنحو فى مدينته على يد الشيخ الصالح أبى على الحسن بن على بن طريف النحوى التاهرتى المتوفى عام ٥٠١ هـ / ١١٠٧ م[٤] .

أما مدن الأندلس فقد وفد منها إلى سبتة كثيرون من العلماء أخذ عنهم القاضى عياض ، منهم على سبيل المثال أبو عبد الله محمد بن عمر الزبيدى

---

(١) نكور : مدينة بالمغرب بقرب مدينة مليلة ، بينها وبين البحر نحو عشرة أميال وقيل خمسة أسواقها عامرة كثيرة البساتين : أنظر : الحميري : مصدر سابق ، ص ٥٧٦ - ٥٧٧ .

(٢) عياض : الغنية فهرست شيوخ القاضي عياض ، تحقيق ماهر زهير ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت الطبعة الأولى ١٩٨٢ ، ص ١٥٥ ، ١٥٦ ، ابن الآبار : المعجم في أصحاب القاضي الصدفي ، ص ٢١٠ ، ٢١١ .

(٣) القاضي عياض : الغنية ، ص ١٤٠ ، ١٤١ .

(٤) المصدر السابق ، ص ١٤١ .

النحوى المتوفى عام ٥٠١ هـ / ١١٠٧ م ، وهو من أهل إشبيلية[١] . ومنهم محمد بن عبد الرحمن بن سعيد النحوى المتوفى عام ٥٠٥ هـ / ١١١١ م وهو من أهل قرطبة[٢] . ومن طليطلة Toledo [٣] وفد على سبتة الشيخ الخطيب أبو عبد الله محمد بن على بن محمد الأردى المتوفى سنة ٥٠٣ هـ / ١١٠٩ م[٤] . أما خلف بن يوسف بن فرتون النحوى المتوفى عام ٥٣٢ هـ / ١١٣٧ م ، فقد قدم إلى سبتة من شنترين Santaren [٥] وجلس فى جامعها للإقراء[٦] . وهكذا اقترن التقدم فى حياة القاضى عياض من الناحية الثقافية بنجاح المرابطين فى فتح سبتة ودعم سلطاتهم فى المغرب والأندلس .

قام بأمر المرابطين بعد وفاة يوسف بن تاشفين ابنه على المولود فى مدينة سبتة عام ٤٧٧ هـ / ١٠٨٤ م وتقلد بها عهد أبيه ، وامتد حكمه من عام ٥٠٠ هـ / ١١٠٦ م إلى عام ٥٤٣ هـ / ١١٤٨ م ، وكانت البلاد ساكنة والرعية آمنة نتيجة انقطاع الثوار ، واجتماع الكلمة [٧] .

كان القاضى عياض يكبر الحاكم المرابطى على بن يوسف بسنة واحدة فكان للتقارب العمرى بين الاثنين أثره الكبير فى توطيد العلاقة بينهما ، فشمل

---

(١) المصدر السابق ، ص ٧٦ ، ٧٧ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٨٩ .

قرطبة قاعدة الأندلس ومستقر خلافة الأمويين ، وهي على نهر عظيم عليه قنطرة ، وأحواز قرطبة تنتهي في الغرب إلى أحواز إشبيلية ، وتختلط أحوازها في الشرق بأحواز جيان . أنظر : الحميري : مصدر سابق ، ص ٤٥٦ - ٤٥٨ .

(٣) طليطلة : بينها وبين وادي الحجارة خمسة وستون ميلا ، وهي مركز لجميع بلاد الأندلس لأن منها إلى قرطبة تسع مراحل وإلى بلنسية تسع مراحل وإلى البحر الشامي أيضاً تسع مراحل وهي حصينة لها بساتين وأنهار ، أنظر : الحميري : مصدر سابق ، ص ٣٩٣ - ٣٩٥

(٤) القاضي عياض : الغنية ، ص ٧٦ .

(٥) شنترين مدينة بالأندلس معدودة في كور باجة بينها وبين بطليوس أربع مراحل، لها بساتين كثيرة وفواكه، أنظر : الحميري : مصدر سابق ، ص ٣٤٦ .

(٦) القاضي عياض : الغنية ، ص ١٤٩ ، ١٥٠ .

(٧) الناصري: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، ١٩٩٧ ، المجلد الأول ، الجزء الثاني ، ص ٦١ .

العاهل المرابطى القاضى عياض برعايته وعنايته ، ولم تشغله سياسة الدولة المرابطية تجاه الأندلس[1] ، عن الاهتمام بالعلم والعلماء ، فنراه يتصل بالقاضى عياض حين رأى نجابته فى المجال الثقافى ، ويحثه على الذهاب إلى الأندلس لاستكمال دراسته ، وكتب بشأنه كتاباً إلى قاضى قرطبة أبى القاسم بن حمدين

(٤٣٩ - ٥٠٨ هـ / ١٠٤٧ - ١١١٤ م) يوصيه به ، ويحضه على رعايته وإعانته . ومما يؤكد ارتفاع منزلة القاضىْ عياض عند على بن يوسف ما ورد فى رسالته إلى قاضى قرطبة إذ يقول : وله - يقصد عياض - عندنا مكانة حفية تقتضى مخاطبتك بخبره ، وإنهاضك إلى قضاء وطره ، وأنت إنشاء الله تسدد عمله ، وتقرب أمله ، وتصل أسباب العون له »[2] .

خرج عياض بن موسى إلى الأندلس فى طلب العلم لخمس بقين من المحرم عام ٥٠٧ هـ / ١١١٣ م يحمل توصية أمير المسلمين على بن يوسف ، وعاد إلى سبتة فى السابع من جمادى الآخرة من عام ٥٠٨ هـ / ١١١٤ م[3] . وقد أنجز ما كان يأمله فى هذه المدة القصيرة ، وعاد علماً شامخاً من أعلام الحضارة الإسلامية .

وإذا كانت الأوضاع السياسية المستقرة التى سادت بلاد المغرب والأندلس بوجه عام ، وسبته بوجه خاص لها أثرها فى تفرد القاضى عياض وتقدمه فى مجال العلم والثقافة ، فإن مجتمع سبتة بأحواله الجغرافية والاقتصادية كان له نفس التأثير والأثر .

ومن ثم لا يخفى علينا تأثير مدينة سبتة موطنه فى تفرده ونبوغه ، فالإنسان نتاج مجتمعه ، ولذلك سنعرض للظروف الجغرافية وبالتحديد الموقع

---

(١) عن جهود علي بن يوسف في الأندلس وحملاته أنظر : مجهول : الحلل الموشية ، ص ٨٥ - ٨٦ .

(٢) ابن خاقان : قلائد العقيان ومحاسن الأعيان ، تحقيق حسين يوسف ، مكتبة المنار ، عمان ، الطبعة الأولى ١٩٨٩ ، ص ٣٢٨ .

(٣) محمد بن عياض : مصدر سابق ، ص ٦ ، ص ١٠ .

الجغرافى والأحوال الاقتصادية لسبتة منذ ميلاد القاضى عياض حتى نهاية المرحلة التعليمية فى حياته ، أى حتى أصبح أفضل علماء المغرب والأندلس .

ثانياً : المجتمع المحلى لسبتة :

تعد سبتة شبة جزيرة مطلة على البحر المتوسط ، فالبحر يحيط بها من ثلاث جهات هي الشرق والشمال والجنوب ، أما جهة الغرب فالمدينة تتصل بالبر بواسطة برزخ ارضى يفصل البحرين بما لا يزيد عن رمية سهم[١] . ويطلق على هذا البرزخ مضيق جبل طارق الذى يصل البحر المتوسط بالمحيط الأطلسى ، وطول هذا المضيق الذى أطلق عليه البكرى بحر الزقاق أثنا عشر ميلا ،[٢] ويقع بحر الزقاق فى شمال المدينة ، أما البحر الذى يقع جنوب المدينة فيسمى ببحر بسول وهو مرسى حسن . وسبتة فى موقعها هذا تقابل فى الأندلس مدينة الجزيرة الخضراء[٣] ، وعرض البحر بينهما ثمانية عشر ميلا[٤] .

وقد نعمت مدينة سبتة بفضل موقعها الجغرافى بالأمن الذى يعد من أهم مقوماتها ، فالبحر الذى يحيط بالمدينة من ثلاث جهات منحها حدوداً طبيعية منيعة جعلها تنمو وتزدهر فى كافة مجالات الحضارة ، ولاستكمال السياج الأمنى للمدينة كان لابد من بناء سور ضخم محكم البناء فى الجانب الغربى للمدينة المتصل باليابس ، وقد بنى هذا السور فى عهد الخليفة الأموى عبد الرحمن الناصر (٣٠٠ - ٣٥٠ هـ / ٩١٢ - ٩٦١ م) . ويتكون هذا السور من

---

(١) الادريسي : مصدر سابق ، جـ ٢ ، ص ٥٢٨ .

(٢) المسالك والممالك : تحقيق أدريان فان ليوفن ، واندري فيري ، الدار العربية للكتاب ، تونس ١٩٩٢ ، جـ ٢ ، ص ٧٨٠ .

(٣) الجزيرة الخضراء أول مدينة افتتحت من الأندلس سنة ٩٠ هـ / ٧٠٨ م وهي أقرب مدن الأندلس محازا إلى بر العدوة ولها مرسى من أيسر المراسي ويحاذية مرسى مدينة سبتة ، أنظر : الحميري : مصدر سابق ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ .

(٤) الادريسي : مصدر سابق ، جـ ٢ ، ص ٥٢٧ ، ٥٢٨ .

تسعة أبراج ، ويوجد الباب الوحيد للمدينة من جهة الغرب بالبرج الأوسط . وأمام هذا السور بنى سوراً ارتفاعه يكفى لاخفاء رجل ، ويحيط بهذا السور خندق عميق عريض عليه قنطرة من الخشب(١) .

وإذا كان الموقع الجغرافى الممتاز لمدينة سبتة جعلها تنعم بالأمن كما سبق القول ، فقد ساعدها أيضاً فى أن تكون من المدن العريقة فى القدم(٢) ، وساعدها فى أن تكتسب أهمية كبرى فى الفترة الزمنية موضع للدراسة بناء على وصف كل من البكرى المتوفى ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م والادريسى المتوفى عام ٥٨٨ هـ / ١١٦٤ م . فالمدينة - بفضل موقعها الجغرافى - ارتبطت بشبكة من المراسى الساحلية ، ساعدت بالطبع على الاتصال بكل جهات الشمال المغربى من طنجة إلى الريف وسواحله .كما كانت لها خطوط اتصال عديدة مع أقطار البحر المتوسط الواقعة شمالاً ابتداء من الأندلس التى ارتبطت بها بروابط خاصة وانتهاء إلى شرقى البحر المتوسط حيث نجد السفن تنطلق منها حتى تصل إلى الإسكندرية(٣) . وهكذا ارتبطت سبتة بفضل موقعها الجغرافى بالمراكز الثقافية التى تقع جنوب البحر المتوسط ، والمراكز الثقافية التى تقع شمال هذا البحر ، واستقبلت العلماء والفقهاء والأدباء بل والتجار الحاملين للعلم والثقافة من كل تلك الأنحاء .

فمن التجار الذين قدموا إلى سبتة وكانوا علماء والتقى بهم القاضى عياض وأخذ عنهم على بن أحمد بن على بن عبد الله الربعى المقدسى التاجر المتوفى عام ٥٣١ هـ / ١١٣٦ م ويقول عنه القاضى عياض : « حدثنى بأشياء ، وأجازنى جميع روايته عن شيوخه أبى إسحاق الشيرازى وأبى بكر الخطيب وأبى الفتح

---

(١) البكري : مصدر سابق ، جـ ٢ ، ص ٧٨٠ .

(٢) المصدر السابق والجزء والصفحة .

(٣) محمد زنيبر : محور فاس سبتة وأهميته في العصور الوسطى ، بحث نشر في ندوة المدينة في تاريخ المغرب العربي ، الدار البيضاء ، ١٩٨٨ ، ص ٣٢٣ .

نصر المقدسى منها كتاب البخارى ، ومصنف أبى داود وسنن الدار قطنى والموطأ »[١] . والتقى عياض أيضاً فى سبتة بالشيخ التاجر سهل بن على ابن عثمان النيسابورى المتوفى سنة ٥٣١ هـ / ١١٣٦ م وكانت إقامته بها مدة طويلة ، ويقول القاضى عياض : « حدثنى بأمالى الشيخ أبى بكر أحمد بن محمد بن خلف الشيرازى سماعا منه ، وبكتاب الأربعين حديثاً للحاكم أبى عبد الله ، وبكتاب أصول الفصول لأبى الحسن على بن أحمد الواحدى » كما حصل عياض منه على إجازة لجميع روايته[٢] . وهكذا كانت سبتة دار علم[٣] ، بفضل موقعها الجغرافى الهام الذى تحدثنا عنه .

وكما جعلها الموقع دار علم ودار أمن فقد كان له أيضاً أكبر الأثر فى اتساعها وتطور عمرانها . يؤكد ذلك إنشاء ربضين خارج أسوار المدينة يقع الربض الأول فى الشرق وكانت مساحته كبيرة والبنايات متصلة ويتجلى هذا من وجود حمامات ثلاثة،[٤] أما الربض الثانى فكان يقع غرب المدينة متصلاً بالسور الغربى ، وطوله حوالى سبعة آلاف وأربعمائة ذراع [٥] .

وقد أسهم هذا التطور العمرانى الذى شهدته هذه المدينة وطبقاً لما ذكره البكرى إلى تنوع عناصرها السكانية ، إذ سكنها العرب والبربر ، لكن البكرى ينسب العرب إلى قبيلة صدف ، أما البربر فقدموا إليها من ناحية أصيلة والبصرة[٦] .

---

(١) القاضي عياض : الغنية ، مصدر سابق ، ص ١٨١ ، ابن بشكوال : كتاب الصلة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ١٩٦٦ ، جـ ٢ ، ص ٤٣٣ .

(٢) القاضي عياض : مصدر سابق ، ص ٢٠٩ .

(٣) البكري : مصدر سابق ، جـ ٢ ، ص ٧٨٠ .

(٤) المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٧٧٩ ، ٧٨٠ .

(٥) جاك كاني : مدينة سبتة في أواسط القرن الخامس الهجري من خلال كتاب المسالك والممالك للبكري ، مجلة البحث العلمي ، العدد ١٩ ، الرباط يونيو ١٩٧٢ ، ص ٩٨ .

(٦) المسالك والممالك ، جـ ٢ ، ص ٧٨٠ .

لكن من الصعب القبول بما ذكره البكرى بنسبة عرب سبتة إلى قبيلة صدف ، لأن الوقائع تؤكد تعدد العناصر العربية التى سكنت سبتة ، يشهد على ذلك أن القاضى عياض سبتى الدار والميلاد ، عربى الأصل ينسب إلى قبيلة يحصب الحميرية ، وقد هاجر أجداده إلى سبتة فى الربع الأخير من القرن الرابع الهجرى ، إذ توفى جده عمرون أول من هاجر من تلك الأسرة عام ٣٩٧ هـ / ١٠٠٦ م[1] .

وبالرجوع إلى برنامج شيوخ القاضى عياض نجد الكثير من أبناء القبائل العربية التى سكنت سبتة ، منهم الفقيه القاضى محمد بن عيسى بن حسين التميمي(٤٢٩ - ٥٠٥ هـ / ١٠٣٧ - ١١١١ م) الذى ينسب إلى قبيلة تميم والذى ولد بمدينة فاس وانتقل به أبوه إلى سبتة وهو شاب وقال عنه القاضى عياض : « أجل شيوخ بلدنا سبتة »[2] . ومنهم أيضاً القاضى الخطيب عبد الرحمن بن محمد المعافرى السبتى المتوفى سنة ٥٠٢ هـ / ١١٠٨ م الذى ينسب إلى قبيلة معافر[3] . ومن الأزد سكن سبتة الفقيه عبد الله بن أحمد بن خلوف الأزدى ، وكانت له حلقة بجامع المدينة[4] . ومن قبيلة لخم استوطن سبتة القاضى أبو محمد عبد الله بن محمد بن إبراهيم (٤٥٨ - ٥١٣ هـ / ١٠٦٥ - ١١١٩ م) وتولى القضاء بها ، وكان يدرس بالمدينة أصول الفقه والدين[5] . كما استوطن سبتة واتخذها مقاماً من البيت الأموى القرشى الفقيه أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد الأموى (٤٣٣ - ٥١٧ هـ / ١٠٤١ - ١١٢٣ م) ، وهو من شيوخ سبتة تولى بها القضاء والفتوى[6] .

---

(١) ابن عياض : مصدر سابق ، ص ٣ .

(٢) الغنية ، ص ٢٧ .

(٣) المصدر السابق ، ص ١٦٥ .

(٤) المصدر السابق ، ص ١٥٤ ، ١٥٥ ، ابن الأبار : المعجم ، ص ٢٢٠ .

(٥) ابن الأبار : المعجم ، ص ٢١٠ ، ٢١١ .

(٦) الغنية ، ص ٥٨ .

ولا شك أن هذه التراجم تبين أن سبتة سكنتها عناصر عربية تنتسب إلى تميم ، ويحصب ومعافر والأزد ولخم وقريش ، ولم تسكنها قبيلة صدف فقط كما ذكر ذلك البكرى .

أما العناصر البربرية التى سكنت سبتة فإنها تنسب إلى القبائل الغمارية المصمودية ، بالإضافة إلى بعض العناصر البربرية الأخرى من غير مصمودة[١] ، وإذا كان من الصعب عمل إحصاء خاص لسكان تلك المدينة زمن القاضى عياض ، إلا أننا نستطيع أن نؤكد ارتفاع الكثافة السكانية ، يدعم ذلك ازدهار وتطور عمران المدينة بقيام أحياء جديدة سبقت الإشارة إليها ، كما أسهم فى ذلك التطور أيضاً تنوع أوجه النشاط الاقتصادى لسبتة، فقد كانت «مدينة حط وإقلاع للسفن»[٢].

ثالثاً : النشاط الاقتصادى لسبتة :

نعمت سبتة زمن القاضى عياض بمقومات اقتصادية أسهمت فى إزدهارها تجارياً وصناعياً وزراعياً . أما عن النشاط الزراعى فى المدينة وضواحيها فالمعلومات التى أوردها البكرى والإدريسى - قليلة جداً - وتخص قرية بليونش التى تقع بجوار جبل موسى المنسوب إلى موسى بن نصير، والذى يقع جهة الغرب ويبعد عن المدينة مسافة ميلين.[٣] وقد أعانت المعطيات الطبيعية لهذا المكان على ازدهاره زراعياً فالأرض شديدة الخصب[٤] ، وتوفرت لها المياه اللازمة للرى بفضل وادى يمر بغربى المدينة ويصب فى البحر ، بالإضافة إلى مياه العيون الكثيرة [٥] .

---

(١) إدريس أحمد خليفة : التاريخ المغربي لمدينة سبتة ، مكتبة الأمنية ، تطوان ١٩٨٨ ، ص ٢٤ .

(٢) الادريسي : مصدر سابق ، جـ ٢ ، ص ٥٢٨ ، ٥٢٩ .

(٣) المصدر السابق والجزء ، ص ٥٢٨ .

(٤) مجهول : الاستبصار في عجائب الأمصار ، نشر وتعليق دكتور سعد زغلول عبد الحميد ، دار الشئون الثقافة العامة بغداد ١٩٨٦ ، ص ١٣٨ .

(٥) البكري : مصدر سابق ، جـ ٢ ، ص ٧٨٣ ، الادريسي : مصدر سابق ، جـ ٢ ، ص ٥٢٨ .

ونتيجة لهذه الظروف الملائمة قام نشاط زراعى كبير فى قرية بليونش ، فانتشرت بها المزارع والبساتين التى زرع بها الفواكه وقصب السكر والأترج « البرتقال » . وحملت منتجات هذه القرية الزراعية من الفاكهة إلى سبتة وما جاورها من المدن لوفرة إنتاجها.[1] لكن إنتاج سبتة من القمح والشعير لم يكف حاجة سكانها ، لذلك استوردت هذين المحصولين من ميناء ماز يغن ، وهو من موانى المغرب الأطلسية [2] .

بالإضافة إلى النشاط الزراعى راجت فى سبتة بحكم موقعها البحرى حرفة الصيد البحرى ، وتعددت أنواع الأسماك التى تصطاد حتى بلغت نحو مائة نوع[3] . كما اشتهرت المدينة باستخراج شجر المرجان الذى يعد الأفضل من بين أصناف المرجان المستخرج بجميع أقطار البحار ، وكان يصنع فى المدينة خرزاً ، ويصدر إلى سائر البلاد ، وكان أكثر ما يحمل إلى غانة وجميع بلاد السودان[4].

وإذا كان البحر قد لعب دوراً هاماً فى توحيد نشاط السبتين نحو حرفة الصيد البحرى على هذا النحو ، فقد وجههم أيضاً للعمل فى نشاط التجارة البحرية . والواقع أن النشاط التجارى لسبتة لم يزدهر بمعزل عن النشاط الزراعى والصناعى . ذلك أنها صدرت فاكهة قرية بليونش بالإضافة إلى نتاج تصنيع المرجان إلى بلاد كثيرة كما سبق القول . والجدير بالذكر أن البكرى الذى تحدث عن هذه المدينة فى أواسط القرن الخامس الهجرى ، الحادى عشر الميلادى قد أغفل ذكر النشاط التجارى لها ، فلا نكاد نعثر على أية معلومات حول النشاط التجارى لمينائها . بالرغم أن سبتة كانت تمثل نهاية الطريق التجارى الذى كان يمر

---

(١) الادريسي : مصدر سابق ، جـ ٢ ، ص ٥٢٨ .

(٢) ابن سعيد : كتاب الجغرافيا ، تحقيق إسماعيل العربي ، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٨٧٠ ، ص ١٣٧ .

(٣) الإدريسى : مصدر سابق ، جـ ٢ ، ص ٥٢٨ .

(٤) المصدر السابق والجزء ، ص ٥٢٩ .

بسجلماسة[1] وفاس ،[2] كما كانت ترسو بها كل سفينة تبحر فى البحر المتوسط أو المحيط الأطلسى فموقعها أعانها فى ازدهارها كميناء تجارى . يدعم هذا الرأى ما ورد عند الادريسى ، إذ يذكر « أن البحر الذى يلى سبتة فى الجنوب يسمى بحر بسول وهو مرسى حسن » بمعنى أن السفن التجارية كانت ترسو بها[3] .

وبالرجوع إلى بعض المصادر ذات الأهمية الحضارية مثل كتيب التراجم والنوازل نجد ما يؤكد هذا الأمر ، فعبد الحق الباديسى فى ترجمته لأحد الصوفية ما يدل على أن السفن كانت تخرج من ميناء بسول فى سبتة إلى ميناء باديس[4] الواقع فى بلاد الريف[5] ، وإلى جميع مراسى البحر المتوسط الواقعة شماله وجنوبه . كما توضح نازلة أجاب عنها القاضى عياض أن حركة التجارة البحرية بين سبتة وبعض الموانى المغربية الأطلسية مثل ميناء ماز يغن [6] كانت نشطة ، إذ كانت السفن تنقل من الميناء الأخير إلى سبتة القمح والشعير[7] ، ويؤكد ما جاء فى هذه النازلة ما ورد عند ابن سعيد حيث يقول : « ماز غان تحمل منها المراكب القمح إلى سبتة وغيرها » [8] .

---

(١) مدينة سجلماسة من أعظم مدن المغرب ، وهي على طرف الصحراء ، مدينة محدثة أسست سنة ١٤٠ هـ / ٧٥٧ م ، ولها بساتين وهي كثيرة النحل أنظر : مجهول : الاستبصار ، ص ٢٠٠ ، ٢٠١ .

(٢) جاك كاني : مرجع سابق ، ص ٩٩ .

(٣) الادريسي : مصدر سابق ، جـ ٢ ، ص ٥٢٨ .

(٤) باديس مرسى ببلاد الريف تحت جبل غمارة عليه عمارة كثيرة من البربر ومنه تحمل المراكب الطعام أنظر : مجهول : الاستبصار ، ص ١٣٦ .

(٥) المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف ، تحقيق سعيد إعراب ، المطبعة الملكية ، الرباط ، الطبعة الثانية ١٩٩٣ ، ص ١٠٣ .

(٦) ماز يغن : مرسى يقع على ساحل البحر المحيط ، أنظر : ابن سعيد ، ص ١٣٧ .

(٧) عياض وولده محمد : مذاهب الأحكام في نوازل الأحكام ، تحقيق محمد بن شريفة ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٩٠ ، ص ١٢٨ ، ١٢٩ .

(٨) كتاب الجغرافيا ، ص ١٣٧ .

كما ارتبطت سبتة بعلاقات تجارية مع بعض مدن الأندلس وبخاصة مدينة الجزيرة الخضراء ، التى كانت ميناء حط وإقلاع السفن . ساعد على ذلك أن بينها وبين سبتة مضيق جبل طارق الذى لا يتجاوز ثمانية عشر ميلا [١] . كما كان لسبتة إرتباط تجارى وثيق مع غانة وبلاد السودان الغربى ، فقد صدرت إليها الخرز المصنع من المرجان ،[٢] وفى مقابل ذلك كانت أسواقها تستقبل السلع التى اشتهرت بها تلك البلاد مثل الذهب والدقيق .

وإذا كانت المصادر الجغرافية المتاحة ، والتى تعود للفترة الزمنية للدراسة ، لا تعين فى الحديث عن أسواق مدينة سبتة مع شهرة المدينة التجارية ، فإن نوازل القاضى عياض تذكر أسماء بعض أسواقها . فنجد فى نازلة تتعلق بأحباس أسرة كبيرة فى سبتة هى أسرة محمود بن أبى مسلم الصدفى ، وفيها إحصاء لهذه الأحباس بحدودها نجد فيها أسماء بعض الأسواق التى انتشرت فى سبتة منها سوق العطارين ، وسوق الشقاقين ، وسوق الحجامين ، كما نجد اسم فندق لأحمد بن إبراهيم الزيات ، مما يعنى استقبال المدينة للتجار الغرباء[٣] . وهى نازلة أخرى خاصة بالأحباس نجد اسم سوق الزيت ، ومسجد القطانين[٤] الذى يبدو أنه كان يقع داخل سوق القطانين . وقد أدى وجود هذه الأسواق وغيرها إلى نشاط الحركة التجارية التى أسهمت بدورها فى ثراء سبتة وتجارها ، حتى إن الواحد من هؤلاء التجار كان يشترى أحيانا حمولة السفن الواردة إلى ميناء سبتة بأكملها[٥] . وساعد على ذلك السياسة المالية التى طبقتها الدولة المرابطية وخاصة فى مجال الجباية .

---

(١) الادريسي : مصدر سابق ، جـ ٢ ، ص ٥٣٩ .

(٢) المصدر السابق والجزء ، ص ٥٢٩ .

(٣) نوازل الأحكام ، ص ١٩٤ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٢٠٥ .

(٥) ابن سعيد : مصدر سابق ، ١٣٧ وما بعدها .

فقد قامت السياسة المالية للدولة المرابطية على أساس محاولة تطبيق الكتاب والسنة فى ميدان السياسة الجبائية ، وهى محاولة منسجمة مع منطق الدعوة التى قامت على أساس المذهب المالكى ، وتعتمد أساساً على نص الكتاب والسنة[1] . فعبد الله بن ياسين حين شرع فى تنظيم شئون المناطق التى فتحت أمر عمالة بإقامة العدل والعمل بالسنة وأخذ الزكاة والأعشار وإسقاط ما سوى ذلك من المغارم المحدثة.[2]

واستمرت هذه السياسة الجبائية فى عهد يوسف بن ناشفين (٤٥٣ - ٥٠٠ هـ / ١٠٦١ - ١١٠٦ م) إذ نجد ابن أبى زرع يقول : « لم يوجد فى بلد من بلاده ، ولا عمل من أعماله على طول أيامه رسم مكس ولا معونة ولا خراج عن حاضرة ولا بادية إلا ما أمر الله تعالى به ، وأوجبه حكم الكتاب والسنة من الزكاة والأعشار وجزية أهل الذمة » .[3] ونتج عن سياسة الدولة المرابطية فى إسقاط المكوس والقضاء على المغارم المحدثة التى كانت تشقل كاهل التجار والزراع تنشيط الحياة الاقتصادية بوجه عام والحركة التجارية بوجه خاص ، إذ أدت هذه السياسة إلى انخفاض الأسعار ، وظهور فترة من الأمن الاقتصادى والرخاء ، إذ كانت « أيامهم أيام دعة ورفاهية ورخاء متصل وأمن ، وكثرت الخيرات وعمرت البلاد » [4].

فى ظل هذا الوضع الاقتصادى المزدهر لسبتة أبصر القاضى عياض نور الحياة ، فالمدينة نعمت بإمكانيات اقتصادية بفضل موقعها الجغرافى الذى وفر لها الشروط اللازمة لازدهار مينائها الذى ارتبط بموانى البحر المتوسط والمحيط

---

(١) الحبيب الجنحاني : دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الإسلامي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٨٦ ، ص ٩٣

(٢) ابن أبي زرع : مصدر سابق ، ص ١٦٣ .

(٣) المصدر السابق ، ص ١٧٣ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٢١٠ .

الأطلسى . فعرفت سبتة ثراء فى مجالى التجارة والثقافة ، فالمدينة كما استقبلت التجار استقبلت العلماء فى كافة مجالات العلم والمعرفة ، يشهد على ذلك فهرس أسماء شيوخ القاضى عياض الذى يظهر العلماء الذين وفدوا إلى سبتة وأخذ عنهم القاضى عياض العلم ، بالإضافة إلى التجار الذين حملوا التجارة والعلم إليها [١] .

بعد هذا العرض الذى أبرز المجتمع الذى أنجب القاضى عياض جاء الدور لإبراز العوامل التى أسهمت فى تفرد القاضى عياض ونبوغه فى المجال الثقافى ، أى التكوين العلمى له .

رابعاً : مصادر ثقافة القاضى عياض :

يعين كتاب الغنية الذى يعرض لفهرس شيوخ القاضى عياض ، بالإضافة إلى كتب الطبقات والتراجم ، فى تحديد المصادر التى أسهمت فى أن يكون القاضى عياض الأفضل من بين معاصريه فى مجال الثقافة . فبالإضافة إلى سبتة التى تعد المصدر الأولى والرئيس لثقافته نهل من مصدرين كان لهما أكبر الأثر فى تقدمه الثقافى هما الأندلس والمشرق الإسلامى ، اللذين كان تأثيرهما واضحاً عليه .

أما المصدر الأول وهو سبتة موطنه ، فقد كانت تعد مركزاً من مراكز الثقافة الإسلامية فى بلاد المغرب ، ذلك أنها احتضنت عدداً غير قليل من رجال الفكر والثقافة من العلماء والفقهاء والمحدثين والمفسرين بالإضافة إلى الأدباء والنحاة ، وكان لهؤلاء العلماء الفضل فى التكوين الثقافى للقاضى عياض . كما كانت سبتة بحكم موقعها الاستراتيجى قاعدة لاستقبال المفكرين والعلماء وفى كافة فنون العلم والمعرفة القادمين إليها من الأندلس والمغرب بالإضافة إلى المشرق الإسلامى .

---

(١) انظر ص ١٥ ، ١٦ .

ومن أجل شيوخ القاضى عياض بن موسى فى مدينة سبتة الفقيه القاضى محمد بن عيسى بن حسين التميمي(٤٢٩ - ٥٠٥ هـ / ١٠٣٧ - ١١١١ م) الذى كان فصيحاً كثير التأليف حافظاً للفقه . ولشهرته العلمية تلك لازمه القاضى عياض للمناظره فى المدونة والموطأ وسماع المصنفات ، والحصول منه على الإجازة لجميع رواياته .(١)

كما أخذ عياض العلم فى مدينته على يد الفقيه القاضى محمد بن عبد الله ابن محمد الأموى (٤٣٣ - ٥١٧ هـ / ١٠٤١ - ١١٢٣ م) الذى يقول عنه القاضى عياض : « شيخ بلدنا وقاضيه ومفتيه » . فقد تولى قضاء سبتة مرتين : الأولى أيام سكوت البرغواطى ، والأخرى فى أول دولة المرابطين . وكان حافظاً للفقه والفرائض ، كما كان مشاركاً فى التفسير وعلم الناسخ والمنسوخ ، وغير ذلك من العلوم . (٢)

وقرأ القاضى عياض بن موسى القرآن الكريم وتعلمه على يد الشيخ محمد ابن عبد الله المعروف بالمرورى المتوفى فى حدود عام ٥٠٠ هـ / ١١٠٦ م والذى تصدر لإقراء القرآن بسبتة ، لأنه كان عالماً فى علم القراءات واختلاف القراء.(٣) وصحب عياض بن موسى فى مدينته الفقيه إبراهيم بن جعفر بن أحمد اللواتى المعروف بابن الفاسى المتوفى عام ٥١٣ هـ / ١١١٩ م والذى يعد من أهل الفقه والعلم والمعرفة ، ولذلك قرأ عليه الكثير من كتب الفقه والحديث(٤) .

---

(١) عياض : الغنية ، ص ٢٧ ، ٢٨ ، المقرى : أزهار الرياض ، جـ٣ ، ص ١٥٩ ، ابن القاضي : جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس ، دار المنصور للطباعة ، الرباط ١٩٧٤ ، جـ ١ ، ص ٢٥٢ - ٢٥٤ .

(٢) عياض : الغنية ، ص ٥٨ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٩ ، ابن الأبار : التكملة لكتاب الصلة ، تحقيق السيد عزت العطار ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ١٩٥٥ ، جـ ١ ، ٤٠٨ .

(٤) ابن فرحون : الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور ، دار التراث ، القاهرة ١٩٧٢ ، جـ ١ ، ص ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ابن بشكوال : مصدر سابق ، جـ ١ ، ص ١٠١ ، ابن الأبار : المعجم ، ص ٦٢

ولما كان إبراهيم بن أحمد البصرى ، أبو إسحاق القاضى المتوفى عام ٥١٣ هـ / ١١١٩ م أحد الفضلاء الإجلاء من أهل سبتة التى تفقه بها وتولى القضاء منها مرتين ، وكان من أعلام المذهب ، فقد ناظره عياض فى المدونة وذاكره[١] . أما الفقيه عبد الله بن أحمد بن خلوف الأزدى ، المتوفى عام ٥٣٧ هـ / ١١٤٢ م فيعد أحد الحفاظ المدرسين للمذهب المالكى العاملين به ، ولذلك برع فى الفقه وكانت له حلقة علمية بجامع سبتة ، وناظره عياض فى هذا المذهب[٢] ، مما يدل على رسوخ قدم الأخير فى مجال العلم والفقه حتى وهو طالب علم .

ومن أهل سبتة الذين قرأ عليهم عياض بن موسى الأصول وعلم الكلام ، القاضى الخطيب أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد المعافرى المتوفى عام ٥٠٢ هـ / ١١٠٨ م فقد تولى الخطابة والقضاء فى سبتة وتخصص فى تدريس الأصول وعلم الكلام ، مما جعل الناس يرحلون إليه للدراسة عليه .[٣] أما الفقيه عبد الغالب بن يوسف ، أبو محمد السالمى المتوفى عام ٥١٦ هـ / ١١٢٥ م فيعد أيضاً من أهل علم الكلام ، فقد كان من الأشاعرة ، وتولى الخطبة وصلاة الجمعة فى سبتة مدة طويلة ، وصحبه عياض بن موسى وأخذ عنه الكثير من مؤلفاته.[٤]

و تلقى عياض دروسه فى الأدب والنحو على يد الشيخ أبى على الحسن ابن على بن طريف النحوى المتوفى عام ٥٠١ هـ / ١٠٠٧ م عالم سبتة فى النحو قال عنه القاضى عياض : « درّس عُمره النحو ببلدنا وأخذ عنه جماعة »[٥] .

---

(١) عياض : الغنية ، ص ١٢٣ ، ١٢٤ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٥٤ ، ١٥٥ ، ابن الأبار : المعجم ، ص ٢٢٠ .

(٣) عياض : الغنية ، ص ١٦٥ ، ١٦٦ .

(٤) المصدر السابق ، ص ١٦٩ - ١٧١ ، ابن بشكوال : مصدر سابق ، جـ ٢ ، ص ٣٨٨ .

(٥) عياض : الغنية ، ص ١٤١ ، ابن الآبار : المعجم ، ص ٨١ ، السيوطي : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنجاة ، تحقيق محمد أبو الفضل ، المكتبة العصرية ، بيروت ١٩٦٤ ، جـ ١ ، ص ٥١٣ .

كما كان الشيخ الصالح الزاهد أبو محمد عبد الله بن أحمد التميمى والمتوفى عام ٥٠١ هـ / ١١٠٧ م من أهل سبتة ، وسمع منه القاضى عياض كتاب « الإخبار عن فوائد الأخبار » من تأليف الشيخ الزاهد أبى بكر محمد بن إسحاق وأجازه له جميعه[١] ، كما التقى القاضى عياض أيضاً فى سبتة بأبى العباس أحمد بن قاسم الصنهاجى وهو من شيوخ أهل العلم والخير ، وروى عنه عياض حديثاً شريفاً [٢] .

وإذا كان القاضى عياض بن موسى استفاد من لقاء علماء سبتة ، فقد استفاد أيضاً من العلماء الذين وفدوا على مدينته من مدن المغرب والأندلس بالإضافة إلى المشرق الإسلامى .

فمن مدن المغرب وفد إلى سبتة اثنان من علماء صفاقس ،[٣] الأول هو الفقيه أبو على الحسن عبد الأعلى الكلاعى المتوفى عام ٥٠٥ هـ / ١١١١ م والذى جالسه عياض فترة سكناه فى سبتة ، وانتفع بعلمه لأنه كان فقيهاً أصولياً متكلماً عارفاً بعلم الفرائض وغير ذلك من المعارف ، [٤] أما الثانى فهو الفقيه الزاهد أبو الطيب سعيد بن أحمد بن سعيد المتوفى عام ٥٠١ هـ / ١١٠٧ م . وقد التقاه عياض حين وفد على مدينة سبتة ، وكان أبو الطيب من علماء الفقه والكلام ومن أهل البلاغة والنظم والنثر[٥] .

واجتاز سبتة قادماً من مدينة نكور القاضى أبو محمد عبد الله بن إبراهيم ابن قاسم بن منصور اللخمى المتوفى عام ٥١٣ هـ / ١١١٩ م الذى ولى قضاء

(١) عياض : الغنية ، ص ١٥٩ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١١٦ .

(٣) مدينة صفاقس من مدن إفريقية (تونس الحالية) ، بينها وبين قفصة ثلاثة أيام ، مدينة قديمة عامرة ، لها أسواق كثيرة وعمارة شاملة ويقصدها التجار من الآفاق ، أنظر : الحميري : مصدر سابق ، ص ٣٦٥ ، ٣٦٦ .

(٤) عياض : الغنية ، ص ١٤٠ ، ١٤١ ، ابن الأبار : التكملة ، جـ ١ ، ص ٢٦٩ .

(٥) الغنية ، ص ٢١٠ .

سبتة ، وكان له مجلس علم بها يحضره الأكابر فى شيوخها . وقد ناظره عياض فى المدونة والموطأ وأصول الفقه والدين[1] .

ومن مدينة طنجة[2] وفد إلى سبتة الفقيه أبو عبد الملك مروان بن عبد الملك بن إبراهيم بن سمحون اللواتى المتوفى عام ٤٩١ هـ / ٩٩٧ م والذى يعد من أهل العلم والفقه والأدب فقد تولى الخطبة والصلاة والفتيا فى سبتة ، والتقى به عياض فى بعض جيئاته إليها وقال عنه : « لقيته أول طلبى للأدب ، وحضرت مجلسه » [3] .

ويعد عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم الكتامى الفقيه القاضى المتوفى عام ٥١٥ هـ / ١١٢١ م من بيت علم ، فهو فقيه بن فقيه ، انتقل إلى سبتة من أصيلا [4] ، ودرس الفقه ، وحدث عياض ببعض الأحاديث . [5]

أما الأندلسيون فقد وفد عدد غير قليل منهم إلى سبتة من مختلف مدن الأندلس ، فمن مدينة قرطبة وفد محمد بن عبد الرحمن بن سعيد النحوى المقرئ المتوفى عام ٥٠٥ هـ / ١١١١ م وقد أخذ عنه طلاب العلم النحو والقراءات والأدب ، وسمع منه عياض بقراءة غيره الكثير[6] .

ومنهم أيضاً الأديب أبو بكر محمد بن عبد الله بن البراء الجزيرى المتوفى عام ٥٠٠ هـ / ١١٠٦ م ببلده الجزيرة الخضراء ، أقرأ النحو والأدب

---

(١) الغنية ، ص ١٥٥ ، ١٦٥ ، ابن الأبار : المعجم ، ص ٢١٠ ، ٢١١ .

(٢) طنجة مدينة بالمغرب قديمة على ساحل البحر وبينها وبين سبتة ثلاثون ميلا في البر ، ومسافة ما بين طنجة والقيروان ألفا ميل ، وعمل طنجة مسيرة شهر في مثله ، أنظر : الحميري : مصدر سابق ، ص ٣٩٥ ، ٣٩٦ .

(٣) عياض : الغنية ، ص ١٩٧ ، ابن الأبار : التكملة ، جـ ٢ ، ص ٦٩٨ ، مجهول : نبذ تاريخية ، ص ٦٦ .

(٤) أصيلا بلد بقرب طنجة، وهي مدينة كبيرة قديمة عامرة أهله كثيرة الخير والخصب وكان لها مرسى مقصود، وهي أول مدن العدوة من جانب الغرب وهي في سهل من الأرض، أنظر: الحميري: مصدر سابق، ص ٤٢ .

(٥) عياض : الغنية ، ص ١٦٨ ، ١٦٩ ، ابن فرحون : مصدر سابق ، جـ ١ ، ص ٤٧٦ .

(٦) عياض : الغنية ، ص ٨٩ .

بسبتة[1] . ويذكر عاض أنه قرأ عليه فى سنة ٤٩٣ هـ / ١٠٩٩ م كتاب الكامل لأبى العباس المبرد بالإسناد [2] .

وقد جالس عياض بن موسى فى مدينته سبتة الشيخ الصالح أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الأنصارى الواعظ المتوفى عام ٥٠٠هـ/١١٠٦ م والوافد من شارقة من أعمال بلنسية Valencia[3]،وقد سكن هذا الشيخ سبتة كثيراً وسمع منه عياض[4] ومن الأندلسيين الذين التقى بهم عياض فى سبتة الوزير الكاتب عبد المجيد بن عبدون الفهرى اليابرى ، نسبة إلى يابرة Evora[5] والمتوفى عام ٥٣٧ هـ/١١٣٣م وهو من الأدباء والعلماء وفحول الشعراء ، سمع منه عياض قصيدته الرائية فى الرثاء[6] ، وأجازه جميع رواياته[7] .

ومن مالقة وفد إلى سبتة الأستاذ أبو الحسين يحيى بن الطراوة النحوى الأديب ، أحد أئمة الأدب والنحو ، جالسه عياض كثيراً وحضر مجالسه فى الأدب والشعر واستفاد منه [8] .

كما التقى عياض فى مدينته بإثنين من علماء مدينة إشبيلية ، هما محمد ابن عمر بن قطرى الزبيدى النحوى ، الذى كان من بيت علم واستوطن أخيراً سبتة وبها توفى عام ٥٠١ هـ / ١١٠٧ م ، وكان مدرساً للنحو والعربية مع علم بالأصول والعقيدة ، وحدث القاضى عياضاً بكتابه (الفقيه والمتفقه) سماعاً

---

(١) السيوطي : مصدر سابق ، جـ ١ ، ص ١٥٠ .

(٢) عياض : الغنية ، ص ٧٩ ، ، ابن الأبار : التكملة ، جـ ١ ، ص ٤٠٨ .

(٣) بلنسية من مدن شرق الأندلس بينها وبين قرطبة ستة عشر يوماً ، مدينة سهلية وقاعدة من قواعد الأندلس بها أسواق وحط وإقلاع بينها وبين البحر ثلاثة أميال أنظر : الحميري : مصدر سابق ، ص ٩٧

(٤) عياض : الغنية ، ص ١١٤ ، ابن بشكوال ، مصدر سابق ، جـ ١ ، ص ٧٣ .

(٥) يابرة مدينة من كورباجة بالأندلس ، وهي مدينة قديمة ، وتمتد أحواز باجة فيما حواليها مائة ميل ، أنظر : الحميري : مصدر سابق ، ص ٦٥ .

(٦) للإطلاع على القصيدة الرائية أنظر : المراكشي : المعجب ، ص ١٢٩ - ١٤٠ .

(٧) عياض : الغنية ، ص ١٧١ .

(٨) عياض : مصدر سابق ، ص ٢٢٣ ، السيوطي : مصدر سابق ، جـ ٢ ، ص ٣٤١ .

منه[١] . أما العالم الثانى فهو القاضى أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد المعافرى المتوفى عام ٥٤٣ هـ / ١١٤٨ م التقى بعياض حين اجتاز سبتة فكتب عنه فوائد من حديثه ، وحدثه بكتاب « المؤتلف والمختلف » للدار قطنى بالسند المتصل حتى المؤلف ، كما لقيه عياض أثناء رحلته للأندلس فى إشبيلية وقرطبة[٢] .

وسمع عياض فى بلده من الشيخ الخطيب أبى عبد الله محمد بن على بن محمد الأزدى ، أحد أعلام طليطلة تولى الخطبة وصلاة الجمعة بمدينة سبتة إلى أن توفى سنة ٥٠٣ هـ / ١١٠٩ م[٣] .

كما التقى عياض فى سبتة باثنين من علماء شنترين : الأول كان من علماء الحديث وهو أبو الأصبغ عيسى بن محمد بن عبد الله بن عيسى الزهرانى المتوفى عام ٥٣٠ هـ / ١١٣٥ م ، دخل هذا العالم سبتة مرات عديدة وقال عنه القاضى عياض : « ناولنى كتب القاضى أبى الوليد الباجى مثل كتاب التعديل والتجريح » وغيرها ، وحدثنى بجميعها عنه[٤] . أما الثانى فهو من أئمة النحاة والأدباء ، وهو خلف بن يوسف بن فرتون النحوى المتوفى عام ٥٣٢ هـ / ١١٣٧ م أخذ العلم فى بلده وانتقل إلى سبتة وقام بالإقراء فى جامعها وقرأ عليه القاضى عياض كتب النحو واللغة والأدب[٥] .

ومن مدينة سرقسطة[٦] قدم إلى سبتة الشيخ على بن يوسف بن موسى الكلبى المتكلم النحوى الذى كان من العالمين بعلم التوحيد والاعتقادات على

---

(١) عياض : مصدر سابق ، ص ٧٦ ، ٧٧ ، السيوطي : مصدر سابق ، جـ ١ ، ص ١٩٩ .

(٢) عياض : مصدر سابق ، ص ٦٦ وما بعدها .

(٣) المصدر السابق ، ص ٧٦ .

(٤) ابن بشكوال : مصدر سابق ، جـ ٢ ، ص ٤٤٠ ، ٤٤١ ، عياض : مصدر سابق ، ص ١٨٣ ، ١٨٤ .

(٥) عياض : مصدر سابق ، ص ١٤٩ ، ١٥٠ ، السيوطي : مصدر سابق ، جـ ١ ، ص ٥٧٧ .

(٦) سرقسطة من مدن شمال شرق الأندلس ، وهي قاعدة من قواعد الأندلس وهي من أطيب البلدان بقعة سقطت في يد النصارى سنة ٥٠٢ هـ / ١١٠٨ م ، أنظر : الحميري : مصدر سابق ، ص ٣١٧ .

مذهب الأشاعـرة ، كمـا كـان عـالماً بالنحو والأدب . [١] وفى فـترة سكناه مدينة سبتة قرأ عليه عياض أرجوزته التى ألفها فى الاعتقادات[٢] .

وأيضـاً التـقى عـياض فى بلده بالمحدث الراوية أحـمـد بن طاهرين عـلى بن شبـرين الأنصارى المتـوفى عـام ٥٢٠هـ/ ١١٢٦ م من أهل دانيـة Denia[٣] وقـد جالسه عياض كثيراً وسمع العديد من تصانيفه فى الحديث النبوى ، منها أطراف الموطأ ورجال مسلم [٤] .

أما الفقيـه الراوية أبو عمران موسى بن عبد الرحمن المتوفى عـام ٥١٧ هـ / ١١٢٣ م الذى كان شيخ بلده شاطبةXatva [٥] ومفـتيـها ، فـقد سمع منه عـياض حين التـقاه فى سبتـة كـتاب الفصول لأبن عـبد البر ، كما حصل منه على إجازة لجميع رواياته[٦] .

وممن سمع منه عيـاض فى سبتـة الخطيب عبـد الله بن محـمـد بن عبـد الله بن محمد النفزى المتوفى عـام ٥٣٨ هـ / ١١٤٣ م ، وهو من مدينة مرسية Marcia[٧] شاركه عياض فى شيوخه وسمع منه مع جماعه فى مدينته[٨].

ومن المشرق الإسلامى وفد إلى سبتة عالمان : الأول قدم من بيت المقدس وهو أبو الحسن على بن أحمد بن على بن عبيـد الله الربعى الشـافـعى التـاجر المتوفى عام ٥٣١ هـ / ١١٣٦ م . حدث هذا العالم القاضى عيـاض بأشياء وأجازة جميع

---

(١) ابن بشكوال : مصدر سابق ، جـ ٢ ، ص ٦٨٢ ، السيوطي : مصدر سابق ، جـ ٢ ، ص ٣٦٢ .

(٢) عياض : الغنية ، ص ٢٢٦ .

(٣) دانية مدينة بشرق الأندلس على البحر ، عامرة حسنة لها ربض عامر وعليها سور حصين أنظر : الحميري : مصدر سابق ، ص ٢٣١ ، ٢٣٢ .

(٤) عياض : الغنية ، ص ١١٨ .

(٥) شاطبة مدينة جليلة بالأندلس قريبة من جزيرة شقر ، حاضرة أهله أنظر الحميري : مصدر سابق ، ٣٣٧ .

(٦) عياض : الغنية ، ص ١٩٥ ، ابن الأبار : المعجم ، ص ١٩٢ ، ١٩٣ .

(٧) مرسية مدينة بالأندلس منها إلى قرطبة عشر مراحل ومنها إلى بلنسية خمس مراحل ، لها ربض عامر آهل ، أنظر : الحميري : مصدر سابق ، ص ٥٣٩ ، ٥٤٠ .

(٨)عياض : الغنية ، ص ١٥٦ ،١٥٧ ، ابن الآبار : المعجم ، ص ٢٢٠ ، ٢٢٢ .

رواياته وتصانيفه[1] . أما العالم الثانى فقد قدم من نيسابور[2] هو الشيخ التاجر سهل بن على بن عثمان المتوفى عام ٥٣١ هـ / ١١٣٦ م ، أقام بسبتة مدة طويلة ، وحدث عياضاً بعدة مؤلفات منها كتاب الأربعين حديثاً للحاكم ، وكتاب أمالى الشيخ أحمد بن محمد بن خلف الشيرازى وغيرها[3] .

أما المصدر الثانى الذى نهل منه عياض فهو الأندلس الذى كان يعد فى ذلك الوقت مركزاً رئيساً من مراكز العلم والمعرفة فى العالم الإسلامى ، ولذلك رحل إليه القاضى عياض بعد أن قرأ فى بلده القراءات والفقه وأصوله والحديث وعلومه وعلم الكلام ، واللغة العربية وآدابها . كما تفقه فى المذهب المالكى حتى أصبح فقه مالك من أهم المكونات الفكرية التى صاغت فكره . إذن قبل أن يرحل عياض إلى الأندلس كان له حظ وافر من العلم [4] فلماذا رحل ؟ إجابة هذا السؤال نجدها فى كتاب أمير المسلمين على بن يوسف إلى ابن حمدين قاضى قرطبة يوصيه بعياض فيقول له : « وعنده دواوين أغفال ، ولم تفتح لها على الشيوخ أقفال ، وقصد تلك الحضرة ليقيم أود مُتونها » [5] . وهو كلام يدل على مدى سعة علم القاضى عياض آنذاك . لكن يبقى السؤال : لماذا رحل أذن إلى بلاد الأندلس ؟

لقد رحل عياض إلى الأندلس لتصحيح المتون المروية، والبحث عن أصولها ووصل أسانيدها بأصحابها ، والبحث عن أعلى هذه الأسانيد وأقومها وأصحها . فهذه المادة المروية إذا لم تثبت نسبتها إلى عالم ، لا تصلح أن تتخذ أساساً

---

(١) عياض : مصدر سابق ، ص ١٨١ .

(٢) نيسابور من بلاد خراسان ، بلد واسع افتتحه عبد الله بن عامر في خلافة عثمان سنة ٣٠ هـ / وهي أرض سهلية ، أنظر : الحميري : مصدر سابق ، ص ٥٨٨ .

(٣) عياض : مصدر سابق ، ص ٢٠٩ .

(٤) ابن خاقان : قلائد العقيان ، جـ ١ ، ص ٣٢٨ .

(٥) المصدر السابق والجزء والصفحة .

للبحث والدرس وبناء أحكام عليها ، سواء كانت هذه الأحكام دينية أو علمية أو أدبية . هكذا كان عياض حريصاً على إكمال وسلامة المنهج العلمي في النقل والأخذ عن غيره [(١)]، وذلك من خلال مقابلة كتبه بالأصول الصحيحة[(٢)] والبحث عن أصول كتب العلماء الخطية المسندة إليهم[(٣)] .

• ولذلك كانت هذه الرحلة موضع اهتمام الحاكم المرابطي على بن يوسف الذى أوصى قاضي قرطبة الاعتناء بأمره ، وقد ساعدت هذه التوصية عياضاً في إنجاز ما أمله في مدة قصيرة فقد كان خروجه من سبتة في يوم الثلاثاء منتصف جمادى الأولى سنة ٥٠٧ هـ / ١١١٣ م ، فوصل قرطبة يوم الثلاثاء مستهل جمادى الآخرة ، وأقام فيها مدة عام إذ عاد إلى بلده سبته ليلة السبت السابع من جمادى الآخرة ، من عام ٥٠٨ هـ ١١١٤ م[(٤)] .

وأثناء إقامة عياض في قرطبة التقى بالعديد من علمائها في كافة مجالات العلم والمعرفة فالتقى بالعديد من فقهاء تلك المدينة ، منهم الفقيه القاضي ابن حمدين ، محمد بن على بن محمد بن عبد العزيز التغلبي (٤٣٩ - ٥٠٨ هـ / ١٠٤٧ - ١١٩٦) . وهو أول من التقى بهم عياض في بداية رحلته إلى الأندلس ليسلم له رسالة أمير المسلمين على بن يوسف المتضمنة التوصية به . ويعد ابن حمدين من أجل علماء الأندلس في ميدان الفقه والأدب تولى قضاء الجماعة للمرابطين عام ٤٩٠ هـ / ١٠٩٦ م إلى أن توفى . وقد جالسه عياض كثيراً وسمع عليه الموطأ برواية يحيى بن يحيى الليثي[(٥)] .

---

(١) محمد بن تاويت ، مقدمة كتاب ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك للقاضي عياض ، وزارة الأوقاف المغربية ، الرباط ، ط ٣ ، ١٩٨٣ ، ص يا .

(٢) عياض : الغنية ، ص ١٥ ، ٢٦ ، ١٧٢ .

(٣) المصدر السابق ، ص ١١ .

(٤) محمد بن عياض : مصدر سابق ، ص ٦ ، ١٠ .

(٥) عياض : الغنية ، ص ٤٦ ، المقرى : ازهار الرياض ، جـ ٣ ، ص ٩٥ وما بعدها .

كما التقى عياض بأبى الوليد القرطبى ، هشام بن أحمد الفقيه المتوفى عام ٥٠٩ هـ / ١١١٥ م ، وهو أحد كبار فقهاء هذه المدينة ومفتيها وقرأ عليه عياض فى داره العديد من المؤلفات الفقهية (١) .

ومن أكابر علماء قرطبة أبى محمد عبد الرحمن بن محمد بن عتاب الجذامى المتوفى عام ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م . وجلس إليه عياض للسماع منه لعلو سنده وصبره على الجلوس والإسماع آناء ليلة وأطراف نهاره ، وقرأ عليه عياض الكثير من كتب الفقه والحديث(٢) . وممن صحبهم وسمع منهم كثيراً عبد الرحمن بن عبد الله بن إبراهيم الأموى القرطبى المتوفى عام ٥١٩ هـ / ١١٢٥م (٣) . كما التقى عياض فى قرطبة بالفقيه الحافظ أبى بكر غالب ابن عطية المحاربى المتوفى عام ٥١٨ هـ / ١١٢٤ م الذى قال عنه عياض : « سمعت من لفظه فوائد » (٤) .

أما الفقيه الراوية سفيان بن العاصى بن أحمد بن العاصى المتوفى عام ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م ، فقد نشأ ببلنسية ولقبه عياض فى قرطبة وقرأ عليه كتاب « سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن هشام »، بالإضافة إلى كتب الحديث مثل كتاب « صحيح مسلم » (٥) .

كما التقى عياض ببعض علماء الحديث فى قرطبة ، منهم ابن الحاج محمد ابن أحمد بن خلف بن إبراهيم التجيبى المتوفى عام ٥٢٩ هـ / ١١٣٤ م والذى كان كثير الرواية ، ولذلك قرأ عليه عياض بعض كتب الحديث فى داره ، وحصل منه على إجازة لجميع رواياته(٦) كما سمع عياض بعض كتب الحديث وعلومه من الفقيه الحاكم أبى القاسم أحمد بن محمد بن مخلد المتوفى عام ٥٣٢ هـ /

---

(١) عياض : مصدر سابق ، ص ٢١٧ .

(٢) عياض : مصدر سابق ، ص ١٦٢ وما بعدها ، ابن فرحون : مصدر سابق ، جـ ١ ، ص ٤٧٩ .

(٣) عياض : مصدر سابق ، ص ١٦٦ ، ١٦٧ .

(٤) المصدر السابق ، ص ١٩٠ .

(٥) المصدر السابق ، ص ٢٠٥ .

(٦) المصدر السابق ، ص ٤٧ ، ٤٨ ، ابن الأبار : المعجم ، ص ١٢٣ .

١١٣٧ م [١] والتقى عياض أيضاً فى قرطبة مع أبى جعفر أحمد بن محمد بن عبد العزيز اللخمى المتوفى عام ٥٣٣ هـ / ١١٣٨ م والذى كان يفهم علم الحديث وروى منه الكثير ، ولذلك صحبه عياض وقرأ عليه بعض حديثه[٢] . وحين التقى عياض فى قرطبة بالشيخ يونس بن محمد بن مغيث الفقيه أبى الحسن المتوفى عام ٥٣٢ هـ / ١١٣٧ م قرأ عليه العديد من كتب الحديث مثل كتاب الأربعين حديثاً للأجرى ، وغير ذلك من المؤلفات [٣] .

وسمع عياض فى قرطبة كتب الأصول والعقائد والفرائض من بعض علمائها ، منهم الفقيه القاضى أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد المتوفى عام ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م والذى كان زعيماً فقيهاً وقته ، بصيراً بالأصول ويقول عنه عياض : « جالسته كثيراً وساءلته واستفدت منه وسمعت بعض كتبه تقرأ عليه ، وناولنى بعضها ، وأجازتى سائر رواياته » [٤] ، ومنهم أحمد الزنقى أبو العباس ، الذى يعد من أعلام المتكلمين على مذهب الأشاعرة فى وقته ، ولذلك جالسه عياض وسأله للاستفادة منه [٥] .

والتقى عياض فى قرطبة بعدد من شيوخ القراء منهم أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الحق الخزرجى المقرئ المتوفى عام ٥١١ هـ / ١١١٧ م والذى كان يقوم بالإقراء بجامع قرطبة [٦]. ومنهم الخطيب المقرئ خلف بن إبراهيم بن خلف بن سعيد زعيم المقرئين بقرطبة المتوفى عام ٥١١ هـ / ١١١٧ م ولذلك كانت رحلة

(١) عياض : الغنية ، ص ٩٧ ، ٩٨ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٠٨ ، ١٠٩ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٢٢٤ ، ابن الأبار : المعجم ، ص ٣٢٩ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٥٤ ، ٥٥ ، ابن بشكوال : مصدر سابق ، جـ ٢ ، ص ٧٥٦ ، ابن فرحون : مصدر سابق ، ، جـ ١ ، ص ٢٤٨ ، ٢٤٩ .

(٥) عياض : مصدر سابق ، ص ١١٧ .

(٦) المصدر السابق ، ص ١١٧ ، ١١٨، ابن الجزري : غاية النهاية في طبقات القراء ، عني بنشره برجسترانر، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٢ ، جـ ١ ، ص ٦٦ .

عياض إليه حيث قرأ عليه بعض كتب القراءات والتفسير والفقه.[1] ومن المقرئين الذين إلتقاهم أيضاً عبد الرحمن بن سعيد بن هارون الفهمى المقرئ المتوفى سنة ٥٢٢ هـ / ١١٢٨ م وكان من مدينة سرقسطة ثم رحل إلى قرطبة وبها حدث عياضاً وأجازه جميع رواياته[2] .

وحرص عياض أيضاً على لقاء علماء اللغة والنحو فى مدينة قرطبة ، فالتقى بالأديب الراوية أبى عبد الله محمد بن سليمان النفزى المتوفى عام ٥٢٥ هـ / ١١٣٠ م وهو علم مالقى الأصل ، سكن قرطبة ، ويعد من أحفظ أهل زمانه للنحو ، [3] قرأ عليه عياض فى منزله كتب الأدب [4] . أما الشيخ الكاتب الراوية أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن طريف بن سعد المتوفى عام ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م ، فقد كان عارفاً بالأدب والنحو واللغة والبلاغة ولذلك حصل منه عياض على إجازة فى جميع رواياته[5] . كما قرأ عياض العديد من كتب النحو والأدب على الأستاذ أبى الحسن على بن أحمد بن خلف الأنصارى النحوى حين لقيه فى قرطبة عام ٥٠٧ هـ / ١١١٣ م[6] . كما كان الوزير اللغوى سراج بن عبد الملك بن سراج الأموى المتوفى عام ٥٠٨ هـ / ١١١٤ م من دوافع رحلة عياض إلى قرطبة عام ٥٠٧ هـ / ١١١٣ م للسماع والقراءة عليه ، فسمع من كتب الأدب والحديث[7] .

وأخيراً التقى عياض فى قرطبة ببعض العلماء لكنه يذكر أنه لم يسمع منهم مثل عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن مخلد القرطبى الحاكم المتوفى عام ٥١٥

---

(١) عياض : مصدر سابق ، ص ١٤٧ ، ١٤٨ ، ابن الجزري : مصدر سابق ، جـ ١ ، ص ٢٧١ .

(٢) عياض : مصدر سابق ، ص ١٦٨ ، ابن الجزري : مصدر سابق ، جـ ١ ، ص ٣٦٩ .

(٣) السيوطي : مصدر سابق ، جـ ١ ، ص ١١٦ .

(٤) عياض : مصدر سابق ، ص ٥٩ .

(٥) المصدر السابق ، ص ١٥٠ ، ١٠٦ .

(٦) المصدر السابق ، ص ١٧٤ ، ١٧٥ .

(٧) عياض : مصدر سابق ، ص ٢٠١ ، ٢٠٢ ، السيوطي : مصدر سابق ، جـ ١ ، ص ٥٧٦ .

هـ / ١١٢١ م ، [١] والفقيه عبد العزيز بن عبد الله بن محمد ، أبو الأصبغ القرطبى المتوفى عام ٥٠٠٨ هـ / ١١١٤ م[٢] .

تنقل عياض بين مدن الأندلس للقاء العلماء، فمن مدن غرب الأندلس التى زارها مدينة إشبيلية فالتقى فيها بالشيخ أبى عبد الله أحمد بن محمد بن عبد الله الخولانى المتوفى عام ٥٠٨ هـ / ١١١٤ م والذى حدثه بالموطأ ، كما أجازه جميع رواياته[٣] أما الشيخ الصوفى محمد بن خميس فيعد من أهل غرب الأندلس وكان ملازماً بإشبيلية وأجاز عياضاً كتاب الرعاية للحارث المحاسبي.[٤] كما صحب عياض فترة وجوده فى إشبيلية القاضى محمد بن داود بن عطية العكى القلعى المتوفى عام ٥٢٥ هـ / ١١٣٠ م ودرس عليه أصول الفقه[٥] . ومن النحاة الذين التقاهم عياض على بن عبد الرحمن بن محمد التنوخى المتوفى عام ٥١٤ هـ / ١١٢٠ م فسمع منه كتاب شرح الأشعار الستة لأبى الحجاج يوسف ابن الأعلم[٦] .

وامتدت رحلة القاضى عياض إلى بعض مدن شرق الأندلس للقاء العلماء . ففى مدينة سرقسطة التقى بأجل شيوخ الأندلس عامة وهو القاضى الحافظ أبى على الحسين بن محمد بن فيره بن حيون الصدفى المتوفى عام ٥١٤ هـ / ١١٢٠ م والذى اتسعت روايته ، وبلغ عدد الكتب التى سمعها عليه عياض ستة وعشرين كتاباً شملت الحديث وعلومه والسيرة والتاريخ [٧] وفى نفس هذه المدينة جلس عياض كثيراً مع الشيخ المقرئ محمد بن عقال وسمع عنه الكثير [٨] .

(١) عياض : مصدر سابق ، ص ١٦٩ .
(٢) المصدر السابق ، ص ١٧٣ .
(٣) المصدر السابق ، ١٠٦ .
(٤) المصدر السابق ، ص ٩١ ، ٩٢ .
(٥) المصدر السابق ، ص ٦٤ .
(٦) المصدر السابق ، ص ١٧٧ ، ١٨٧ . السيوطى : مصدر سابق ، جـ ٢ ، ص ١٧٤ .
(٧) عياض : مصدر سابق ، ص ١٢٩ ، ١٣٦ ، المقري : نفح الطيب ، جـ ٢ ، ٩٠ ، ٩٢ .
(٨) عياض : مصدر سابق ، ص ٩٠ .

والتقى عياض فى مدينة شاطبة باثنين من علماء الحديث وسمع منهما الأول هو ابن الصيقل محمد بن على الشاطبى ، [1] والثانى هو الشيخ أبى محمد عبد الله بن محمد بن أيوب الفهرى المتوفى عام ٥٣٠ هـ / ١١٣٥ م [2] .

وفى مدينة بلنسية التقى بشيخ الأدباء فى وقته عالم النحو واللغات والشعر والبلاغة ، أبى محمد عبد الله بن محمد السيد النحوى المتوفى عام ٥٢١ هـ / ١١٢٧ م ، وحصل منه على إجازة لجميع رواياته وتصانيفه .[3]

أما لقاء عياض بشيخ فقهاء شرق الأندلس ، الفقيه عبد الله بن محمد بن عبد الله الخشنى المتوفى عام ٥٢٦ هـ / ١١٣١ م الحافظ للمذهب ، مع المعرفة بتفسير القرآن الكريم فقد كان فى مدينة مرسية وهو اللقاء الثانى بينهما وكان الأول فى سبتة ، وقد قرأ عليه بعض كتب الحديث وحصل منه على إجازة لرواية جميع مؤلفاته.[4] .

ويعد أبو العباس أحمد بن عثمان بن مكحول المتوفى عام ٥١٣ هـ/ ١١١٩م من شيوخ عياض وهو من أهل المرية Almeria ،[5] حدثه بعدد من الكتب مثل كتاب الشهاب للقضاعى وغير ذلك من المؤلفات [6] .

كما التقى عياض أثناء رحلته العلمية إلى شرق الأندلس بالفقيه أبى بكر محمد بن خلف بن سليمان الأريولى المتوفى عام ٥١٧ هـ / ١١٢٣ م وقد استفاد هذا الفقيه من معارف عياض ، وحصل منه عياض على إجازة لمؤلفين له على كتاب الصحابة لابن عبد البر وهما كتاب التنبيه وكتاب الذيل[7] .

---

(١) عياض : مصدر سابق ، ص ٩٢ ، ٩٣ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٥٩ .

(٣) عياض : مصدر سابق ، ص ١٥٨ ، السيوطي : مصدر سابق ، جـ ٢ ، ص ٥٥ .

(٤) عياض : مصدر سابق ، ص ١٥٣ ، ١٥٤ ، العماد الحنبلي : شزرات الذهب في أخبار من ذهب

(٥) ألمرية مدينة بالأندلس محدثة ، أمر ببنائها عبد الرحمن الناصر عام ٣٤٤ هـ وهي من أشهر مراسي الأندلس وأجل أمصارها وأشهرها ، أنظر : الحميري : مصدر سابق ، ص ٥٣٧ .

(٦) عياض : مصدر سابق ، ص ١٠١ .

(٧) المصدر السابق ، ص ٨١ ، ابن الأبار : المعجم ، ص ١١٤ .

ومن علماء لورقة Lorca [١] التقى عياض بالوزير أحمد بن سعيد بن خالد اللخمى المتوفى عام ٥١٦ هـ / ١١٢٢ م والذى أجازه جميع رواياته ، من ذلك : كتاب اختلاف الموطأت للدار قطنى وغيرها[٢] .

كما حصل عياض من بعض علماء الأندلس على العديد من الإجازات العلمية التى تسمح له برواية العلم عنهم ، على الرغم من أنه لم يلتق بهم . فقد كتبوا له بالسماح بروايةِ علمهم ، منهم الفقيه القاضى أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن على المتوفى عام ٥٠٣ هـ / ١١٠٩ م والذى كتب لعياض من إشبيلية يجيزه جميع رواياته[٣] . ومن نفس المدينة أجازه أيضاً شيخ المقرئين فى وقته القاضى المقرئ شريح بن محمد بن شريح الرعينى المتوفى عام ٥٣٩ هـ / ١١٤٤ م[٤] .

ومن مدينة سرقسطة كتب بعض علمائها إلى عياض يجيزونه جميع رواياتهم منهم أبو عبد الله محمد بن الفرج[٥] ، وخلف بن خلف بن محمد الأنصارى المتوفى عام ٥٠٨ هـ / ١١١٤ م[٦] ، والشيخ الصالح عبد الرحمن بن عبد الله السرقسطى المتوفى عام ٥١٥ هـ / ١١٢١ م [٧] .

كما كتب الشيخ الحافظ أبو على الحسين بن محمد بن أحمد الغسانى المعرف بالجيانى المتوفى عام ٤٩٨ هـ / ١١٠٤ م من قرطبة إلى عياض يجيزه جميع رواياته [٨] . وأيضاً أجازه الشيخ الصالح أبو الحسن خليصى بن عبد الله بن

(١) لورقة بالأندلس بينها وبين مرسية أربعون ميلا ، وهي من المعاقل الحصينة وتقع على ظهر جبل وبها أسواق وربض ، أنظر : الحميري : مصدر سابق ، ص ٥١٢ .

(٢) عياض : مصدر سابق ، ص ٩٩ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٧٥ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٢١٣ ، ٢١٤ ، السيوطي : مصدر سابق ، جـ ٢ ، ص ٣ .

(٥) عياض : مصدر سابق ، ص ٨٩ .

(٦) المصدر السابق ، ص ١٤٨ ، ١٤٩ .

(٧) المصدر السابق ، ص ١٦٧ .

(٨) المصدر السابق ، ص ١٣٨ ، ١٣٩ ، ابن فرحون : مصدر سابق ، جـ ١ ، ص ٣٣٢ ، ٣٣٣ .

احمد العبدرى ساكن بلنسية المتوفى عام ٥١٣ هـ / ١١١٩ [١] وأخيراً كتب إليه من مدينة شاطبة يجيزه جميع رواياته الشيخ أبو عامر محمد ابن حبيب بن عبد الله الأموى المتوفى عام ٥٢٨ هـ / ١١١٣ م[٢] .

هكذا كان لبلاد الأندلس بمدنها المختلفة وعلمائها الكثيرين الذين التقى بهم القاضى عياض ، أثر كبير فى تكوين شخصيته العلمية فى كافة نواحى العلم والمعرفة . وإذا كنا قد انتهينا من الحديث عن المصدرين الأول والثانى من مصادر تكوين شخصية القاضى عياض العلمية ، فقد حان الوقت للحديث عن المصدر الثالث والأخير وهو المشرق الإسلامى .

المصدر الثالث لثقافة القاضى عياض هو المشرق الإسلامى والجدير بالذكر أن عياضاً لم يرحل إلى بلاد المشرق الإسلامى لكنه تأثر بعلومه ومعارفه بواسطة شيوخه من الأندلسيين الذين رحلوا للمشرق ، كما يتضح من تراجمهم التى وردت فى فهرس شيوخ القاضى عياض ، كما نهل من ثقافة المشرق بواسطة المشارقة أنفسهم الذين كتبوا إليه يجيزونه مؤلفاتهم ورواياتهم .

فمن مصر كتب عدد من العلماء يجيزون القاضى عياض رواياتهم ، منهم الأمام أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف الفهرى المعروف بالطرطوشى ومنها أصله . وقد تفقه هذا العالم فى الأندلس والمشرق واستوطن الإسكندرية وبها توفى عام ٥٢٦ هـ / ١١٣١ م بعد أن كان قد ألف مؤلفات عديدة فى مسائل الخلاف وأصول الفقه ، ويذكر القاضى عياض أن هذا العالم أجازه جميع رواياته وتصانيفه [٣] . كما أجازه أيضاً من مصر أحد رواتها ومسنديها وهو محمد بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد الرازى المعروف بابن الخطاب المتوفى عام

(١) عياض : مصدر سابق ، ص ١٥٠ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٨١ .

(٣) عياض : مصدر سابق ، ص ٦٢ - ٦٤ ، ابن خلكان : مصدر سابق ، جـ ٤ ، ص ٢٦٢ .

٥٢٥ هـ / ١١٣٠ م[١] . هذا بالإضافة إلى أبى عبد الله محمد بن المسلم بن محمد بن أبى بكر القرشى المخزومى الصقلى ساكن الإسكندرية والذى كان متقدماً فى علم الكلام ، وصنف فيه كتاب « البيان بشرح البرهان » وأجازه عياضاً مع غيره من الروايات[٢] وممن أجازه الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد الأصبهانى نزيل الإسكندرية والذى يعد من علما الحديث[٣] . كما كتب الشيخ المسند على بن المشرف بن المسلم ، أبو الحسن السكندرى المتوفى عام ٥١٩ هـ / ١١٢٥ م إلى عياض يجيزه جميع رواياته [٤] .

كما حصل عياض على إجازات علمية من علماء مكة المكرمة ، منهم الشيخ أحمد بن خليفة بن قاسم بن منصور الملكى الذى أجازة كتاب البخاري[٥] . أما الشيخ أبو سعيد حيدر بن يحيى بن حيدر الجيلى الصوفى المجاور بمكة المتوفى عام ٥٣٠ هـ / ١١٣٥ م فقد أجازة جميع رواياته[٦] ، ومنهم الإمام عبد الرحمن بن عبد الصمد النيسابورى الذى جاور بمكة بعد عام ٥١٠ هـ / ١١١٦ م ومنها كتب يجيز عياضا جميع رواياته [٧] . وأخيراً أجازه الشيخ المقرئ على بن أبى القاسم بن محمد المهدوى ، وهو من علماء القراءات سكن مكة ومنها كتب إلى عياض يجيزه كتاب الجامع الكبير فى القراءات وهو كتاب من تأليف أبى معشر الطبري[٨] .

---

(١) عياض : مصدر سابق ، ص ٨٢ ، ٨٣ ، الصفدي : الوافي بالوفيات طبعة المعهد الألماني للأبحاث الشرقية بيروت ، تشر فرانز شتاينر ، فيسبادن ، جـ ٢ ، ص ٩٣ .

(٢) عياض : مصدر سابق ، ص ٨٨ .

(٣) المصدر السابق ، ص ١٠٢ .

(٤) المصدر السابق ، ص ١٧٨ ، ١٧٩ .

(٥) المصدر السابق ، ص ١١٥ .

(٦) المصدر السابق ، ص ١٤٢ ، ١٤٣ .

(٧) المصدر السابق ، ص ١٦٦ .

(٨) المصدر السابق ، ص ١٨٣ .

ومن مدينة بغداد كتب عبد الواحد بن أحمد بن عبد القادر بن محمد بن يوسف البغدادى الفهرى إلى عياض يجيزه جميع رواياته وذلك سنة ٥١٧ هـ / ١١٢٣ م[1] . كما كتب عبد الملك بن أبى مسلم بن أبى نصر الهمدانى إلى عياض يجيزه جميع رواياته ، من ذلك كتاب الجمع بين الصحيحين تأليف أبى عبد الله محمد بن أبى نصر الحميدي[2] .

هكذا نهل عياض من ثقافة المشرق الإسلامى من خلال الإجازات العلمية التى حصل عليها من علماء مصر ومكة المكرمة وبغداد وهمدان ، بالإضافة إلى من وفد إلى سبتة من علماء المشرق وأخذ عنهم القاضى عياض وسبق الحديث عنهم فى المصدر الأول لثقافته .

خامساً ـ البيئة التعليمية :

كان للعدد الكبير من العلماء الذين التقى بهم القاضى عياض بن موسى أثر كبير فى أن يطلع على العديد من المؤلفات العلمية فى كافة مجالات العلوم الشرعية وعلوم اللغة العربية بالإضافة إلى كتب السيرة والتصوف والتراجم . وتلقى هذه المؤلفات الضوء على الكتب التى شاع تدريسها فى ذلك الوقت والتى كانت تمثل الوعاء الفكرى والثقافى للأمة الإسلامية آنذاك .

١ - فى مجال العلوم الشرعية :

(أ) القرآن الكريم وعلومه :

بدأ عياض قراءة القرآن الكريم وعلومه فى مدينة سبتة على العديد من القراء من أبنائها أو ممن وفدوا عليها ، منهم الشيخ المقرئ محمد بن عبد الله المعروف بالمرورى المتوفى فى حدود ٥٠٠ هـ / ١١٠٦ م والذى تصدر لإقراء

(١) المصدر السابق ، ص ١٧٠ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٧٢ .

القرآن الكريم بهذه المدينة طوال عمره ، وكان عالماً بالقراءات واختلاف القراء ولذلك قرأ عليه عياض القرآن الكريم وختمه عدة مرات[١] . كما قرأ القرآن الكريم برواية نافع[٢] وابن كثير [٣] وابن عامر[٤]. وأبى عمرو الداني[٥] على الشيخ المقرئ عبد الله بن إدريس بن سهل المتوفى بسبتةعام ٥١٥ هـ / ١١٢١ م[٦] .

وقرأ عياض أيضاً فى بلده كتاب «الهداية فى القراءات السبع» من تأليف أبى العباس أحمد بن عمار المهدوى المتوفى بعد عام ٤٣٠ هـ / ١٠٣٨ م ، وكانت القراءة على الشيخ المقرئ محمد بن أحمد الأموي[٧]. وقد قرأ عياض هذا الكتاب أيضاً على القارئ ابن سليمان النفزى المتوفى عام ٥٢٥ هـ / ١١٣٠ م[٨] .

كما قرأ عياض علم القراءات على من وفد إلى سبتة من قراء الأندلس ، منهم شيخ المقرئين أبو الحسن على بن محمد بن درى الأنصارى المتوفى عام ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م والذى قرأ عليه القرآن الكريم برواية ابن عامر ، وحين التقى به عياض اثناء رحلته للأندلس قرأ عليه كتابه فى « مخارج الحروف » [٩] .

---

(١) عياض : مصدر سابق ، ص ٩٠ ، ابن الأبار : التكملة ، جـ ١ ، ص ٤٠٨ .

(٢) هو نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم ، أصله من أصبهان ، أخذ القراءة عن جماعة من تابعي أهل المدينة ، ولذلك كان عالماً بوجوه القراءات ، توفي عام ١٦٩ هـ / ٧٨٦ م ، أنظر : ابن الجزري : مصدر سابق ، جـ ٢ ، ص ٣٣١ - ٣٣٤ .

(٣) ابن كثير هو عبد الله بن كثير بن المطلب القرشي من بني عبد الدار ، ولد بمكة سنة ٤٥ هـ ولقى عبد الله بن الزبير وأبو أيوب الأنصاري ، من أئمة القراء حتى مات سنة ١٢٠ هـ / ٧٣٨ م ، أنظر : ابن الجزري : مصدر سابق ، جـ ١ ، ص ٤٤٣ - ٤٤٥ .

(٤) ابن عامر هو عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم اليحصبي ، إمام أهل الشام في القراءات توفي عام ١١٨ هـ / ٧٣٦ م ، أنظر : ابن الجزري : مصدر سابق ، جـ ١ ، ٤٢٣ - ٤٢٥ .

(٥) أبو عمرو الداني هو عثمان بن سعيد الأموي شيخ مشايخ المقرئين (٣٧١ - ٤٤٤ هـ) له مؤلفات جليلة في القراءات ، عنه أنظر : ابن الجزري : مصدر سابق ، جـ ١ ، ص ٥٠٣ - ٥٠٥ .

(٦) عياض : مصدر سابق ، ص ١٥٨ ، ابن الأبار : المعجم ، ص ٢١١ .

(٧) عياض : الغنية ، ص ٩١ .

(٨) المصدر السابق ، ص ٥٩ - ٦١ .

(٩) المصدر السابق ، ص ١٧٦ ، السيوطي : مصدر سابق ، جـ ٢ ، ص ١٨٧ .

وقرأ أيضاً عياض فى بلده على أبى الأصبغ عيسى بن محمد بن عبد الله الزهرى المتوفى عام ٥٣٠ هـ / ١١٣٥ م كتاب «معانى القرآن» له سماعاً منه، بالإضافة إلى كتاب « الوقف والابتداء »-تأليف ابن النحاس ، أحمد بن محمد بن إسماعيل الحافظ المقرئ ، المتوفى ٣٣٨ هـ / ٩٤٩ م[١] .

كما قرأ على محمد بن عبد الرحمن بن سعيد النحوى المقرئ القرطبى المتوفى عام ٥٠٥ هـ / ١١١١ م والذى كان يدرس القراءات [٢] .

ومن أثناء رحلة عياض إلى الأندلس التقى بالعديد من علماء القراءات الذين قرأ عليهم وأجازوه . منهم أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الحق الخزرجى المقرئ القرطبى المتوفى عام ٥١١ هـ / ١١١٧ م وهو أحد شيوخ القراء المتصدرين للإقراء بجامع قرطبة الأعليا السند[٣] . وحين التقى فى قرطبة بالشيخ المقرئ محمد بن سليمان النفزى المتوفى عام ٥٢٥ هـ / ١١٣٠ م حدثه بكتاب «التحصيل لفوائد التفصيل الجامع لعلوم التنزيل»[٤] وفى نفس المدينة أيضاً قرأ كتاب «المفتاح فى القراءات » من تأليف ابن عبد الوهاب على الشيخ أبى الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن طريف المتوفى عام ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م [٥] .

واستفاد عياض من لقاء أحمد بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الخولانى المتوفى عام ٥٠٨ هـ / ١١١٤ م حين التقى به فى مدينة إشبيلية ، فقد أجازه جميع رواياته منها ما أجازه أبو عمرو الداني[٦] الذى ألف العديد من كتب القراءات ، منها كتاب «جامع البيان فى القراءات السبع » وكتاب « التيسير » وكتاب « المحتوى فى القراءات الشواذ » [٧] .

---

(١) ابن بشكوال : الصلة ، جـ ٢ ، ص ٤٤١ ، عياض : مصدر سابق ، ص ١٨٣ ، ١٨٤ .

(٢) عياض : مصدر سابق ، ص ٨٩ .

(٣) عياض : مصدر سابق ، ص ١١٧ ، ١١٨ ، ابن بشكوال : مصدر سابق ، جـ ١ ، ص ٧٤١ .

(٤) عياض : مصدر سابق ، ص ٥٩ - ٦١ ، المقرئ : نفح الطيب ، جـ ٣ ، ص ٣٩٧ .

(٥) عياض : مصدر سابق ، ص ١٠٥ - ١٠٦ .

(٦) المصدر السابق ، ص ١٠٦ .

(٧) ابن الجزري : مصدر سابق ، جـ ١ ، ص٥٠٥ .

كما أجاز على بن أبى القاسم بن محمد المهدوى الذى سكن مكة عياض بن موسى كتاب « الجامع الكبير فى القراءات » ، وكتاب « التلخيص فى القراءات » تأليف أبى معشر الطبرى عبد الكريم بن عبد الصمد بن محمد المجاور بمكة وبها توفى عام ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م[١] .

كما التقى عياض فى قرطبة بعدد من القراء المفسرين ، منهم الخطيب المقرئ المفسر خلف بن إبراهيم بن خلف بن سعيد المعروف بابن النحاس المتوفى عام ٥١١ هـ / ١١١٧ م ، وقد حدثه « بتفسير النقاش »[٢] المسمى « بشفاء الصدور » بالسند المتصل حتى النقاش.[٣] وفى نفس المدينة قرأ على الفقيه عبد الرحمن بن محمد بن عتاب الجذامي المتوفى عام ٥٢٠ هـ / ١١٢٦م تفسير عبد الرزاق الصنعاني[٤] سماعاً لبعضه وأجازه لما فاته منه ، وذلك بالسند المتصل حتى المؤلف[٥] .

كما أجاز الشيخ المجاور بمكة أبو سعيد حيدر بن يحيى بن حيدر الجيلى الصوفى عياضاً كتاب « تفسير الثعالبى » لمؤلفة أبى إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعالبى النيسابورى المتوفى عام ٤٢٧ هـ / ١٠٣٥ م[٦] وقد ألف الإمام أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف المعروف بالطرطوشى اختصاراً لتفسير الثعالبى للقرآن الكريم[٧] .

---

(١) عياض : مصدر سابق ، ص ١٨٣ .

(٢) النقاش هو أبو بكر محمد بن الحسن بن محمد الموصلي المتوفي عام ٣٥١ هـ. عنه انظر: الداوودي: طبقات المفسرين، تحقيق عبد السلام عبد المعين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٢، ص ٣٩١ .

(٣) عياض : مصدر سابق ، ص ١٤٧ ، ١٤٨ .

(٤) عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري الصنعاني صاحب التفسير والمتوفي عام ٢١١ هـ / ٨٢١ م ، أنظر : الداوودي : مصدر سابق ، ص ٢٠٩ .

(٥) عياض : مصدر سابق ، ص ١٦٣ .

(٦) المصدر السابق ، ص ١٤٢ ، ١٤٣ .

عن الثعالبي المفسر أنظر : القفطي : إنباه الرواة على أنباء النجاة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٥٠، جـ ١ ، ص ١١٩ ، ١٢٠ .

(٧) عياض : الغنية ، ص ١٤٢ ، ١٤٣ .

ومن علوم القرآن الكريم التى أطلع عليها عياض علم الناسخ والمنسوخ[١] . فقد سمع عياض من شيخة الحافظ أبى على الحسين الصدفى كتاب « الناسخ والمنسوخ » تأليف هبة الله سلامة بن نصر بن على البغدادى المتوفى عام ٤١٠ هـ / ١٠١٩ م ، سمعه منه بالسند المتصل حتى مؤلفه [٢] . كما قرأ عياض كتابا بنفس هذا العنوان على الفقيه أبى محمد عبد الرحمن بن عتاب الخدامى وهو كتاب من تأليف أبى محمد مكى بن أبى طالب القيسى المقرئ المتوفى عام ٤٠٧ هـ / ١٠١٦ م[٣] .

لقد أسهمت الكتب التى أطلع عليها القاضى عياض فى القرآن الكريم وعلومه فى أن يكون من الأعلام فى علم القراءات والتفسير وعلم الناسخ والمنسوخ .

(ب) الحديث وعلومه :

واكب قيام دولة المرابطين ازدهار دراسة علم الحديث نتيجة لظهور عدد كبير من أعلام المحدثين الذين كان لهم عناية كبيرة بالحديث النبوى مكرمة للسنة النبوية . وقد أسهم هؤلاء المحدثون الذين التقى بهم عياض فى سبتة أو أثناء رحلته إلى الأندلس ، فى تفوقه فى هذا العلم رواية ودراية بشكل لفت إليه

---

(١) النسخ في اللغة هو رفع شئ وإقامة آخر مقامة ، أما النسخ في القرآن الكريم فهو إبطال الحكم ، وتكون الآية الناسخة والمنسوخة ثابتتين في التلاوة،إلا أن المنسوخة لا تعمل بها : مثال لذلك كانت عدة المتوفي عنها زوجها سنة كما في الآية ٢٤٠ من سورة البقرة ((متاعاً إلى الحول غير إخراج)). وقد نسخت هذه الآية بأربعة أشهر وعشر كما في الآية ٢٣٤ من سورة البقرة ((يتربصن بأنفسهم أربعة أشهر وعشراً)) وهذا العلم يساعد على التعرف على أحكام الشريعة والعمل بها ، وهو علم واجب على العلماء والمتعلمين ، وعلى كافة المسلمين ، لأن الأخذ بناسخه واجب فرضاً ، والعمل به واجب لازم ، والمنسوخ لا يعمل به ، أنظر : دراسة الأستاذ عبد الكبير العلوي المدغري لكتاب الناسخ والمنسوخ للقاضي أبي بكر بن العربي المعافري ، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة ، ١٩٩٢ ، جـ ١ ، ص ١٩٤ ، ١٩٥ .

(٢) عياض : مصدر سابق ، ص ٢٩ وما بعدها .

(٣) المصدر السابق ، ص ١٦٢ .

الأنظار ، حتى أصبح من أئمة الحديث فى وقته [١] وأعرف الناس بعلومه [٢] ولذلك قال عنه الذهبى : إنه عالم المغرب الحافظ [٣] . بدأت دراسة عياض للحديث وعلومه فى مدينة سبتة ، وفى أثناء رحلته إلى الأندلس استكمل دراسته لهذا العلم ، واهتم بدراسة علم الحديث دراية ، وهو علم يبحث عن المعنى المفهوم من ألفاظ الحديث . فقرأ كتب الصحاح وكتب السنن وغيرها مما سنعرض له .

ومن أجل شيوخه فى هذا العلم القاضى أبو عبد الله محمد بن عيسى بن حسين التميمى المتوفى عام ٥٠٥ هـ / ١١١١ م ، وقد لازمه عياض لسماع المصنفات فى علم الحديث سواء كانت بقراءته أو قراءة غيره . ومن أهم هذه المصنفات : كتاب « المسند الصحيح المختصر » تأليف أبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى المتوفى عام ٢٥٦ هـ / ٨٦٩ م[٤] ، وقد أجاز عياضا هذا الكتاب الحافظ أبو على الحسين الصدفى المتوفى عام ٥١٤ هـ / ١١٢٠ م[٥] ، والفقيه أبو محمد بن عبد الرحمن الجذامى المعروف يابن عتاب المتوفى ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م[٦] ، واخيراً أحمد بن خليفة بن قاسم بن منصور الخزاعى المكي.[٧] أما كتاب « المسند الصحيح المختصر من السنن » ، لأبى الحسين مسلم اليسابورى المتوفى عام ٢٦١ هـ / ٨٤٧ م فقد قرأه عياض وسمعه أيضاً على غير واحد من شيوخه ، منهم شيخه السبتى محمد بن عيسى بن حسن التميمى ، والحافظ أبو أبى على الحسين الصدفى الذى قرأ عليه عياض هذا الكتاب فى جامع مرسية

---

(١) ابن فرحون : الديباج ، جـ ٢ ، ص ٤٧ .

(٢) ابن حلكان : مصدر سابق ، جـ ٣ ، ص ٤٨٣ .

(٣) سير أعلام النبلاء ، تحقيق شعيب الأرنووط وأخرين ، مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٩٦ ، جـ ٢ ص ٢١٢

(٤) عياض : مصدر سابق ، ص ١٤١ ، ابن الآبار : المعجم ، ص ٨١ .

(٥) عياض : مصدر سابق ، ص ٣٢ .

(٦) المصدر السابق ، ص ١٦٢ .

(٧) المصدر السابق ، ص ١١٥ .

سنة ٥٠٨ هـ / ١١١٤ م[١] كما قرأه على الفقيه أبى محمد بن أبى جعفر الخشنى ،[٢] والفقيه أبى بحر سفيان بن العاصى بقرطبة عام ٥٠٧ هـ / ١١١٣ م[٣] . أما كتاب « المعلم فى شرح مسلم » فقد حصل على الإجازة بروايته من إمام إفريقية أبى عبد الله محمد بن عمر بن على المازرى المتوفى عام ٥٣٦ هـ / ١١٤١ م[٤] .

كما كتب الإمام أبو نصر عبد الملك بن أبى مسلم الهمدانى إلى عياض يجيزه كتاب « الجمع بين الصحيحين » تأليف أبى عبد الله بن أبى نصر الحميدى المتوفى عام ٤٨٨ هـ / ١٠٩٤ [٥] .

وسمع عياض كتاب « السنن » لأبى داود سليمان بن الأشعث السجستانى المتوفى عام ٢٧٥ هـ / ٨٦١ م على الفقيه أبى عبد الله التميمي[٦] ، وعلى أبى الوليد هشام بن أحمد المتوفى عام ٥٠٩ هـ / ١١١٥ م فى دارة بمدينة قرطبة بالسند المتصل حتى المؤلف [٧] . كما كتب الشيخ الحافظ أبو على الحسين بن محمد بن أحمد الغسانى المعروف بالجيانى المتوفى عام ٤٩٨ هـ / ١١٠٤ م إلى عياض يجيزه هذا الكتاب[٨] ، وقابل عياض كتابة بأصل الجياني[٩] .

كما قرأ عياض كتاب « الجامع » لأبى عيسى الترمذى على القاضى الحافظ أبى على الحسين الصدفي[١٠] .أما كتاب « السنن » لأبى عبد الرحمن

---

(١) المصدر السابق ، ص ٣٥ ، ٣٦ ، ١٣١ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٣٧ ، ١٥٣ .
(٣) المصدر السابق ، ص ٣٧ ، ٢٠٧ .
(٤) المصدر السابق ، ص ٦٥ .
(٥) المصدر السابق ، ص ١٧٢ .
(٦) المصدر السابق ، ص ٣٧ .
(٧) المصدر السابق ، ص ٢١٧ .
(٨) المصدر السابق ، ص ١٣٨ ، ١٣٩ ، ابن فرحون : مصدر سابق ، ص ٣٣٣ .
(٩) عياض : مصدر سابق ، ص ٣٨ .
(١٠) المصدر السابق ، ص ١٣٢ .

النسائى فقد قرأه عياض على أبى محمد عبد الرحمن بن محمد بن عتاب المتوفى عام ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م(١) .

ويعد كتاب « موطأ الإمام مالك » من كتب السنة التى أطلع عليها عياض فى المرحلة التعليمية من حياته . وقد سمع الموطأ برواية يحيى بن يحيى الليثى من الفقيه السبتى أبى عبد الله محمد بن عيسى التميمى ، وسمعه أيضاً بهذه الرواية على جماعة من شيوخه ، منهم الشيخ الفقيه ابن عتاب ، كما قرأ هذا الكتاب وسمعه بقراءة غيره على الفقيه أبى اسحاق إبراهيم بن جعفر اللواتى ، وعلى الفقيه القرطبى القاضى ابن حمدين ، والفقيه أبى بحر سفيان بن العاصى الأسدى ، والشيخ أحمد بن محمد الخولانى . أما الشيخ أبو على الحسين بن محمد الغسانى الجيانى فقد كتب له يجيزه رواية هذا الكتاب(٢) .

كما أطلع عياض على الكتب التى ألفت فى الموطأ ، منها كتاب « الملخص لمسند الموطأ » تأليف أبى الحسن على بن محمد بن خلف القابسى المتوفى سنة ٤٠٣ هـ / ١٠١٢ م . وقد قرأ عياض هذا الكتاب على شيخة أبى عبد الله التميمي السبتى ، وعلى الفقيه أبى إسحاق إبراهيم بن جعفر بن أحمد اللواتى ، وعلى الفقيه عبد الرحمن بن محمد بن عتاب الجذامي(٣) ، وإجازة من الحافظ أبى على الحسين المعروف بالجيانى (٤).

كما أجازه أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسى المتوفى عام ٥٢١ هـ / ١١٢٧ م كتابه الذى ألفه فى شرح الموطأ والمسمى « بالمقتبس » (٥) . وقرأ على شيخه أبى عبد الله محمد بن عيسى بن حسين التميمى كتاب

(١) عياض : مصدر سابق ، ص ١٦٣ .

(٢) المصدر السابق ، صفحات ٢٩ ، ٤٦ ، ١٠٦ ، ١١٩ ، ١١٩ ، ١٣٩ ، ١٦٢ ، ٢٠٧ .

(٣) المصدر السابق صفحات ، ص ٤٢ ، ١١٩ ، ١٦٢ .

(٤) المصدر السابق ، ص ١٣٩ .

(٥) المصدر السابق ، ص ١٥٨ .

« التقصى لمسند الموطأ » تأليف أبى عمر عبد البر ، وكتاب « مسند الموطأ » للجوهرى [١] وقرأ أيضاً كتاب « اختلاف الموطآت » للدار قطنى بالسند المتصل حتى المؤلف ، إجازة من الوزير أبى جعفر أحمد بن سعيد ابن خالد اللخمى المتوفى سنة ٥١٦ هـ / ١١٢٢ م[٢] .

ومن أهم كتب الحديث التى سمعها عياض كتاب « السنن » للدار قطنى ، سمعه من أبى على الصدفى بالسند المتصل حتى مؤلفه[٣] وسمعه أيضاً من التاجر المقدسى أبى الحسن على بن أحمد بن على الربعى المتوفى عام ٥٣١ هـ / ١١٣٦ م[٤] أما كتاب « جامع عبد الله بن وهب » فقد سمعه عياض بالسند المتصل حتى المؤلف من الشيخ أبى محمد عبد الله بن أحمد التميمى السبتى المتوفى عام ٥٠١ هـ / ١١٠٧ م .[٥]

وتتعدد كتب الحديث التى سمعها عياض ، منها كتاب « الإخبار عن فوائد الأخبار » تأليف محمد بن إبراهيم بن يعقوب بن اسحاق ، وهذا الكتاب شرح لمائة وثلاثين حديثاً [٦] . وكتاب « الدلائل فى الحديث » تأليف أبى محمد بن قاسم بن ثابت السرقسطى المتوفى عام ٣٠٢ هـ / ٩١٤ م قراءة على الوزير سراج بن عبد الملك الأموى الحافظ[٧] .

كما سمع عياض من أبى العباس أحمد بن عثمان بن مكحول المتوفى عام ٥١٣ هـ / ١١١٩ م كتاب « الشهاب » ، وهو « شهاب الأخبار فى الحكم

---

(١) المصدر السابق ، ص ٤٣ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٩٩ .

(٣) المصدر السابق ، ص ١٣٥ .

(٤) المصدر السابق ، ص ١٨١ .

(٥) المصدر السابق ، ص ١٦٣ .

(٦) المصدر السابق ، ص ١٥٩ .

(٧) المصدر السابق ، ص ٢٠٢ .

والأمثال والآداب من الأحاديث النبوية » تأليف القضاعي [١] ، وهو محمد بن سلامة بن جعفر بن على القضاعي الشاطبي المتوفى عام ٤٥٤ هـ / ١٠٦٢ م . وقد جمع هذا الكتاب من أحاديث الرسول ألف كلمة فى الحكم والوصايا والآداب والمواعظ والأمثال . وسمع عياض هذا الكتاب على الشيخ الحافظ أبى على الصدفى ، وعلى الفقيه أبى محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله الخشني[٢] . كما أجاز الشيخ أبو سعيد حيدر بن يحيى الجيلى الصوفى عياضا « شرح كتاب الشهاب » للقضاعى لشارحه أبى القاسم بن إبراهيم الوراق[٣] .

وقرأ أيضاً من كتب الحديث كتاب « الانتصار لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم » تأليف الأصيلى ، وهو عبد الله بن إبراهيم الأندلسى المتوفى ٣٩٢ هـ / ١١٠١ م وكتاب « فضل عاشوراء » جميع أبى ذر ، قراءة على الفقيه أبى اسحاق إبراهيم بن جعفر بن أحمد اللواتى[٤] .

وقرأ عياض عدة كتب أخرى فى الحديث بعنوان « الأربعين حديثا » ، الأول تأليف أبى نعيم الأصبهانى المتوفى عام ٤٣٠ هـ / ١٠٣٨ م ، والكتاب الثانى تأليف الحسن بن سفيان ، وهذان الكتابان قرأهما عياض بالسند المتصل حتى المؤلف على شيخه الحافظ أبى على الصدفى [٥] . كما سمع كتابا ثالثاً بهذا العنوان من تأليف الآجرى ، وهو أبو بكر محمد بن الحسين المتوفى عام ٣٦٠ هـ / ٩٧٠ م ، سمعه عياض من الفقيه أحمد بن محمد بن مخلد بن بقى القرطبى المتوفى عام ٥٣٢ هـ / ١١٣٧ م[٦] وقرأه على كل من الفقيه أبى اسحاق إبراهيم بن جعفر بن أحمد اللواتى المتوفى عام ٥١٣ هـ / ١١١٩ م[٧] والفقيه يونس بن

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٠١ .
(٢) المصدر السابق ، ص ١٣١ ، ١٥٤ .
(٣) المصدر السابق ، ص ١٤٤ .
(٤) المصدر السابق ، ص ١١٩ ، ١٢٠ .
(٥) عياض : مصدر سابق ، ص ١٣٣ .
(٦) المصدر السابق ، ص ٩٧ ، ٩٨ .
(٧) المصدر السابق ، ص ١٢٠ .

محمد بن مغيث القرطبى المتوفى عام ٥٣٢ هـ / ١١٣٧ [١]. أما الكتاب الرابع والأخير تأليف الحاكم أبى عبد الله ، فقد سمعه من الشيخ التاجر سهل بن على بن عثمان النيسابورى المتوفى عام ٥٣١ هـ / ١١٣٦ م حين اجتاز سبتة وأقام بها مدة من الزمن[٢] .

أما الكتب التى تناولت غريب الحديث ، أى تذكر الأحاديث التى لها سند واحد فقط ، فقد قرأ عياض العديد منها ، مثل كتاب « شرح غريب الحديث » تأليف أبى عبيد القاسم بن سلام . قرأه فى سبتة على القاضى أبى عبد الله التميمى، وأيضاً على الفقيه أبى اسحاق إبراهيم بن جعفر بن أحمد اللواتى [٣].

كما قرأ عياض فى مدينة قرطبة كتابين بعنوان « غريب الحديث » ، الأول من تأليف المحدث أبى سليمان بن أحمد بن محمد الخطابى المتوفى عام ٣٨٨ هـ / ٩٩٨ م ، قراءة على الوزير سراج بن عبد الملك بن سراج الأموى الحافظ [٤] . والكتاب الثانى من تأليف محمد بن قتيبة المتوفى عام ٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م ، قراءة على الفقيه القرطبى المعروف بابن الحاج المتوفى عام ٥٢٩ هـ / ١١٣٤ م وإجازة من الشيخ الحافظ المعروف بالجيانى [٥] . وقرأ عياض أيضاً « كتاب الغريبين » أى غريب الحديث ، تأليف أبى عبيد أحمد بن محمد بن أبى عبيد الهروى ، قراءة على الوزير سراج بن عبد الملك الأموى [٦] . وأخيراً قرأ عياض فى غريب الحديث كتاب « إصلاح الغلط على أبى عبيد » تأليف أبى محمد بن قتيبة ، قراءة بالسند المتصل حتى المؤلف ، على قاضى سبتة أبى عبد الله

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٢٤ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٢٠٩ .
(٣) المصدر السابق ، ص ٣٨ ، ص ١١٩ .
(٤) المصدر السابق ، ص ١٣٩ .
(٥) المصدر السابق ، ص ٤٨ .
(٦) المصدر السابق ، ص ١٣٩ .

التميمى [1] ، وعلى الحافظ أبى العباسى أحمد بن عمران الأنصارى الطليطلي[2] .

وإذا كان عياض درس علم الحديث دراية فقد درسه رواية أيضاً ، وهو علم يبحث فيه عن كيفية اتصال الأحاديث بالرسول صلى الله عليه وسلم ، من حيث أحوال رواتها ، ومن حيث كيفية السند اتصالا وانقطاعا ، واشتهر هذا العلم بأصول الحديث ومن أشهر تلك الكتب كتاب « التاريخ الكبير » للبخارى . وهذا الكتاب جمع فيه البخارى أسماء من روى عنه الحديث من زمن الصحابة إلى زمنه فبلغ عددهم تقريباً أربعين ألفا بين رجل وامرأة ، وضعيف وثقه ، وقد قرأ عياض هذا الكتاب بالسند المتصل حتى المؤلف على القاضى الحافظ أبى على الصدفى [3] . وقرأ أيضاً عياض على القاضى الصدفى كتاب « أسامى شيوخ البخارى » الذين روى عنهم فى صحيحه ، والكتاب جمع أبى أحمد بن عدى[4] .

وفى علم الحديث رواية سمع عياض أيضاً من أحمد بن طاهر بن على بن شبرين الأنصارى المتوفى عام ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م فوائد منها تصانيفه فى الحديث ، وهى كتاب « رجال مسلم » [5] . كما قرأ على القاضى السبتى أبى عبد الله التميمى عدد من الكتب فى هذا العلم ، منها كتاب « الطبقات لمسلم » وكتاب « الطبقات للنسائى » ، وكتاب « الضعفاء والمتروكين » للمؤلف الأخير[6] .

---

(١) المصدر السابق ، ص ٣٩ .
(٢) المصدر السابق ، ص ١١٦ .
(٣) المصدر السابق ، ص ١٣٦ .
(٤) المصدر السابق ، ص ١٣٢ .
(٥) المصدر السابق ، ص ١١٨ .
(٦) المصدر السابق ، ص ٤٠ ، ٤١ .

كما أجاز الحافظ أبو على الحسين المعروف بالجيانى عياضا كتابه الذى ألفه على الصحيحين المسمى « تقييد المهمل وتمييز المشكل » وهو فى أسماء رجال الصحيحين[1] .

وسمع عياض عدداً من المؤلفات التى تناولت أسانيد لحديث تأليف أبي الحسن الدارقطني ، سمعها على شيخه الحافظ أبى على الصدفى وهي « الاستدراكات على البخارى ومسلم » وكتاب « الالزامات للبخارى ومسلم »- وكتاب « العلل الكبير » وكتاب « المؤتلف والمختلف »[2] . كما قرأ عياض شرحاً للكتاب الأخير بعنوان « الإكمال فى المؤتلف والمختلف » تأليف الحافظ أبى نصر بن ماكولا المتوفى عام ٤٣٠ هـ / ١٠٣٨ م على القاضى محمد بن عبد الله بن أحمد المعافري[3] .

أما كتاب « الجرح والتعديل لمن روى عنه البخارى فى الصحيح »[4] . تأليف القاضى أبى الوليد الباجى المتوفى عام ٤٧٤ هـ / ١٠٨١ م ، فقد سمعه عياض على القاضى الحافظ أبى على الصدفى فى مدينة مرسية[5] ، وعلى الشيخ عيسى بن محمد بن عبد الله بن عيسى الزهرى فى مدينة سبتة[6] .

كما أقرأ القاضى الحافظ أبى على الصدفى عياضا ثلاثة كتب فى رجال الحديث كتابان من تأليف أبى محمد عبد الغنى بن سعيد الحافظ المتوفى عام ٤٠٩ هـ / ١٠١٧ م ، الأول يسمى « أوهام الحاكم فى المدخل » ، والثانى

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٣٨ .
(٢) المصدر السابق ، ص ١٣٥ .
(٣) المصدر السابق ، ص ٦٩ .
(٤٣) الجرح والتعديل أي دراسة رواة الحديث أنفسهم وترتيبهم حسب صدقهم وأمانتهم في النقل ، وحيادهم المذهبي والسياسي ، فمن عرف بكذبه ، أو انتمى لفرقة سياسية أو دينية جرح ولم يقبل منه الحديث : أنور الرفاعي : الإسلام في حضارته ونظمه ، دار الفكر ، دمشق ، الطبعة الثالثة ١٩٨٦ ، ص ٥٥٧ .
(٥) عياض : مصدر سابق ، ص ١٣٥ .
(٦) المصدر السابق ، ص ١٨٣ ، ١٨٤ .

يسمى « مشتبه النسبة » [١] . والكتاب الثالث بعنوان « الهداية والإرشاد فى معرفة أهل الثقة والسداد الذين روى لهم الأمام البخارى » تأليف الحافظ أبى نصر أحمد بن محمد الكلاباذى المتوفى عام ٣٩٨ هـ / ١٠٠٦ م[٢] .

وامتدت قراءات عياض إلى علوم الحديث ومشكله ، فسمع فى مدينته كتاب « علوم الحديث » تأليف أبى عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابورى المتوفى عام ٤٠٣ هـ / ١٠١٢ م ، سمعه على شيخه أبى عبد الله التميمى . كما قرأ هذا الكتاب أيضاً على القاضى أبى عامر محمد بن أحمد بن إسماعيل الطليطلى المحدث المتوفى عام ٥٢٣ هـ / ١١٢٩ م[٣] .

أما كتاب « مشكل الحديث » للإمام أبى بكر فورك ، فقد سمعه عياض بالسند المتصل حتى المؤلف من الفقيه أبى على الحسن بن عبد الأعلى الكلاعى الصفاقسى الأصل ، مستوطن سبتة والمتوفى عام ٥٠١ هـ / ١١٠٧ م[٤] .

وهكذا أصبح عياض من أئمة وقته فى الحديث ، حفظ متونه ورواته ، ودرس غريبه ومشكله ، وفقهه صحيحه وضعيفه عارفا بجميع علومه[٥] .

وعلى أية حال ، يد ين عياض بن موسى فى تفرده فى علم الحديث رواية ودراية لأعلام المحدثين الذين درس عليهم هذا العلم فى العهد المرابطى . بالإضافة إلى أهم مصنفاته التى أطلع عليها . إن الاهتمام بالحديث الذى يعد المصدر الثانى للتشريع الإسلامى فى العهد المرابطى يعتبر الرد الأكبر على اتهام عبد الواحد المراكشى للمرابطين بأنهم كانوا يهتمون فقط بفروع الفقه المالكى ويهملون الأصول من كتاب وسنه[٦]. فهذا الاتهام لا أساس له من الصحة، استناداً على أعلام

(١) المصدر السابق ، ص ١٣٣ ، ١٣٤ .
(٢) المصدر السابق ، ص ١٣٥ .
(٣) المصدر السابق ، ص ٤٠ ، ٧٢ .
(٤) المصدر السابق ، ص ١٤١ .
(٥) محمد بن عياض : مصدر سابق ، ص ٤ .
(٦) المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص ٢٣٦ .

المحدثين الذين التقى بهم عياض ، بالإضافة إلى كتب الحديث التى درسها عياض نفسه سواء فى المغرب أو الأندلس. وجدير بالذكر أن دراسة عياض للحديث وعلومه ، قد جعلت منه إمام الحديث فى زمنه وأعرف الناس بعلومه.

(جـ) أصول الفقه :

يذكر القاضى عياض أنه درس أصول الفقه على الفقيه القاضى أبى عبد الله بن داود بن عطية بن سعيد القلعى المتوفى عام ٥٢٥ هـ / ١١٣٠ م[١] . كما حصل عياض من الإمام الأصولى أبى عبد الله محمد بن على بن عمر التميمى المازرى المتوفى عام ٥٣٦ هـ / ١١٤١ م على إجازة بجميع تواليفه فى أصول الفقه ، منها كتاب « شرح البرهان » لأبى المعالى الجوينى المتوفى عام ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م ، ويعد هذا الكتاب من أهم كتب الأصول[٢] . أما شرح هذا الكتاب بعنوان « البيان لشرح البرهان » فقد أجازه هذا الكتاب أبو عبد الله محمد ابن المسلم بن محمد بن أبى بكر القرشى المخزومى الصقلى مستوطن مصر ، كما أجازه غير ذلك من الكتب [٣] .

كما حدث الفقيه عيسى بن محمد بن عبد الله بن عيسى الزهرى المتوفى عام ٥٣٠ هـ / ١١٣٥ م عياضا بكتابين للقاضى أبى الوليد الباجى المتوفى عام ٤٧٤ هـ / ١٠٨١ م الأول « الفصول فى أحكام الأصول » ، والكتاب الآخر هو « التسديد إلى معرفة طرق التوحيد » ويذكر عياض أن أصول الباجى موجوده لديه [٤] . كما أطلع عياض فى قرطبة على كتاب « ساطع البرهان » تأليف ابن عبد الملك الفقيه ، إجازة من الشيخ الكاتب أبى الوليد أحمد بن عبد الله بن طريف بن سعد المتوفى عام ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م[٥] .

---

(١) عياض : مصدر سابق ، ص ٦٤ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٦٥ ، المقرى : أزهار الرياض ، جـ ٣ ، ص ١٦٥ ، ١٦٦ .

(٣) عياض : مصدر سابق ، ص ٨٨ .

(٤) المصدر السابق ، ص ١٨٤ .

(٥) المصدر السابق ، ص ١٠٩ .

وسمع عياض كتاب « الفقيه والمتفقه » من مؤلفه أبى عبد الله محمد ا بن عمر بن قطرى الزبيدى الاشبيلى[1] مستوطن سبتة وبها توفى عام ٥٠١ هـ/ ١١٠٦م[2] . أما الإمام أبو بكر الطرطوشى مستوطن الإسكندرية والمتوفى عام ٥٢٠ هـ/ ١١٢٦ م، فقد أجاز عياضا جميع مؤلفاته، منها كتاب فى أصول الفقه [3] .

كما سمع عياض العديد من كتب الأصول منها كتاب « أصول الفصول » تأليف على بن أحمد الواحدى ، سمعه على الشيخ أبى نصر سهل بن عثمان النيسابورى المتوفى عام ٥٣١ هـ / ١١٣٦ م[4] . وسمع أيضاً كتاب

« الإشراف على ما فى أصول الفرائض من الاختلاف » لأبى عمر بن عبد البر ، على الفقيه سفيان بن العاصى بن أحمد الأسدى البلنسى المتوفى عام ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م[5] .

(د) كتب الفقه :

ارتفعت منزلة القاضى عياض فى مجال الفقه ، فقد عرف عنه العمق وحسن التعليل ، والقدرة على الترجيح ، والقدرة على الاستنباط ، حتى يمكن القول ، بأنه آخر من يعتد بثقافته الفقهية فى المغرب الإسلامى ، إذ قل أن نجد كتابا من كتب الفقه والنوازل ألف بعده خلا من ذكر آرائه ، ولذلك نجد اسمه يتردد وبكثرة فى المضفات الفقهية التى ألفت بعده [6] .

لقد أدت دراسات عياض للفقه المالكى دراسة واعية متقنه فى أن يكون علماً من أعلام المذهب . وتعد « المدونة » التى ألفها سحنون بن سعيد

---

(١) المصدر السابق ، ص ٧٦ ، ٧٧ .

(٢) ابن بشكوال : مصدر سابق ، جـ ٢ ، ص ٥٦٧ .

(٣) عياض : مصدر سابق ، ص ٦٣ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٢٠٩ .

(٥) المصدر السابق ، ص ٢٠٧ .

(٦) عمر الجيدي : أثر عياض في فقه العمليات ، ندوة الإمام مالك ، مراكش ١٩٨١ ، جـ ١ ، ص ٩٠ .

(١٦٠ - ٢٤٠ هـ / ٧٧٧ - ٨٥٣ م) الأهم في كتب الفقه التي درسها عياض، وقد أتقنها حتى إنه كان يناظر شيوخه فيها ، فعند حديث عياض عن شيخه الفقيه أبي عبد الله محمد التميمي السبتي المتوفى عام ٥٠٥ هـ / ١١١١ م تقول : « لقد لازمته كثيراً للمناظرة في المدونة » ويقول أيضاً : « قرأت عليه الكثير منها رواية وضبطاً وأجازني باقيها » بالسند المتصل حتى سحنون[١] .

وقرأ عياض أكثر المدونة ، وسمع باقيها على الفقيه محمد بن عتاب بالسند المتصل أيضاً حتى سحنون . كما راجع نسخه المدونة التي كانت بحوزته بأصل ابن عتاب، المقروء على ابن وضاح ، والأخير يروى المدونة عن مؤلفها سحنون[٢].

كما ناظر عياض في المدونة عددا من الفقهاء منهم القاضي السبتي محمد ابن عبد الله بن محمد الأموى المتوفى عام ٥١٧ هـ / ١١٢٣ م ، والفقيه القاضي إبراهيم بن أحمد البصرى المتوفى عام ٥١٣ هـ / ١١١٩ م[٣] .

والتقى عياض ببعض الفقهاء الذين أجازوه المدونة وناظرهم فيها ، منهم الفقيه عبد الله بن محمد بن عبد الله الخشنى المتوفى عام ٥٢٦ هـ / ١١٣١ م[٤] والذى كان حافظاً للفقه على مذهب الإمام مالك ، ويعد شيخ فقها وقته[٥] ومنهم أيضاً القاضي عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن قاسم اللخمى المتوفى عام ٥١٣ / ١١١٩م[٦] .

ومن أجل كتب الفقه المالكى التى استفاد منها عياض كتاب « الرسالة » لأبى محمد بن أبى زيد القيروانى المتوفى عام ٣٨٦ هـ / ٩٩٦ م فقد قرأ هذا

---

(١) عياض : مصدر سابق ، ص ٢٧ ، ٢٨ ، ص ٤١ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٤١ ، ٤٢ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٥٨ ، ص ١٢٤ .

(٤) المصدر السابق ، ص ١٥٤ .

(٥) ابن بشكوال : مصدر سابق ، جـ ١ ، ص ٢٩٤ ، ٢٩٥ .

(٦) ابن الأبار : المعجم ، ص ٢١٠ ، ٢١١ .

الكتاب على الفقيه السبتى محمد بن عيسى بن حسن التميمى ، بالسند المتصل حتى المؤلف[1] . كما قرأ جميعها على الخطيب أبى القاسم خلف بن إبراهيم المتوفى عام ٥١١ هـ / ١١١٧ م فى مجلس واحد فى داره بقرطبه[2] ، وقرأها أيضاً وسمعها على الفقيه أبى اسحاق بن الفاسى المتوفى عام ٥١٣ هـ / ١١١٩ م بالسند المتصل حتى المؤلف [3] .

وتتعدد كتب الفقه التى درسها عياض منها أيضاً كتاب « اختصار الكتب المبسوطة » تأليف الفقيه أبى الوليد بن رشد المتوفى عام ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م وقد سمع عياض هذا الكتاب يقرأ على المؤلف الذى أجازه روايته [4] . وقرأ عياض أيضاً كتاب « تلقين المبتدئ فى الفروع » لأبى محمد عبد الوهاب بن نصر المتوفى عام ٤٢٢ هـ / ١٠٣٠ م بالسند المتصل حتى المؤلف ، على القاضى أبى على الصدفى ويقول عياض عن هذا الكتاب : « ليس للمالكية كتاب مثله »[5] . وهناك أيضاً كتاب بعنوان « الرسالة » تأليف القاضى أبى بكر بن الطيب . وقد أطلع عياض على هذا الكتاب قراءة ومناظرة وتفقه فيه على القاضى الخطيب أبى القاسم بن محمد المعافرى السبتى المتوفى عام ٥٠٢ هـ / ١١٠٨ م [6] .

وهناك بعض المؤلفات الفقهية الأخرى التى قرأها عياض ، منها كتاب « مسألة الإيمان اللازمة » لمؤلفها القاضى أبى بكر بن العربى المتوفى عام ٥٤٣ هـ / ١١٤٩ م[7] ، وكتاب « النصائح » تأليف الفقيه إسحاق بن إبراهيم[8] .

---

(١) عياض : مصدر سابق ، ص ٤٤ .
(٢) المصدر السابق ، ص ١٤٧ ، ١٤٨ .
(٣) المصدر السابق ، ص ١٢٠ .
(٤) عياض : مصدر سابق ، ص ٥٤ ، ٥٥ ، المقري : أزهار ، جـ ٣ ، ص ٥٩ ، ٦٠ .
(٥) عياض : مصدر سابق ، ص ١٣٥ ، المقري : أزهار ، جـ ٣ ، ص ١٥١ - ١٥٤ .
(٦) عياض : مصدر سابق ، ص ١٦٦ .
(٧) المصدر السابق ، ص ٦٩ .
(٨) المصدر السابق ، ص ١٠٠ .

كمـا أجازه الإمام أبو بكر الطرطوشى المتوفى عـام ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م رواياته وتصانيفه الفقهية ، منها كتاب « البدع والمحدثات » ، وكتاب « بر الوالدين » و « رسالة فى تحريم الغناء » وغير ذلك [١] .

(هـ) كتب السيرة النبوية :

أطلع عياض على أهم كتب السيرة النبوية وهو كتاب « سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم » لأبى محمد عبد الملك بن هشام المتوفى عام ٢٠٨ هـ / ٨٣٤ م . لقد قرأ عياض هذا الكتاب بقرطبة ، بالسند المتصل حتى المؤلف على أبى بحر ، سفيان بن العاصى بن أحمد الأسدى المتوفى عام ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م وقارن عياض نسخته من هذا الكتاب بنسخة أبى بحر . وقد حدث عياضا بهذا الكتاب الفقيه القاضى أبو عبد الله محمد بن عيسى سماعاً للكثير منه وإجازه لما فاته [٢] .

٢ - علم الكلام :

لم يكن عياض أصولياً فقيهاً حافظاً لمسائل المختصر والمدونة قائماً عليها فقط فقد كان أيضاً متكلماً [٣] . ولذلك صحب عياض المتكلم عبد الغالب بن يوسف السالمى المتوفى عام ٥١٩ هـ / ١١٢٢ م أثناء إقامته فى سبتة . ويعد هذا المتكلم من رواد علم الكلام على مذهب أهل السنة من الأشعرية ، وقد استفاد منه عياض كثيراً إذ يذكر أنه ناوله كثيراً من مجموعاته [٤] .

أما يوسف بن موسى الكلبى المتكلم ، أبو الحجاج الضرير ، فقد كان من المشتغلين بعلم الكلام على مذهب الأشعرية . حتى قال عنه عياض إنه

---

(١) المصدر السابق ، ص ٦٣ .

(٢) عياض : مصدر سابق ، ص ٢٠٦ .

(٣) ٣ محمد بن عياض : التعريف ، ص ٤ .

(٤) عياض : مصدر سابق ، ص ١٦٩ ، ١٧٠ .

« آخر المشتغلين بعلم الكلام بالمغرب » وقد سكن هذا المتكلم سبتة وقرأ عليه عياض أرجوزته الصغرى التى ألفها فى الاعتقادات ، كما حدثه بالكبرى وأجازه الصغرى والكبرى[1] .

وأخيراً قرأ عياض كتاب « الفرق » للقاضى أبو الوليد الباجى ، مناولة من أبى عبد الله محمد بن مفرح بن محمد بن سليمان الضهاجى المتوفى عام ٥٣٦ هـ / ١١٤١ م[2] وإذا كان عياض متكلماً كما قال ابنه محمد ، فقد كان ذلك على مذهب الأشاعرة يشهد على ذلك أن القاضى عياضا فى كتابه « الشفا بتعريف حقوق المصطفى » يذكر آراء أبى الحسن الأشعرى ويقول عنه إنه إمام أهل التحقيق[3] وفى هذا الكتاب أيضاً يذكر آراء كبار الأشاعرة مثل أبى بكر الباقلاني[4] وأبى المعالى الجوينى إمام الحرمين[5] . ويقول عنهما انهما من أئمتنا [6] ويدل هذا الكلام على صلته الوثيقة بمذهب الأشاعرة وقراءته لمؤلفاتهم فى الاعتقاد[7] ، وعلى أنه أشعرى المذهب .

٣ - التصوف الإسلامى :

يعد كتاب « الرعاية لحقوق الله والقيام بها » للمحاسبى وهو الحارث بن أسد البصرى المتوفى عام ٢٤٣ هـ / ٨٥٧ م الأهم فى كتب التصوف الإسلامى . وقد حصل عياض على إجازة برواية هذا الكتاب من الشيخ الصوفى محمد بن خميس الذى يعد من أهل غرب الأندلس والذى عرف بالتقشف والصلاح .

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٢٦ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٨٦ .

(٣) عياض: الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، بدون تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٢٧٧ .

(٤) المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٧٦ .

(٥) المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٧٧ .

(٦) المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٢٦ .

(٧) عياض : الغنية ، ص ٦٥ ، ٨٨ .

وقد جالسه عياض كثيراً وسمع منه أيضاً كتابه الذى ألفه فى التصوف بعنوان « المنتقى من كلام أهل التقى »[1] .

٤ - اللغة العربية وعلومها :

درس القاضى عياض العديد من نفائس التراث العربى الإسلامى فى مجال اللغة العربية وعلومها ، حتى أصبح كما قال ابن فرحون « عالماً بالنحو واللغة وكلام العرب » [2] وامتدحه الضبى بقوله إنه « كان أديباً »[3] . ويدين عياض بثقافته اللغوية المتنوعة لعدد من أعلام النحو والأدب الذين التقى ببعضهم فى مسقط رأسه فى مدينة سبتة ، والتقى بالبعض الآخر فى بلاد الأندلس .

أما فى مدينة سبتة فقد التقى عياض بالعالم النحوى الحسن بن على بن طريف المتوفى عام ٥٠١ هـ / ١١٠٧ م وقال عنه إنه« شيخ بلدنا فى النحو » . فقد قام هذا النحوى بتدريس النحو فى سبتة وأخذ عنه الكثير منهم القاضى عياض ، [4] الذى درس عليه كثيراً من كتب اللغة العربية ، ففى النحو قرأ كتاب « الجمل » لأبى القاسم إسحاق الزجاجى (٣٥٢ - ٤١٥ هـ / ٩٦٣ - ١٠٢٤ م) ، وكتاب « الواضح » للزبيدى وكتاب « الكافى فى النحو » لأبى جعفر ابن محمد النحاس النحوى المتوفى عام ٣٣٨ هـ / ٩٤٩ م ، وكتاب« الإيضاح » تأليف إبراهيم بن على الفارسى الذى كان حياً خلال الرابع الأخير من القرن الرابع الهجري[5] قرأ عياض على هذا العالم بعض الكتب فى مجال اللغة ، منها كتاب « فصيح الكلام » الثعلب ، وهو أحمد بن يحيى بن

---

(١) المصدر السابق ، ص ٩٢ .

(٢) الديباج ، ص ٤٧ .

(٣) بغية الملتمس ، ص ٤٣٧ .

(٤) عياض : الغنية ، ص ١٤١ ، السيوطي : مصر سابق ، جـ ١ ، ص ٥١٣ .

(٥) عياض : مصدر سابق ، ص ١٤١ .

زيد الشيباني المتوفى عام ٢٩١ هـ / ٩٠٣ م ، وكتاب «أمالي القالي في اللغة» لأبي علي إسماعيل بن القاسم اللغوي المتوفى عام ٣٥٦ هـ / ٩٩٦ م[١] .

وقرأ عياض أيضاً بعض كتب الأدب ، منها كتاب « أدب الكاتب » لابن قتيبة المتوفى عام ٢٧٠ هـ / ٨٨٣ م ، وكتاب « المقتضب » للمبرد وهو محمد بن يزيد الأزدي المتوفى عام ٢٨٥ هـ / ٨٩٨ م وسمع لنفس هذا المؤلف كثيراً من كتاب « الكامل في الأدب واللغة »[٢] وقد قرأ عياض هذا الكتاب الأخير على الأديب أبي بكر محمد بن عبد الله بن البراء الجزيري المتوفى عام ٥٠٠ هـ / ١١٠٦ م[٣] .

ومن أعلام النحو والأدب في سبتة يوسف بن موسى الكلبي المتكلم النحوي المتوفى عام ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م الذي كان من أهل النحو[٤] . وقد أخذ عنه عياض كتاب « فقه اللغة وسر العربية » لأبي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي النيسابوري المتوفى عام ٤٣٠ هـ / ١٠٣٨ م بالسند المتصل حتى المؤلف [٥] .

وجالس عياض في بلده الأستاذ الأديب النحوي أبي الحسين يحيى بن محمد المعروف بابن الطراوة الذي يعد أحد أئمة الأدب والنحو ، والذي كان مهتما بكتاب سيبويه ، كما كان شاعراً ولذلك حضر عياض مجالسه في الأدب وسمع الكثير من شعره [٦] .

بعد أن درس عياض في سبتة العديد من كتب اللغة العربية ، ذهب إلى الأندلس للتأكد من سلامة المادة المروية والبحث عن أصولها ووصل أسانيدها

(١) المصدر السابق ، ص ١٤٢ .
(٢) المصدر السابق ، ص ١٤١ ، ١٤٢ .
(٣) المصدر السابق ، ص ٦٠ .
(٤) ابن بشكوال : الصلة ، جـ ٢ ، ٢ ، ص ٦٨٢ .
(٥) عياض : مصدر سابق ، ص ٢٢٦ .
(٦) المصدر السابق ، ص ٢٢٣ ، السيوطي : بغية الوعاة ، جـ ٢ ، ص ٣٤١ .

بأصحابها ، وقراءة كتب جديدة فى هذا المجال . فعياض قرأ فى سبتة كتاب الكامل للمبرد على اثنين من شيوخه ، وحين رحل إلى قرطبة والتقى بالأديب الراوية محمد بن سليمان النفزى المعروف بابن أخت غانم والمتوفى عام ٥٢٥ هـ / ١١٣٠ م . قرأ عليه نفس هذا الكتاب بالسند المتصل حتى المؤلف[١] .

وفى رحلته إلى الأندلس قرأ عياض على هذا الأديب عدداً من المؤلفات لم يقرأها فى سبتة ، منها كتاب « إصلاح المنطق » للأديب يعقوب بن إسحاق الشهير بابن السكيت المتوفى عام ١٢٤٤هـ/٨٥٨م وهو من الكتب المختصرة فى الأدب ، كما سمع منه كتاب « الألفاظ » لهذا المؤلف أيضا. وقرأ أيضاً كتاب « الزاهر فى معانى الكلام الذى يستعمله الناس » لأبى بكر محمد الأنبارى النحوى المتوفى عام٣٢٨هـ/٩٣٩م بالسند المتصل حتى المؤلف . وقرأ كتاب « مختصر العين » لأبى بكر الزبيدى ، وأخيراً قرأ كتاب « الحماسة » لأبى الفتوح ثابت بن محمد الجرجاني[٢] .

كما سمع عياض فى قرطبة كتابى « شرح الجمل » و « شرح المقدمة » من تأليف ابن بابشاد ، على الخطيب أبى القاسم خلف بن إبراهيم بن خلف بن سعيد المتوفى عام ٥١١ هـ / ١١١٧ م[٣] وفى نفس المدينة سمع أيضاً كتاب « الفصوص فى اللغات والأخبار » لأبى العلاء صاعد بن الحسن البغدادى المتوفى عام ٤١٧ هـ / ١٠٢٥ م على الفقيه القرطبى محمد بن عتاب[٤] .

كما التقى عياض فى قرطبة بالأديب النحوى الأستاذ على بن احمد بن خلف الأنصارى المتوفى عام ٥٢٨ هـ / ١١٣٣ م والذى يعد أوحد زمانه إتقاناً ومعرفة

---

(١) عياض : مصدر سابق ، ص ٥٩ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٦٠ ، ٦١ .

(٣) المصدر السابق ، ص ١٤٨ .

(٤) المصدر السابق ، ص ١٦٣ .

وتفرداً بعلم العربية . [١] وقد قرأ عليه عياض كتابين : الأول كتاب « أدب الكاتب » لأبى محمد بن قتيبة ، وراجع عياض نسخته من هذا الكتاب بكتاب هذا العالم ، والكتاب الثانى هو « فصيح الكلام » لثعلب [٢].

وفى مدينة إشبيلية التقى بالأستاذ النحوى على بن عبد الرحمن محمد التنوخى المتوفى عام ٥١٤ هـ / ١١٢٠ م والذى يعد من أهل المعرفة باللغة والأدب حافظاً لهما [٣] . ولذلك قرأ عليه عياض بعض المؤلفات الشعرية مثل كتاب « شرح الأشعار الستة » ، وكتاب « شرح الحماسة » ، وكتاب « شرح شعر حبيب » لأبى الحجاج يوسف بن سليمان الأعلم[٤] .

كما أن شيخ الأدباء عالم النحو واللغات والشعر والبلاغة أبو محمد عبد الله ابن محمد بن السيد النحوى البطليوسى الذى سكن بلنسية وبها توفى عام ٥٢١ هـ / ١١٢٧ م أجازه مصنفاته منها « شرح أدب الكاتب » و« شعر المعرى » [٥] .

ومن كتب الأدب التى سمعها عياض كتاب « أدب الصحبة » ، سمعه من أبى على الحسين الصدفى بالسند المتصل حتى المؤلف عبد الرحمن بن محمد بن الحسين السلمى النيسابورى المتوفى عام ٤١٢ هـ / ١٠٢١ م[٦] .

وعلى أية حال لقد استوعب عياض بن موسى العديد من كتب اللغة والنحو والأدب التى قرأها على أساتذته فى هذا المجال . وقد أفادته هذه الدراسة فيما تركه من تراث علمى زاخر .

---

(١) السيوطي : بغية الوعاة ، جـ ٢ ، ص ١٤٢ .
(٢) عياض : مصدر سابق ، ص ١٧٥ ، ١٧٦ .
(٣) ابن بشكوال : الصلة ، جـ ٢ ، ص ٢٤٥ .
(٤) عياض : مصدر سابق ، ص ١٧٧ ، ١٧٨ ، السيوطي : مصدر سابق ، جـ ٢ ، ص ١٧٤ .
(٥) عياض : مصدر سابق ، ص ١٥٨ ، ١٥٩ ، ابن بشكوال : مصدر سابق ، جـ ١ ، ص ٣٩٢ ، ٣٩٣ .
(٦) عياض : مصدر سابق ، ص ١٣٤ .

٥ - كتب الطبقات والتراجم :

يعد كتاب « الصحابة » لأبى عمر بن عبد البر من أهم الكتب التى تناولت سيرة صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد أجاز عياض هذا الكتاب الفقيه الراوية أبو عمران موسى بن عبد الرحمن الشاطبى المتوفى عام ٥١٧ هـ / ١١٢٣ م حين التقى به فى مدينة سبتة[١] .

كما حصل عياض أثناء رحلته إلى شرق الأندلس على إجازة لكتابين مؤلفين على كتاب الصحابة لأبى عمر بن عبد البر ، وهما كتاب « التنبيه على الاستيعاب » وكتاب « الذيل » للفقيه محمد بن خلف بن سليمان بن خلف بن محمد بن فتحون الأريولى المتوفى عام ٥١٦ هـ / ١١٢٢ م [٢] .

أما كتاب «طبقات القراء» لأبى عمرو الدانى فيذكر عياض أن الخطيب أبا القاسم خلف بن إبراهيم المعروف بابن النحاس المتوفى عام٥١١ هـ/ ١١١٧ م ناوله هذا الكتاب أى قرأه عليه بالسند المتصل حتى المؤلف[٣]. وأخيراً سمع عياض كتاب « طبقات علماء الأندلس » للقاضى أبى الوليد الفرضى بالسند المتصل حتى المؤلف من الفقيه ابن عتاب الجذامى المتوفى عام ٥٢٠ هـ/ ١١٢٦م[٤] .

وعلى ذلك فإن القاضى عياض يدين فيما وصل إليه من مكانة علمية مرموقة إلى شيوخه وأساتذته الذين عنوا به عناية كبيرة ، وقرأ عليهم أمهات كتب التراث العربى الإسلامى فى كافة فنون العلم والمعرفة ، وكان لكل ذلك أكبر الأثر فى تكوينه العلمى . ساعد على ذلك استعداده الشخصى الذى أعانه على استيعاب هذا الكم من العلوم والإحاطة بكلياتها فقد « نشأ محمود الأقوال والأفعال ، طالباً للعلم حريصاً عليه ، مجتهداً فيه ، معظماً عند الأشياخ من أهل العلم ، كثير المجالسة لهم » [٥] .

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٩٥ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٨١ ، ابن الأبار : المعجم ، ص ١١٥ .
(٣) عياض : مصدر سابق ، ص١٤٧ ، ١٤٨ .
(٤) المصدر السابق ، ص ١٦٣ .
(٥) محمد بن عياض : مصدر سابق ، ص ٤ .

الخاتمة

يمكننا بعد هذه الدراسة عن القاضى عياض التى تناولت النشأة والتكوين العلمى ، أن نخلص إلى النتائج التالية :

أوضحت هذه الدراسة أن القاضى عياض بن موسى المولود فى منتصف شعبان عام ٤٧٦ هـ / ١٠٨٣ م ، عربى الأصل ، سبتى الدار والميلاد ، سكن أجداده فى القيروان ثم الأندلس وفاس قبل استقرارهم النهائى فى مدينة سبتة . وقد تم تحديد عام ٣٨٨ هـ / ٩٩٨ م تقريباً بداية هذا الاستقرار حين وفد جد أبيه عمرون إلى هذه المدينة .

كما بينت الدراسة أن عياضا قد عايش فترة الحكم المرابطى لمدينته وشاهد فى صباه جيوشهم تنطلق منها إلى الأندلس لإخماد شوكة نصارى الأسبان ، ثم القضاء على ملوك الطوائف . وبذلك نجح المرابطون فى تحقيق وحدة العدوتين المغربية والأندلسية ، وقضوا على التمزق السياسى فعم الأمن والاستقرار فى هذه البلاد كلها . وقد تركت هذه الصور التى شاهدها عياض وعاشها بصماتها فى نفسه بلا شك كما أن الاستقرار الذى نعمت به مدينته قد شجع على تدفق العلماء الذين قدموا إليها من مدن المغرب والأندلس والمشرق الإسلامى .

كما أبرزت دراسة مجتمع سبتة الذى أنجب عياض دور الموقع الجغرافى للمدينة وهو دور أعان فى أن تكون سبتة قاعدة من قواعد الغرب الإسلامى فى ميدان العلم والثقافة ، ومركزاً لاستقبال والتقاء العلماء الذين جالسهم عياض واستفاد منهم .

كما كانت هذه المدينة عامرة بالسكان والعلماء ، ويتفق الباحث مع البكرى فى سكنى العنصر العربى للمدينة ، لكنه لم يتفق معه فى أن قبيلة صدف هى العنصر العربى الوحيد ، لأن الشواهد المستمدة من فهرس شيوخ القاضى عياض تؤكد تعدد العناصر العربية التى سكنت سبتة وتنسب إلى لخم ويحصب والأزد ومعافر وتميم وقريش .

كما أكدت دراسة النشاط الاقتصادى لسبتة على أن المدينة نعمت بإمكانيات اقتصادية كبيرة . فالمدينة عرفت نشاط زراعى لا بأس به بالإضافة إلى ازدهار حرفة الصيد البحرى ، والنشاط التجارى الذى ازدهر بحكم موقع المدينة البحرى الذى ربطها بشبكة من المراسى الساحلية ، فنشطت تجارة الصادر والوارد . وجدير بالذكر أن السياسة المالية للدولة المرابطية فى ميدان الجباية قد أعانت على ازدهار النشاط الاقتصادى . وقد جذب هذا الازدهار العلماء إلى سبتة ، كما جذب بعض التجار الذين وفدوا إليها ممن كانوا حاملين للعلم ، ولذلك جالسهم عياض وأخذ عنهم .

وقد حددت الدراسة ثلاثة مصادر أسهمت في التكوين العلمى للقاضى عياض ، المصدر الأول مدينته سبتة التى كانت فى ذلك الوقت مركز إشعاع فكرى وحضارى بفضل علمائها ومن وفد إليها من علماء الأندلس والمغرب والمشرق . والمصدر الثانى هو الأندلس الذى رحل إليه وهو ملم بعلوم عصره وكان الهدف من هذه الرحلة هو التأكد من صحة الكتب التى قرأها أو سمعها والبحث عن أصولها وأسانيدها . والتقى عياض فى رحلته تلك بعلماء قرطبة ، وإشبيلية وغرناطة ومرسية وسرقسطة وشاطبة والمرية ولورقة واريوله .

أما المصدر الثالث لثقافته فهو المشرق الإسلامى رغم أنه لم يرحل إليه لكنه نهل من ثقافته من خلال من وفد إلى سبته من علمائه ، أو من كتب يجيزه من المشارقة رواياتهم .

ونتيجة لذلك تنوعت طرق التحصيل العلمى للقاضى عياض ، فيذكر عن شيوخه أن هناك من جالسهم وقرأ عليهم بقراءته ، أو سمع منهم بقراءة غيره ، ويشير فى أحيان كثيرة أنه قرأ أو سمع بالسند المتصل حتى المؤلف ، وهذا يوضح حرص عياض على الأسانيد المتصلة وصحتها . أحيانا يستخدم جملة ناولنى كتاب كذا ، والمقصود بالمناولة القراءة بالسند المتصل ، وهناك من جالسه وسأله فى مسائل العلم . وهناك من صحبه كثيراً ودرس عليه ، وأخيراً يذكر أن هناك من كتب عنه فوائد ، وهناك من كتب له من شيوخه بخطوطهم فوائد .

وقد أوضحت الدراسة الكتب التى درسها القاضى عياض وأسهمت فى تكوينه العلمى ، وكان أولها القرآن الكريم وعلومه . فقد كان حافظاً لكتاب الله تعالى ، قارئاً لكتب القراءات والتفسير وعلم الناسخ والمنسوخ حتى أصبح كما قال ابنه محمد : « كان عارفاً بجميع أنواع علومه » .

أما علم الحديث فقد حرص عياض على ملازمة المحدثين والحفاظ لكتبه ، ومقابلة أصوله بأصولهم . وحرص أيضاً على دراسة علم الحديث دراية ، فدرس لذلك كتب الصحاح صحيح البخارى ومسلم وكتب السنن كسنن أبى داود ، وسنن النسائى ، وكتب الجوامع كجامع الترمذى وجامع عبد الله بن وهب ، وموطأ الإمام مالك ، وما كتب عنه . بالإضافة إلى كتب بعنوان الأربعين حديثاً وكتب غريب الحديث وغير ذلك من الكتب التى أعانته على دراسة علم الحديث دراية . كما درس كتب الحديث التى اهتمت بالرواة واتصال الأسانيد ، حتى أصبح أحفظ رجال عصره وأعلمهم بعلم الحديث دراية ورواية .

كما أبرزت الدراسة اهتمام القاضى عياض بدراسة الفقه وأصوله وتم ذكر الكتب التى أطلع عليها حتى أصبح فقيها أصولياً بصيراً بالفتيا والأحكام والنوازل . وأبرزت الدراسة أيضاً قيام عياض بدراسة علم الكلام على مذهب الأشاعرة ، بالإضافة إلى دراسة السيرة النبوية ، وكتب التصوف ، وكتب الطبقات والتراجم .

وأخيراً إذا بينت الدراسة إهتمام القاضى عياض بالإلمام بكل ما كتب عن القرآن الكريم وعلومه ، والحديث وعلومه ، والفقه وأصوله ، فإن هذا الاهتمام لم يثنه عن دراسة اللغة العربية وعلومها ، وعن التردد على شوامخ النحاة والأدباء الذين ذاع صيتهم فى الأندلس والمغرب لحضور حلقاتهم والأخذ عنهم . كما حددت الدراسة المصادر النحوية واللغوية والأدبية التى استقى منها عياض معارفه فى علوم اللغة العربية حتى قال مترجموه إنه كان عالماً بالنحو واللغة وكلام العرب ، شاعراً مجيداً أديباً ، خطيباً بليغاً .

قائمة المصادر والمراجع

أولا المصادر العربية المطبوعة :

ابن الأبار : (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبى بكر المتوفى ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠ م).

- التكملة لكتاب الصلة ، تحقيق السيد عزت العطار، مكتبة الخانجى ،القاهرة ١٩٥٦ .

- المعجم فى أصحاب القاضى أبى على الصدفى ،تحقيق إبراهيم الابيارى ،دار الكتاب المصرى ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٨٩ .

ابن أبى زرع : (أبو الحسن على بن عبد الله كان حيا عام ٧٢٦ هـ / ١٣٢٦ م).

- الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، مراجعة عبد الوهاب بن منصور،المطبعة الملكية،الرباط،الطبعة الثانية ١٩٩٩ .

أحمد بابا : (أحمد بابا بن عمر أقيت التنبكتى المتوفى ١٠٣٦ هـ /١٦٢٧م) .

- نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، تقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة ، مكتبة الدعوة الإسلامية، طرابلس ، ليبيا ، الطبعة الأولى ١٩٨٩ .

الإدريسى : (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس المتوفى عام ٥٥٨ هـ/١١٦٢م) .

- نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة، بدون تاريخ .

ابن بشكوال : (أبو القاسم خلف بن عبد الملك المتوفى عام ٥٧٨ هـ /١١٨٢م).

- الصلة فى تاريخ أئمة الأندلس ، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٦٦ .

البكرى : (أبو عبد الله بن عبد العزيز البكرى المتوفى عام٤٨٧ هـ/ ١٠٩٤م).

- المسالك والممالك ، تحقيق أدريان فان ليوفن ، وأندرى فيرى ، الدار العربية للكتاب ، تونس ١٩٩٢ .

ابن الجزرى : (أبوالخير بن محمد الجزرى المتوفى عام ٨٣٣ هـ/١٤٣٠م) .

- غاية النهاية فى طبقات القراء ، عنى بنشره ج برجستراتر، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثالثة ١٩٨٢ م .

حاجى خليفة : (مصطفى بن عبد الله الرومى الحنفى المتوفى١٠٦٧هـ /١٦٥٧م)

- كشف الظنون عن اسامى الكتب والفنون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩٢

الحميرى : (أبو عبد الله محمد بن عبد الله المتوفى عام ٨٦٦ هـ/ ١٤٦٣م) .

- الروض المعطار فى خبر الأقطار ، تحقيق إحسان عباس ، مؤسسة ناصر للثقافة ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٨٠ م .

ابن خاقان : (الفتح بن محمد بن عبد الله الأشبيلي المتوفى عام٥٢٩ هـ/١١٣٤م).

- قلائد العقبان ومجلس الأعيان ، تحقيق حسن يوسف ، مكتبة المنار ، عمان ، الطبعة الأولى ١٩٨٩ م .

ابن خلدون : (عبد الرحمن بن محمد المتوفى عام ٨٠٨ هـ/ ١٤٠٥ م) .

- العبروديوان المبتدأ والخبر، مؤسسة الأعلمى للمطبوعات ، بيروت ١٩٧١م .

ابن خلكان : (أحمد بن محمد بن أبى بكر المتوفى عام ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م).

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ١٩٧٨ م .

الداوودى : (الحافظ محمد بن على بن أحمد المتوفى عام ٨٧٨ هـ/١٣٧٤ م).

- طبقات المفسرين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ٢٠٠٢ .

الذهبى : (محمد بن أحمد بن عثمان المتوفى عام ٧٧٨ هـ / ١٣٧٤ م) .

- سير أعلام النبلاء ، تحقيق شعيب الأرنووط وآخرين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٩٦ م.

ابن سعيد :(على بن موسى بن سعيد المغربى المتوفى عام ٦٨٥ هـ/١٢٨٦ م).

- كتاب الجغرافيا ، تحقيق إسماعيل العربى ، منشورات المكتب التجارى للطباعة ،بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٧٠ .

السيوطى : الحافظ جلال الدين عبد الرحمن المتوفى عام ٩١١ هـ/ ١٥٠٥ م).

- بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٦٤ م .

الصفدى : (صلاح الدين خليل بن أيبك المتوفى عام ٧٦٤ هـ / ١٣٦٥ م).

- الوافى بالوفيات ، طبعة المعهد الألمانى للأبحاث الشرقية ، بيروت ، نشر فرانز شتاينر ، فيسبادن ، جـ٢ ، استانبول ١٩٤٩ م .

الضبى : (أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة المتوفى عام ٥٩٩ هـ/١٢٠٣م).

- بغية الملتمس فى تاريخ رجال أهل الأندلس ، دار الكتاب العربى ، القاهرة ١٩٦٧ م.

عبد الحق الباديسى : (عبد الحق بن إسماعيل بن أحمد الغرناطى كان حيا عام ٧٢٢ ه / ١٣٢٢ م) .

- المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف ، تحقيق سعيد إعراب ، المطبعة الملكية ، الرباط ، الطبعة الثانية ١٩٩٣ م

عبد الواحد المراكشي : (عبد الواحد بن على المتوفى عام ٦٤٧ هـ/١٢٤٩م).

- المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ،تحقيق سعيد العريان ، القاهرة ١٩٦٣ .

ابن عذارى : (محمد بن عذارى المراكشى توفى نهاية القرن ٧ هـ / ١٣ م).

- البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق كولان وليفى بروفنسال، الدار العربية للكتاب ، بيروت ، الطبعة الثالثة ١٩٨٣ .

العماد الحنبلى : أبو الفلاح عبد الحى بن أحمد المتوفى ١٠٨٩ هـ / ١٧٠١ م).

- شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، بيروت ، ,١٩٦٦

عياض : (القاضى أبو الفضل عياض بن موسى المتوفى عام ٥٤٤هـ/١١٤٩م).

- الغنية ، فهرس شيوخ القاضى عياض ، تحقيق ماهر زهير جرار ،دار الغرب الإسلامى ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٨٢

- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ، تحقيق محمد ابن تاويت الطنجى، وزارة الأوقاف المغربية،الرباط الطبعة الثانية ١٩٨٣

- تراجم أغلبية مستخرجة من مدارك القاضى عياض، تحقيق محمد الطالبى ، منشورات الجامعة التونسية ، تونس ١٩٦٨ .

- الشفا بتعريف حقوق المصطفى ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،بدون تاريخ .

عياض وولده محمد :

- مذاهب الحكام فى نوازل الأحكام ، تقديم وتحقيق محمد بن شريفة ، دار الغرب الإسلامى ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٩٠ .

ابن عياض : (محمد بن عياض بن موسى المتوفى عام ٥٧٥ هـ / ١١٧٩).

- التعريف بالقاضى عياض ، تقديم وتحقيق محمد بن شريفة ،مطبعة فضالة ، المحمدية ، المغرب ، الطبعة الثانية ١٩٨٢ .

ابن فرحون : (إبراهيم بن نور الدين المالكى المتوفى ٧٩٩ هـ / ١٤١١م).

- الديباج المذهب فى معرفة أعيان علماء المذهب ، تحقيق الأحمدى أبو النور ، دار التراث ، القاهرة ١٩٧٢ .

ابن القاضى : (أحمد بن القاضى المكناسى ٩٦٥- ١٠٢٥ هـ/١٥٧٢-١٦٢٧م).

- جذوة الاقتباس فى ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس ،دار المنصور للطباعة ، الرباط ١٩٧٤ .

القفطى : (أبو الحسن على بن يوسف المتوفى عام ٦٢٤ هـ / ١٢٢٦ م) .

- أنباء الرواة على أنباء النحاة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٥٠ .

مجهول : (توفى فى القرن السادس الهجرى /الثانى عشر الميلادى) .

- الاستبصار فى عجائب الأمصار ، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد ، دار الشئون الثقافية العامة ، بغداد ١٩٨٦ .

مجهول :

- الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية ، تحقيق سهيل زكار وآخرين ، دار الشاد الحديثة ، الدار البيضاء ، الطبعة الأولى ١٩٧٩ .

مجهول :

- نبذة تاريخية من أخبار البربر فى العصور الوسطى ، منتخبة من المجموع المسمى بكتاب مفاخر البربر، نشر ليفى بروفنسال ، الرباط , ١٩٣٤

المقرى : (أحمد بن خالد التلمسانى المتوفى عام ١٠٤١ هـ / ١٦٣١ م) .

- أزهار الرياض فى أخبار القاضى عياض ، تحقيق مصطفى السقا وآخرين ، الرباط ١٩٧٨ .

- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق أتحسان عباس ،دار صادر، بيروت ١٩٨٨ .

الناصرى : (أحمد بن خالد السلاوى المتوفى عام ١٣١٥ هـ / ١٨٩٧ م).

- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ،تعليق وتحقيق ولدى المؤلف جعفر الناصرى ، ومحمد الناصرى ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ١٩٩٧ .

اليعقوبى : (أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر المتوفى عام ٢٨٤ هـ/ ٨٩٧ م).

- كتاب البلدان ، النجف ، الطبعة الثانية ١٩٥٧ .

ثانيا المراجع العربية والمعربة :

إبراهيم حركات :

- المغرب عبر التاريخ ، الجزء الأول ، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء ، الطبعة الثانية ١٩٨٤ .

أحمد مختار العبادى (دكتور) :

- سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس ،صحيفة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية مدريد ، مجلد ٥ ، العدد ١ ، ٢ ،مدريد ,١٩٥٧

إدريس أحمد خليفة :

- التاريخ المغربى لمدينة سبتة ، مكتبة الأمنية ، تطوان ١٩٨٨ .

آنخيل جنثالث بالنثيا :

- تاريخ الفكر الأندلسى ، ترجمة حسين مؤنس ، القاهرة الطبعة الأولي. ١٩٩٥

أنور الرفاعى :

- الإسلام فى حضارته ونظمه ، دار الفكر، دمشق ، الطبعة الثالثة ,١٩٨٦

بروفنسال ، ليفى :

- تاريخ أسبانيا الإسلامية ، ترجمة على عبد الرءوف وآخرين ،منشورات المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ٢٠٠٠ .

جاك كانى :

- مدينة سبتة فى أواسط القرن الخامس الهجرى من خلال كتاب المسالك والممالك للبكرى ، مجلة البحث العلمى العدد ١٩ ، الرباط يونيو ١٩٧٢ .

الحبيب الجنحانى :

- دراسات فى التاريخ الاقتصادى والاجتماعى للمغرب الإسلامى ، دار الغرب الإسلامى ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٨٦ .

حسن أحمد محمود (دكتور) :

- قيام دولة المرابطين ، دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٥٧ .

حسين سيد عبد الله مراد (دكتور) :

- العرب فى مدينة القيروان ودورهم الثقافى حتى نهاية عصر الولاة ، مجلة بحوث فى الدراسات الأفريقية ، العدد ٤٣ ،القاهرة ١٩٩٥ .

حسين مؤنس (دكتور) :

- معالم تاريخ المغرب والأندلس ، دار الرشاد ، القاهرة، الطبعة الثانية ,١٩٩٧

رجب محمد عبد الحليم (د كتور):

- دولة بنى حمود فى مالقة بالأندلس ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٦ .

سعد زغلول عبد الحميد (دكتور) :

- تاريخ المغرب العربى ، الجزء الرابع ، المرابطين ، منشأة المعارف ، الاسكندرية ،الطبعة الأولى ١٩٩٥ .

السيد عبد العزيز سالم (دكتور) :

- تاريخ المغرب فى العصر الإسلامى ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ،بدون تاريخ .

عبد العزيز فيلالى (دكتور) :

- العلاقات السياسية بين الدولة الأموية فى الأندلس ودول المغرب ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ، الطبعة الثانية ١٩٨٣ .

عبد الله العروى :

- مجمل تاريخ المغرب ، المركز العربى للثقافة ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٩٤ .

عمر الجيدى (دكتور) :

- أثر القاضى عياض فى فقه العمليات ، ندوة الإمام مالك ، دورة القاضى عياض ، مراكش ١٩٨١ .

الكتانى ، محمد بن جعفر :

- الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة ،دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، الطبعة الرابعة ١٩٨٦ .

محمد بن تاويت :

- الوافى بالأدب العربى فى المغرب الأقصى ،الجزء الأول ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، الطبعة الثانية ١٩٩٨ .

- تاريخ سبتة ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، الطبعة الأولى ١٩٨٢ .

محمد زنيبر :

- محور فاس سبتة وأهميته فى العصور الوسطى ، بحث منشور فى ندوة المدينة فى تاريخ المغرب ، الدار البيضاء ١٩٨٨ .

محمود على مكى (دكتور) :

- التشيع فى الأندلس منذ الفتح حتى نهاية الدولة الأموية ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ، مجلد ٢ ، العدد ١ ، ٢ ،مدريد ١٩٥٤ .

مجلة الدراسات الإفريقية ـ العدد ٣٦ (٢٠٠٤) : ٧٧ - ١٠١

الفعل بين البناء للمعلوم والبناء للمجهول فى لغة الهوسا "دراسة لغوية"

د / سمير عزت إبراهيم إسماعيل

يعد الفعل أحد أهم المفاهيم الصرفية الثابتة والمشتركة فى كل اللغات تقريباً فهو أحد أقسام الكلام الذى لا تخلو منه لغة من اللغات. وإذا كانت غالبية اللغات البشرية تمتلك أقساماً للكلام، إلا أن معظم هذه الأقسام ليست ثابتة أو واحدة فى كل اللغات. حيث تختلف هذه الأقسام من لغة إلى أخرى. وربما كان التقسيمان الوحيدان الموجودان تقريباً فى جميع لغات العالم هما فصيلة الاسم والفعل، ويؤكد "رو بنز" على هذا الأمر فيقول (يبدو أن التقسيم الأكثر عمومية فى اللغات هو التقسيم المعروف بالاسمية والفعلية[1]. فمفهوم الفعلية يعد من المفاهيم الأساسية المشتركة بين اللغات البشرية كلها تقريباً، ولا تكاد توجد لغة تخلو منه. ويعرف الفعل بأنه الكلمة التى تدل على حدث وزمن، أى أن الفعل يدل على اقتران أمرين أحدهما الحدث والثانى الزمن.

هدف الدراسة :

تهدف الدراسة إلى أهمية نظرية تتمثل فى تقديم تصور شامل للفعل بين البناء للمعلوم والبناء للمجهول، وإلى جانب ذلك فإن الدراسة يمكن أن تكون ذات فائدة تطبيقية أخرى فى مجال تعليم لغة الهوسا. كما أنها تعد خطوة على طريق الدراسات النحوية، فى محاولة للخروج بدراسة نحوية تفيد الدارسين والباحثين ومتعلمى لغة الهوسا.

(*) قسم اللغات معهد البحوث والدراسات الإفريقية .

سبب اختيار الموضوع :

قد فضل الباحث اختيار موضوع يتعلق بقواعد لغة الهوسا لندرة ما كتب حتى الآن - باللغة العربية - عن قواعد لغة الهوسا هذا من ناحية، ولاعتقاده أن دراسة قواعد هذه اللغة يمثل أولوية بحثية فى هذه المرحلة من ناحية أخرى.

منهج البحث :

يقوم البحث على المنهج الوصفى التحليلى فى تناوله للمادة العلمية التى يقوم عليها . ومن خلال المنهج الوصفى التحليلى يقوم الباحث بوصف وتحليل هذه المادة تحليلاً لغوياً واستخراج القضايا النحوية التى تتعلق بموضوع البحث. وسوف نذكر المثال الهوساوى ثم يليه بعد ذلك ترجمة المثال إلى اللغة العربية وقد استخدمنا رموزاً مختصرة دالة على توصيف الوحدة النحوية ملحقه بنهاية هذا البحث .

البحث فى صيغة الفعل حين تكون مبنية للمعلوم أو مبنية للمجهول بحث صرفى نحوى ، فتغير الصيغة فى هذا البحث يسلم إلى تغيير أساسى فى التركيب . وإذا أردنا معرفة حد الفعل المبنى للمعلوم وحد الفعل المبنى للمجهول فإننا نقول : يكون الفعل مبنياً للمعلوم إذا كان فاعل ذلك الفعل مذكوراً فى الكلام ، وهنا يأتى الفعل على صيغة ملائمة لذلك الفاعل (٢) .

ومعلوم أن الصيغة الأصلية للفعل متعدياً كان أو لازماً هى الصيغة الموافقة على الاستخدام للفاعل الذى يأتى بعدها (٣) وهنا نستطيع أن نطلق على الفعل أنه مبنى للمعلوم لأنه ذكر له فاعل (٤). وقبل الخوض فى هذا الموضوع ننبه كما هو معروف أن لكل لغة سماتها الخاصة فى تراكيبها ومن ثم عند تحويل الجملة من المبنى للمعلوم إلى المبنى للمجهول فإن تغيراً يطرأ على بنية الجملة، والأمثلة التالية توضح ما يطرأ على الفعل من تغيرات:-

١- أمثلة لعدة جمل فى حالة المبنى للمعلوم

أكل عبده الطعام .	(1) Audu ya ci abinci. (N.Ha.Ra1.p.69L15)
شرب عبده الماء .	(2) Audu ya sha ruwa . (N.Ha.Ra2.p.17L20)
ألبس عبده علياً قميصاً.	(3) Audu ya sawa Aliyu riga . (N.Ha.Ra2.p.10L12)
أطعم عبده عليا طعاماً .	(4) Audu ya ciyar da Aliyu abinci . (N.Ha.Ra1.p.69L10)

فى الجمل السابقة الذكر ، نستطيع القول أن الفعل مبنى للمعلوم لأن الفاعل معلوم ، وإذا نظرنا إلى هذه الأمثلة نجد أن الفاعل هو " Auduعبده " جاء مذكوراً لأفعال ملائمة لذلك الفاعل لكن ينصرف المتحدث عن ذكر الفاعل فى كلامه لأى سبب من الأسباب أو قد يعرض أن يحذف فاعل الجملة لغرض من الأغراض ، فيأتى من ينوب عنه فى التركيب ويقوم مقامة وإذا حدث أن حذف الفاعل وأقيم مقامه المفعول به فإن تغييراً يتناول أجزاء الجملة ، فيذكر الفعل دون الفاعل (٥) فنقول:

٢ - أمثلة لعدة جمل فى حالة البناء للمجهول :

أُكِل الطعام .	(1) An ci abinci . (N.Hau.3.P22.L17)
شُرِبَ الماء .	(2) An sha ruwa . (N.Hau.2.P27.L12)
أُلبِس على قميصاً .	(3) An sawa Aliyu riga . (N.Hau.1.P18.L13)

نموذج تحليل جملة الأولى :

An / Ci / Abinci (N.Hau3.P22.L17)

مف.به.الطعام / مص.ف.أكل / د.ج.ض.ت

وبعد هذا العرض الموجز سوف نتناول النقاط التالية بالدرس والتحليل :

(أ) ما يخص الفعل من تغيير .

(ب) المبنى للمجهول والغرض من إخفاء الفاعل .

(جـ) ما ينوب عن الفاعل .

(د) هل المبنى للمجهول محول من المبنى لمعلوم ؟

(أ) ما يخص الفعل من تغيير :

إن الفعل المبنى للمعلوم إذا حذف فاعله وأردنا المجيء بنائبه فإن الفعل تتحول صورته من المبنى للمعلوم إلى المبنى للمجهول. والسؤال الوارد أمامنا هل هذا التغيير يخضع لقاعدة محدودة وأحكام خاصة ؟

الإجابة على ذلك تحتاج إلى تفصيل أساسه إن الفعل إما أن يكون ماضياً وإما أن يكون مضارعاً وإما أن يكون مستقبلاً (٦) .

أولاً : ما يلحق الماضى من تغيير :

الزمن الماضي

قبل الخوض فى كيفيه بناء الفعل الماضى للمجهول يتحتم علينا أولاً أن نبين كيف تتكون صيغة الماضى فنقول : يأتى تحت الزمن الماضى – فى لغة الهوسا – نوعان هما(٧) :

(١) الماضى العـام — General past

(٢) الماضى الموصـول — Relative past

(١) الماضى العام (التام) كما يقول البعض : — General past

أية صيغة فعلية تدل على حدث وقع ماضياً بالنسبة إلى الحال أو حدث آخر أحياناً (٧) ويعبر هذا الزمن عن أن الفعل قد تم منذ فترة وعلامته متمثلة فى نمطين مختلفين .

النمط الأول : أن يأتى المورفيم " A "* مع الضمائر الشخصية التى تنتهى بالصوت (A) مثلاً الضمير الشخصى المتكلم " Na أنا " والمخاطب المفرد " Ka أنت " والغائب المفرد " Ya هو " الغائبة المفردة " Taهى " وهذه بعضالأمثلة:

(*) علامة الزمن الماضى العام هى " المورفيم "A" مع الضمائر التى تنتهى بصوت ال "A" والمورفيم "N" مع الضمائر التى تنتهى بصوت غير صوت ال "A" وهى من حيث الموقع تأتى بعد الضمير ما قبل الفعل مباشر.

أكلتُ الطعام .	(1) Na ci abinci, (N.Hau4.P35.L19)
أكلتَ الطعـام	(2) Ka ci abinci (Hau.Do.Ka1.P25.L9)
أكلتِ الطعام	(3) Kin ci abinci (Hau.Do.Ka1.P29.L17)

تحليل الجملة الأولى :

Na / a / Ci / Abinci (N.Hau3.P22.L17)

مف.به.الطعام / مص.ف.أكل / د.ض.ت / ض.فا.فت. أنا

النمط الثانى : أن يأتى المورفيم " N "مع الضمائر الشخصية التى تنتهى بصوت غير أل "A" كما فى "Ki " أنتِ ، والضمائر Mu نحن ، و Ku أنتم ، " Su" هم ، مثلاً :

أكلنا الطعام	Mun ci abinci (Hau.Do.Ka.P89.L33)
أكلتم الطعام	Kun ci abanci (Da.Ko.Iy.P31.L18)

تحليل الجملة الأولى :

Mu / n / Ci / Abinci (N.Hau3.P22.L17)

مف.به.الطعام / مص.ف.أكل / د.ض.ت / ض.فا.جت.(نا)

(٢) الماضى الموصول :

يعبر الزمن الماضى الموصول عن شيء حدث فى الزمن الماضى مع بقاء أثر الحدث والعلامة التى تدل عليه هى " kA " مع الضمائر التى تنتهى بغير أل " A " أما التى تنتهى بـ (A) فهى مثل الماضى العام ونلاحظ أن " ka " تأتى بعد الضمير مباشرة من حيث الموقع فهى تأتى مع المخاطبة المفردة المؤنثة وكذلك الجمع بنوعية مثل (٩) :

قلتُ لك هذا	Na ce maka wannan (Da.Ko.Iy6.P52.L28)
قلتِ له هذا	Kin ce masa wannan (Da.Ko.Iy4.P37.L23)
قال لكَ هذا	Ya ce maka wannan (Sa.Han.Na.Hau1.P43.L29)
قالوا لكَ هذا	Suka ce maka wannan (Sa.Han.Na.Hau1.P115.L14)

تحليل الجملة الأخيرة :

Su / Ka / Ce / Maka / Wannan

مف.به.لك هذا / مص.ف.قال / د.ض.ت / ض.فا.جغ.هم

وبناءً على ما سبق إذا كان الفعل ماضياً Past وأردنا تحويله إلى مبنى للمجهول فإن القاعدة توجب النظر إلى نوع الماضى ، فإذا كان الفعل ماضياً عاماً (أو تاماً) General past فإن بناءه للمجهول يكون بإضمار الضمير ودالة الزمن ووضع علامة البناء للمجهول فى حالة الماضى التام وهى "An" أمام الفعل مباشرة ، ويتضح ذلك من خلال الأمثلة التالية فى حالة البناء للمعلوم وتحويلها إلى البناء للمجهول :

حالة البناء للمعلوم نقول :

أكلتُ الطعام	Na ci abinci (Mat.At.P57.L37)
أكلَ الطعام	Ya ci abinci (Da.Ko.Iy5.P21.L25)
أكلنا الطعام	Mun ci abinci (Hau.Do.Ka2.P105.L12)
أكلوا الطعام	Sun ci abinci (Hau.Do.Ka2.P105.L12)

حالة البناء للمجهول:

أُكِلَ الطعام	An ci abinci (Na.Hau4.P42.L14)

تحليل الجملة السابقة :

An / Ci / Abinci (Na.Hau4.P42.L14)

مف.به.الطعام / مص.ف.أكل / د.ج.ض.ت

أما إذا كان الفعل ماضياً موصولاً : Relative past فإن بناءه للمجهول يكون بحذف الضمير ما قبل الفعل ووضع علامة البناء للمجهول فى حالة الماضى الموصول وهى Aka أمام الفعل مباشرة ويتضح ذلك أيضاً من خلال الأمثلة التالية فى حالة البناء للمعلوم وتحويلها إلى البناء للمجهول:

حالة البناء للمعلوم نقول :

أكلتُ الطعام	Na ci abinci (Sa.Hau.Na.Hau3.P67.L26)
أكلتِ الطعام	Kika ci sbinci (Sa.Hau.Na.Hau1.P49.L16)
أكلتم الطعام	Kuka ci abinci (Da.Ko.Iy4.P33.L4)
أكلوا الطعام	Suka ci abinci (Da.Ko.Iy6.P41.L13)
أكل الطعام	Aka ci abinci (Na.Hau1.P72.L4)

تحليل الجملة الأخيرة :

Aka / Ci / Abinci (Na.Hau1.P72.L4)

مف.به.الطعام / مص.ف.أكل / د.ج.ض.ل

من الملاحظ من النوعين السابقين للماضى فى لغة الهوسا أن الهوسا تستخدم صيغتين للتعبير عن الزمن الماضي.

والسؤال الآن ما الفرق بين الاستخدامين فى الهوسا ؟ وللإجابة عن هذا السؤال نقول :

تستخدم لغة الهوسا هيئتين زمنيتين للتعبير عن الماضى، ولكل هيئة زمنية استخداماتها النحوية فتستخدم الهيئة الزمنية فى النظام التام بشكل واضح مع التعبيرات والأحداث المستقلة فنقول مثلاً :

جاءوا وجلسوا وأكلوا الطعام Sun zo,Sun zauna, sun ci abinci (Sa.Hau.Na.Hau5.P96.L15)

جاءوا وعادوا Sun zo, sun koma (Sa.Hau.Na.Hau5.P96.L15)

وتأتى الهيئة الزمنية الموصولة لتعبر عن السياق الحدثى القصصى[10] فنقول:

جاءوا ، ثم جلسوا ، ثم أكلوا الطعام Suka zo, suka ci abinci (Hau.Do.Ka1.P71.L15)

خلاصة: ما سبق للفعل الماضى فى لغة الهوسا نمطين مختلفين ، لكل نمط وظيفته الخاصة به والتى يختلف بها عن غيره ، وأن لكل نوع أداته الخاصة به سواء فى حالة البناء للمعلوم أو البناء للمجهول .

ثانياً : ما يلحق الزمن المضارع من تغيير :

(الزمن - صيغة - المضارع)

أية صيغة فعلية تدل على حدث زمنه الحال [١١] والهيئة الزمانية للمضارع فى لغة الهوسا لها ثلاث صيغ كل صيغة لها نمطها التركيبى الذى يختلف عن غيره ولهذا ينقسم المضارع فى لغة الهوسا إلى :

(١) الزمن (المضارع) المستمر : Continuous tense

(٢) الزمن (المضارع) الموصول: Relative continuous tense

(٣) من (المضارع) التكرارى : Habitual tense

١ - الزمن (المضارع) المستمر :

هيئة للفعل تدل على تدرج وقوعه واستمراره فى الماضى أو الحال أو المستقبل [١٢] والعلامة التى تدل عليه هى المورفيم " Na " ويأتى موقعه فى الجملة بعد بادئة الفاعل وقبل الفعل مباشرة .

يأكل الطعام الآن Yana cin abinci yanzu (Hau.Do.Kan3.P50.L33)

تحليل هذه الجملة نجد أن :

Ya / Na / Cin / Abinci (Na.Hau1.P72.L4)

مف.به.الطعام / مص.ف.أكل / د.مض.مس / ض.فا.فغ.هو

إذا أردنا بناء الزمن المستمر (المضارع) للمجهول أولاً : نضمر ضمير الفاعل ، ثانياً: نضع المورفيم " A " الذى يأتى فى حالة بناء الزمن المستمر (للمجهول) ونضعه أمام دالة الزمن ليصير من Yana إلى Ana ، فعند بناء المثال السابق إلى صيغة المبنى للمجهول نقول :

يأكل الطعام الآن (مبنى للمعلوم) Yana cin abinci yanzu (Hau.Do.Ka2.P43.L18)

يُأكل الطعام الآن (مبنى للمجهول) Ana cin abinci yanzu (Da.Ko.Iy5.P9.L17)

ومن خلال إجراء البناء للمجهول مع جميع الضمائر ، يتضح أن علامة البناء للمجهول لا يتغير موقعها فى الجملة فهى تأتى فى بداية الجملة مع جميع الضمائر ، ومن حيث الشكل فتأتى علامة البناء للمجهول مع جميع الضمائر لا يتغير شكلها باختلاف الضمائر وهى" A " فنقول مثلاً :

تأكل الطعام الآن	Kana cin abinci yanzu (Hau.Do.Ka1.P27.L12)
تأكل الطعام الآن	Tana cin abinci yanzu (Sa.Hau.Na.Hau 5.P62.L16)
تأكلون الطعام الآن	Kuna cin abinci yanzu (Na.Hau 2.P32.L11)
يأكلون الطعام الآن	Suna cin abinci yanzu (Na.Hau 3.P38.L8)

جميع الأمثلة السابقة فى حالة البناء للمعلوم فى حالة الزمن المضارع المستمر وعند بنائها للمجهول فنوع علامة البناء للمجهول وشكلها لا يتغير باختلاف نوع ضمير الفاعل ، فنقول فى حالة بناء الأمثلة السابقة إلى المبنى للمجهول تكون هكذا :

يؤكل الطعام الآن	Ana cin abinci yanzu (Na.Hau1.P72.L4)

تحليل الجملة السابقة :

Ana / Cin / Abinci / Yanzu (Na.Hau1.P72.L4)

ظ. الآن / مف.به.الطعام / مص.ف.أكل/ د.ج.مض.مس

٢ - الزمن (المضارع) المستمر :

وعلامة الزمن (المضارع) المستمر هى " Ke " :

يأتى الزمن (المضارع) المستمر فى عدة حالات ، فيأتى مع جملة الصلة ويكون موقعه فى الجملة الفرعية (التابعة) للجملة الرئيسية (الأصلية) [١٣] كما يأتى المضارع المستمر مع جملة الاستفهام وبعد الظرف وبعد الجر والمجرور وبعد المفعول به وبعد الضمائر المنفصلة.

١- مع جملة الصلة فى الجملة الفرعية للجملة الرئيسية :

Akwai wani mutum wanda yake da Bora da Mowa . (Tat.Da.Wasan4.P34.L7)

يوجد إنسان الذى تزوج بزوجتين اسمهما " موا " وبورا "

Suka Sauka a wani wuri wanda ake kira Baragami . (Kar.San2.P40.L5)

نزلوا المكان الذى يدعى " باراجامى "

٢- يأتى المضارع مع جملة الاستفهام : مثلاً :

متى تخطب ؟ Yaushe / kake neman aure ? (Na.Hau1.P44.L18)

٣ - يأتى بعد الظرف : مثلاً :

يفعل ذلك دائماً . Kullum /haka ya ke yi . (Da.Ko.Iy6.P46.L36)

٤ - بعد الجار والمجرور

يقرأ فى المنزل . A gida / yake yin karatu . (Sa.Han.Na.Hau.P32.L29)

٥ - بعد الضمائر المنفصلة :

هم يكتبون الخطاب . Su suke rubuta : takarda . (Sa.Hau.Na.Hau3.P69.L14)

وإذا أردنا بناء الزمن المستمر الموصول للمجهول ، فأننا نضمر ضمير الفاعل ثم يحل محلها علامة البناء للمجهول فى حالة الزمن المستمر الموصول ، وهى " A " قبل دالة الزمن " ke " هكذا :

نزلوا مكان يسمى باراجامى .

Suka sauka wani wuri wanda ake kira baragami . (Kar.San2.P40.L5)

تحليل الجملة :

Su / Ka / Sauka / Wani Wuri Wanda / a / Ke / ki Ka / Baragami

مف.به.اسم مكان / مص.ف.يدعى / د.مض.مس/ د.ج.مض.مس / فا / مص.ف.نزل / د.ض.ل / ض.فا.جغ.هم

وهنا أيضاً نجد أن علامة البناء للمجهول لا تتغير بتغير الضمير الواقع بعدها سواء جاء هذا الضمير مفرداً - مذكر أو مؤنثاً أو جاء جمعاً - مذكر أو مؤنثاً فهى دائماً الأداة " A " كما أنها أيضاً لا تتغير فى الشكل بتغير زمن الجملة ، سواء أكان مضارعاً عاماً " Na " أم مضارعاً موصولاً " Ke " .

٣ - الزمن (المضارع) التكرارى :

يعبر هذا الزمن عن تكرار وقوع الفعل إلى أن يصبح عادة ، والعلامة التى تدل عليه هى "Kan" (١٤) وتأتى علامة الزمن فى الأغلب الأعم مسبوقة بضمير الفاعل ومتبوعة بالفعل . وتأتى العلامة " kan " بعد الضمير الفاعل وقبل الفعل مباشرة هكذا :

أحصل عليه فى السوق	Na kan samu a kasuwa (Na.Hau4.P41.L32)
تحصل عليه من السوق	Ka kan samu a kasuwa (sa.hau.Na.hau3.P103.L12)
تحصل عليه من السوق	Ki kan samu a kasuwa (Sa.Han.Na.Hau4.P92.L15)
يحصل عليه من السوق	Ya kan samu a kasuwa (Na.Hau4.P35.L30)
تحصل عليه من السوق (مؤنث)	Ta kan samu a kasuwa (Da.Ko.Iy5.P12.L13)
نحصل عليه من السوق	Mu kan samu a kasuwa (Hau.Do.Ka1.P25.L22)
تحصلون عليه من السوق	Ku kan samu a kasuwa (Sa.Han.Na.Hau4.P100.L18)
يحصلون عليه من السوق	Su kan samu a kasuwa (Na.Hau4.P23.L17)

فقد جاءت " Kan " بعد ضمير الفاعل " " وقبل الفعل مباشرة كما هو واضح من الأمثلة السابقة .

وإذا أردنا بناء الزمن التكرارى للمجهول أولاً : يضمر ضمير الفاعل ثم يحل محله علامة البناء للمجهول " A " قبل علامة الزمن هكذا :

عادة توجد فى السوق	A kan samu a kasuwa . (Sa.Han.Na.Hau3.P88.L9)

بتحليل هذه الجملة السابقة نجد أن :

A / Kan / Samu / a ka Suwa

ظ. فى السوق / مص. ف. يحصل / د.تك / د.ج.تك

وخلاصة القول فى ذلك أن لغة الهوسا تستخدم ثلاث هيئات زمنية مختلفة فى حالة التعبير عن الزمن المضارع - المضارع العام ، والمضارع الموصول، والمضارع التكرارى -، وأن لكل هيئة زمانية أدواتها الخاصة بها والتى تختلف عن غيرها ، وسواء فى حالة البناء للمعلوم أو البناء للمجهول.

ثالثاً : ما يلحق الزمن: Subjunctiv

وهو صيغة فعلية تستعمل فى التعبير عن معان تشمل الاحتمال والشك والخوف والرغبة والتمنى مع استخدام المصدر المؤول بحيث يكون الفاعل مختلف فى الفعلين(١٥) وتتميز بعلامات خاصة، وهى مرفيم صفرى أى أن الحركة الأخيرة لا تأخذ أى نغمة ولكن يفهم من السياق، ومثال ذلك مع ضمير الغائب المذكر.

قال يجب أن تعمل	Ya ce ka yi (Do.Ko.Iy6.P50.L16)
قال يجب أن تعملِ	Ya ce ki yi (Sa.Han.Ka.Hau1.P40.L11)
قال يجب أن يعمل	Ya ce ya yi (Hau.Do.Ka.P70.L24)
قال يجب أن تعملْ	Ya ce ta yi (Hau.Do.Ka.P72.L14)
قال يجب أن نعمل	Ya ce mu yi (Sa.Han.Ka.Hau2.P37.L18)
قال يجب أن تعملوا	Ya ce ku yi (Hau.Do.Ka.P73.L16)
قال يجب أن تعملوا	Ya ce su yi (Sa.Han.Ka.Hau1.P37.L15)

وبتحليل الجملة الأخيرة نجد أن :

Ya / a / Ce / Cu / Yi

مص.ف.يعمل / ض.فا.جغ.هم / مص. ف. قال / د.ض.ت / ض.فا.فغ.هو

إذا أردنا بناء هذا الزمن للمجهول ، يضمر ضمير الفاعل ثم يحل محله المورفيم الذى يدل على البناء للمجهول فى حالة هذا الزمن وهو " A" وهذه بعض الأمثلة التى توضح ذلك.

قال يجب أن يُعْمل — Ya ce a yi (Hau.Do.Ka.P70.L27)

تحليل الجملة السابقة

Ya / a / Ce / a / Yi

مص.ف.يعمل / د.ج.ش / مص. ف. قال / د.ض.ت / ض.فا.فغ.هو

وهنا نجد كما هو ملاحظ من خلال التحليل السابق للجملة السابقة ، أنه فى حالة بناء الزمن الاحتمالى Subjunctive Tense للمجهول فى لغة الهوسا يتم إضمار ضمير الفاعل ويحل محله علامة البناء للمجهول وهى المورفيم " A " .

رابعاً : ما يلحق الزمن المستقبل من تغيير :

صيغة المستقبل

أية صيغة فعلية تدل على حدث ، سيقع مستقبلاً بالنسبة إلى الحال، أو إلى حدث آخر أحياناً[١٦] فإذا كان الفعل فى صيغة المستقبل، وأردنا بناءه للمجهول ، يجب أن نعين نوع الزمن المستقبل المراد بناؤه للمجهول ، وقبل الخوض فى هذه المسألة ، نوضح أن لغة الهوسا من اللغات التى تشتمل على نوعين من الزمن المستقبل ، فهناك الأول " First Future " أو المستقبل البسيط كما يقول آخرون ، وقد أطلق عليه علماء اللغة الأوربيون المصطلح " الإنجليزى Future ، والنوع الثانى من الزمن المستقبل الثانى أو المستقبل غير المحدد ، على خلاف فى التسمية ، وقد أطلق عليه علماء اللغة الأوربيون المصطلح الإنجليزى Indefinite Future " أى المستقبل غير المحدد أو المستقبل الثانى عند البعض، " Second future "[١٧].

١ - المستقبل الأول :

يعرف هذا الزمن بالمستقبل القريب ، كذلك بالمستقبل المؤكد ، لهذا يطلق عليه اللغويون الهوسويون المصطلح " Mia karfi " أى قوى [١٨] ودالة هذا الزمن هى (Za) ودائماً تأتى بنغمة مرتفعة وحركة طويلة مع جميع الضمائر ، ما عدا ضمير المفرد المتكلم (أنا Ni)* وضمير المفرد المذكر الغائب " هو Ya " حيث تكون الحركة فيهما أيضاً طويلة ولكن النغمة منخفضة ومن حيث الموقع تأتى قبل ضمير الفاعل .

(*) الضمير أنا "Ni هو Ya " عند إضافة دالة الزمن المستقبل الأول يتحولان من Zaya-zana إلى Zai-zan

وهذه بعض الأمثلة فى الزمن المستقبل الأول :

سآكل الطعام	Zan ci abinci (Da.Ko.Iy6.P42.L22)
ستآكل الطعام	Zaka ci abinci (Sa.Han.Na.Hau3.P62.L17)
سيأكل الطعام	Zai ci abinci (Na.Hau4.P32.L33)
سنأكل الطعام	Zamu ci abinci (Da.Ko.Iy4.P11.L8)
سيأكلون / سيأكلن الطعام	Zasu ci abinc (Hau.Do.Ka1.P25.L12)

يتم بناء الزمن المستقبل الأول للمجهول بوضع دالة الزمن المستقبل الأول ، وهى " Za " ثم نضع بعدها دالة البناء للمجهول فى المستقبل الأول وهى " A " هكذا :

سيأكل الطعام الآن	Za a ci abinci yanzu (Hau.Do.Ka1.P25.L12)
سيُفْعل العمل غداً	Za a yi aiki gobe (Da.Ko.Iy3.P14.L11)

وبتحليل الجملة الأخيرة يتضح ذلك :

سيُفْعل العمل غداً Za a yi aiki gobe (Da.Ko.Iy3.P14.L11)

Za / a / Yi / aiki / gobe

ظ.غداً / ن.فا. عمل / مص.ف. يعمل / د.ج.ش / د.مس. سوف

من تحليل المثال السابق يتضح أن الزمن المستقبل الأول يختلف عن بقية الأزمنة الأخرى من حيث الشكل ، فنجد أن جميع الأزمنة تستخدم علامة الزمن بعد الضمائر ، ولكن هنا نجد أن علامة الزمن المستقبل تأتى قبل ضمير الفاعل. وهذا من الخصائص التركيبية للغة الهوسا .

(٢) الزمن المستقبل الثانى :

يُبنى الزمن المستقبل الثانى للمجهول Second Future بإضمار ضمير الفاعل وعلامة الزمن ثم يحل محلها علامة البناء للمجهول وهى " A " وهذه بعض الأمثلة فى حالة البناء للمعلوم :

ربما أسمع (أنا)	Na ji (Hau.Do.Ka.P52.L15)
ربما تسمع (أنتَ)	Ka ji (Sa.Han.Na.Hau2.P32.L17)
ربما تسمع (أنتِ)	Ka ji (Da.Ko.Iy6.P35.L16)
ربما يسمع (هو)	Ya ji (Na.Hau1.P38.L13)
ربما تسمع (هى)	Ta ji (Sa.Han.Na.Hau3.P23.L26)
ربما نسمع (نحن)	Mu ji (Da.Ko.Iy5.P13.L11)
ربما تسمعون (أنتهم)	kwa ji (Sa.Han.Na.Hau1.P27.L24)
ربما تسمعن (أنتن)	
ربما يسمعون (هم)	Sa ji (Na.Hau1.P17.L9)
ربما يسمعن (هن)	

تأتى صيغة البناء للمجهول مع الزمن المستقبل الثانى هكذا :

ربما يسمع . A ji

تحليل جملة البناء للمجهول السابقة :

A / ji

مص.ف.يسمع / د.ج.مس٢

يطلق على هذا الزمن بالمستقبل البعيد كما يطلق عليه المستقبل غير المؤكد وقوعه ، ولهذا أطلق عليه علماء اللغة مصطلح " Mara karfi " أى الضعيف وذلك لعدم التأكد من إمكانية وقوع الفعل فيه، وقد لوحظ أن علامة البناء للمجهول مع الزمن المستقبل الثانى " Second future " ذات نغمة منخفضة وهذا عكس المستقبل الأول " First Future " كما بينا سابقاً ومن ثم نجد أن علامة الزمن لا تتعارض مع الحرف الأخير من الضمائر ولذلك يتم إدغام الحرف الأخير مع علامة الزمن "A" فتصير مورفيماً واحداً وهنا نجد أن النغمة تصبح كالأتى :

نغمة مرتفعة + نغمة منخفضة ← نغمة ساقطة

High tone + Low tone ⟶ fall tone .

هذا هو التغيير المنوط بالفعل حين تكون الجملة فى حالة البناء للمجهول والواقع أن البناء قد انصب على الفعل الماضى والمضارع والمستقبل ولم يكن للأمر نصيب فى البناء فما توضيح ذلك؟

فعل الأمر لا يبنى للمجهول حيث الفاعل فيه لا يمكن جهله ، لأنه دائماً مخاطب كما نقول :

اضـرب	Ka buga
اسـمع	Ka ji
اذهبي	Ki je
اذهبوا	Ku je

فالفاعل ضمير المخاطب Ku , Ki , Ka أنت، أنتِ، أنتم على الترتيب، وهكذا مع بقية الضمائر مع صيغة الأمر، فالفعل إذا توجه إلى المخاطب على هيئة الطلب والأمر شريطة أن يكون صيغته صيغة أفعال الأمر فمن غير الممكن إخفاء الفاعل لأن المأمور هو الفاعل معلوم بطبيعة الحال، حتى تستقيم دلاله الأمر التى تتم على النحو التالى :

بوجود المأمور وهو الفاعل

بكونه ضميراً يدل على المخاطب

يكون صيغته صيغة الفعل الأمر

فالأمر لا يبنى للمجهول على صيغته وإذا أمر الغائب فى صيغة المضارع المقترن بلام الأمر فإنه من الممكن تحقيق البناء فيه (٢٠) فيقال :

ليسعف الجريح	A taimaki mara lafiya
ليؤكل الطعام	A ci abinci

تحليل الجملة الأولى هكذا :

A / Taimaki / Mara Lafiya

ن.فا. المريض / مص.ف. يساعد / د.ج. أمض. لم

من تحليل الجملة الأولى يتضح أن صيغة المضارع المقترن بلام الأمر ، قد بنى للمجهول بحذف الضمير المخاطب ، ووضع علامة البناء للمجهول فى صيغة الأمر المورفيم " A " الذى جاء فى صيغة المضارع المقترن بلام الأمر .

(ب) المبنى للمجهول والغرض من إخفاء الفاعل :

لم نر تغييراً ظاهراً - حتى الآن - يخص الفعل الذى من خلاله تتحول جملة المبنى للمعلوم إلى المبنى للمجهول وأساس هذا أن لكل لغة نظامها الخاص بتراكيبها النحوية ، والآن نريد أن نعرض لأغراض إخفاء الفاعل ، من هذه الأغراض ما يلى :

١- الرغبة فى إيجاز العبارة دون تعقيد أو التواء كما فى ترجمة معنى قوله تعالى :

Idan aka zalumeku kada kurama. (Na. Hu1.P72.L4)

إن ظلمتم فلا تردوه.

فالفعل الثالث فى الآية الكريمة بنى للمجهول ، أى أن فاعله قد حذف ، وسر حذفه غرض لفظى هو الاختصار ، لأنه من المدرك أن الفاعل مفهوم أى بمثل ما عاقبكم الغير به .

٢ - يحذف الفاعل أحياناً لكونه معلوماً لكل إنسان ومن هنا فذكره يفيد المتكلم كما فى المثال التالي

Ya yafe masu laifi. (Da.Ko.Iy6.P22.L16)

عفى عن المجرمين.

٣ - أحياناً يحذف الفعل خوفاً من أن يناله مكروه ، فحين تقول لإنسان :

قِيل إنك لا تعطى الحقوق لأصحابها An ce lalle baka ba masu haki hakinsu

أنت تعلم القائل لكن تخاف لو ذكرته لأوذى من المخاطب ولذلك فإنك تقوم بحذفه .

٤- ومن الممكن حذف الفاعل تحقيراً لشأنه كما لو قلت :

طُعِنَ الأمــيُـــر . An soki Sarki (Sa.Hau.Na.Hau1.P42.L23)

مع علمك بأن قاتله هو: فلان، فالحذف يكون راجعاً لتحقير شأن هذا القائل.

ولعلنا نلاحظ أن الأغراض السابقة منها البلاغية ومنها اللفظية وبهذه الأغراض البلاغية واللفظية ، نثبت أن بناء الفاعل للمجهول لا يأتى على أساس من الجهل به فحسب فقد أمكن حذفه لغير الجهل (٢١) .

(جـ) ما ينوب عن الفاعل :

عند حذف الفاعل فى حالة البناء للمجهول ، فإن هناك فى التركيب من ينوب عنه أخذاً سماته لكونه ركناً أساسياً ، لا يمكن حذفه ووجوب تأخيره ، ومعلوم أن المفعول به هو الأصل فى النيابة فى هذه الحالة يقوم مقام الفاعل كما فى قوله سبحانه وتعالي:

" شُرِب الماءُ" " aka sha ruwa " (Na.Hau4.p35.L16)

"أنهى الاجتماع" " an gama taro" (Da.Ko.Iy5.P17.L12)

هذا إن كان فى الجملة مفعولاً واحداً ، ولكن إذا تعدد المفعول به لفاعل واحد لمن تكون النيابة للمفعول الأول أم للمفعول الثانى ؟

حين يكون بالجملة أكثر من مفعول أى حين يكون الفعل متعدياً لأكثر من مفعول مثل الفعل أعطى ، كسا ، أرى ، أعلم ، أخبر ، فإن الأساس أن ينوب المفعول الأول و بالإمكان أن ينوب المفعول الثانى وذلك بشرط أمن اللبس .

فيقول لأمن اللبس :

أعطيت فاطمة ثوباً : Na ba fadimatu riga

كست فاطمة ثوباً : Na sa fadimatu riga

هذه نيابة المفعول واحداً كان أو متعدداً ، فهل بإمكان الاستعمال اللغوى أن ينيب غير المفعول مع وجوده ؟

حول نيابة غير المفعول مع وجودة :

إن المفعول به إذا وجد فى التركيب فإن النيابة لا تتعداه إلى الظرف والمصدر والجار والمجرور ، فلو أردنا تحويل جملة : قابلت عبده فى السوق صباح الجمعة مقابلة حارة .

Na gamu da Audu a kasuwa safen Juma, (Sa.Han.Na.Hau4.P.92.L15)

فإن النائب هنا هو المفعول به رغم وجود مصدر وظرف وجار فيقال : قوبل عبده فى السوق صباح الجمعة [٢٢] .

(د) هل المبنى للمجهول محول من المبنى للمعلوم ؟

يجد القارئ فى النصوص الهوساوية أفعالاً مبنية للمعلوم ، أى ذكر فاعلها فى بناء الجملة ويجد أفعالاً أخرى مبنية للمجهول أى لم يذكر لها فاعل ، فهل يا ترى كل من الفعلين أصل أم أن أحدهما هو الأصل والآخر فرع عنه ؟

أقول : فى اللسان العربى وكذلك الهوساوى طريقة بناء الفعل للمعلوم ، وطريق أخر ببنائه للمجهول ، ولكل أن يعبر حسب قصده وارداته ، والكثير من النحاه يرى أن صيغة المبنى للمجهول " منشأة ومركبة " من باب الفاعل [٢٣] أى أن الأصل هو أن يكون الفعل مبنياً للمعلوم ثم يعدل عن ذلك الأصل للفرع وهو البناء للمجهول .

ويرى آخرون من النحاه أن المبنى للمجهول أصل قائم بنفسه، ليس عن غيره، وأحتج بأن اللغة أفعالاً لم ينطق بفاعلها ، بل هى ملازمة للبناء للمجهول مثل :

جُنَ عبده   ---   حُمَّ عبده

وقد رجح بن يعيش ماراه أكثر النحاه [٢٤].

عند تحويل جملة المضارع المسبوق بأن أو بلام التعليل إلى المبنى للمجهول ، يتم ذلك بوضع المقطع " A " قبل الفعل مباشرة وتفهم الجملة من السياق :

Yi wa kowa kamar yadda kake so kai ma a yi

عامل الناس بما تحب أن يعاملوك

تحليل الجملة السابقة :

Yi / Wa Kowa Kamar Yadda / Ka / Ke / So

مص.ف.يحب/ د.مض.ل / ض.فا.ط / مف . به / مص.ف.عمل

Kai / a / Yi / Ma / Ka

ض.ط.م.ك / ح.ر.لِ / مص.ف.يعمل / د.ج.تع / ض.ط.م. أنت

خلاصة :

بعد هذا العرض لموضوع الفعل بين البناء للمعلوم والبناء للمجهول في مادة البحث التي اشتملت على عدة مصادر أدبية قصصية في النثر الهوساوي، وضح لنا أن الجملة المبنية للمعلوم كانت أكثر استعمالاً من الجملة المبنية للمجهول، فقد احتوت مادة البحث على نسبة بلغت ٧٦,٧٪ تقريباً، وأن الجملة المبنية للمجهول بلغت ٢٣,٣٪ تقريباً.

الخاتمة

لوحظ من خلال البحث أن الجمل المبنية للمعلوم أكثر استعمالاً من الجمل المبنية للمجهول حيث بلغت نسبة الجمل المبنية للمعلوم حوالى ٧٦,٧٪ تقريباً فى حين بلغت نسبة استعمال الجمل المبنية للمجهول حوالى ٢٣,٣٪ تقريباً.

لوحظ من خلال البحث فى الفعل بين البناء للمعلوم والبناء للمجهول ، أن الهوسا شأنها شأن العديد من اللغات الأخرى فى العالم فى بناء قواعدها ، وكما هو معلوم ، إن لكل لغة سماتها الخاصة فى تراكيبها والتى تميزها عن غيرها من اللغات الأخرى ، ومن هنا وجدنا أن لغة الهوسا من اللغات التى تشتمل على معظم الهيئات الزمانية ، وأن لكل هيئة زمانية أكثر من صيغة .

الزمن الماضى يشتمل على نمطين يعبران عن الزمن الماضى الأول : الزمن الماضى التام " General past والثانى الزمن الماضى الموصول Relative past وأن القاعدة . تلزم النظر إلى نوع الزمن الماضى عند بنائه للمجهول ، فيبنى الماضى العام بوضع المورفيم " An " أمام الوحدة النحوية التى تعبر عن الزمن الماضى التام ، والمورفيم " Aka " أمام الوحدة النحوية التى تعبر عن الزمن الماضى الموصول ، كما وضح من الاستخدامين فإن الماضى التام يأتى ليعبر عن الأحداث المستقلة ، أما الهيئة الرمانية الموصولة فتأتى لتعبر عن السياق القصصى الحدسي.

الزمن المضارع يشتمل على ثلاث صيغ الأولى : المضارع المستمر والثانية: المضارع الموصول ، والثالثة : المضارع التكرارى ، وأن لكل صيغة مورفيماً خاصاً بها عند بنائها للمجهول، وكذلك الحال مع صيغ المستقبل والصيغة الاحتمالية.

كما تبين من خلال إجراء البناء للمجهول مع جميع الأزمنة ، أن علامة البناء للمجهول لا يتغير موقعها فى الجملة ، فهى تأتى فى بداية الجملة مع جميع الضمائر . وجميع الأزمنة فى لغة الهوسا تضع علامة الزمن بعد ضمير الفاعل - ماضى ، مضارع، احتمالى - يستثنى من ذلك الزمن المستقبل فإن علامته تأتى قبل الضمير.

وتعد هذه الدراسة تمهيداً لموضوعات بحثية أخرى لذلك نوصى بأن تكون هناك دراسات مقارنة بين العربية والهوسا، كى تفيد فى مجالات الترجمة وتعليم لغة الهوسا.

الاختصارات المستخدمة في البحث :

د.ج.ض.ت	دالة المبنى للمجهول فى حالة الماضى التام
مص.ف	مصدر الفعل
ن.فا	نائب فاعل
ض.فا	ضمير فاعل
د.ض.ت	دالة الزمن الماضى فى حالة الماضى التام
مف.به	مفعول به
ح.ر	حرف جر
ظ	ظرف
د.مض.مس	دالة الزمن المضارع المستمر
د.ج.مض.مس	دالة المبنى للمجهول فى حالة الزمن المضارع المستمر
د.ج.تك	دالة المبنى للمجهول فى حالة الزمن التكرارى
د.تك	دالة الزمن التكرارى
ض.ط.فص	ضمير مخاطب مفرد متصل
ص.هـ	عنصر استفهامى
د.ج.ض.ل	دالة المبنى للمجهول فى حالة الزمن الماضى الموصول
ض.فا.فت	ضمير فاعل مفرد متكلم
ض.فا.جت	ضمير فاعل جمع متكلم
ض.د.جت	دالة الزمن الماضى جمع متكلم
ض.فا.فغ	ضمير فاعل مفرد غائب
ض.فا.جغ	ضمير فاعل جمع غائب
د.ض.ل	دالة الماضى الموصول
ض.ط.فص	ضمير مخاطب مفرد مذكر متصل
د.ج.ش	دالة البناء للمجهول فى حالة الزمن الشرطى

د.مس١	دالة الزمن المستقبل الأول
د.ج.مس١	دالة البناء للمجهول فى حالة الزمن المستقبل الأول
د.ج.مس٢	دالة البناء للمجهول فى حالة الزمن المستقبل الثانى
د.ج.أ.مض.لم	دالة البناء للمجهول مع الأمر فى صيغة المضارع المقترن بلام الأمر
د.مض.ل	دالة الزمن المضارع الموصول
د.ج.تع	دالة المبنى للمجهول المسبوق بأن أو لام التعليل
ظ.ط.م	ضمير مخاطب مذكر
ض.فا.ط	ضمير فاعل مخاطب
ج.ج	جار ومجرو

الهــوامــش

(1) Robins. P: Patterns of languages Academic Press - U.S.A 1992, p 213.

- Fromkin, victoria etal: (1983) An Introduction to language 3ed, CBS college publishing, p. 210.

(٢) كشك أحمد: من قضايا الجملة ، دار الثقافة العربية ، القاهرة (١٩٩٤)، ص ١٢٨ .

(٣) البعلبكى رمزى منير : معجم المصطلحات اللغوية ، دار العلم ، بيروت (١٩٩٠)، ص ٣٦٣ .

(٤) عبد الطيف عبد الستار : أساسيات علم الصرف ، المكتب الجامعى الحديث ، الإسكندرية، ج١، (١٩٩٠) ، ص ١٦٣ .

(٥) كشك أحمد : ص ١٢٨ - ١٢٩ .

(٦) المرجع السابق : ص ١٢٩ .

(7) N. Awde: Hausa - English, English-Hausa Dictionary, New York, U. S., (1996) , p443 - 444 .

(٨) البعلبكى رمزى منير: ص ٣٦٣ .

(9) M.A Z Sani : Tsarin sauti da Nahawun Hausa, Ibadan (1999),p9 -16 .

(10) N. Skinner & 1. Y. yahaya: Hausa a Saukake, Zaria, (1981) p9 - 16 .

- نوفل: محمد على : مبادئ لغة الهوسا ، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، القاهرة (٢٠٠١)، ص ,٥٤

- G. Furniss: Second Level Hausa Grammar in Action, London (1991), p114 - 117 .

(١١)البعلبكى رمزى منير : ص ٣٩٦ .

(١٢) المرجع السابق : ص ٤٠١ .

(١٣) المرجع السابق : ص ٤٨٠ .

(14) P. New maa etal: Sabon Kamus na Hausa zuwa Turanci, Kano, p146 .

(١٥) المرجع السابق : ص ٢٠٦ .

(١٦) البعلبكى رمزى منير: ص ,٤٠٨

(17) M.A.Z Sani: (1999) p 9-16.

(18) G. Furniss: (1991) p 114-117.

(١٩) كشك أحمد: ص ١٢٨- ,١٢٩

(٢٠) المرجع السابق: نفس الصفحة.

(٢١) المرجع السابق: ص ١٢٨- ,١٢٩

(٢٢) ابن يعيش: شرح المفصل ٧/ ,٧١

(٢٣) المرجع السابق: نفس الصفحة.

لمحات أنثروبوجغرافية في مورفولوجية البيئة وحياة الناس في مجتمعات مختارة من القارة الأفريقية

د/ فاروق عبد الجواد متولى شويقة(*)

مقدمة :

تسير الحياة للأمام دائما The show must go on هكذا نعرفها نحن البشر والآدميين ولا أقول الآناسى ، ولكن ربما الناس ، وسير الحياة وتقدمها لا يتم إلا بتوافق قدرات البشر مع معطيات البيئة ، وهذا لا يتم إلا بالتفاعل Interaction الكامل والصحيح والمستمر بينهما. فإذا تم هذا فى الوقت وبالسرعة المناسبة ازدهرت الحياة وتقدم المجتمع وإلا لم تتقدم الحياة أى يحدث تخلف وتدهور نسبى لها.

ويدخل موضوع هذه الدراسة فى نطاق دراسة الإيكولوجيا البشرية خاصة فى مجال دراسة أثر البيئة على الكائن البشرى وأثر ذلك الكائن بمفرده أو بمجتمعه على البيئة، وهى أيضا تشتمل على دراسة عناصر وعوامل الاستعداد الوراثى للأذى البيئى(١)، وأن كانت الأولى تدخل فى مجال الجغرافيا وأيضاً الأنثروبولوجيا الطبيعية، فإن الثانية تدخل فى مجال البيولوجيا والوراثة وأيضاً الأنثروبولوجيا الطبيعية ومن هنا كان اهتمام كاتب هذا العمل باعتباره متخصصاً فى الأنثروبولوجيا الطبيعية الإيكولوجية، علماً أن تخصص الإيكولوجيا ينتظره الكثير من آفاق التوسع والاهتمام فى المستقبل. (٢)

(*) أستاذ بقسم الأنثروبولوجيا - معهد البحوث والدراسات الإفريقية .

(١) كانتور، تشارلسى : "التحديات أمام التكنولوجيا والمعلوماتية". فى : كيلفسى، دانييل وهو، ليروى : الجينوم البشرى؛ القضايا العلمية والاجتماعية، ترجمة أحمد مستجير. القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٢، ص٧٦ .

(٢) ذات المصدر، ص٨٣ .

ولقد كانت البداية الحقيقية لتبديل وتغيير انماط الحياة بسرعه، مع بدء العصر المحورى (٧٠٠ ق.م - ٢٠٠ق.م) حيث بدأت تظهر آثار توافر فوائض الإنتاج الزراعى عن حاجات الاستهلاك الأسرى والعائلى المحدود فكان أن ظهرت الأسواق التى يتجمع فيها الكافة من منتجين ومستهلكين فيتبادلون السلع والخدمات والتكنولوجيات والمعلومات، وهكذا بدأت منظومة الحضارة التى ما زالت مستمرة فى صعود وتقدم حتى اليوم، وما بعده إلى ماشاء الله.

ولعل الميزة الأولى التى ينفرد بها الإنسان هى استعداده للعلم، لذلك فقد استحق الخلافة فى الأرض والسيطرة عليها، ومن هنا كانت بداية علاقة الإنسان بالأرض وتطورها وهذا هو مجال دراسة الجغرافيا الأنثروبولوجية والأنثربولوجيا الايكولوجية وهى تلك التى ترتبط بالإيكولوجيا البشرية بقوة.

وتتكون الدراسة المعروضة من عدة نقاط هى (بعد المقدمة) : التفاعل الإيكولوجى - الترابط بين البيئة وحياة الناس - تطبيقات مختارة أفريقية، ثم الخاتمة تتبعها بعض الأشكال وأخيراً تأتى ببيلوجرافية.

الحقيقة أنه فى الواقع الإمبيريقى لا تتعامل حياة الناس اليومية إلا مع معطيات البيئة الجغرافية الأنثروبولوجية وهى تلك التى تتكون من تفاعلات القوة (بصورها المختلفة) مع مصادر المادة المتباينة، (مع أنهما - القوة والمادة - صورتين لشئ فيزيقى واحد) حيث يتكون متصل وكيان واحد هو الوسط أو البيئة الإيكولوجية التى يحيا فيها الناس، ومن خلال تباين البيئات، تتباين المجموعات البشرية من مكان إلى آخر فى الزمن الواحد، أو من زمان إلى آخر فى المكان الواحد، وهكذا دائما تكون حياة الناس.. فى تغير دائم.

التفاعل الإيكولوجى

تهتم الإيكولوجيا البشرية بتفاعل أفراد المجتمع البشرى مع مكونات البيئة التى يعيشون فيها، وهذا التفاعل دائم مستمر منذ ظهور الفرد فى الحياة - بل

وقبل ذلك أيضاً - ويستمر حتى مماته بل وربما بعد ذلك ايضاً. وعليه فالتفاعل قائم وكائن ومفروض فيزيقيا، ولكنه فى ذات الوقت احتمالات صوره كثيرة للغاية حيث أنها تتأثر بكل مكونات البيئة كما تتحكم فيها الإرادة الحرة للكائن البشرى.

وعليه فإن ما قيل من أن الإيكولوجيا البشرية (نمط الحياة) تعتمد فى بحوثها ودراساتها على مجالين من مجالات المعرفة هما : الجغرافيا الإقليمية الدقيقة Micro- Regional Geography ، والجغرافيا الأنثروبولوجية Anthropo-geography لايبتعد كثيراً عن الواقع[١].

هذا ويعتبر علم الاجتماع Sociology من أهم المجالات المعرفية (ومعه الأنثروبولوجيا) التى تدرس وتهتم بمجال الإيكولوجيا البشرية وما يتصل بها من معارف وعلوم عديدة تكاد تغطى كل المعارف الإنسانية.

وكان هربرت سبنسر (١٨٢٠-١٩٠٣) أول من طبق بشكل منهجى مفهوما البنية Structure والوظيفة Function وهما اللذين استخدمهما كثيراً علماء الأنثروبولوجيا بعد ذلك خاصة فى مجالات التشريح Anatomy وعلم النفس Psychology والاجتماع Sociology ، حيث أن كل من البنية والوظيفة متلازمتان كقطعة العملة الواحدة التى لا يمكن تواجدها إلا مع وجهين لها مترابطين.

ولعل خير مثال كلاسيكى على ذلك - فى مجال الدراسات الاجتماعية - ما ورد فى كتاب سبنسر مبادئ علم الاجتماع من دور الأبنية المؤسسية المختلفة : القرابية - الدينية - اللغوية - المهنية - الاقتصادية - السياسية وغيرها ووظائفها فى تفاعلاتها المختلفة فى المحافظة على تماسك المجتمع، وهذا مصداقا

(١) فاروق عبد الجواد شويقة : الاكلوجيا البشرية، "المفهوم - المجال- الهدف" مجلة الدراسات الأفريقية، العدد الثالث ١٩٧٤، ص ١٨٣-٢٠١

لما قيل من أنه كى تفهم كيف نشأت منظومة ما وتطورت فإنه من الضرورى تفهم الحاجة وراء تلك المنظومة حين نشأت وبعد ذلك(١).

ولعل من المناسب اتباع منهج سبنسر للتكيف الوظيفى عن طريق تطبيقه على المنافسة بين أنماط الحياة المتباينة فى المجتمعات المختارة محل الدراسة فى هذا العمل الذى بين أيدينا.

وتقول نظرية سبنسر فى بزوغ وأفول أنماط التنظيمات الاجتماعية أن عملية التغير الاجتماعى دائرية السمات تتحكم فيها التغييرات البيئية(٢)، أى أن موروفولوجية البيئة هى التى توجه حياة الناس، وعندى أن هذا ليس كامل التوجه بل أنه مرتبط بالإرادة والعمل؛ الذى يوليهما ويقدمهما ناس وتنظيمات المجتمع المعنى، وبطبيعة الحال تتغير هذه الظروف والأحوال بتوافر - أو عدم توافر - عناصر وعوامل اجتماعية كثيرة.

وتعتبر قدرات البشر - البيولوجية والثقافية - من أهم الموارد الطبيعية للدول والمجتمعات خاصة النامية، وكل أفريقيا منها، وهكذا دَرّسنا الأنثروبولوجيا لدارسى الدبلوم العالى تخصص الموارد الطبيعية، وتلك حقيقة حقيقية يتفهمها من يتعمق الفهم، لذلك كان من أوجب الواجب الاهتمام بنظم وأطر الصحة العامة والصحة الإنجابية قبل وأثناء وضع وتنفيذ نظم تعليمية سليمة تعتمد على غرس الفهم والوعى والإبداع؛ من أجل خلق مجتمع قوى بيولوجيا وثقافياً وحضارياً(*)، وأعتقد أن ذلك لا يتم إلا من خلال تقليل فترة الاعتمادية(**) التى تعودت عليها شعوب أفريقية كثيرة أثناء الموجة الاشتراكية السابقة، ومازالت لأنها مجتمعات من تلك التى تحت الوعى البشرى.

---

(1) Spencer, H. : The Principal of Sociology, Vol.3, New York, Appleton, 1896, p.3.

(2) Ibid, p.556

(*) لمعرفة الفرق بين الثقافة والحضارة ٠راجع : فاروق عبد الجواد شويقة : الأنثروبولوجيا الطبيعية والسلالات البشرية. ط٢، أ.٢ القاهرة، دار روتابرنت، ١٩٨٦، ص٢ .

(**) الكائن البشرى هو صاحب أطول فترة إعتمادية بين أجناس المملكة الحيوانية .

والحقيقة أن علم الاجتماع ليس بالدرجة من السوء والتفاهة التى ذكرت فى آراء بعض علمائه وأساتذته فى الغرب والشرق على السواء[1]، وإن كان شأنه شأن غيره من العلوم النظرية خاصة فى شرقنا العربى ومصر على وجه الخصوص فى حاجة إلى مزيد من الإخلاص والتفانى والموضوعية والشفافية والصدق فى أعمال المشتغلين به وفيه، أقول هذا بعد خبرة عملية علمية(*)، أرجو أن تنتهى قريباً بخير وعلى خير.

ولعل من أهم الصفات المورفولوجية للفرد البشرى (الشائع تسميته إنساناً) Homo Sapiens Sapiensهو نجاح قدراته الجينية للتكيف مع البيئة المحيطة والمتغيرة باستمرار (بعض الزواحف لها هذه القدرة) ولكنه يزيد عليها بقدرته الإبتكارية والإبداعية (الجمالية والفنية..) مما يعطيه الفرصة والحق فى تطوير نمط الحياة دائما إلى الأحسن والأفضل بحيث لا تنتهى تطلعاته ولا إمكاناته.

ولقد سادت فى فترة الثلث الأول من القرن السابق (العشرين) نزعة العنصرية تلك التى تعد التفوق مرتبطة بمعايير ملاءمة وقيم اجتماعية يغلب عليها أن يكون أصحابها من ذوى اللون الأبيض ومن الطبقة الوسطى وديانتهم البروتستانتية (WASB) .

وهى معايير تنطبق على الآريبى[2] تلك هى سمات التفوق التى تبنتها العنصرية(**) الأوربية التى هاجرت إلى بلاد العالم الجديد وكانت من بينها جنوب

---

(١) أحمد إبراهيم خضر : علم الاجتماع بعد مرور مائة عام (٢)، كلام عامى وبطانة غامضة، الأهرام، السبت ١٧ أغسطس ٢٠٠٢، ص١٢ .

(*) اشترك كاتب هذا العمل فى عضوية اللجنة الدائمة لترقيات أساتذة علم الاجتماع والأنثروبولوجيا – وليس فى الجغرافيا – فى الجامعات المصرية منذ ١٩٩٨ (أى أخيرا والحمد لله) وحتى الآن و(وقريبا سيترك – ولله الحمد)، فرأى وعاصر (وإن لم يشارك – فلاقى الكثير) فى المطبخ، وما أدراك ماهو .

(٢) كيفاس، دانييل : "من تحت معطف اليوجينيا : السياسة التاريخية للطاقم الوراثى البشرى فى : كيفلس، دانييل؛ هو، ليروى (محرران) : الجينوم البشرى؛ القضايا العلمية والاجتماعية ترجمة أحمد مستجير. القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٢، ص ١٩ .

(**) ظهرت فكرة العنصرية بعد إنشاء معهد الأنثروبولوجيا والوراثة البشرية واليوجينيا عام ١٩٢٧ فى برلين حيث قدمت اليوجينيا (البحوث والدراسات التى تهدف إلى تحسين جنس الإنسان عن طريق معالجة وراثته البيولوجية) بحوثا كثيرة (المصدر السابق، ص١٤) .

أفريقيا واستراليا ونيوزيلاند والولايات الشمالية الشرقية من الولايات المتحدة الأمريكية.

ولهذا تتركز أهمية معرفة نمط الحياة المزاولة والأخرى المأمولة، فى السعى إلى تغيير السلوك الفردى فالمجتمعى ثم الاجتماعى، ذلك الذى يتضمن كل الأنساق، فإنه إذا تم ذلك ولو حتى بدء فيه، وظهرت تباشير تأثيراته، ستتغير أنماط الحياة إلى الأفضل حيث ستظهر الممارسة الديمقراطية السليمة وسيرتفع مستوى المعيشة عن حد الكفاف وستظهر فوائض المال والوقت والجهد فتتدعم الحضارة وتعود وتستقر ويطمئن الجميع على الغد ولا يهجرون أوطانهم، حيث سيزداد الانتماء ويعم الرخاء وينعدم العنف والإرهاب.

الترابط بين البيئة وحياة الناس

هناك علاقة وطيدة وتفاعل كامل ودائم بين البيئة وبين جميع الكائنات الحية، ومن بينها الناس فرادى وجماعات فى كل العصور والآماد، هذا وللبيئات أنماط وأنواع عدة، تبعا وبسبب اختلاف وتباين المواقع Situations (بالنسبة للبيئات والإقاليم الكبرى Macro)، والمواضع Sites (بالنسبة للبيئات الصغرى Micro) وهذا هو التصنيف الجغرافى .

أما الاجتماعيون والأنثروبولوجيون فلهم نظرة أخرى للبيئات حيث يربطون تقسيمها وتصنيفها بمدى المباشرة فى انتفاع الناس من خيراتها أو بمدى معاناتهم أثناء الحياة فيها.

أولاً : البيئات :

هذا وتتعدد أنماط البيئات (شكل ١) التى تتفق مع النظم البيئية Ecosystems وهى تلك التى أصبحت حالياً فى أغلبها بشرية أى ظهر عليها آثار وأفعال البشر ما بين الإيجابية والسلبية، وذلك من خلال الأفراد مباشرة أو

من خلال المؤسسات الاجتماعية وصورها المتباينة، وهذة التقسيمات الست المذكورة من خلال - نظرية القابلية الاجتماعية والثقافية للنماء[1].

وسوف نعرض أهم مميزات كل قسم منها مع ربطه بما يوافقه - فى رأيى- من أقاليم فلير H.J.Fleure البشرية[2] وهى التى يعرفها الجغرافيون جيداً.

١ - البيئة المرنة (السلسة) Resilient وهى التى تقابل إقليم العمل وبذل الجهد Region of Effort عند فلير وخير مثال له على النطاق الواسع الكبير Ma-gro Scop هو إقليم غرب أوربا المعروف جغرافيا، وهو بيئة النشاط، ولعل دراسة فلير المعنونة : The Making of the Future, Human Geography in Western Europe, 1918؛ كانت الأساس الجغرافى[3] الذى بنيت عليه دراسات وبحوث إيكولوجية وأنثربولوجية كثيرة.

٢ - البيئة الكريمة Benign وتقابل إقليم الغنى والوفرة Region of Increment مثل إقليمى البحر المتوسط، الموسمى، حيث الغنى الطبيعى الذى يدفع الفرد البشرى لحرية الحركة وهو مطمئن للعائد الذى سيحصل عليه سيكون مجزياً، كما أن الحياة ستكون حرة (Laissez Faire, Laissez Passer دعه يعمل دعه يمر).

ويناسب هذه البيئة نمط الحياة الفردية حيث يكون أتباعها متفائلين للغاية حول الفرص التجارية المتاحة، وذلك للأسباب وطبقاً لما سيأتى بيانه.

٣ - البيئة الزائلة Ephemeral وتقابل إقليم الجوع أو الفقر Region of Hun-ger، وذلك حيث يشعر الفرد فيها بالخوف والقلق على/ من الغد، وحيث يصبح أقل تغيير فى رتابة سير الأحداث يعد مؤشراً بحدوث إنهيار كامل،

---

(١) تومبسون ، ت. وآخران : نظرية الثقافة، ترجمة على سيد الصاوى. الكويت، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، ١٩٩٧، ص ٦٧ .

(2) Fluere, H.J. : Regions in Human Geography. Scot. Geogr. Mag., Vol.35, 1919, p.94-105.

(٣) فاروق عبد الجواد شويقة : الجغرافيا الأنثروبولوجية. القاهرة، دار الفكر العربى، ١٩٨٧، ص٢٤ .

لذا فإنه على المؤسسات المجتمعية أن تتعامل مع هذا النظام البيئى بحرص شديد ووعى كامل.

ويتفق مع هذه البيئة نمط الحياة المساواتية - كما سيأتى بيانها - ولعل أهم سماتها أنه لا ينتظر أهلها الرخاء، إذ أن هذه البيئة كثيراً ما يكون حصيلة عمل أهلها سلبية لظروف طبيعية وأحياناً بشرية عديدة.

٤ - البيئة المتقلبة Capricious وتقابل إقليم الضعف Region of Debilitation مثل المناطق الإستوائية، وهى تلك التى تظهر العشوائية فى عناصر وعوامل مكوناتها الطبيعية، مما يفرض على أهلها اليقظة والاستعداد الدائم للتعامل مع هذه المتغيرات غير المنطقية والفجائية، لذا فإنه يغلب على أهلها أن يكونوا من القدريين الذين لايتوقعون حسن أو سوء توافقهم مع هذه البيئة التى لا تكاد تستقر على حال حتى تتغير.

٥ - البيئة العنيدة Perverse وتقابل إقليم الصعوبة Region of Difficulty مثل المناطق الجبلية، تلك التى لا تتوازن فيها عناصر مكوناتها الطبيعية، لذا فإنه يجب على المؤسسة المديرة أن تضبط وأن تتحكم فى الآثار الناجمة عن الأحداث غير العادية.

وهذه البيئة العنيدة صعبة المراس، تزداد معاناة الفرد البشرى فيها إذا أخطأ فى عدم التوافق مع معطيتها الطبيعية.

٦ - البيئة المتسامحة Tolerant وتقابل إقليم الارتحال Rigion of Nomadism هذه البيئة المعطاءة إزاء معظم الأحداث ولكنها حساسة بحيث تدفع أهلها للحركة مع أقل تغير قد يحدث، حيث أن ميزان توازنها دقيق، وهذه البيئة تصبح متسامحة عن جدارة إذا سكنها واستخدم إمكاناتها الفرد البشرى الصحيح المناسب الذى يستطيع فعلاً التلاؤم مع ظروفها وأحوالها المتغيرة باستمرار.

ثانياً : أنماط حياة الناس :

تتنوع وتتشكل صور حياة الناس وذلك طبقاً لنظرية القابلية الاجتماعية الثقافية للنمو Theory of Socio-Cultural Viabilityالتى وضعها كل من :

ميشيل تومبسون	Michael Thompson
ريتشارد اليس	Richard Ellis
آرون ديلدافسكى	Rarpon Waldavsky

ونشرت عام ١٩٩٠(*) (شكل ٢).

هذا ويشتمل نمط الحياة Way of Life كلا : من العلاقات الاجتماعية Social Relations وهى أنماط العلاقات الشخصية بين الأفراد، كذا الحيزات الثقافيةCultural Biass، وهى التى تشير إلى القيم والعلاقات المشتركة[١] بين أفراد المجتمع وهى التى تصوغ تفضيلات أعضائه[٢] ونمط الحياة بذلك هى الثقافة السائدة والشائعة فى المجتمع.

والجدير بالذكر أنه غالباً ما يتبع الفرد والمجتمع أكثر من نمط واحد فى آن واحد، وقد يتحول من نمط إلى آخر، من أنماط الحياة الثقافية الخمس القابلة للنماء وللتنافس[٣]، والتى نوجز أهم صفاتها فيمايلى:-

أ - **المعتزلية (الاستقلالية)** : هى نمط الحياة التى يغلب على الأفراد فيها الانسحاب العمدى من العلاقات الاجتماعية القهرية التى تنغمس فيها أنماط الحياة الاندماجية الأربعة الأخرى بطرقها المختلفة[٤].

(*) Cultural Theory, Boulder, San Francisco وعربه على سيد الصاوى ونشرته سلسلة عالم المعرفة - ٢٢٣، يوليو ١٩٩٧

(١) المصدر المشار إليه ، ص٣١

(٢) ذات المصدر، ص ٢٥٩

(٣) نظرية الثقافة، مصدر سابق، ص ٣٠٠

(٤) نظرية الثقافية، ص٤٤

ويمارس الفرد حياته في هذا النمط، بطريقة فردية أكثر منها جماعية كأن يعمل سائق تاكسي أو حارس مبنى أو مزارع بسيط، وهو بذلك مكتفى ذاتياً حيث يستريح إلى عدم ولائه إلى غيره وهؤلاء يسعون للاندماج مع الطبيعة باعتبارها توفر خيراتها وتتيحها للجميع، لذا فغالباً ما لا يفكرون في أمور الغد كثيراً(١)، وعليه فإن جماعتهم(*) قليلة التفاعل مع سائر مجموعات الشبكة، حيث يقتنع الاعتزاليون بحد الكفاية ويكتفون بالهرب إلى الداخل، مع أنهم لا يمانعون في الحصول على الأشياء الطيبة شريطة عدم الخضوع والخنوع للغير(٢).

ويميل أصحاب هذا النهج في الحياة إلى عدم قرض أحد أو الاقتراض من أحد، حيث يكتفون بما يحصلون عليه من موارد طبيعية، فهم أشبه بمحترفي الجمع والالتقاط، وعليه فإن الاعتزالي يعد بعيداً عن كل أشكال الانخراط، هذه التي تعظم المعاملات.

والاعتزاليون يتخلصون من الماضي على نحو منتظم وذلك حتى يستقروا بأنفسهم في نمط حياتهم الاستقلالي(٣) ذا الانحياز المتميز الذي يبعد عن كل اندماج اجتماعي قهري(٤).

ب - الفردية: إحدى أنماط الحياة الراسخة (مع التدرجية)، واتباعها هم من يعولون على القدرات الكبيرة للمهارات البشرية الظاهرة والكامنة والمتنامية، التي يظهرها البشر في استخدام المواد الخام المتوافرة بكثرة ولكن لا يمكن الاستفادة منها إلا إذا توافرت مهارات بشرية متميزة(٥)، وعليه فهي تتميز بكونها جماعة ضعيفة وإن شبكة قيودها ضعيفة أيضاً(٦).

---

(١) ذات المصدر، ص٤٦ .

(*) الجماعة بمعنى خبرة الوحدة الاجتماعية المترابطة (نظرية الثقافة، ص١٧٦) .

(٢) نظرية الثقافة، ص ١٢٢ .

(3) Durkheim, Elimle :The Elementary Forms of the Religions Life. New York, Free Press, 1963, p. 423

(٤) ذات المصدر، ص٢٥٥ .

(5) Douglas, Mary : Natural Symbols. London, Barrie and Rockliff, 1970, p. VIII

(٦) نظرية الثقافة، ص ٤٢٦ .

فالأفراد ذوى القدرات والمهارات الممتازة دائما ما يحتلون مركز شبكة العلاقات وبؤرة اهتمام المجتمع حيث يعتمد نمط حياتهم على قدرة المتنافسين على الاستيلاء على فوائد المخاطر التى يتحملونها(١)، وذلك باعتبار أن المخاطرة تعد إحدى العمليات الاجتماعية(٢)، وأيضاً تعتبر فرصة، يفضل اقتناصها.

والفرديون ينسبون الفشل الشخصى إلى الحظ السئ Bad Luck، أو عدم المقدرة الشخصية أو من خليط من ذلك، وعليه فالنظام التنافسى - فى هذا النمط من الحياة - نفسه دائماً يظل خارج اللوم(٣).

ويبرع الفرديون فى اقتناص الفرص الخاصة باستغلال الموارد الخام الطبيعية ما دامت ذات قيمة(٤) اقتصادية، ويعملون على الحصول على أكبر استفادة منها، بأقل حد من المخاطر، لذا فإنهم يتميزون بأن لديهم درجة عالية من المهارات التنظيمية والثقة الكافية لعقد الصفقات(٥)، ولذلك فربما يستفيدون من التحالف مع التدريجية باستخدام التكنولوجيا المتقدمة(٦)، وبتوفير السلطة المركزية وتعزيزها حتى يمكنهما ردع الاعتداء الأجنبى(٧).

والفردية بذلك تعد أحد أنماط الحياة المتنافسة التى تمثل معها، فى التدرجية والمساواتية(٨)، إذ أن الحياة المتنافسة داخل المجتمع لا تظهر إلا من خلال أنصار نمط الحياة المرغوب، كما أنهم يرون أن التنظيم الذاتى أفضل من تنظيم السلطة لذا يسعون لتحقيق ذلك(٩).

---

(١) ذات المصدر، ص١٢٠ .

(٢) ذات المصدر، ص١٢٣ .

(٣)ذات المصدر، ص١١٩ .

(٤) ذات المصدر، ص١٢٢ .

(٥) ذات المصدر، ص١٧٣ .

(٦) ذات المصدر، ص٤٢٦ .

(٧) ذات المصدر، ص٢٦١ .

(٨) ذات المصدر، ص٣٠١ .

(٩) ذات المصدر، ص٣٤٧ .

جـ - المساواتية : إحدى الأنماط النشطة (مع الفردية - التدرجية) وهم الجماعة الذين يرون أن الفرد البشرى مستغرقاً فى دائرة حلزونية من استنزاف الموارد الطبيعية المحسوبة بدقة[1]، لذا فإنهم يهتمون بكل صغيرة وكبيرة، ومع أنهم يحتفظون بجماعتهم منقطعة الصلة بمن حولها، إلا أنهم يكتسبون قوتهم من تماسكهم الداخلى حيث يرتبط كل فرد بالآخر داخل الجماعة[2]، ولكنهم مع ذلك يرفضون السلطة لذا فإنهم يلقون اللوم فى حالة وقوع الكوارث على النظام - عكس التدرجية كما سيأتى ذكرها- لذلك فعندهم أن البقاء داخل الجماعة المساواتية أكثر أمنا من خارجها، حيث يمكن لكل فرد أن يشترك فى كل قرار[3] ولو نظرياً.

هذا ويتم التضامن إلى داخل الجماعة عن طريق تصوير القوى الخارجية على أنها وحشية تؤيد المنحرفين لتلويث داخل الجماعة[4] بهدف أحداث ميول انشقاقية فيها[5].

وينجح المساواتيون فى اقتناص الفرص والمخاطر التى قد تفوت على الآخرين، مع العمل على دفع أكبر وأكثر أضرارها بعيداً عنهم[6]، ومع ذلك فإنهم أكثر الأنماط طوباوية[7]، وبعامة يطلق على هذا النمط (المساواتية) ثقافة النقد[8] وهم بحق فى موضع وسط بين تقييد الفرد بقوة فى المجتمع فينتج نمط القدرية، وبين التقيد الضعيف للفرد فى المجتمع فينتج نمط الفردية، فالمساواتية فى موضع وسط بين كل من القدرية بسماتها وبين الفردية بسماتها[9].

---

(١) نظرية الثقافة، ص٤٦ .

(٢) ذات المصدر، ص٤٨ .

(٣) ذات المصدر، ص٣٣ .

(٤) ذات المصدر، ص١١٨-١١٩ .

(٥) ذات المصدر، ص ١٢٤ .

(٦) ذات المصدر، ص ١٢٥ .

(٧) ذات المصدر، ص١٧٥ .

(٨) ذات المصدر، ص١٤٩ .

(9) Durkheim, Emile : Sucide, A Study in Sociology. New York, Free Press, 1951, p. 258.

ولما كان المساواتيون يطلبون المساواة فى علاقات القوة[١] فى المجتمع فإنهم يطلبون أيضاً توازن البيئة التى يعيشون فيها، ولكنهم لا يطلبون لها -فى ذات الوقت- إلا التنمية الممكنة المرغوبة فقط[٢]، وذلك من خلال الجماعة التى يرتبطون بها بقوة.

وتزدهر فى ظل هذه الثقافة المساواتية قيادة الزعامة الملهمة (الكاريزما)، ويتميز هذا النمط من الحياة بخفة القيود التى تفرز علاقات اجتماعية تقوم على المساواة بين أطرافها رغم أنه يزدهر فيها نمط قيادة الزعامة محل القانون كمصدر للسلطة؛ حيث أن المساواتين هم الذين يتوافر لديهم الحافز لإسباغ قدرات خارقة على الزعماء[٣].

هذا ويرى المساواتيون أن الطبيعة دائماً هشة ضعيفة[٤] أمام فعل وعمل الجهد البشرى وهو الذى يزداد أثره بطبيعة الحال بمرور الوقت مع ما يصاحبه من تقدم تكنولوجى.

د- القدرية: هم الراضون الذين يرون ثروات وفيرة حولهم، وهم من ينتظرون الفرص المتاحة، التى قد يمنحها عالم الوفرة أحياناً، لذا لا يرون لأفعالهم أهمية كبيرة، ونظراً لاعتمادهم على الغيبيات - ربما أكثر - من الواقعية فإنهم لا يشغلون إلا حواشى وأطراف شبكة المجتمع وعلاقاته.

والقدريون لا يلومون وأيضاً لا يثقون فى الفرد؛ حيث أن الأحداث لا تخضع لسيطرته، إذ أن العالم يفعل لنا أحداثاً سارة أحياناً، وأيضاً قد يحدث لنا أفعالاً غير سارة، ونحن فى الحالتين لا نستطيع تفهم ما وراء ذلك[٥].

---

(١) نظرية الثقافة، ص ٢٥٤ .

(٢) ذات المصدر، ص ٢٦٣ .

(٣) ذات المصدر، ص٣٦٩ .

(٤) ذات المصدر، ص٤١٦ .

(٥) نظرية الثقافة، ص١١٩ .

وعلى خلاف المساواتى، ليس للقدرى جماعة يعمل على المحافظة على تماسكها فهو ليس فى حاجة إلى البحث عن أعداء خارجيين، وبدلاً من ذلك ينثر اللوم على القدر (الحظ) ذلك الكيان الهلامى غير المحدد[(١)].

ويتخذ القدرى السلبية الشديدة وسيلة للتكيف مع المخاطر التى قد تنزل به؛ متخذاً من مبدأ : "ما لا تعرفه لا يؤذيك" شعاراً له، وهذا يجعله لا يشعر بالقلق حيال الأشياء التى يعتقد أنه لا يستطيع شيئاً إزاءها[(٢)]. ورغم أن عالم القدرية عالم وفرة، إلا أن الحظ والصدفة، قل القدر وليس الجهد والعمل والمهارة هو الذى يحكمه، وكما يقول بانفيلد[(٣)]:"حينما يعتمد الجميع على الحظ أو التدخل الإلهى يتلاشى الفعل الجماعى، حتى ولو كانت الجماعة -مثل الفرد- تصلى وتدعو من أجل تحقيق شئ معين إلا أنها من غير المحتمل أن تصنع مصيرها بيديها".

ويعتبر نمط الحياة القدرى داعماً لذاته على النحو التالى :- لا فعالية .. لا فعل جماعى.. لا تجميع للموارد .. لا نمو اقتصادى.. ثم يصل إلى : لا ثقة.. لا تعاون.. لا ديمقراطية.. بل يأس ولا مبالاة وعليه فإن هذا النمط القدرى يترك أنصاره معرضين لتأثير البيئة والناس؛ أى بتركهم مكشوفين؛ فى مهب الريح.

وبعامة فإن القدريون هم الصابرون الذين سوف يرثون الأرض بل ولهم ملكوت السموات، لذا فليس غريباً أن يطلق عليهم أصحاب ثقافة الفقر، مع أنهم قد تعلموا أن لا يريدون إلا ما يستطيعون الفوز به[(٤)].

هـ - التدرجية: إحدى أنماط الحياة الراسخة (مع الفردية) ، وأتباعها هم من يعتمدون على التخطيط لوضع إطار عمل من أجل تنمية وتوزيع الموارد، لذا فإن اتباع التدرجية يرون أن المرء يجب أن يكون متماثلاً مع المحيط

---

(١) ذات المكان .

(٢) ذات المصدر، ص ١٢٤-١٢٥ .

(3) Banfield, Edward C. : The Moral Basis of a Backward Society. New York, Free Press, 1958, p.109

(4) Elster, Jon : Making Sense of Marx. Cambridge, Cambridge Univ. Press, 1985, p.20-27.

الاجتماعى[١]، وعليه فإن النجاح فى الحياة يتأتى من قيام كلٌ بدوره الصحيح وبالمنهج الصحيح وفى المكان الصحيح وفى الزمان الصحيح.

ويعتقد التدرجيون فى هيراركية البنية البيروقراطية المختلفة فى ذلك عن البنية الفردية للسوق، كما أنهم يزيدون من تفاعلاتهم بربط أنفسهم بالجماعات الأخرى[٢] أى أن ارتباطاتهم خارجية، بينما ارتباطاتهم الداخلية محدودة بل ومنضبطة بشدة، لذا فإن لهم من الأساليب الفنية ما يوزعون بها التهم ويسقطون اللوم على المنحرفين وليس على النظام؛ الذى هم جزء أساسى فيه، حيث أن النظام هو الكيان الذى يربط الفرد والتدرجية الهرمية[٣] فى رباط وكيان واحد هى الحياة الراسخة.

هذا ولايُهاب التدرجيون قبول المخاطر المحسوبة وذلك ما دام إتخاذ القرار لا يقدره إلا الخبراء (وليس أهل الثقة) لذا فإنهم يطبعون الكافة على احترام السلطة وعدم الخروج عليها، خاصة وأن سلطة الدولة فى هذا النمط من الحياة مقيدة[٤].

وتقدر الثقافة التدرجية نمط الأداء البارع فى الأعمال الحياتية، وكذا قيمة التضحية بالذات الأصغر لتحقيق الذات الأعظم، فالتدرجية ليست فى بناء السلطة فقط[٥] بل وفى المكانة الاجتماعية أيضاً، فهى جماعة قوية رغم أن شبكة قيودها ضعيفة[٦].

وتتفق التدرجية مع الثقافة السياسية التقليدية التى قسم إليها دانيال الازار[٧] التنوع الثقافى (مع : الفردية - الأخلاقية) فى كل ولاية من الولايات

(١) نظرية الثقافة، ص٤٦ .

(٢) نظرية الثقافة، ص٤٨ .

(٣) ذات المصدر، ص١١٨ .

(4) Elster, Jon : Op. Cit. p.413.

(5) Pye, Lucian W.: The Mandarin and the Cadre; China's Political Cultures . Ann Arbor, Univ. of Michigan Press,1988, p.58-59.

(٦) نظرية الثقافة، ص ٤٢٦ .

(7) Elazar, Daniel J. : American Federalism; a View form the States. New York, Crowell, 1966, p.99

المتحدة الأمريكية حيث غلب ثقافة من الثلاثة فى كل ولاية منها، وحيث جعلها ثقافة فرعية، حيث يقول أن ذلك يسمح بوجود مجتمع تدرجى حقيقى لأنه جزء من الطبيعة المنظمة للأشياء، كما يتوقع من النخبة الاجتماعية أن يمارسوا دوراً متميزاً ومهيمنا فى الحكومة.

ويستطيع التدرجيون تبرير فصل الأفراد فى مستويات ومواقع متدرجة[1] ولعل الثقافة المدنية البريطانية الخضوعية: هى خير مثال لنمط الحياة أو للثقافة التدرجية المدنية[2].

جدول : (١) يرشد إلى آثار الترابط بين أنماط بعض البيئات وصور حياة الناس على اختلاف الزمكان (راجع المتن)

أنماط البيئات / أشكال حياة الناس	(١) الغنية (الكريمة)	(٢) الجوع والفقر (الزائلة)	(٣) الضعف (المتقلبة)	(٤) الارتحال (المتسامحة)	(٥) العمل والاجتهاد (المرنة)	(٦) الصعوبة الدائمة (العنيدة)
أ-المعتزلة	أ/١	أ/٢	أ/٣	أ/٤	أ/٥	أ/٦
ب-الفردية	ب/١	ب/٢	ب/٣	ب/٤	ب/٥	ب/٦
ج- المساواتية	جـ/١	جـ/٢	جـ/٣	جـ/٤	جـ/٥	جـ/٦
د- القدرية	د/١	د/٢	د/٣	د/٤	د/٥	د/٦
هـ - التدرجية	هـ/١	هـ/٢	هـ/٣	هـ/٤	هـ/٥	هـ/٦

هذا وتترابط أنماط البيئات مع صور حياة الناس بحدة وباستمرار (جدول ١) بحيث يصبح أمامنا عدد ثلاثين نموذجاً، وهى حالات يمكن تصورها نظرياً وإمبيريقيا من واقع العرض العام لتفاصيل الأنماط الست للبيئات المختلفة (١-٦) مع ربطها بالأشكال الخمس لحياة الناس (أ -هـ)، ثم تطبيق ذلك على بعض المجتمعات (الدول) المختارة من القارة الأفريقية.

---

(١) نظرية الثقافة، مصدر سابق، ص ٤١٣ .

(٢) ذات المصدر، ص ٤٠٣ .

والحقيقة أنه مع التقدم التكنولوجى الهائل الذى يحيا فيه البشر حالياً فى كل أركان المعمورة، فإنه لا مجال للدفاع عن فكرنا بأنه بعيد عن الحتم البيئى، ذلك الذى أصبح الفرد البشرى وتنظيماته الاجتماعية والمجتمعية المختلفة تتحكم فى تشكيل أوجه وصور حياته المتباينة فى كل زمان ومكان.

كل ذلك بهدف خلق توافق وانسجام - قدر المستطاع - بين الموارد المتاحة وبين الاحتياجاتُ الحياتية، فهذه المعادلة بصورها المتعددة هى التى تتحكم فى اقتصاد وسياسة الجميع أفراداً ومجتمعات، ومنها وعنها تخرج كل صور الحياة الممكنة والمحتملة، وهى تلك التى يلاحظ عليها التباين داخل المجتمعات (الدول) أكثر منها بين المجتمعات أى بين الدول بعضها وبعض، كما سيلاحظ ذلك بكثرة فى المجتمعات الأفريقية المختارة محل هذه الدراسة وكلها من المجتمعات النامية.

هذا والملاحظ أن البيئة الجديدة البكر (إن وجدت الآن فى عالم اليوم شديد الاختلاط والتغير) يصعب التنبؤ بأحداثها إذ أن كائناتها الحية كلها تقريباً تتصف بالانتهازية حيث تعتمد فى الحياة على غيرها؛ فهى إذن طفيلية السمات (وقد أطلق عليها رمز .R) وهى فى حياتها وتغيرها وتطورها تسعى للوصول إلى مجتمع القمة شديد النضج مورفولوجيا وفسيولوجيا (وقد رمز له K) فهذا التحول المنشود والإمبريقى هو الحادث باستمرار فى كل البيئات ولكن على درجات متفاوتة ومتباينة من السرعة والدقة والاتقان.

فأصحاب النمط التقليدى R يفتقدون التخصص ولكن انتهازيتهم مدفوعة بمعدل نموهم السريع، حيث تتجه استراتيجيتهم إلى التغير السريع من خلال التجربة والخطأ، وحيث يصبغون شكل بيئتهم حتى تصبح أكثر ملاءمة لأصحاب الاستراتيجية K (القمة) وهى تلك التى تتميز بالتخصص المتزايد وبمعدل النمو المنخفض، فتصبح بيئتهم أكثر إنتظاماً وأكثر اتساقاً وأكثر اعتماداً على التبادل والتعاون المشترك.

هذه الفكرة تتواجد بصورها السريعة والبطيئة والمفاجئة فى عالم الجمادات وعالم الإحياء على حد سواء، بل أنها تصدق على النظم والأنساق البشرية أيضاً وفى كل الأمكنة والأزمنة على حد سواء، أى أن كل أنماط البيئات وكل أشكال وصور الحياة تمر بها ولا فكاك ولا مهرب من ذلك، حيث أن الوجود كله (الماكرو- الميكرو) فى تفكك دائم ثم فى إعادة بناء مستمر(*)؛ وهكذا إلى أن يأذن الله بغير ذلك.

تطبيقات مختارة أفريقية

تظهر فى المجتمعات (الدول) الأفريقية - شأنها شأن كل دول ومجتمعات العالم المختلفة الأخرى - خليط وتعدد من كل الطوائف والجماعات ومن قبل ذلك السلالات، لذلك ليس غريباً أن يوجد التباين والتعددية فى المجتمع الواحد فى ذات الآن، ويتجلى هذا فى أنماط حياة كثيرة من التى سبق ذكرها وأكثر.

ولاشك أن الفكر الوظيفى والبنائى (الفسيولوجى والمورفولوجى) كان وما زال - له دور فى مجالى البيئة والانثروبولوجيا من خلال البحوث والدراسات الجغرافية والاجتماعية ؛ اتفق على ذلك الجميع تقريباً مع تباين فى التركيز على إحداها عند باحث أو آخر، فبينما اهتم مالينوفسكى بالاتجاه النفسى - العضوى للوظيفية، نجد رادكليف بروان يركز على الاتجاه الاجتماعى للوظيفية، وهكذا يتكامل فكر الجميع لإعطاء صورة عن نمط الحياة السائد على المستوى العام (الكبير Macro) أو الخاص (الصغير Micro) كما سبق القول، ويشترك الكل فى نماء واستمرارية نمط أو أنماط الحياة (الثقافة أو الثقافات) التى يتخيرها الفرد أو المجتمع فى فترة زمانية معينة.

والجدير بالذكر أن التباين بين أنماط الحياة (الثقافات) يتركز أساساً بين المجتمعات الكبيرة أى بين الدول القومية رغم وجود العديد من التنوع الثقافى

(*) هذا الدرس تعلمناه من العلوم الفلكية .

داخل الأمم والدول وهى غالباً أكبر عدداً أو أكثراً تبايناً[1]، ويتجلى ذلك بوضوح وينعكس على مستوى المعيشة وأنماط الحياة اليومية.

والقارة الأفريقية هى القارة الوحيدة التى تقسم أرضها مناصفة بين نصفى الكرة الأرضية[2]، فهى بهذا الوضع الجغرافى (والأنثروبولوجى) كانت صالحة لتكون بيئة بحث وتجارب علمية عديدة ليس أقلها البعثة التى قادها آرثر إدنجتون(*) عام ١٩١٩ إلى جنوب أفريقيا لإثبات صحة نظرية النسبية العامة حيث رصد إنحناء شعاع الضوء بفعل الجاذبية، وكذا شهدت أفريقيا تحرك أعرق سلالاتها (الكيبوانيون) Capoids من أواسط الصحراء الكبرى إلى أقصى جنوبها[3] بل ما زالت تشهد أرضها وناسها الكثير من الأحداث السياسية نتيجة الصراعات التى تغذيها قوى خارجية عديد تعمل على إشاعة الفساد والأفساد(**) فيها.

وتكثر فى القارة الأفريقية دولا (ومجتمعات) متعددة الأعراق (الإثنيات) وذلك بحكم تعدد الأعراق والإثنيات فى هذه القارة، لدرجة كبيرة حيث تربو عدد قبائلها على الألف قبيلة وعدد اللغات التى يتحدث بها سكان هذه القارة ثمانمئة لغة ولهجة[4].

ولقد شهدت القارة الأفريقية بعد الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥) كثير من الحركات القومية أشبه بتلك التى شهدتها القارة الأوربية بعد الحرب

---

(1) Dogan, Mattei (ed.) : Comparing Pluralist Democracies. Boulder, Westview Press, 1988, p.2-3 .

(٢) فاروق عبد الجواد شويقة : أفريقيا وحوض النيل. ط٢، أ٢ . القاهرة، دار روتابرنت، ١٩٨٦، ص ١-٣ .

(*) أستاذ كرسى بلوم للفلك والفلسفة التجريبية فى جامعة كامبردج. والسكرتير الأكاديمى للجمعية الفلكية الملكية البريطانية ومدير مرصد كامبردج في العقد الثانى من القرن الماضى (العشرين).

(٣) فاروق عبد الجواد شويقة : المجموعة الكيبوانيـة الأفريقية. مجلة الدراسات الأفريقية . ع٦، ١٩٧٧، ص ١١١-٢٠٨ .

(**) حيث نجد نيجيريا أولى دول العالم فسادا، ولا ينافسها إلا أذربيجان (لاحظ أنهما دولا نفطية غنية جدا ومسلمة ! يا للحسرة !) .

(٤) فاروق عبد الجواد شويقة : أفريقيا، مصدر سابق، ص ١١٠

العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨) وهى تلك التى كانت إرهاصاتها تبدو للعيان فى البلقان تلك البيئة الفسيسفائية[1] أنثروبولوجيا وجغرافيا، وهناك كثير من مناطق أفريقيا وبعض أقطارها (رواندا - بوروندى - تشاد - نيجيريا - السودان... الخ) قد شهدت العديد من جرائم الحرب والعدوان وهى التى تخضع لإجراءات المحكمة الجنائية الدولية[*]. ويبدو أن ذلك كان نتيجة تشجيع حكومات دول العالم الغربى المتقدمة لكثير من الجماعات والنظم الأفريقية على الدخول فى صراعات وحروب داخلية وخارجية عديدة، وذلك بهدف بيع وتجربة الكثير والحديث من الأسلحة والذخائر، وأيضاً كى تحصل على ثروات وخيرات القارة بطرق وأساليب سهلة وبأسعار زهيدة بخسة حيث أن المضطر يركب الصعب.

حدث هذا فى كل دول ومجتمعات القارة السوداء سواء شمال أو جنوب الصحراء، (جدول ١)، وحدث هذا أيضا منذ بداية استغلال دولها وحتى اليوم ويبدو أن هذا سيستمر أيضاً فى المستقبل.

---

(1) Wilkinson, H.R. : Maps and Politics; A. Review of the Ethnographic Cartographic of Macedonia. Liveropool, Univ. Press, 1951, p.163.

(*) وقعت اتفاقية إنشائها فى روما بتاريخ ٧ من يونيو سنة ١٩٩٨ .

جدول ٢ - توزيع قوى العمل من الجنسين على بعض الحروف (أنماط الحياة المعيشية) فى بلدان مختارة من القارة الإفريقية

المجتمع	جملة قوة العمل من الجنسين (عشر سنوات فأكثر بالألف)	عدد المشتغلين من الجنسين من قوة العمل على الحرف (بالألف)											
		الزراعة والصيد والرعى	التعدين	الصناعة	البناء والتشييد	كهرباء طاقة مياه	التجارة	المواصلات والتخزين	الخدمات المالية	الخدمات الاجتماعية	خدمات أخرى	غير محدد	عاطلين
اليوبيا (*)p.459	٢٤٣٩٦ (١٩٩٥)	٢١٦٠٥,٣	١٦,٥	٣٨٥	٦١,٢	١٧,١	٩٣٥,٩	١٠٣,٢	١٩,٥	١٢٥٢,٢			
بوركينا فاسو (**)p.230	٤٦٧٩ (١٩٩١)	٤٢٩٤	٢,٥٩	٥١,٦٩	١١,٠٢	٣,٨٤	١٢٠,٣١	١٥,٠٤١	٢,٠٨	١١١,٥٦			٤٩,٨٢
تنزانيا (*)p.1098	٥٧٤٧,١ (١٩٦٧)	٥٢١٦,٥	٥,٠٢	٩٨,٨٦	٣٣,٠١	٥,٨٦	٧٨,٨٠	٤٦,٨٣			٢٠٨,٥	٥٣,٧	
الجزائر (***)p.333	(٦-فأكثر) ٥٣٤١,١ (١٩٨٧)	٧٢٤,٧	٦٧,٨١	٥١٢,١	٦٨٩,٥٩	٤١,٨	٣٩١	٢١٦,٣٤	١٤٣,١٨			٢٣٣	(١٦-٦٤ سنة) ١١٤,٣
جنوب أفريقيا (*)p.104	(١٥- فأكثر) ١٤٣٥٦ (١٩٩٥)	١٢٩٥	٤٧١	١٥٢٦	٤٨٣	٩٥	١٧٦٩	٥٢٠	٦٥٤	٣١٣٧		٢٠١	٤٢٠٤
السودان (*)p.1057	(١٠ - فأكثر) ٦٣٤٣,١ (١٩٨٣)	٤٠٢٨,٧	٦,٥	٢٦٦,٧	١٣٩,٣	٤٣,٧	٢٩٤,١	٢١٥,٥	٢٠,٦	٥٥٠,٤			٥٩٢,٨
زمبابوى (*)p.1197	(١٥-فأكثر) ٤٣٠٦,٨ (١٩٩٤)	٢٨٠٤,٨	٦٨,٨	٢٢١	٨٦	١٣,٨	١٣٠,٢	٧٨,٦	٣٢,١	٦٤٤,٥		١١,٥	٢١٥,٥
ليبيا (***)p.857	الليبيون ١٠٩٢,١ غير ٣١,٩ (١٩٩٦)	٢١٩,٥	٣١	١٢٨,٥	١٧١	٣٥,٥	٧٣	١٠٤	٢٢		٤٣٩,٥		
مصر (***)p.449	(١٢-٦٤ سنة) ١٧٢٦١,٢ (١٩٩٥)	٥٢١٥,٦	٤٠,٧	٢١٨٣,٥	٩٦٧,٦	١٦٦,٨	١٥٨٧,٧	٩٠٧,٦	٢٨٢,٧	٣٩٩٠,٨		١,٢	١٩١٧
نيجيريا (*)p.840	(١٤-فأكثر) ٣٠٧٦٥,٥ (١٩٨٦)	١٣٢٥٩	٦,٨	١٢٦٣,٧	٥٤٥,٦	١٣٠,٤	٧٤١٧,٤	١١١١,٩	١٢٠,١	٤٩٠٢,١		٣٤٤,٩	١٢٦٣,٦

(*) Africa South of the Sahara 2000. 29ed. London, Europe Publication

(**) كانت تسمى من قبل فولتا العليا بإعتبارها تشغل أعالى حوض نهر الفولتا فى غرب أفريقيا ، ولكن تغير الاسم (١٩٩٠) إلى بوركينا (وتعنى الشرفاء بلغة قبائل الموسى) و فاسو (وتعنى أرض بلغة قبائل الماندنجو) .

(***) The Middle East and North Africaa 2000. 46ed . London, Europa Publication

مصـر:

أمـا مـصـر فـهى أقـدم وأعـرق مـجـتـمع مـركـزى عـرفـه الـتـاريخ حيث فـرضت خصـوصيـة البيـئـة الطبيعـيـة المكونة من أرض زراعـيـة (الوادى والدلتـا) محاصـرة بالصحراء والمنـاخ القـاسى شـديد الجفـاف والحرارة، مما أدى إلى الحـاجة إلى سلطة مـجـتـمـعيـة تنظم الحيـاة اليـومـيـة للمـجـتـمـع والأفـراد ، خـاصـة تنسـيق توافـر المياه اللازمـة للزراعـة تأمـينـاً لاسـتـمـرار حيـاة المجـتـمع والأمـة ومـسـتـقـبلهـا ، فـكل هذة الأحوال الطبيعية فرضت على حياة الناس نمط حياة معروف.

وتكونت القـومـيـة المصـرية؛ هذه السـبيـكة السـلالـيـة والأنثـروبولوجـيـة الفـريدة على مدى أكـثـر من سـتـة آلاف سنة مما يجعلهـا أعـرق الحضـارات الأفـريقـيـة؛ هذه القارة التى شهدت بداية ظهور وتطور البشرية والإنسانية[1] على كوكب الأرض.

هذه هى الظروف الموضـوعـيـة - باخـتـصـار شـديد - التى عـملت عـلى تكوين مصـر الجيـوتـاريخى الأنثـروبولوجى، بل أكـاد أجـزم أن هذا هو قـدرها المسـتـقـبلى خاصـة إذا أدخلنا ظروف الموضع Site وقـصـوره عن اسـتـيـفـائه بمتطلبـات السكان الأسـاسـيـة (القـمـح) والتـرفـيـهـيـة (التـكنولوجـيـة)، وكـذا ظروف الموقع Situation التى تجـذب الطـامـعين من أصـحاب القـوى العـالمـيـة طلبـا لإحكام السـيطرة عليـهـا حيث أنهـا ومـا يحـيط بهـا من جـيـران أقـربين يمثلوا بؤرة ومـركـز العـالـم (نـظـريـة ماكيندر ١٩٠٤ .Mackinder, H ، ونظرية سبكمان ١٩٤٤ .Spykman, N) .

هذا وقد بلغ عدد سكان مصر (يناير ٢٠٠٢) ٦٧ مليون و٨٨٠ الف نسمة[2].

ولعل فـى الإحـصـاءات التـاليـة (نشـرهـا الجـهـاز المركـزى للتـعـبـئـة العـامـة والإحصاء) مـا يوضـح كثـيـر من الأمور ذات الدلالة فى هذا السـيـاق محل العـرض (جدول ٢) .

(١) فاروق عبد الجواد شويقة : أفريقيا وحوض النيل. ط٢ أ. القاهرة، دار روتابرنت ١٩٨٦، ص٧٧ .
(٢) إيهاب علوى : المعلومات متاحة للجميع. الأهرام ، الثلاثاء ٢٠ من أغسطس سنة ٢٠٠٢، ص١٧ .

جدول ٢ - بعض البيانات الإحصائية الديموجرافية (مصر) (١)

إجمالى عدد السكان (مليون نسمة)٢٠٠٢	٦٥،٩٦	منهم إناث	٣٢،٢	ومنهم ذكور	٣٣،٧٦
إجمالى عدد السكان (مليون نسمة) ١٩٩٧	٥٩،٤٤	منهم إناث	٢٩،٠٦٠	ومنهم ذكور	٣٠،٣٨
توزيع نفقات الأسرة المصرية	الغذاء	المسكن	الانتقالات والاتصالات	السجاير	الأثاث
٪	٣٨،٨	١٣،٨٢	٧،٦٢	٢،٢٨٢	٢،٧٧

ويغلب على نمط الحياة فى مصر : العشوائية حيث أن الاستهلاك يسبق الدخل، وحيث يكثر الكلام ويقل الفعل والعمل، وحيث يتحول نمط السكن والتعليم والاستشفاء من النظام والنظافة والتنظيم تدريجياً إلى الفوضى والعبث واللامبالاة، لماذا وكيف يعالج الأمر؟ باختصار شديد يتركز العلاج فى خلق الانتماء وحب الوطن وفى خلق الوقاية المجتمعية وفى تطبيق الثواب والعقاب العادل السريع.

ورغم ما يبدو من ضغوط التهديد بتقليل المعونات الأمريكية السنوية أو حتى إيقافها فإن مصر مازالت تواجه المواقف التى تثار من وقت إلى آخر بحكمة وسياسة واعية أمينة مشهوراً ومشهوداً عنها، مما يجعلنى مطمئناً للمستقبل، حتى وأن سجى الليل أحياناً وطال، لذا يجب أن يعتمد المجتمع المصرى على نفسه، حيث يمكن بالتنظيم المخلص البناء والتنفيذ الأمين لتخطى كل العقبات، ولنبدأ أولاً بالعقبة الاقتصادية مع العقبة الديموجرافية فهما مترابطتان أشد الارتباط.

ولما كان الاقتصاد العالمى يقوم حالياً على سوق عالمية واحدة، حيث يتجه الإنتاج فى هذه السوق للتصدير أساساً وليس للاستهلاك المحلى، أى أن كل الإنتاج يكون معداً للتصدير من حيث الجودة والسعر والقابلية للمنافسة فى عالم أصبح مفتوحاً بعد اتفاقيات الجات.

---

(١) الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء : الأهرام، الثلاثاء، ٩ يوليو ٢٠٠٢، ص٢ .

فهل المنتجات في مصر مستعدة لذلك، إننا إذا أدخلنا مميزات الموضع (البيئة) وهو المسئول - مع أفراد المجتمع - عن المنتجات الاقتصادية من سلع وخدمات ومعلومات، إذا أدخلنا الموضع فى متصل مع الموقع وهو ذلك العطاء الجغرافى المركز فى كونه حلقة الصلة والوصل بين أماكن محيطة تحتاج للعبور والمرور، فهذا المتصل "الموضقع / الموقضع" يعطى مستوى القوة الاقتصادية / السياسية لمصر (و/ أو غيرها) وما أظن أى دولة / مجتمع إلا ويكافح فى سبيل زيادة قيمة هذا المتصل بإستمرار دائماً فى زمن السلم والحرب على السواء.

السودان :

يمثل سودان وادى النيل كبرى وأغنى الوحدات السياسية الأفريقية فى حالة حسن التدبير والتنفيذ، ولكنه تعرض مثله مثل غيره من الدول الأفريقية إلى الإستغلال بعد الإستقلال، فكان ماكان من مشكلة الجنوب التى مازالت تستنزف خيرات البيئة وتحطم الحياة اليومية لكل أبناء البلاد فى الجنوب والشمال والشرق والغرب والوسط بل وفى المهجر.

وخيراً فعلت دول الجوار من مصر وليبيا وأثيوبيا وكينيا وأوغندا بل ودول الصداقة (ولا أقول أصحاب الصدقة) السعودية والاتحاد الأوربى والولايات المتحدة الامريكية وغيرها، تلك التى تقدم المعونة والمشورة لحل هذه المعضلة التى آذت المجتمع السودانى من الأعماق وهددت مستقبله الأنثروبولوجى (شكل ٣).

ولعله من أوجب الواجب على أبناء وسياسي السودان وعلى محبيه، ثم على حكومة السودان : العمل التطبيقى الأمبريقى لحل المشكلة ثم الانتقال للانطلاق لتنمية البلاد بكل أقاليمها وليشترك الجميع (جميع القبائل والثقافات والأديان) فى تقاسم الحقوق والواجبات بالعدل والقسطاس.

وليكن تقدير دانفورث[1]، أو أفكار ميلاد حنا[2]، أو تناوات السيد فليفل[3] أو غير ذلك من مشروعات، أو لتكن كلها جميعاً أمام السياسيين ورجال السلطة الحالية والمستقبلة أمثال الفريق البشير والدكتور قرنق والسيد الصادق المهدى وغيرهم حتى يعملوا على تطبيق المناسب منها فى الوقت والمكان الملائم متوخين مصلحة وحدة السودان (الأرض والناس) وتنميتها.

شرق القارة :

تكثر وتنتشر فى الصومال وحتى شمال كينيا شبه الصحراء، حيث لا تتعدى الحياة النباتية الحشائش وإذا ظهرت الأشجار تكـ ون قصيرة وجافة ومتناثرة، لذا تعتمد الحياة البشرية على الرعى وما يتصل بها من تجارة داخلية وخارجية.

فمنطقة القرن الأفريقى خاصة الصومال شهدت منذ الانقلاب الذى أطاح بالرئيس سياد برى عام ١٩٩٥ تحللا للسلطة بحيث أصبحت البلاد مجتمعا بلا دولة stateless society حيث عاد القهقهرى؟! مما أمكن لتنظيم القاعدة – كما يقال – أن يجد له مرتعا خصبا فيه أشبه بأفغانستان، وأخيراً بعد طول تجاهل من عالم العولمة عالم الغرب، وجهت الولايات المتحدة الأمريكية، أنظار المنظمة العالمية

---

(١) جون دانفورث سيناتور أمريكى بعثه الرئيس بوش (الإبن) لدراسة مشكلة جنوب السودان حيث قدم تقريراً بتاريخ ٢٦ أبريل ٢٠٠٢ ناقشته لجنه العلاقات الدولية بمجلس النواب الأمريكى فى ٥ يونيو ٢٠٠٢، وكان هذا بداية لسلسلة اجتماعات ماشاكوس فى كينيا وذلك فرضا للسلام فى عصرنا هذا الذى هو عصر السلام الأمريكى Paxa Americana .

(٢) ميلاد حنا مفكر قبطى (=مصرى) مهتم بالسودان وله اجتهادات وتوصيات قيمة نشرت فى جريدة الأهرام القاهرية على حلقات معظمها يوم الثلاثاء خاصة منذ عام ألفين وحتى اليوم ، وله اجتهادت قيمة عن مساهمة المسيحيين العرب فى الترابط الثقافى بين الشرق والغرب خصوصاً بعد أحداث ١١ سبتمبر عام ٢٠٠١ فى الولايات المتحدة الأمريكية.

(٣) السيد على أحمد فليفل أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر وعميد معهد البحوث والدراسات الأفريقية جامعة القاهرة (١٩٩٩-   ) وهو مهتم بالشأن السودانى حيث عمل على استضافة السيد الصادق المهدى لإلقاء محاضرات متعددة، ثم بعقد حلقات نقاش وندوات علمية نظمها المعهد أو أحد أقسامه حيث كان آخرها ندوة قسم التاريخ "مستقبل السودان فى ضوء التغيرات الأخيرة" والتى انعقدت يومى الثلاثاء والأربعاء ٢٤-٢٥ من ديسمبر ٢٠٠٢، والتى اشترك فيها ٢٣ باحث ومحاضر بأوراق عمل متخصصة.

للهجرة IMO نحو إعداد بعض الأسر والجماعات الصومالية للهجرة للولايات المتحدة (نحو أحد عشر ألف نسمة) قبل أن تؤدب الباقين فى الوطن الصومالى كما جرى فى أفغانستان تمهيداً لتكوين سلطة حليفة وعميلة يطمئن لها الغرب، كما هو حادث وجارى فى سائر الأقطار المارقة - من وجهة نظرها - فى عالم اليوم.

والغريب أن كينيا - رغم غناها الطبيعى - مدرجة حالياً ضمن الدول المتداعية أو الآيلة للسقوط فى أفريقيا نتيجة فشلها فى تطبيق شروط الإصلاح الاقتصادى التى يفرضها صندوق النقد والبنك الدوليين؛ مما تسبب فى انخفاض معدل النمو الاقتصادى ليصل إلى - ٤,٠٪ وهو أقل مستوى تشهده البلاد منذ الاستقلال أى منذ عام ١٩٦٤، وقد انعكس هذا على مستوى المعيشة والأمن والاستقرار الاجتماعى اليومى مما جعل مثلث الرعب المكون من الفقر والمرض والبطالة يخيم على الحياة هناك[١].

وقد عانى عشرة ملايين ناخب تقدموا للأدلاء بأصواتهم (يوم الجمعة ٢٠٠٢/١٢/٢٧) في انتخابات اختيار رئيس جديد للدولة بعد الرئيس دانيال آرب موى[*] حيث تتفاوت الفروق بشكل واضح من الملابس فقط بين رجال السلطة وبين عامة الشعب (من عرض صور التليفزيون الإخبارية) وهذا يعكس التباين الكبير بين أنماط الحياة الشائعة فى مجتمعات معظم الدول الإفريقية.

نيجيريا :

نيجيريا عملاق أفريقى جغرافياً وأنثروبولوجيا من نوع فريد متميز، وقد إنعكس ذلك على حياة الناس هناك بوضوح ظاهر، ومع أن كل إقليم فيها له طابعه وسماته الخاصة جداً، إلا أن الجميع قد تأثر بظهور وإنتاج وتنامى إستخراج البترول .

---

(١) تهانى صلاح : الفقر والمرض والبطالة مثلث الرعب فى كينيا. الأهرام، السبت ٢٠٠٢/٨/١٧، ص٦ .

(*) تم انتخاب الرئيس مواى كيباكى زعيم تحالف المعارضة رئيسا للبلاد (الأهرام الثلاثاء ٣١ من ديسمبر ٢٠٠٢، ص٤) .

ولكن الغريب أنه رغم تزايد إنتاج معظم الدول الأفريقية المنتجة للبترول منه، خلال العقد الأخير من القرن العشرين وأوائل هذا القرن الحادى والعشرين حيث بلغ إنتاج نيجيريا منه ٢,٧ مليون برميل يومياً وثمنه يمثل ٩٥٪ من الدخل القومى، إلا أن الملاحظ أن تزايد الدخل بهذه الصورة لم يؤد إلى تغيير نمط حياة السكان والأهالى فيها شأنها فى ذلك شأن كل المجتمعات الأفريقية المنتجة للخيرات التى تخرج إلى الخارج.

ويصاحب ذلك دائماً أوجه صراع كثيرة يصاحبها دائما فساد وحروب(*) وقلاقل وانقلابات سياسية وعسكرية واغتيالات للرؤساء(**) والقادة والمسئولين، وغالباً ما يكون خلف ذلك أيادى خفية مدفوعة من الخارج .

فقد حاول الزعيم بولايج الذى كان وزيراً للعدل أن يرشح نفسه لرياسة نيجيريا ممثلاً لحلف بان -يوربا Pan- Yourba ولما كان يرفض الامتيازات الممنوحة إلى شركتى شفرون Chevron واكسون موبيل Exxon Mobil للبترول فقد اغتاله مجهول يوم ٢٣ ديسمبر سنة ٢٠٠١(١)، فإذا عرفنا أن كوندوليزا رايس(***) مستشار الأمن القومى للرئيس بوش الإبن كانت رئيسة شركة شفرون عرفنا فعلاً مدى أثر العولمة وسيطرة القوة الجبارة التى خرجت من عقالها بعد أحداث ١١ سبتمبر سنة ٢٠٠١ على الحرية وأنماط الحياة فى العالم .

الجنوب الأفريقى :

كان - ومازال - الجنوب الأفريقى محل مطامع الدول الاستعمارية الأوربية منذ الكشوف الجغرافية وجهود واستبسال المستكشفين أمثال سيسل رودس

(*) مثل حرب بيافرا.

(**) مثل اغتيال الرئيس أحمد وبللو.

(١) ميسان، تيرى : ١١ أيلول ٢٠٠١، الخديعة المرعبة ترجمة سوزان قازان ومايا سلمان. دمشق، دار كنعان، ٢٠٠٢، ص ١٢٠

(***) إذاعت (صباح الخميس ٢٦ من ديسمبر سنة ٢٠٠٢) أنها مرشحة كى تكون نائب الرئيس بوش الإبن عام ٢٠٠٤ بدلاً من النائب الحالى ديك تشينى، وبذلك تكون أول سوداء تتولى هذا المنصب، مثلما كانت أول سوداء تولت منصب مستشار الأمن القومى فى USA .

الذى دخل فى عقبة مغامرون كثيرون استولوا على الأراضى وكونوا مستعمرات كثيرة استقلت أخيراً مكونة دولا مازالت تعانى الكثير والأمرين من بقايا ومخلفات الاستعمار.

ويبدو أن مجتمع جنوب أفريقيا الأوربى قد جاء مكونا مثل مجتمع الولايات المتحدة الامريكية من مجتمع ثيوقراطى إذ أسسه طهريون فروا من عدم رحمة وتعصب العرش البريطانى[1] وسائر العروش الأوربية منذ القرن السابع عشر؛ فكان هذا بداية الفسيفسائية الانثروبولوجية التى يرجع إليها كل الظواهر الاجتماعية والمجتمعية السائدة هناك.

ويوجد فى مجتمع جنوب أفريقيا جماعة الكويكرز Quaker(*) (الصاحبية) الذين يزاولون نمط الحياة الفردية وهم ناجحون اقتصادياً وسياسياً لدرجة متميزة نظراً لمزاولتهم ثقافة التنظيم الذاتى الفردى مع ما يصاحبه من حافز فطرى دافع.

ولقد شهدت زيمبابوى خلال عام ٢٠٠١ صراعاً عنيفاً بسبب تشجيع الرئيس موجابى الأهالى الوطنيين الأفارقة، وغالبيتهم من عمال الزراعة على استعادة أراضيهم الزراعية وهى تلك التى كان قد استولى عليها الأوربيون البيض، وغالبيتهم من البريطانيين، فكانت هذه الحركة صورة من صور المشروع الاجتماعى الذى يلتف حوله أفراد المجتمع وتدور حوله الحياة اليومية خلال فترة زمانية معينة، وهذا ما حدث هناك حيث أعيد انتخاب موجابى لرياسة البلاد مرة أخرى.

ورغم أن أنجولا تعد سابع دولة فى إنتاج البترول فى العالم حيث تنتج ١,٤ مليون برميل فى اليوم، ورغم أن عدد سكانها لا يتعدون أكثر من ١٢ مليون نسمة بكثير إلا أن نصفهم يعيش تحت مستوى خط الفقر، وكثيراً ما يموت العديد

(١) ميسان، تيرى : "أيلول ٢٠٠١ الخديعة المرعبة، مصدر سابق، ص ٦٥ .

(*) جماعة دينية (بروتستانتية) يتميز أعضاؤها بالزهد والتأمل الطويل ومع ذلك فقد تبنوا المذهب الرأسمالى قائلين بأن الأمانة هى أفضل سياسة.

منهم بسبب الجوع، مما يعكس حالة من السوء خطيرة لنمط الحياة اليومية هناك، كل هذا بسبب سوء الإدارة الحكومية وفسادها[1].

وكانت إسرائيل تعاون الثوار (سافيمبى) فى أنجولا ضد الحكومة (دوسانتوس) بالأسلحة والطائرات والطيارين، وأيضاً بالعكس تعاون الحكومات (دى كليرك) فى جنوب أفريقيا العنصرية ضد جموع الشعوب الزنجية، وكان يتم كل هذا بدفع وتشجيع من الولايات المتحدة الأمريكية، وما أظن أحداث جنوب السودان من ثورة وقتال أو من مشروعات مصالحة (المبادرة) أو مؤتمرات مصالحة (أديس ابابا - ماشاكوس) بعيدة عن ذلك.

فكيف تتصرف الدول والمجتمعات الأفريقية إزاء ما تواجهه من مؤامرات تهدد كياناتها بل ووجودها ومستقبلها؟

إن أولى خطوات النجاح والإنتصار هو فى الاتحاد والتعاون المباشر بينها، فإنه ليس من المنطقى أن خطوط المواصلات (بحرية - جوية - الاتصالات - وطبقا لقرارات سياسية سيادية) لا يتم معظمها إلا من خلال المرور على العواصم الاستعمارية السابقة الأوربية والحالية الأمريكية .

لقد أصبح التعاون والتبادل التجارى المباشر (سلعا - خدمات - أفكار) هو السبيل الواعد للنجاح وللمستقبل المتنامى فى كل المجتمعات بصرف النظر عن مكوناتها وعناصرها الأساسية ، ويبدو أن مجتمع جنوب أفريقيا الأوربى، قد جاء مكونا مثل مجتمع الولايات المتحدة من مجتمع ثيوقراطى إذ أسسه طهريون فروا من عدم رحمة وتعصب العرش البريطانى [2] وسائر العروش الأوروبية منذ القرن السابع عشر ، فكان هذا بداية الفسيفسائية الأنثروبولوجية التى يرجع إليها كل الظواهر الإجتماعية والمجتمعية السائدة هناك.

*****

---

(1) يحيى غانم : الحروب تتيح للغرب ثروات القارة بأسعار زهيدة ، الأهرام، السبت ٢٠٠٢/٨/١٧، ص٧ .

(2) ميسان ، تيرى : ١١ أيلول ٢٠٠١ الخديعة المرعبة ، مصدر سابق ، ص ٦٥ .

هذا ويصاحب دائما التخلف ضعف أخلاقى واضح، يظهر فى سلوكيات الأفراد فى الحياة اليومية، ويكثر هذا ويشيع فى سائر أنماط الحياة السابق الإشارة إليها، بل وفى كل التقسيمات والتصنيفات الأخرى، حيث يضعف نمط العمل الجماعى وتزداد العدوانية ويقل الشعور والإحساس بالانتماء المجتمعى بل وأحياناً بالانتماء القبلى والقومى، وغالباً ما يرجع ذلك إلى الإحساس بالوضع المهمش فى البنية الاقتصادية والسياسية فى المجتمع[1]، وكل هذا وغيره كثير من سمات ثقافة الفقر، وهى شائعة فى كل مجتمعات ودول القارة الإفريقية ولكن بنسب وبدرجات متفاوتة.

هذا ويقوم الانتقاء الاجتماعى على أساس تخير السلوك من خلال النتائج وذلك عن طريق أحد ثلاث سبل هى فى ذات الوقت أنماط أساسية : التخطيط الواعى - التقوية السلوكية - الانتقاء البيئى. [2]

فإذا كان التخطيط يقوم على إدخال النية الواعية فى دائرة التغذية الراجعة بين النتيجة والسبب، وإذا كانت التقوية السلوكية تقوم على الخبرة الذاتية والتعلم، فإن الانتقاء البيئى يقوم على مفهوم هربرت سبنسر (١٨٢٠-١٩٠٣) حول البقاء للإصلح وهو ذلك الفكر الذى مازال يعد المحور الأساسى لدور الأنثربولوجيا الإيكولوجية.

(1) Banfield, Edward C.: The Moral Basis of a Backward Society. New York, Free Press, 1958, p.357

(2) Stinchcombe, Arthur L. : Construction Social - Theories. New York, Horcourt, 1968, p.99.

الخاتمة

البيئة وحياة الناس وجهان لعملة واحدة فهما مترابطان متفاعلان متلازمان أبد الدهر لذا كان صحيحاً ما يقال من أن البيئة هى الموجهه الأولى للحياة، كما أن سلوك الفرد ينم دائماً عن البيئة التى نشأ فيها.

لهذا كانت البيئة مجال اهتمام علوم اجتماعية عديدة، فهذا هربرت سبنسر يرى أن التنمية الاجتماعية تعد نتاجا طبيعياً للتفاعل مع البيئة[1] بمكوناتها المورفولوجية البنيوية ودورها الوظيفى الفسيولوجى، وعليه فإن التطور وهو أساس التنمية فى المجتمعات البشرية يصبح حتمياً وإيجابى النتائج إذا ما كان البشر فى البيئة على مستوى المسئولية الحياتية، وهذا هو سبب تفاوت تقدم حياة بعض المجتمعات البشرية عن الأخرى رغم تشابه البيئة الطبيعية فيهما معاً.

ولكن المحزن أن الحياة تشهد باستمرار كثير من صور الطغيان والظلم مما يؤدى إلى حدوث كثير من صور العنف والعنف المضاد(*) حيث يتضح ان عدم التنسيق وعدم التعاون وكل صور العدم، هى السبب وراء ما يشاهد، حيث يسود فى مجتمعات التخلف؛ العشوائية فى التفكير والسلوك والتصرف بين جميع الطبقات، مما يجعل الجميع لا يجدون أملاً لا فى حاضر ولا فى مستقبل، مما لا يجدون أمامهم إلا الإرهاب مخرجاً من حياتهم فيحدث ما حدث يوم ١١ سبتمبر ٢٠٠١ فى الولايات المتحدة فيستيقظ اللاهى لينتقم من الجميع حتى من نفسه (قوانين الأمن الداخلى فى USA) وهكذا فى العالم.

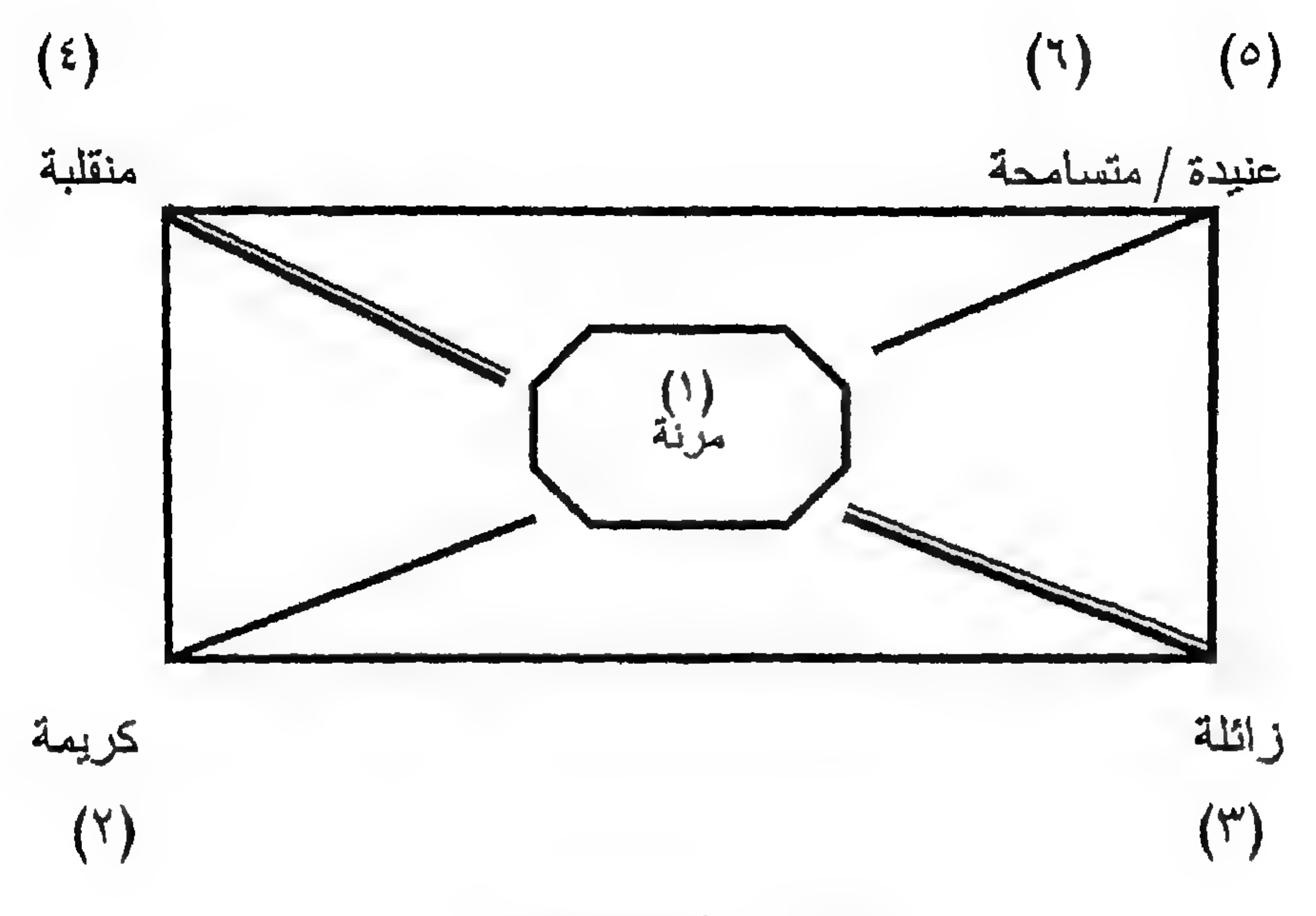
والحقيقة أن المجتمعات الحرة تلك التى يسود فيها حكم القانون وتداول السلطة وحق النقد، هى محصلة للتداخل المتبادل بين التدرجية والفردية والمساواتية ولعل من أهم المتطلبات الأساسية للديمقراطية هو الرضا بالتخلى عن السلطة فى هدوء عند خسران الانتخابات، فأين نجد ذلك وفى أى البيئات والمجتمعات؟ من أفريقيا بالتحديد مجال عرضنا الإمبيريقى ... لعل لا يطول بنا البحث ولا الإنتظار.

---

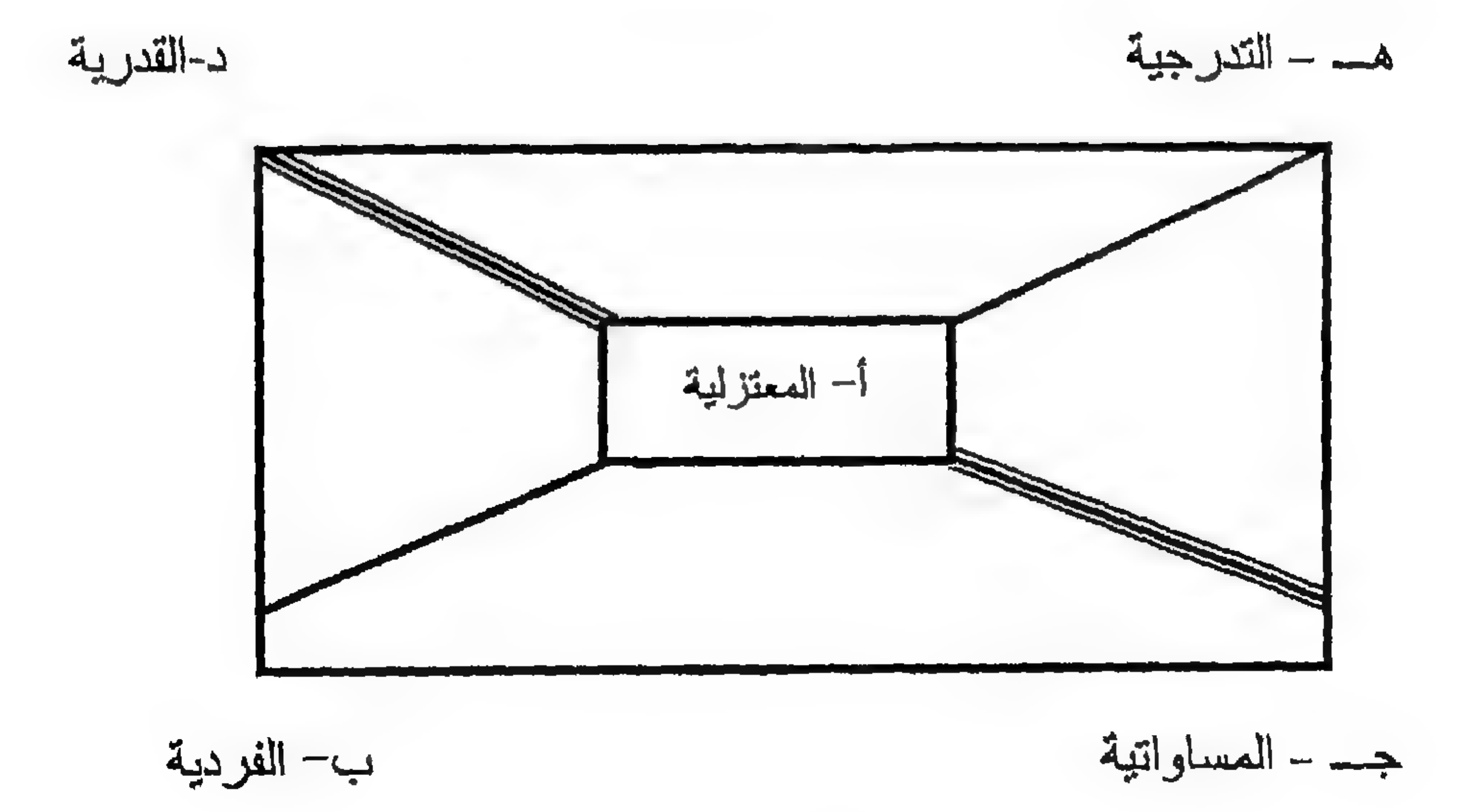
(1) Spencer, H. : Principle of Sociology, Vol.1, p.95 .

(*) مثل ما حدث ويحدث بين الفلسطينيين (٣,٥ مليون فى الأراضى المحتلة) والإسرائيليين (أربعة ملايين نسمة) فى إسرائيل، أو من خلل فى مدى تأثير اليهود الأمريكان (٦ ملايين نسمة) فى المجتمع الأمريكى، والمسلمين الأمريكان (٧ ملايين نسمة) فى المجتمع الأمريكى ذاته (USA) فشتان بين فعالية كل منهما.

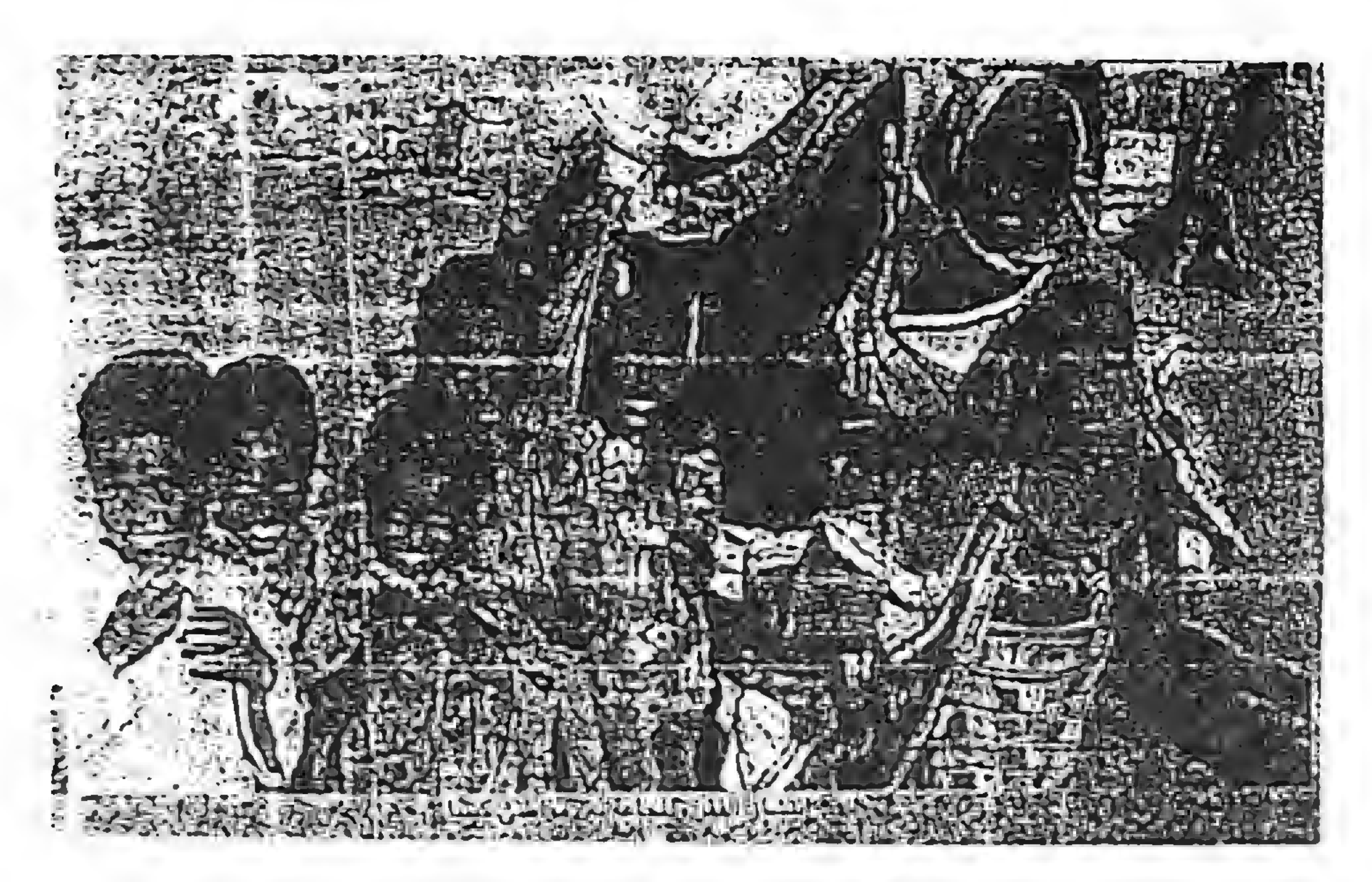
الأشكال



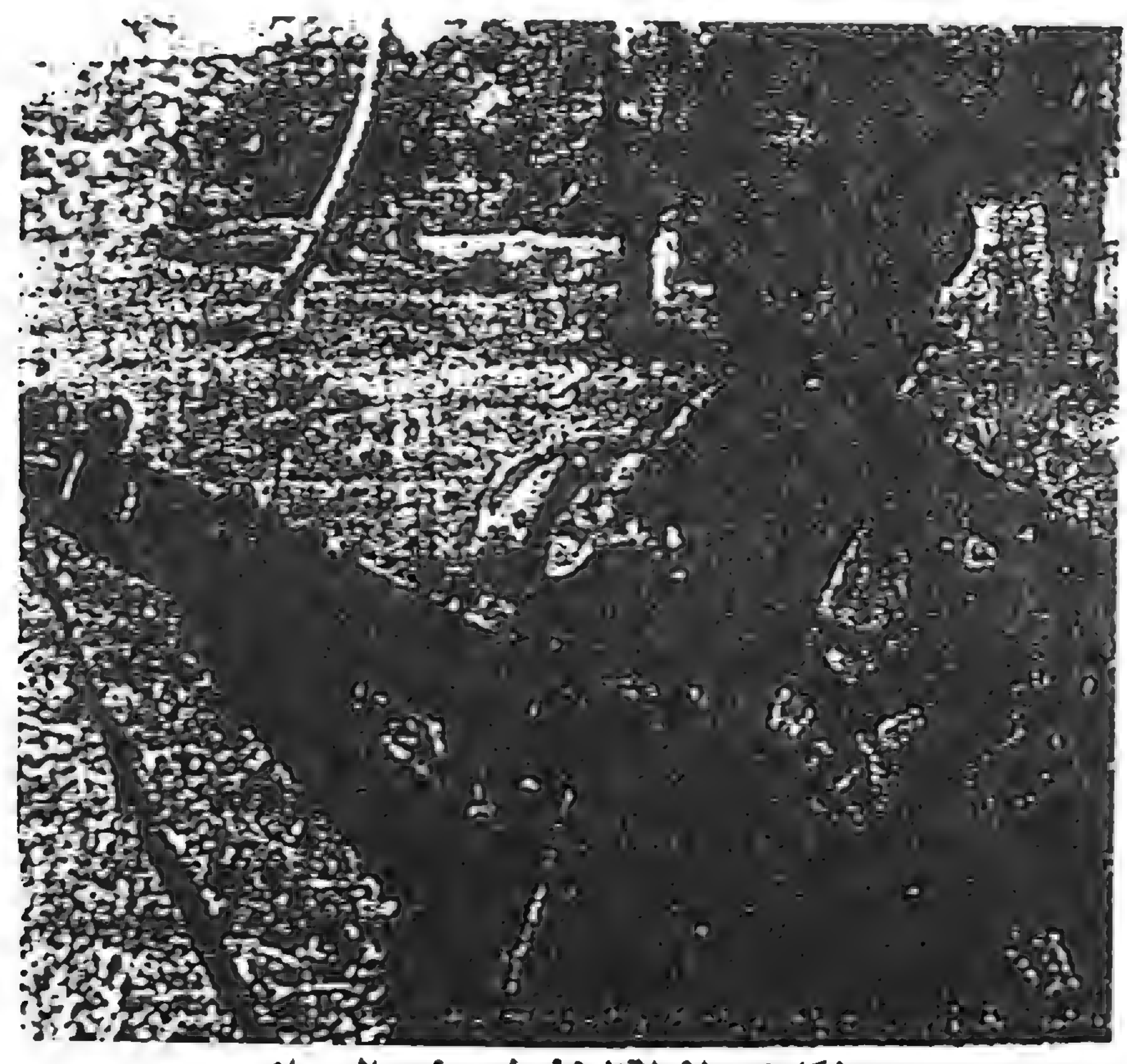
شكل ١- أنماط البيئات



شكل ٢- صور حياة الناس



شكل ٣ - كثرة الأطفال فى الأسرة جنوب السودان



شكل ٤ - طفولة العنف فى جنوب السودان

ببليوجرافية

- تومبسون، ميشيل وآخران : نظرية الثقافة ترجمة على سيد الصاوى. الكويت، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، ١٩٩٧ (عالم المعرفة ٢٢٣).
- تيلور، بيتر وكولن فلنت : الجغرافيا السياسية لعالمنا المعاصر، ترجمة عبد السلام رضوان واسحق عبيد. الكويت، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، ٢٠٠٢ (مجلدين) (عالم المعرفة ٢٨٣، ٢٨٤) .
- Douglas, Mary (ed.) :Essays in the Sociology of Perception. London, Routledge and Kegan Paul, 1982.
- فاروق عبد الجواد شويقة : الإكلوجيا البشرية؛ المفهوم - المجال - الهدف. مجلة الدراسات الأفريقية. العدد الثالث، ١٩٧٤، ص ١٨٣-٢٠١.
- ـــــ ، العلاقة بين الأنثروبولوجيا والجغرافيا. مجلة كلية الآداب-جامعة القاهرة، مج ٥، ع١، ١٩٩٠، ص ١-٥١، ببليوجرافية ٤٩-٥١
- ـــــ ، أفريقيا وحوض النيل، ط٢، أ , ٢ القاهرة، دار روتابرنت، ١٩٨٦
- ـــــ ، الجغرافيا الأنثروبولوجية. القاهرة، دار الفكر العربى، ١٩٨٨
- Smith, A.D. : The Ethnic Origins of Nations. Oxford, Blackwell, 1986 .

أ.د/ فاروق عبد الجواد شويقة

الثلاثاء ١٧ فبراير ٢٠٠٤

مجلة الدراسات الإفريقية ـ العدد ٢٦ (٢٠٠٤)، ١٣٧ - ٢٢٢

عائلة أقيت وإسهاماتها الثقافية فى تنبكت

د. سوزى أباظة محمد حسن (*)

مقدمة:

شهد السودان الغربى ، وبالتحديد سلطنة صنغاى (٧٧٧-١٠٠٠هـ / ١٣٧٥-١٥٩١م) حركة فكرية وأدبية نشطة ، ساهمت فيها عائلات علمية بارزة ، ومنها عائلة أقيت ونظراً لأهمية دراسة ظاهرة العائلات العلمية ، فقد كان من اللازم التعرض لها بالبحث والدراسة ، واختيار أهمها لتكون حالة دراسية لهذه الظاهرة . وقد اخترت عنوان "عائلة أقيت وإسهاماتها الثقافية في تنبكت" ويرجع أصل هذه العائلة إلى بربر صنهاجة وقد هاجرت إلى الصحراء وعاشت فى سلطنة صنغاى ، وكان لها دور واضح خلال الفترة من منتصف القرن الخامس عشر الميلادى حتى نهاية القرن السادس عشر الميلادى.

وتعتبر هذه الدراسة ضرورية للكشف عن إسهامات هذه العائلة الثقافية فى مدينة تنبكت والتى تعتبر حلقة ضرورية وهامة فى تتبع الدور المتعدد الجوانب الذى قامت به هذه العائلة فى دفع الحركة الفكرية والثقافية فى تنبكت إلى الأمام، وكان لها إسهام فى الحفاظ على الثقافة الإسلامية والعربية هناك.

وقد تبين لنا من قراءة الدراسات التاريخية لمنطقة السودان الغربي أن الدور الذى لعبته هذه العائلة يحتاج إلى توضيح ، خاصة وأن كل ما كتب عنها متناثر فى المصادر ، برغم أن هناك دراسات لمست من قريب ومن بعيد الموضوع ، مثل ما عرض له كيوك Cuoq , J. فى مقالته باللغة الفرنسية بعنوان : "La Famille Aqit de Tombouctou" .

(*) مدرس التاريخ الإسلامي - معهد البحوث والدراسات الأفريقية - جامعة القاهرة .

Revue de L'institut des Belles lettres Arabes 1978, m41, Premier Semestre .

لكن يؤخذ على هذه الدراسة رغم أهميتها ، أنها اعتمدت على ما كتبه السعدى عن هذه العائلة وأهملت بقية المصادر ، كما أنها لم تتعمق فى بيان الدور الثقافى للعائلة ولم تتحدث عن علاقتهم بالسلطة ، وفيما عدا ذلك لم يخصص بحث شامل لهذه العائلة فكان لابد من سد هذا النقص وتجميع إسهامات هذه العائلة وإلقاء الضوء على الدور الذى لعبوه فى الحركة الفكرية فى مدينة تنبكت من منتصف القرن الخامس عشر حتى نهاية القرن السادس عشر .

وقد تم الاعتماد فى هذه الدراسة على عدد من المخطوطات والمصادر الأصلية بالإضافة إلى المراجع والدوريات الحديثة سواء العربية أو الأجنبية. نذكر بعضاً منها :

فمن المخطوطات التى فادت الدراسة منها مخطوطات أحمد بابا التنبكتى (ت ١٠٣٦هـ/١٦٢٧م) منها "أسئلة فى المشكلات" وهى مخطوطة داخل الخزانة العامة للكتب والوثائق بالرباط ضمن مجموع رقم ك ,٤٧ ، وأيضاً مخطوطة "أسئلة إلى علماء مصر" مخطوطة داخل المكتبة الوطنية بباريس تحت رقم ٥٣٨٢ ، ومخطوطة "قواعد العلامة أحمد بابا السودانى فى حيلة الدخان" تحت رقم ٢٥١ ، نيجيريا ومخطوطة معراج الصعود وهى صورة من بعثة معهد المخطوطات عن الخزانة الملكية بالرباط رقم ٢٩/٢٣٥٦٥ .

وكل هذه المخطوطات فادت فى توضيح الصلات التى ربطت بين علماء من عائلة أقيت وبين علماء مصر والمغرب ، وقدمت دليلاً حياً على مساهمة هذه العائلة فى التأليف، فهذه بعض من مؤلفاتهم التى تقدم دليلاً واضحاً على مدى استيعابهم ونضوجهم الفكرى فى الثقافة الإسلامية والعربية.

أما مخطوطة الحاج مرحبا "فتح الحنان المنان بأخبار السودان" معهد البحوث والعلوم الإنسانية نيامى النيجر رقم ١٠٨ ، ومخطوطة أحمد بن بابير الأوراني "جواهر الحسان فى أخبار السودان" معهد البحوث والعلوم الإنسانية نيامى النيجر رقم ١٠٦ ، ففيهما معلومات هامة عن البيئة الثقافية التى عاشت فيها هذه العائلة بالإضافة إلى بعض المعلومات عن دورهم الثقافى وهناك كتابان يعدان من المصادر الرئيسية التى فادت الدراسة ، كتبهما آخر مشاهير هذه العائلة وهو أحمد بابا التنبكتى الذى أرخ لعصره ولأسرته ، فجاءت معلوماته أكثر مصداقية للأحداث التى عاصرتها أسرته ، وهذان الكتابان هما : "نيل الابتهاج بتطريز الديباج"، و"كفاية المحتاج لمعرفة من ليس بالديباج" ففيهما مادة ثرية جداً عن أصل عائلة أقيت وأهم علمائها ودورهم التعليمى والثقافى وكذلك معلومات عن صلتهم بالعلماء الآخرين.

أما كتاب السعدى "تاريخ السودان" ففيه معلومات وفيرة عن أهم المناصب والمهام التى تولتها هذه العائلة وبخاصة دورهم فى القضاء ، وفى إمامة المساجد وفى توسيع المساجد القديمة ، وبه مادة عن علاقة هذه العائلة بالسلطة وعن مواقفهم السلمية والعدائية، وبه مادة عن تتبع عائلة أقيت بعد ترحيلهم إلى مراكش ، وبه سجل "كامل" بتاريخ وفيات شخصيات كثيرة منهم ، وهذا لم يتوفر فى مصدر آخر.

أما كتاب أحمد بابير الأروانى "السعادة الأبدية فى التعريف بعلماء تنبكت البهية فأفاد فى رصد ترجمات لبعض علماء هذه العائلة.

وأما كتاب أحمد بلعراف التنبكتى "إزالة الريب والشك والتفريط فى ذكر المؤلفين من أهل التكرور والصحراء وأهل "شنقيط" ، فقد أفاد أيضاً فى تقديم معلومات عن الدور الثقافى لبعض علماء عائلة أقيت.

كما رصد كتاب الفشتالى "مناهل الصفا فى مآثر موالينا الشرفاء" ما تعرضت له عائلة أقيت بعد الحملة السعدية .

كذلك تمت الإفادة من مجموعة كبيرة من المراجع ، نذكر منها :

كتاب د/الهادى المبروك الدالى "تاريخ أفريقيا فيما وراء الصحراء دراسة وثائقية" وفيه عدد من الوثائق الهامة التى تخص عائلة أقيت ، منها وثيقة فى رأى أحد علمائها فى بيع الأحرار ، ووثيقة تفيد الصلات التى ربطت بين علماء أقيت وبين علماء الشمال الأفريقى ، ووثيقة تبين كيف أصبحت مؤلفات أحمد بابا التنبكتى هامة يبحث عنها ويسعى إلى التنقيب عنها علماء الشمال الأفريقى.

كما أفاد كتابه الثانى "التاريخ الحضارى لأفريقيا فيما وراء الصحراء" فى تقديم معلومات هامة عن الحياة الفكرية فى تنبكت ومساهمة علماء أقيت فيها.

أما كتاب عبد القادر زبادية "مملكة صنغاى فى عهد الأسيقيين" فقد قدم كشفاً عن الحركة الثقافية فى تنبكت ورصد علاقة السلطة بهذه العائلة . كذلك تمت الإفادة مما كتبه حسن الصادقى فى كتابه مخطوطات أحمد بابا التنبكتى ومقاله "جوانب من التواصل الثقافى شمال - جنوب" فى تبيان بعض إسهامات هذه الأسرة فى مجال التأليف ، وأيضاً رصد جوانب هامة من التواصل الثقافى بين علمائها وعلماء الشمال الأفريقى.

وتعد دراسة سامى سعيد "مساهمة فى دراسة تاريخ الحياة الدينية فى السودان الغربى خلال العصر الوسيط : الدين والعلم فى عصر الأسكيين" من الدراسات الهامة لما تحتويه من نماذج منشورة لمخطوطات مؤلفات عائلة أقيت ، قام الباحث بطرح عدد منها فى ملحق دراسته.

كذلك تمت الإفادة من بعض الكتب الأجنبية فكان فيها معلومات هامة عن هذه العائلة وبخاصة ما يخص أصل العائلة وأهم فروعها ودورهم الثقافى فى تنبكت.

وقد تم تقسيم الدراسة إلى عدد من النقاط الرئيسية على النحو التالي :

أولاً - أصل عائلة أقيت وعصرها .

ثانياً - الدور التعليمى لعائلة أقيت .

١ - مصادر تعلم عائلة أقيت .

٢ - دورهم التعليمى .

ثالثاً - دور عائلة أقيت فى الحركة الفكرية فى تنبكت :

١ - مكتبات عائلة أقيت .

٢ - مساهمة عائلة أقيت فى التأليف .

٣ - صلة علماء عائلة أقيت بعلماء المغرب ومصر .

رابعاً - عائلة أقيت بين القضاء والسلطة :

١ - توليتهم منصب القضاء .

٢ - علاقة عائلة أقيت بالسلطة .

٣ - آخر ظهور لعائلة أقيت .

- خاتمة .

- الملاحق .

- قائمة المصادر والمراجع .

أولاً - أصل عائلة أقيت وعصرها :

يعتبر البحث عن أصل عائلة أقيت من الضروريات الهامة التى يجب بحثها لأماطة اللثام عن الجذور الأولى لأصل هذه العائلة.

وقد أجمعت المصادر على أن أصل هذه العائلة يرجع إلى إحدى قبائل البربر الكبرى وهى قبائل صنهاجة الصحراوية[1] ولكن كان هناك خلط حول أصلهم ، هل ينتمون إلىٰ قبيلة جدالة أم إلى قبيلة مسوفة؟[2] ويمكن أن نصل إلى نتيجة حول هذا الأصل بالقول بأنهم ينتمون أصلاً إلى قبائل جدالة ، وأن تبرير إسناد نسبهم وأصلهم إلى قبيلة مسوفة يرجع إلى أنه من المرجح أن تكون هناك مجموعة من قبيلة جدالة قد هاجرت إلى أرض قبيلة مسوفة، وعند الاندماج لم يبق من أصول هذه القبيلة سوى الاسم القبلى الذى سوف يصبح على مدار الأيام اسماً للأسرة ، ونظراً لتفوق قبيلة مسوفة على القبائل الأخرى فى الصحراء الغربية أهملت أسماء القبائل الأخرى لحساب هذه القبيلة ، مما أضعف من اسم جدالة وجعلهم يطلقون عليهم مسوفة[3].

ويتأكد أصل هذه العائلة أكثر إلى جدالة وإلى الأصل الصنهاجى وإلى نسبهم إلى الأماكن التى استقروا فيها من خلال ما ذكره أحمد بابا التنبكتى ، وهو يعتبر الفرع البكر من عائلة أقيت ، فقد قدم نسبه بقوله "هو أحمد بابا الفقيه بن الحاج أحمد بن الحاج أحمد بن عمر بن محمد أقيت بن عمر على بن يحيى بن كدالة بن بكر بن نيف بن لف بن يحيى بن تشت بن تنفر بن جبراى بن أكنبر بن انص بن أبى بكر بن عمر الصنهاجى الماسنى"[5] وعند النظر إلى هذا الأصل الذى ذكره أحمد بابا نجد الآتى ، أنه أكد على أنتمائه إلى قبيلة جدالة ، وأن أصل العائلة أرجعه إلى أبى بكر بن عمر الصنهاجى[6] لإضافة العظمة والشرف إلى أصل هذه العائلة ، وبعد أن ذكر أسماء عربية وأسماء إسلامية وأسماء بربرية قصد منه تكوين ثلاثة عشر جيلاً حتى وصل إلى الجد الأصلى أبى

بكر بن عمر ليؤكد الأصل الشرقي إليه ، ويؤكد على أن جدهم عاش في زمن المرابطين[٧].

ونجد هناك أسماء أخرى تتكرر في نسب أحمد بابا التنبكتي مثل النسب إلى موطنه على عادة زمانه ، مثل التنبكتي نسبة إلى مدينة تنبكت ، والماسني نسبة إلى ماسنة ، والتكروري نسبة إلى إقليم وبلاد التكرور ، وهذه الأسماء جميعها أسماء عامة لا تشكل أي مشكلة وأطلقت على بعض أفراد العائلة. هكذا يتأكد لنا أن أصل هذه العائلة يرجع إلى قبائل البربر الصنهاجية وبالأخص إلى قبيلة جدالة ، وأنهم انتقلوا من مواطنهم الأصلية في الصحراء إلى بلاد السودان ، وتفرعوا هناك وتصاهروا مع قبائل أخرى .

أما عن أهم فروع هذه العائلة وأهم أماكن استقرارهم ، فنجد أن أقرب الأجداد لهذه العائلة كان يحيى وعلى وعمر ، وهم السابقون للجد محمد بن عمر أقيت ، ولم تذكر المصادر عنهم شيئاً يغني ، ومن المحتمل أنهم عاشوا في القرن الرابع عشر وأن عمر قد توفي في الثلث الأول من القرن الخامس عشر وخلفه أبنه محمد بن عمر أقيت[٨] . وتذكر المصادر أنه هو الجد الأكبر لهذه العائلة ، وكان من أهل ماسنة ثم رحل منها إلى بير (ولاته)[٩] بعد عداوة بينه وبين سلطان الطوارق[١٠] . وكان الفلانيون متجاورين ، له فخاف على أولاده أن يتناسلوا، معهم فرغب السكنى في تنكبت مرة ثانية[١١] .

وقد تم له ذلك بعد وساطة من الفقيه أبي عبد الله أند غمحمد[١٢] الذى كان قاضياً لتنبكت ، وكان لأسرته نفوذ وشهرة في هذه المدينة . وحدثت مصاهرة بين عمر بن محمد أقيت مع أسرة أند غمحمد ، وبذلك فتح لهم هذا الباب المكانة التي سوف يحتلونها فيما بعد نتيجة لهذه المصاهرة . لأنه في الوسط البربري جنوب الصحراء كانت الأم والخال يلعبان دوراً هاماً بالنسبة للأولاد وتعليمهم فعندما دخل سنى على تنبكت عام (٨٧٣هـ/١٤٦٨م) وتعرض الفقهاء ورجال

العلم إلى إهانة[١٣] خرج منها عمر بن محمد أقيت هو وأولاده الثلاثة عبد الله وأحمد ومحمد إلى ولاته فى رحاب جدهم لأمهم وخالهم الفقيه المختار النحوى[١٤] الذى قام بتعليمهم على الدراسات الإسلامية وفتح لهم الأبواب التى مكنتهم بعد ذلك أن يحتلوا منزلة أهلتهم أن يصبحوا فى موضع المنافسة فى العلم والرئاسة، وتم لهم ذلك بالفعل طوال القرن السادس عشر الميلادى[١٥] وظلوا فى ولاته حتى موت عمر بن محمد أقيت عام (٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م).

أما ابنه عبد الله فقد ولد (٨٦٦هـ/١٤٦١م) وظل فى ولاته بحجة المحافظة على ذريته من أبناء صنغاى، وأما أحمد الذى لقب بالحاج أحمد (ت٩٤٢هـ/١٥٣٦م) وهو الفرع البكر لهذه العائلة فكان له ثلاثة أولاد ، هم : أبو حفص عمر (ت١٠٠٦هـ/١٥٩٧م) والثانى أحمد وهو والد أحمد بابا (ت٩٩١هـ/١٥٨٣م) والابن الثالث هو أبو بكر الذى استقر هو وأسرته وأولاده فى المدينة عام (٩٩١هـ/١٥٨٣م) ، وينتمى أحمد بابا إلى هذا الفرع حتى وفاته عام (١٠٣٧هـ/١٦٢٧م)[١٦].

أما الفرع الأصغر من هذه العائلة فكان زعيمهم هو محمود بن عمر أقيت ، فقد ولد عام (٨٦٨هـ/١٤٦٣م) وتوفى عام (٩٥٥هـ/١٥٤٨م) وكان له ثمانية أولاد ، ثلاثة منهم تم تعيينهم قضاة ، وهم : محمد (ت٩٧٣هـ/ ١٥٦٥م) والعاقب (ت٩٩١هـ/ ١٥٨٣م) وأبو حفص (ت١٠٠٣هـ/١٥٩٤م) وهذه هى أهم فروع عائلة أقيت الرئيسية وأهم أجدادهم[١٧]، وقد تخرج من هذه العائلة عدد من الأئمة والعلماء والقضاء والمعلمين الذين توارثوا رئاسة العلم مدة طويلة تقرب من مائتى سنة ، وكانوا من أهل السد والسودد وكانت لهم وجاهة ورئاسة كبيرة وشهرة فى بلاد السودان[١٨] وقد أتاحت لهم البيئة التى عاشوا فيها أن يقوموا بدورهم الثقافى.

قبل أن نبحث عن إسهامات عائلة أقيت الثقافية ، لابد أن نعطى نبذة عن

خلفية العصر الذى عاشوا فيه وأهم مكوناته الثقافية.

فمن المعروف أن الإسلام دخل إلى منطقة السودان الغربى بالطرق السلمية، ثم استكمل المرابطون نشر الإسلام فى منطقة الصحراء التى تشبع أهلها بروح الإسلام وسعوا إلى تأسيس سلطنات إسلامية أصبح الدين الإسلامى عقيدتها والشريعة الإسلامية منهجها ودستورها. وكانت لهذه السلطنات علاقات مع العالم الإسلامى المعاصر لها. ومن هذه السلطنات غانا الإسلامية (٤٦٩-٦٠٠هـ/١٠٧٦-١٢٠٣م) وسلطنة مالى الإسلامية (٥٩٦-٨٧٤هـ/١٢٠٠-١٤٦٩م) وسلطنة صنغاى الإسلامية (٧٧٧-١٠٠٠هـ/١٣٧٥-١٥٩١م) والتى عاشت عائلة أقيت فى عصرها.

وقد حكمت صنغاى فى البداية عائلة "ضياء" حتى عام (٧٣٥هـ/١٣٣٥م)، ثم انتقل الحكم إلى عائلة "سنى" التى حكم منها ثمانية عشر أميراً، ثم تولت أسرة الأساكى من السوننكى التى حكمت خلال الفترة (٨٩٩-١٠٠٠هـ/١٤٩٣-١٥٩١م) وظلت تحكم حتى قدوم الحملة السعدية التى أنهت عهد صنغاى وقامت بعد ذلك على أنقاضها دويلات صغيرة متنافرة[١٩].

وقد بلغت صنغاى فى عهد الأساكى قمة ازدهارها وتوسعها، وحكم فى عهدها عدداً من الملوك كان من أشهرهم أسكيا محمد الذى تولى خلال الفترة (٨٩٩-٩٣٤هـ/١٤٩٣-١٥٢٨م)، والذى وضع قواعد تنظيمية فى البلاد كان لها أثرها على استمرار حكم صنغاى بعده[٢٠]. ففى هذا الجو السياسى المستقر أتيحت الفرصة لعائلة أقيت أن تقوم بدورها الثقافى.

أما عن أهم المكونات الثقافية لعصر الأساكى فتمثلت فى سيادة الثقافة المالكية وانتشار مذهب مالك فى المغرب ثم دخوله إلى صنغاى مع التجار والدعاة والعلماء، فانتشر وجود الكتب الفقهية المالكية ، مثل : مدونة سحنون (١٤٩-٢٤٠هـ/٧٦٦-٨٥٤م) ، ورسالة أبى زيد القيروانى (٣١٠-

٣٨٦هـ/ ٩٢٢-٩٩٦م) ، وأيضاً شاع وجود المختصرات الفقهية مثل مختصر خليل بن إسحاق (ت٧٧٦هـ/١٤٧٣م) ، وصار أهل صنغاى يعتمدون على المختصرات الفقهية مثل المغاربة ، وقد سايروا أيضاً التطورات التى عرفها الفقه المالكى فى العالم الإسلامى، فقد شاع استخدامهم أيضاً للكتب المغربية مثل الشفاء للقاضى عياض والمعيار للونشريسي .

ومن ضمن الخصوصيات الثقافية فى صنغاى استمرارية قدوم العلماء المغاربة والمشارقة إلى صنغاى للقيام بدور تعليمى وثقافى حاملين معهم ثقافتهم وتكوينهم الفكرى، ويكفى دليلاً على ذلك ما ذكره أحمد بابا التنبكتى آخر مشاهير عائلة أقيت فى كتابة "نيل الابتهاج بتطريز الديباج" عن عدد العلماء الذين استقروا فى صنغاى ومارسوا دورهم الثقافى فيها [٢٢].

ومن ضمن الخصوصيات الثقافية أيضاً مساهمة الاساكى فى تدعيم ودفع الحركة العلمية والثقافية فى بلادهم عن طريق الاهتمام بالعلماء والتوسعة عليهم وإعطائهم قدرهم وهيبتهم ، مما شجعهم على القيام بدورهم المنوط بهم[٢٣] ، كما كان لسياسة الاساكى التى سعت إلى إقامة علاقات مع العالم الإسلامى أثرها فى أن أصبحت صنغاى مكاناً للتيارات الثقافية الوافدة سواءً من المغرب أو من مصر ، وكان لهذا نتائجه فى تشبع علمائها بهذه الثقافات المختلفة ، مما أدى إلى ثراء الحركة الفكرية فى صنغاى.

كذلك احتلت مدينة تنبكت[٢٤] مركزاً هاماً للثقافة الإسلامية فى عهد الأسكيين ، فقد اقترن النشاط العلمى للأسر العلمية بهذه المدينة ، ونخص بالذكر أسرة أقيت التى اقترن نشاطها الثقافى بهذه المدينة طوال القرن السادس عشر الميلادى ، وشهدت تنبكت ازدهاراً تجارياً وثقافياً فى عهد الاساكى. وقد قام الحسن الوزان بوصف دقيق لجوانب الحياة فيها، فذكر أنه كانت تأتى إليها

البضائع من بلاد البربر ، وكان بها الأئمة والعلماء والقضاة ، وتأتى إليها الكتب المخطوطة من بلاد البربر ويحصل منها على أرباح كثيرة(٢٥).

ولقد كانت مدينة تنبكت منذ تأسيسها داراً للفقه والعلم والصلاح والدين ، كما أنه كان بها عددا" لا يحصى من العلماء والصالحين الذين كانوا هم على مذهب الإمام مالك ، فكانت محطة للفضلاء والكرماء ، وكان أهلها يحبون الدين وأهله ويحبون العلماء والشرفاء، وإلى جانب ذلك كان أهلها أهل صنائع مختلفة بجانب اهتمامهم بالعلم(٢٦) وقد تمتعت هذه المدينة فى ظل الاسكيين بحكم ذاتى وبمكانة علمية عالية وذلك لمكانة العلماء فيها حتى بلغت درجة من أن الولاة والسلاطين لايدخلونها إلا فى المناسبات الدينية أو أثناء مرورهم لفتح مناطق جديدة، وظلت على هذا الوضع حتى الحملة السعدية (٩٩٩هـ/١٥٩١م)(٢٧). وكانت هذه المدينة محل سكنى المهاجرين الولاتين وبخاصة من الأسر الصنهاجية التى اشتهرت بالعلم ، ومنها أسرة آل أند غمحمد ، وال الحاج ، وعائلة أقيت وهؤلاء جميعاً كان لهم نفوذ وسلطة دينية وفكرية فى تنبكت إلى نهاية القرن السادس عشر(٢٨).

هذه هى بعض جوانب من البيئة الثقافية التى عاشت فيها عائلة أقيت، فكيف استفادوا من هذه البيئة، وما مدى أثرها على تعليمهم وعلى إسهاماتهم الثقافية ؟.

ثانياً - الدور التعليمى لعائلة أقيت :

لقد كان لعائلة أقيت دور بارز فى مجال التعليم ، فقد ظهر منهم علماء بارزون فى مجال التدريس ، ولكن قبل الحديث عن هذا الدور يجدر بنا أن نذكر أهم المنابع التى استقى منها هؤلاء دروسهم وكيف تشبعوا بالثقافة التى أهلتهم بعد ذلك لأن يصبحوا معلمين بارزين.

١- مصادر تعلم عائلة أقيت :

إذا بحثنا عن مصادر تعلم هذه العائلة فسوف نجد أنهم لا يختلفون عن بقية العائلات العلمية الأخرى من حيث إنهم استقوا العلم من البيئة المحيطة بهم ، ثم سعوا بعد ذلك إلى تزويد ثقافتهم عن طريق الرحلات العلمية إلى الشرق وأداء فريضة الحج أو الرحلة إلى المغرب.

فقد كان المنبع الأول لتعلم هذه العائلة عن طريق جدهم لأمهم وخالهم، وقد أثر هؤلاء على ثقافتهم وتعلمهم، فقد أخذ الحاج أحمد بن عمر بن محمد أقيت (ت٩٤٢هـ/١٥٣٥م)[٢٩] العلم عن طريق جده لأمه الفقيه أند غمحمد وعن خاله الفقيه مختار النحوى ، الذى أخذ العلم منه أيضاً بقية أولاد أخته من آل أقيت ، وهم عبد الله ومحمود بن محمد أقيت . وقام آل أند غمحمد بتوجيه أولاد أختهم إلى الدراسات الإسلامية ، وكانوا متمسكين بالدين ومتحمسين له ومثقفين وزاهدين ، فقد وفروا جواً من العلم والورع عاش فيه أولاد أختهم من آل أقيت. كذلك كان التعلم فى عائلة أقيت مسألة عائلية حيث كان احتكاراً عائلياً[٣٠]، فقد أخذوا وتوارثوا العلم بعضهم عن بعض عن طريق آبائهم وأعمامهم وأخواتهم. وترصد المصادر أمثلة من ذلك منها:

أن الفقيه القاضى أحمد بن عمر بن محمد أقيت (ت٩٤٢هـ/١٥٣٥م) قد أخذ منه أخوه الفقيه القاضى محمود بن عمر (ت٩٥٥هـ/١٥٤٨م)[٣١]، العلم الذى أخذه عنه بالتالي أولاده الثلاثة، وهم محمد والعاقب وعمر[٣٢].

أما القاضى العاقب بن محمد بن عمر بن محمد أقيت (ت٩٩١هـ/١٥٨٤م) فقد أخذ العلم عن أبيه وعمه[٣٣]، وأخذ محمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت (ت٩٩١هـ/١٥٤٨م) العلم عن عمه محمود بن عمر بن محمد أقيت (ت٩٥٥هـ/١٥٤٨م)[٣٤]. وأخذ الفقيه عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن الفقيه

محمود بن عمر (ت١٠٠٦هـ/١٥٩٧م) العلم عن ابن عمه الفقيه الحاج أحمد بن عمر بن محمد أقيت[٣٥].

أما أحمد بابا التنبكتي آخر مشاهير عائلة أقيت (ت١٠٣٦هـ/١٦٢٦م) فقد تعددت مصادر تعلمه ، إذ أخذ تعليمه على يد والده ، ثم استكمل تعليمه على يد عمه أبي بكر بن أقيت، ثم حضر دروس الشيخ أحمد بن سعيد سبط محمود بن عمر[٣٦] ، وكذلك استفاد من أستاذه محمد بن محمود بن أبي بكر المعروف بَغْيعٌ (ت١٠٠٢هـ/١٥٩٣م)[٣٧].

واستكمالاً لدورهم التعليمي فقد كان علماء هذه العائلة يمنحون الإجازات العلميةبعضهم إلى بعض[٣٨] ، منها ما منحه الفقيه أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت إلى أحمد بابا التنبكتي بعد أن حضر عليه أشياء ، فأجازه وكتب له بخطه[٣٩] ، وكذلك حصل أحمد بابا على إجازة أخرى من جماعة المسلمين عن الشيخ المجيز لهم قطب الدين المكى الخرقانى برواية جزء من الكتب والأحاديث المذكورة بأسانيدها[٤٠].

ومن مصادر تعلم ذلك البيت أيضاً حضورهم حلقات الدرس التى كانت تعقد فى بلادهم ويعقدها علماء مغاربة ، فتشير المصادر إلى أن الفقيه عمر بن محمد أقيت بن عمر (ت٨٨٥هـ/١٤٨٠م) قد أخذ العلم فى مدينة ولاته عن طريق حضوره الحلقات الدراسية التى يعقدها العالم المغربي عبد الله بن أحمد الزمورى[٤١] الذى أجازه فى كتاب الشفاء للقاضى عياض[٤٢]. وكانت بداية تأثرهم بالثقافة المغربية عن طريق تأثرهم بخالهم[٤٣] فقد روى الفقيه محمد بن عمر بن محمد أقيت عن الفقيه المصلّى وهو أند غمحمدّ بن أحمد بن الحاج الديلمى من أهل الزاوية فى المغرب[٤٤].

وكذلك أتاحت لهم الرحلة العلمية إلى الشرق وأداء فريضة الحج رافداً آخر لحصولهم على العلم ، ففى هذه الرحلات كانت تُتاح لهم فرصة مقابلة المعلمين

وحضور دروسهم، وكانت هذه الرحلات تستمر عدة شهور وقد تطول لمدة عامين . ونلاحظ أن الأخوة أحمد وعبد الله ومحمود قاموا برحلة الحج وذلك يعتبر دليلاً على تدينهم وعلى رغبتهم فى أن يتعلموا ، فقد كانت هذه الرحلات تتيح لهم فرصة حضور دروس العلماء الكبار[٤٥] الذين كانوا يستمعون إليهم ويمنحونهم إجازات علمية تؤهلهم للتدريس والرواية عنهم . فتذكر المصادر أن الفقيه أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت (ت٩٩١هـ/١٥٨٤م) قد أجازه بعض الفقهاء أثناء رحلة حجه ، ولقى جماعةً ، منهم ناصر اللقانى (ت٩٥٨هـ/١٥٥١م)[٤٦] والشريف يوسف الأميوطى تلميذ السيوطى والشيخ التاجورى والأجهرى وأجازه بعضهم[٤٧] . كما أجازه الإمام العالم أبو اليمن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الميمونى بلداً المصرى مولداً المكى منزلاً عام (٩٥٦هـ/١٥٤٩م)[٤٨] كذلك التقى أحمد بن أحمد أقيت ، أثناء قيامه برحلة الحج ، بالعالم عبد السلام الأسمر الزليطنى (ت٩٩٠هـ/١٥٨٢م)[٤٩] وأخذ عنه الطريقة العروسية، فكان أحد تلاميذه الذين أخذوا عنه العلم . وهناك رسالة كتبها إليه يحثه فيها على طلب العلم وبها نصائح كثيرة[٥٠] . هكذا نجد تنوعاً فى المنابع التى استقى منها أفراد هذه العائلة تعلمهم ، فكانت للبيئة الثقافية التى عاشوا فيها آثارها فى هذا التنوع، وانعكس هذا عليهم ، وكان له أكبر الأثر فى قيامهم بدور كبير فى مجال التعليم داخل مدينة تنبكت وخارجها.

٢- دورهم التعليمى :

كان لعائلة أقيت أثرُ واضح فى التعليم والتدريس ، فقد قاموا بتدريس عددٍ من العلوم المختلفةً سواءً العربية أو الفقهية، وظهر منهم من ذاعت شهرته داخل تنبكت أو خارجها.

فقد كان لهذه العائلة دورُ فى مرحلة التعليم العالى الذى كان يعتمد أساساً على الأمهات المصدرية والشروح وعلى الأستاذ الذى كان يحيط بكل جزئيات

الموضوع الذى يُدرسُه ، فقد كان جوهر التعليم فى هذه المرحلة يعتمد على شرح النصوص واستيعابها والتعليق عليها وفقاً للأسلوب التعليمى التقليدى(٥١).

أما عن أهم العلوم التى قاموا بتدريسها وأهم العلماء من عائلة أقيت ، فنجد أن علوم اللغة والنحو كانت من أهم هذه العلوم ، لأن تعلم القرآن والعربية من أهم الضروريات، فقد ارتبط الإسلام باللغة العربية واحتلت عندهم مكانة القداسة لأنها لغة ألقرآن ، فعن طريق معرفتها يتم التعرف على علوم الدين جميعها ، فأصبح أساس التعليم هو حفظ القرآن وتفسيره ودراسة اللغة العربية والعلوم الإسلامية(٥٢).

وكان من أهم علماء هذه العائلة الحاج أحمد بن عمر الذى ذاعت شهرته فى علوم اللغة وآدابها وهو يمثل الفرع البكرى للعائلة (ت٩٤٢هـ/١٥٣٥م) ، فقد نهل هذا العلم من خاله النحوى الشهير الذى كان لغوياً وعروضياً ، وكان ذا فصاحة فى الأدب ، وقد اشتغل بالعلم والتدريس طوال حياته وكان فقيهاً لغوياً نحوياً وعروضياً(٥٣). وتذكر المصادر أن أبا بكر بن محمد بن عمر بن محمد أقيت (ت٩٩١هـ/١٥٨٤م) تفوق فى العربية ، وكان أول من قرأ عليه أحمد بابا علم العربية(٥٤).

وبرز في علم النحو العالم والفقيه عبد الله بن عمر بن محمد أقيت (ت٩٢٩هـ/١٥٢٢م) فقد نبغ فى النحو والفقه واللغة وكان ضليعاً فيها ، وقد رفض الالتحاق بإخوته الذين عادوا إلى تنبكت بعد موت سنى على ومكث فى ولاته وقام بالتدريس لطلابها الذين استفادوا منه استفادة كبيرة(٥٥). كذلك أبو حفص عمر بن الحاج أحمد بن عمر بن محمد أقيت ، وأيضاً عمر بن الحاج أحمد بن عمر بن محمد أقيت (ت١٠٠٦هـ/١٥٩٧م) كان كلُ منهما فقيهاً نحوياً ذاعت شهرته(٥٦).

وحظى علم الحديث باهتمام علماء هذه العائلة وقاموا بتدريسه ، فقد اهتم الفقيه أحمد بن أحمد بن عمر أقيت به وقام بعد عودته من الحج بتدريس

صحيحيّ البخارى ومسلم مدة طويلة فى مسجد سنكرى[٥٧] حتى وفاته عام (٩٩١هـ/١٥٨٤م)[٥٨].

ومن العلوم التى درسُوها أيضاً علم التفسير ، فقد كان لأحمد بابا التنبكتى دروس حول تفسير المحلى والسيوطى، فقد قرأهما قراءة جيدة وقام بتدريسهما[٥٩] كذلك اهتمت هذه العائلة بعلم الفقه وخصصوا دروسهم الرئيسية فيه ، فكان لزاماً عليهم أن يستوعبوا الكتب الفقهية المصدرية وكتب النوازل الهامة، ثم يقوموا بتدريسها وقراءتها على تلاميذهم، وتطلب منهم هذا أن يكونوا ملمين بكل شيوخ المذهب، فمن المعروف أن أحد علماء هذه العائلة وهو الفقيه محمود بن عمر أقيت (ت٩٥٥هـ/١٥٤٧م) هو الذى أدخل ونشر "مختصر خليل" على نطاق واسع فى تنبكت[٦٠].

وكان الحاج أحمد بن عمر (ت٩٤٢هـ/١٥٣٥م) يداوم على تدريس مدونة سحنون[٦١]، واشتهر أحمد بن سعيد سبط محمود بن عمر (ت٩٧٦هـ/١٥٦٨م) بأنه كان عالماً بالفقه ومطلعاً عليه ، فكان يقرأ فى دروسه "الموطأ" و"المدونة" و"مختصر خليل" وغيرها من الكتب الفقهية[٦٢].

ومن أهم علماء عائلة أقيت الذين برعوا فى الفقه أبو حفص القاضى عمر (ت١٠٠٦هـ/١٥٩٧م) ، وقال من عاصره من الشيوخ "إنه لو كان موجوداً فى زمن ابن عبد السلام[٦٣] بتونس لاستحق أن يكون مفتياً فيها "[٦٤].

أما عبد الله بن محمود بن عمر أقيت (ت١٠٠٦هـ/١٥٩٧م) فقد تفوق فى نوازل الفقه، وكان يعمل بالتدريس فى جوامع تنبكت ، وظل هكذا حتى نفيه إلى مراكش مع أهل بيته[٦٥].

وكذلك اهتم أحمد بابا بالفقه (ت ١٠٣٦هـ/١٦٢٧م) الذى درسه على يد أسرته، فقد لقى مختصر خليل الكثير من عنايته، فقام بدراسته وتدريسه وقام بشرحه للطلاب فى فترة إقامته بالمغرب[٦٦].

كذلك اهتمت هذه العائلة بدراسة السيرة النبوية ، وكانت دراستها ضرورة لمن يريد أن يكون معلماً ، فكان الحاج أحمد بن عمر بن محمد أقيت يحافظ على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان يداوم على قراءة كتاب "الشفاء" لعياض في مسجد سنكرى[٧٦] . وكذلك كان أبو حفص عمر ابن الحاج أحمد يداوم على مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصباح والمساء ، ويقوم بسرد كتاب الشفاء في كل يوم من أيام شهر رمضان في مسجد سنكرى أيضاً[٦٨] أما الفقيه محمد الأمين بن القاضى سيد أحمد فكان يدرّس كتاب الشفاء لعياض لمدة ثلاث سنوات في رمضان وفي مسجد سنكرى أيضاً[٦٩].

ومن العلوم التى قامت هذه العائلة بتدريسها علم التوحيد والمنطق ، فقد قام بتدريسه وتفوق فى ذلك الفقيه محمود بن عمر أقيت (ت٩٥٥هـ/١٥٤٨م) الذى اشتهر بأنه أحيا العلم فى تنبكت وزاد عدد طلابه وكثروا وقام بتدريس علوم مختلفة منها المنطق لمدة خمسين عاماً[٧٠] كذلك تفوق ابنه محمد بن محمود أقيت (ت٩٧٣هـ/١٥٦٥م) فى دراسته وأخذ شهرة فى تعلم المنطق ، وتعلم على يديه والد أحمد بابا البيان والمنطق[٧١].

هكذا تعددت العلوم التى قام بتدريسها أفراد عائلة أقيت ونبغوا فيها ، ولم يقتصر دورهم التعليمى على طلاب العلم فقط ، بل كان لهم دور فى تعليم عددٍ من العلماء الذين ذاعت شهرتهم سواءً فى تنبكت أو خارجها فنجد مخلوف بن على بن صالح البلبالى (ت٩٤٠هـ/١٥٣٣م)[٧٢] وهو من العلماء المشهورين قد أخذ العلم على يد عبدالله بن عمر بن محمد أقيت (ت٩٢٩هـ/١٥٢٢م) فقرأ عليه الرسالة ، ثم قام بالتدريس فى تنبكت قبل أن يعود إلى مراكش[٧٣] وأيضاً أخذ الفقيهان الأخوان محمد وأحمد ولداً الفقيه محمود بُغْيعَ - وهما من العلماء ذوي الأصول العلمية فى تنبكت - علم المنطق والأصول والبيان من الفقيه أحمد ابن أحمد بن عمر بن محمد أقيت (ت٩٩١هـ/١٥٨٣م)[٧٤].

كما كان لعلماء عائلة أقيت دور فى التعلم عندما دخلوا مراكش، وكان منهم بالطبع أحمد بابا الذى قام بالتدريس لمجموعة كبيرة من طلاب العلم الذين كانوا يحرصون على حضور دروسه، وكان منهم بعض الفقهاء ، فتذكر المصادر أن الفقيه أحمد بن الحاج محمد فهدى لب أبى فهدى التواتى ثم المراكشى تعلم على يد أحمد بابا التنبكتى ، فقد ذكر أنه قرأ عليه القرآن بتفسير المحلى والسيوطى على مدار سنتين قراءة تحقيق وفهم(٧٥).

كذلك كان لعلماء عائلة أقيت دور فى منح الإجازات العلمية لبعض العلماء المغاربة، فهناك إجازة من أحمد بابا فى عام (١٠٠٧هـ/١٥٩٨م) لأبى زيد عبد الرحمن بن سعيد التلمسانى نزيل ترودنت بالسوس الأقصى بالنصف الأول من صحيح الإمام البخارى ، وأكثر كتاب الشفاء لعياض وأوائل كتاب مسلم والترمذى وأبى داود ، ومختصر خليل ، وموطأ مالك(٧٦).

وهناك إجازة أخرى من أحمد بابا ليحيى بن سعيد عبد المنعم الحاحى عام (١٠٠٨هـ/١٥٩٩م) ليروى عنه جزءاً من الكتب والأحاديث بأسانيدها عن جماعة أخذها أحمد بابا من المجيز الشيخ قطب الدين المكى الخرقانى(٧٧).

كذلك أجاز أحمد بابا عام (١٠١٠هـ/١٦٠١م) بمدينة مراكش أحمد المقرى (ت ١٠٤١هـ) أن يروى عنه جميع ما جمعه فى الفنون ، وما جمع من العربية والفقه والحديث، وأن يروي عنه الكتب الستة وسائر مصنفات الحديث التى يرويها بسنده السودانى المفصل المتصل بكبار المحدثين المشارقة(٧٨). وهناك إجازة أخرى من أحمد بابا للتمنرتي بمراكش فى عام (١٠٣٦هـ/١٦٢٦م) وقد كتب له هذه الإجازة ولده وذلك لعجزه عن الكتابة لكبر سنه(٧٩).

ولم يقتصر دور هؤلاء العلماء على منح الإجازات العلمية بل أسهم بعض أفراد هذه العائلة فى حمل أسانيد العلوم الإسلامية إلى بلاد الهوسا مثلهم مثل المغاربة(٨٠). فقد دخل أحمد ابن عمر بن محمد أقيت إلى كانو عام

(٨٩٣هـ/١٤٨٧م) فى فترة حكم "الساركن محمد ريمفا" (٨٦٧-٩٠٤هـ/١٤٦٣-١٤٩٩م) ودرس العلم هناك وانتفع به الكثير من أبنائها ، كما أنه ساهم فى تغذية سند العلوم الإسلامية الموجودة فى مدينة كانو[٨١] هكذا أسهم علماء هذه العائلة فى مجال التدريس داخل وخارج تنبكت ، وكانت لهم مكتبات خاصة ساعدتهم على القيام بهذا الدور.

ثالثاً - دور عائلة أقيت فى الحركة الفكرية فى تنبكت :

كانت حركة الفكر والثقافة فى تنبكت خلال القرن السادس عشر، تسير بخطى سريعة لأن هناك عوامل كثيرة دفعت هذه الحركة ، منها تشجيع الاساكى لحركة العلم والثقافة وتهيئة المناخ الفكرى للأسر العلمية على أن تقوم بدورها ، وكان على رأسها عائلة أقيت . ويمكن أن نوضح الدور الذى قامت به هذه العائلة فى الحركة الفكرية فى تنبكت من خلال عدة نقاط هي: بيان ما كان للمكتبات الخاصة لهذه العائلة من دور ثقافى ، وبيان مساهمتهم فى حركة التأليف والثقافة ، وإظهار ما كان لهم من صلة مع علماء المغرب ومصر.

١- مكتبات عائلة أقيت :

اشتهرت عائلة أقيت بملكيتها للكتب والمكتبات الخاصة ، فقد توفرت لأفراد هذه العائلة جميع العوامل التى ساعدتهم على اقتناء مجموعات كبيرة من الكتب والمخطوطات النادرة التى أودعوها فى مكتباتهم الخاصة وورثوها بعضهم لبعض فقد حازوا هذه الكتب عن طريق الشراء من التجار الذين كانوا يحرصون على الاتجار فى هذه السلعة التى كانت تأتى بأرباح تفوق أرباح السلع الأخرى ففى مدينة تنبكت كانت تباع الكثير من الكتب المخطوطة التى تأتى من بلاد البربر عن طريق القوافل التجارية ، فكانت تأتى الكتب والمؤلفات المغربية والمشرقية[٨٢] والتى كان يحرص أفراد هذه العائلة على شرائها.

كذلك حصلوا على بعض كتبهم عن طريق الإهداء ، وذلك أثناء قيامهم برحلات للشرق لأداء فريضة الحج ، فهناك كانوا يلتقون بمجموعة العلماء الكبار الذين كانوا يهدون إليهم كتبهم التى ألفوها أو الكتب التى كانوا يملكونها ، مثل ما أتى به الحاج أحمد ومحمود والعاقب وأبو بكر وأحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت وغيرهم(٨٣).

وقد حصل بعض أفراد هذه العائلة على الكتب عن طريق النسخ ، فهذا أحمد بن عمر ابن محمد أقيت قام بنسخ كتبه وكتب بخطه عدة دواوين وعدداً من الكتب(٨٤). وكذلك ما فعله أحمد بابا عندما امتلك "الروض المعطار" فقد رصد هذه القصة الفقيه المرابطى محمد بن إبراهيم التمجروتى الدرعي فقال عنها : "(ليعلم الواقف على هذا أن الفقيه العالم سيدى أحمد بن أحمد أقيت الصنهاجى التنبكتى بباب شهر وعرف استعار منى هذا التأليف فى جزئين بخط مشرقى عتيق صحيح لا نظير له ، استعاره منى عام انصرافه من المغرب لبلده تنبكتو وذلك عام ستة عشر وألف وكان طلب منى أن أسمح له به حتى يستنسخه ففعلت : فحبسه خمسة عشر عاماً وأنا أكتب له عليه فى رده. فوجه إلى هذه النسخة المنسوخة من نسختى وحبس نسختى فلا حول ولا قوة إلا بالله وجاءتني هذه النسخة عام أحد وثلاثين وألف)"(٨٥) فهذه القصة تدل على الحرص على اقتناء النسخ الأصلية التى حرصوا على ضمها إلى مكتباتهم الخاصة.

كذلك استفاد أحمد بابا التنبكتى من خزانة منصور السعدى فى فترة وجوده بمراكش عام (١٠٠٢-١٠١٦هـ/١٥٩٣-١٦٠٦م) فقد كانت الكتب تنهال عليه ، وكان طلابه وأصدقاؤه يزودونه بما لديهم من كتب نفيسة(٨٦). وأيضاً حصل بعض أفراد هذه الأسرة على نسخ من الكتب عن طريق الميراث العائلى ، فمثلاً الحاج أحمد بن عمر بن محمد أقيت ت (٩٤٢هـ/١٥٣٦م) ورث عن جده لأمه الفقيه أندغمحمد وخاله الفقيه المختار النحوى عدداً من الكتب(٨٧).

هكذا تعددت الوسائل لحصول هذه العائلة على الكتب النفيسة والنادرة فاحتفظوا بها فى مكتباتهم الخاصة وأفادوا بها غيرهم من طلاب العلم، فالحاج أحمد بن أحمد أقيت اشتهر بأنه كان جامعاً للكتب وافر الخزانة التى كانت تحتوى على كل نفيس ، وكان يسمح بإعارتها، وترك حوالى سبعمائة مجلد ورثها أبنه من بعده وزاد عليها(٨٨).

أما عن أعداد هذه الكتب الموجودة فى المكتبات الخاصة لعائلة أقيت فإن المصادر لا تذكر إلا مثالين فقط : مكتبة الحاج أحمد بن أحمد أقيت الذى ترك سبعمائة مجلد ، ومكتبة أحمد بابا التنبكتى التى احتوت على ألف وستمائة مجلد ، واعتبر نفسه أقل عشيرته كتباً(٨٩) ويدل هذا على أن هذه العائلة كانت تمتلك أعداداً كبيرة من الكتب وخزانتها، فمن المعروف أن أول من أتخذ خزائن الكتب من الأساكي. كان أسكيا داوود (٩١٣-٩٩١هـ/١٥٤٩-١٥٨٢م) الذى كان له نساخون ينسخون له الكتب التى كان يهادى بها العلماء ، ومنهم بالطبع علماء عائلة أقيت(٩٠).

وعندما تعرضت صنغاى إلى حملة السعديين تعرضت هذه المكتبات الخاصة للنهب، وقسم منها وجهه الباشا محمود قائد الحملة إلى المغرب، وقيل إن جزءاً من هذه الكتب بيع واستقر فى الزوايا والخزائن الصحراوية(٩١).

هكذا كان للمكتبات الخاصة لعلماء عائلة أقيت فضلٌ فى أنها حافظت على مجموعة كبيرة من الكتب التراثية والفقهية التى قدمتها إلى طلاب العلم ، فتوفر لديهم رصيد متنوع من التراث الفكرى والثقافى سواء من المغرب أو من المشرق أو من السودان الغربى نفسه، مما كان له أكبر الأثر فى دفع حركة الفكر والثقافة داخل تنبكت، كما أن هذه المكتبات الخاصة ساعدت أفراد هذه العائلة على الوصول إلى مرحلة ناضجة من التفكير أهلتهم للمشاركة فى الحركة الفكرية ، فساهموا فى خدمة الثقافة العربية والإسلامية ، فتركوا للمكتبة العربية والأفريقية العديد من التآليف المتنوعة.

٢- مساهمة عائلة أقيت في التأليف :

كان لبعض علماء عائلة أقيت مساهمة فى الحركة الفكرية فى تنبكت عن طريق قيامهم بتأليف كتب مختلفة سواءً فى الفقه أو اللغة أو التراجم أو التاريخ أو التصوف، وكان لهم بعض الرسائل والتعاليق ، فكان لهم مؤلفات كتبت وجمعت وتداولها الناس ، لكن بعضها فُقد عندما تعرضت البلاد للحملة السعدية ، وكذلك عند تعرضها للاستعمار.

ولمعرفة العلوم التى ألفوا فيها ونوعية هذه التآليف ؟ ، نجد أن مؤلفاتهم لا تنعزل عن البيئة الثقافية التى تشبعوا بثقافتها، فكان لانتمائهم لمذهب الإمام مالك اهتموا اهتماماً كبيراً فى تأليف المختصرات والشروح والحواشى والتعاليق على مؤلفات هذا المذهب. فحظى مختصر خليل بنصيب كبير من التأليف ، فألفوا عليه تعاليق وحواشى ، وقد كتب الفقيه أحمد بن أحمد بن عمر أقيت (ت٩٩١هـ/١٥٨٣م) كتب تعاليق على شراح الخليل مثل تعليقه على ما كتبه محمد إبراهيم التتائى ، فكتب حاشية بيّن فيها مواضع السهومنه ، كما يقول عنه ابنه أنه كتب الكثير من الحواشى عن كتب عديدة فى الفقه ولكن للأسف لم يصل إلينا شئُ منها(٩٢).

وكان لأحمد بابا أيضاً شروح وتعليقات حول هذا المختصر ، فقد وضع شرحاً جمع فيه خلاصة كلام كل من وقف عليه من شراحه ، وقد أخذ هذا التعليق الفقيه إبراهيم الشاوى ونقل منه فى دروسه . وكانت أهم الاختصارات والتعاليق لأحمد بابا هو تعليقه على ما كتبه الفقيه العاقب بن عبد الله الانصمنى المسوفى "خصصت نية الحالف" اختصره وسماه "تنبيه الواقف على تحرير وخصصت نية الحالف"(٩٣)، كما كان له كتاب بعنوان "أنفس الأعلاق فى فتح الاستغلاق من فهم كلام خليل فى درك الصداق"(٩٤).

وكذلك كان له مؤلف فى المختصر بعنوان "أسئلة فى المشكلات"[٩٥] وهو يحتوى على ستة وثلاثين إشكالاً فقهياً وجهها أحمد بابا التنبكتى إلى مفتى المالكية فى مصر الفقيه سالم السنهورى (ت١٠١٥هـ/١٦٠٦م)[٩٦].

وكان لأحمد بابا التنبكتى آخر مشاهير عائلة أقيت مؤلفات أخرى فقهية هامة ومشهورة منها:

- تنبيه الواقف على تحرير وخصصت نية الحالف.
- درر الوشاح فى فوائد النكاح.
- ترتيب جامع المعيار للونشريسى.
- تعليق على مواضيع من ابن الحاجب.
- جواب عن القوانين العرفية التى استعملها بعض الأهالى فى الجبال الأطلسية المغربية لمحاكمة قطاع الطرق.
- مسائل إلى علماء مصر.
- أنفس الاعلاق فى فتح الاستغلاف من كلام خليل فى درك الصداق.
- الزند الوردى فى مسألة تخبير المشترى.
- اللمع فى الإشارة إلى حكم التبغ.
- معراج الصعود إلى نيل حكم مجلوب السود[٩٧].

كذلك كان لأحمد بابا ردود حول مسائل وردت إليه على شكل أسئلة حول مسألة الرق وأيضاً بيع الكتب وبيع الحطب[٩٨].

وكان لعلماء هذه العائلة مؤلفات فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم، فكان لأحمد بن أحمد بن عمر أقيت (ت ٩٩١هـ/١٥٨٣م) مؤلف يسمى "مخمسات العشرينات الفازارية فى مدح الرسول"[٩٩].

وكان لأحمد بابا مؤلفات فى مدح النبى منها :

- الدر النضير فى ألفاظ الصلاة على البشير النذير.
- خمائل الزهر فى كيفية الصلاة على سيد البشر ، ألفه عام (١٠١٤هـ/١٦٠٦م).
- نشر العبير بمعانى أية الصلاة على البشير النذير ، ألفه عام (١٠١٤هـ/١٦٠٦م). (١٠٠)

أما علم اللغة وآدابها فقد حظى باهتمام من جانب هذه العائلة ، إذ ألف محمد بن عمر ابن محمد أقيت حاشية القيومية على الاجرومية ، وشمل هذا الشرح مواضع مختلفة على الأجرومية لصاحبها محمد بن محمد بن أجروم شملت اللفظ والتركيب والإعراب وأقسامه والأسماء الخمسة وغيرها(١٠١).

ومن العلوم التى ألفوا فيها أيضاً أدب التراجم ، فقد اهتم أحمد بن عمر أقيت (ت٩٤٢هـ/١٥٣٦م) بكتابة التراجم ولكنه لم يكمله ، ثم قام أحمد بابا التنبكتى بالكتابة عن تراجم الفقهاء المالكية مثل كتابه "نيل الابتهاج بتطريز الديباج" وكتابه "كفاية المحتاج لمن ليس بالديباج" فقد كتبه قبل نفيه لمراكش ولكنه فرغ منه عام (١٠٠٥هـ/١٥٩٦م) وهو بمنفاه، كما أنه كتب أيضاً "اللآلئ السندسية فى الفضائل السنوسية" فى عام (١٠٠٤هـ/١٥٩٥م)(١٠٢) .

وحظى مجال التاريخ باهتمامهم ، فقد برع أبو حفص القاضى عمر فى علم السير والتواريخ وأيام الناس ولكنه لم يترك مؤلفاً. أما أحمد بابا التنبكتى فقد ترك مؤلفاً بعنوان "درر السلوك بذكر الخلفاء وأفاضل الملوك"(١٠٣).

كذلك كانت لهم مؤلفات فى العلوم العقلية التى انتشرت مثل انتشار العلوم الشرعية فى تنبكت ، فحظى علم المنطق وعلم الكلام بأهتمامهم ، فتنوعت كتاباتهم فيه ، وكانت ما بين تعاليق وشروح على الكتب المشهورة فيه ، فكان

لمحمد بن محمود بن عمر بن محمد أقيت (ت٩٧٣هـ/١٥٦٥م) تعاليق على رجز المغيلى فى المنطق(١٠٤).

كذلك كان لأحمد بن أحمد بن عمر أقيت (ت٩٩١هـ/١٥٨٤م) شرح على منظومة المغيلى فى المنطق فى كتاب سماه "مناخ الأحباب من منح الوهاب" وكانت له مباحث فى هذا الكتاب(١٠٥).

كما كان لأحمد بابا رسائل كلامية متعددة منها:

- تنوير القلوب بتكفير الأعمال الصالحات للذنوب.
- شرح آخر لصغرى السنوسي.
- شرح العقيدة البرهانية للسلاجي.
- المطلب والمأرب فى أعظم أسماء الرب.

وكان له كتاب حول مسألة تكفير الأعمال الصالحة للذنوب ، وكان هذا الموضوع مرتبطاً بعلم الكلام ، ففيه بعض مواقف الفرق الكلامية مثل المعتزلة والمرجئة(١٠٦).

وكان لعلماء هذه العائلة تأليف فى التصوف ، منها ما كتبه أبو بكر أحمد بن عمر (ت٩٩١هـ/١٥٨٣م) فى كتابه "معين الضعفاء فى القناعة"(١٠٧) وماكتبه أحمد بابا من تأليف فى التصوف كان منها "الدر النضير فى كيفية الصلاة على الشفيع البشير" - "خمائل الزهر فيما ورد من كيفية الصلاة على سيد البشر" - نشر العبير بمعانى آيات الصلاة على البشير النذير(١٠٨).

ومن ضمن ماكتبته عائلة أقيت الفتاوى ، فقد ذاعت شهرة أحمد بابا فى كتابة الفتاوى الفقهية: مثل فتواه في معراج الصعود لنيل مجلوب السود ، وفتواه حول حكم انتشار التبغ(١٠٩).

كذلك كانت هناك قضايا شغلت بال علماء عائلة أقيت ، فكتبوا فيها تأليف يرصدون فيها آراءهم وأفكارهم مثل "العلم ومكانة العلماء ودورهم وعلاقتهم بالمجتمع" فكتب أحمد بابا التنبكتى مؤلفاً بعنوان "تحفة الفضلاء ببعض فضائل العلماء"(١١٠).

وعندما وجد أحمد بابا أن بعض الأساكى الأواخر قد تخلوا عن السياسة التى وضع قواعدها لهم أسكيا محمد ألف كتاباً (عام ٩٩٧هـ/١٥٨٩م) وسماه "جلب النعمة ودفع النقمة بمجانبة الولاة الظلمة" عبر فيها عن رأيه فى رفض السلطة الجائرة ، ثم ألف كتاب "التحذير من قرب الظلمة ومصاحبتهم والسعى إليهم ومؤانستهم طلباً لحطام الدنيا الفانية وزهرتها الدنية الواهية(١١١).

أما إذا قيمنا إسهامات هذه العائلة فى مجال التأليف ، فنجد أن طبيعة مؤلفاتهم لم تكن تختلف عما كان سائداً من مؤلفات الفقهاء والعلماء الآخرين في ذلك العصر ، فكانت عبارة عن متون وشروح وحواشي وتعاليق على كتب مشهورة ، وقليلاً ما نجدهم يكتبون كتباً من تأليفهم وكانت طريقة كتاباتهم ، وخاصة في المؤلفات الفقهية، تعتمد على النصوص والنقول ، وهو ما كان سائداً فى ذلك الوقت.

وقد حازت مؤلفات هذه العائلة كثيراً من الإقبال ، فسعى لطلبها العلماء وطلاب العلم، فهناك رسالة من أحد علماء أفريقيا فيما وراء الصحراء يطلب إلى صاحبه الذى فى المغرب بأن يبحث له عن مؤلفات لأحمد بابا التنبكتى حتى لا يحرمه من الاطلاع عليها وبخاصة المؤلفات التى ألفها أحمد بابا أثناء وجوده فى مراكش ، ويطلب منه أن ينسخ أو يشترى له هذه الكتب(١١٢).

هكذا نجد أن عائلة أقيت قد أسهمت بدور فى حركة التأليف الذى شهدته مدينة تنبكت، وكان لآخر مشاهير هذه العائلة وهو أحمد بابا مؤلفات كثيرة هى الباقية من مؤلفات هذه العائلة(١١٣) حتى الآن ، أما بقية المؤلفات الأخرى فقد فقدت ولم يبق منها إلا الشئ القليل.

٣- صلة علماء عائلة أقيت بعلماء المغرب ومصر :

تعددت جوانب الصلات التى ربطت بين علماء عائلة أقيت وعلماء المغرب ومصر، وسبق أن ذكرنا جوانب من هذه الصلات والتى تمثلت فى أن بعض علماء عائلة أقيت كانوا يتلقون العلم على يد جماعة من العلماء المغاربة والعلماء المصريين ، وأن هناك نماذج لمنح الإجازات العلمية التى حصل عليها علماء هذه العائلة من علماء مغاربة أو مصريين ، كما أن علماء أقيت أنفسهم قد ساهموا أيضاً فى منح بعض الإجازات العلمية لبعض المغاربة.

ولقد ربطت المرسلات والرسائل التي تبودلت بين عائلة أقيت وعلماء المغرب بينهما ، فلدينا بعض نماذج هذه المراسلات منها تبادل الفتاوى حول مسائل شغلت العامة والخاصة وكانت محل جدال بين العلماء مثل : مسألة العبيد والتبغ ومسائل الأعراف : فهناك رسائل أهل توات إلى أحمد بابا التنبكتى لأخذ رأيه حول قضية حكم الإسلام حول مجلوب السودان ، فرد عليهم أحمد بابا بالجواب حول حكم الإسلام فى رسالة سماها « الكشف والبيان لحكم مجلوب السودان »[١١٤].

وقد ظهر التبغ فى العالم الإسلامى فى أواخر القرن السادس عشر الميلادى فأدى ذلك إلى زيادة إشعال الجدل بين العلماءفي أمر تعاطيه وحرمته[١١٥] فقد ألف الفقيه المغربى أحمد بن أبى محلى في ذلك الرسالة الطلبية مع الإشارة الشجرية ، وذهب تلاميذه ليضعوها بين يدى العلماء ، وكان منهم أحمد بابا التنبكتى ، وقد وصلته الرسالة عام (١٠٣٧هـ/١٦٢٧م) وهو آنذاك بتمكروت فى وادى درعه فى طريق عودته إلى بلاده ، وبعد أن فحص أحمد بابا الرسالة جاء رده مفصلاً فى كراسة أطلق عليها اسم : "اللمع فى الإشارة لحكم التبغ" ، ووعد بكتاب آخر يكون أكمل وأتم بعنوان: عين الإصابة فى حكم التبغ[١١٦].

وكان لأحمد بابا رد" على أسئلة حول التبغ طرحها عليه علماء المغرب كقاضي فاس وفقيهها أبو الحسن على بن عمران وقاضى تاكر جبل ، وقد اعتمد فى الفتوى على حقيقة أن التدخين لا يذهب بالعقل ، ووفقاً لهذا لا يجب تحريمه تحريماً مطلقاً حتى إن أزال العقل فى الحالات القليلة(١١٧).

كما أن هناك فتوى أخرى لأحمد بابا حول أعراف الجبل وهى فى أمور تتعلق بالأحكام العرفية التى كانت تطبق فى الجبال المغربية ناحية السوسى الأقصى(١١٨).

أما النموذج الآخر الذى يبين صلة علماء عائلة أقيت بعلماء المغرب ، فهناك نص رسالة نصيحة أرسلها العالم عبد السلام الاسمر الزليطنى (ت ٩٩٠هـ/١٥٨٢م) إلى العالم الفقيه أحمد بن أحمد بن أقيت التنبكتى وأهل جماعته ، وهى تندرج تحت قائمة رسائل النصائح(١١٩) توضح مدى الترابط والاتصال بين شمال أفريقيا وما وراء الصحراء.

وهناك رسالة أخرى تدل على الصلات المتواصلة بين أحمد بابا وبين محمد بن امهمد رئيس البرابيش وإسماعيل بن إبراهيم المغربى من برقة وتوات وغدامس ، حيث يقطن هؤلاء، فالرسالة هى رد من هؤلاء على رسالة سبق أن أرسلها أحمد بابا إليهم ، ونلمح فيها تقديراً من هؤلاء على رسالة سبق أن أرسلها أحمد بابا إليهم ، بالإضافة ما نجده من تقدير لأحمد بابا ومكانته من خلال العبارات الجزلة التى تحملها الرسالة ، فيطلبون إليه أن يقضى ويحل النزاع والخلافات بين أحد الأهالى وأحد أهالى جنى(١٢٠). هذه بعض من الصلات التى ربطت بين علماء عائلة أقيت وعلماء المغرب وبرقة .

أما مصر فلدينا نماذج عن الصلات التى ربطت بين علمائها وعلماء عائلة أقيت ، فهناك رسائل بين أحمد بابا التنبكتى أيضاً وعلماء مصر فى فترة وجوده فى مراكش ، فقد كان يرسل الكتب والرسائل التى تحمل بعضاً من الأمور التى أشكلت عليه ، فهناك رسالة من أحمد بابا كتبها قبل عام (١٠١٠هـ/١٦٠١م)

إلى مفتى المالكية فى مصر سالم السنهورى (ت١٠١٥هـ/١٦٠٦م) تحتوى على ستة وثلاثين إشكالاً فقهياً[١٢١] وهناك رسالة أخرى مؤرخة بعام (١٠١٤هـ/١٦٠٥م) إلى علماء مصر يسألهم عن أمور استوقفته بلغت واحداً وعشرين سؤالاً تدور حول أمور متعددة[١٢٢] وهناك رسالة من مصر أرسلها شيخ الشافعية العالم صالح البلقينى (ت١٠١٥هـ/١٦٠٤م) إلى أحمد بابا يثنى فيها على مؤلفاته ويشجع طلبته فى الجامع الأزهر أن يكتبوا مؤلفاته وينتفعوا بها. وأرسل منها إلى البلاد الحجازية واليمنية[١٢٣].

فهذه الرسائل تعتبر نموذجاً حياً للتواصل الثقافى بين علماء عائلة أقيت وعلماء مصر فكان لذلك أثر واضح فى تعميق الصلات بينهما.

رابعاً - عائلة أقيت بين القضاء والسلطة :

واستكمالاً لدور عائلة أقيت فى نشر الثقافة فى مدينة تنبكت نبين مدى مساهمتهم الفعالة فى تولى منصب القضاء وأهم المهام التى مارسوها من خلال توليتهم هذا المنصب الحيوى والمؤثر فى المجتمع ، وكذلك بحث علاقتهم بالسلطة الحاكمة وأثر ذلك على المجتمع.

١- توليتهم منصب القضاء :

كان منصب القضاء من أهم المناصب التى تولتها عائلة أقيت وتوارثوه مدة طويلة فى تنبكت ، فقد استمروا فى هذا المنصب طيلة القرن العاشر الهجرى ، السادس عشر الميلادى ولم يتحول عنهم إلا فى عام (١٠٠٣هـ/١٥٩٣م)[١٢٤].

ويرجع الفضل إلى أسكيا محمد (٨٩٩-٩٣٤هـ/١٤٩٣-١٥٢٨م) فى أنه أول من نصب فى تنبكت وفى كل مدينة تستحق قاضياً[١٢٥] ، فقد كان قاضى تنبكت يتمتع بمكانة عالية نظراً لما تمثله هذه المدينة من مكانة تجارية وثقافية ، ولهذا يعتبر قاضيها من أكبر القضاة وله حرمة خاصة ووضع لا يجوز تجاهله.

ومن أشهر قضاة هذه العائلة فى مدينة تنبكت القاضى محمود بن عمر بن محمد أقيت (ت٩٥٥هـ/١٥٤٧م) وهو الزعيم الأصغر من عائلة أقيت ، وهو أول قاضى للمدينة ، ولاه أسكيا محمد لكى يحكم بين الناس بالعدل ، ومكث فى القضاء خمساً وخمسين سنة ، فقد تولاها وكان عمره خمساً وثلاثين سنة ، واشتهر بالنزاهة والعدل والتزام الحق فى الأحكام ، كما تولى الفقه والزعامة ، وكانت له مهابة من جانب أسيكا محمد[١٢٦] وكانت له آراء فى مسألة بيع الأحرار الذى شاع فى البلدان وعرض عليه وكان رأيه يدعو بحرمة هؤلاء كما أفتى بهذا فقهاء الأندلس وفاس ، وأن يقبل قولهم من غير أن يكلفوا بإثبات كونهم من تلك البلاد أو من غيرها ، فالبلاد المعروفة بإسلامها ، يُترك وسبيُه ويحكم له بالحرية كما أفتى بذلك فقهاء الأندلس[١٢٧] .

ثم شغل منصب القضاء بعد القاضى محمود ابنه محمد بن محمد بن عمر أبن محمد أقيت (ت٩٧٣هـ/١٥٦٥م) وكان عمره خمساً وأربعين سنة ، ومكث فى القضاء حوالى سبع عشرة سنة ، وتوفى عن ٦٣ سنة ، واشتهر عنه أنه كان ذي علم وفهم وعقل(١٢٨). وبعده تولى القاضى العاقب بن محمد بن عمر بن محمد أقيت (ت٩٩١هـ/١٥٥٣م) قضاء تنبكت، ومكث فى القضاء ثمانى عشرة سنة ، واشتهر بعدله واجتهاده وصلابته فى الحق ، ولم يأت بعده من يساويه فى نفس المكانة[١٢٩]. وظل منصب القضاء فى تنبكت بعده سنة ونصف لايتولاه أحد ، حتى قبلها الفقيه أبو حفص عمر بن الفقيه محمود عام (٩٩٣هـ/١٥٨٥م) بعد تهديد الأسكيا داود إذا لم يقبلها فسوف يوليها الجاهل ، فقبلها حتى لا يسأل أمام الله ومكث فيها تسع سنوات، وكان هو آخر من تولى منصب القضاء من عائلة أقيت[١٣٠].

وقد تعددت المهام التى تولالها القضاة فى تنبكت ومارسها قضاة عائلة أقيت ، فكان منها مهمة الإشراف على التعليم وبناء المساجد ومراعاة المساكين

وتولى الأحوال المدنية مثل تسجيل المحررين من العبيد ، والنظر فى تقسيم التركات والميراث ، والنظر فى الجرائم بين الناس والمنازعات ، كما كانت تترك لهم مهمة العناية بإيواء الطلاب وتوزيع الجرايات عليهم وعلى أساتذتهم ، فكانوا يعينون المدرسين ويساعدون المحتاجين من الطلاب(١٣١).

وأيضاً من ضمن المهام التى مارستها هذه العائلة مهمة تعيين إمامة الجامع الكبير(١٣٢) فىْ تنبكت ، فقد كان تعيين الإمام يتم على يد القضاة كما أكدت على ذلك المصادر ، وكان للبعض منهم مواقف متشددة فى التمسك برأيهم الذى كان يحترمه الأهالى وينفذونه(١٣٣).

ومن أهم من تولى منصب إمامة الجامع الكبير كان القاضى محمود بن عمر بن محمد (ت٩٥٥هـ/١٥٤٧م) فقد تولاها بعد إذن من الفقيه أبى عبد الله أند غمحمد بن الفقيه المختار النحوى(١٣٤) ، ثم تولاها الفقيه محمد بن الفقيه محمود ، ثم العاقب بن العاقب بن محمود بعد أن كلفه بها أسكيا داوود (٩١٣-٩٩١هـ/١٥٤٩-١٥٨٢م) فجمع بين المرتبتين (القضاء والإمامة) ، واشتهر بأنه كان من العلماء الدائمين على العمل ، ثم تولى بعده الفقيه عبد الرحمن بن الفقيه محمود ، وهو آخر من تولى من هذه العائلة، ثم جاء بعده أئمة تم تعيينهم على يد المغاربة(١٣٥).

هكذا كان لبعض أفراد هذه العائلة دور فى تولى مهمة إمامة الجامع الكبير، ورغم ذلك فقد ظهر منهم من كان يرفض الإمامة مثل الحاج أحمد بن عمر بن محمد أقيت (ت٩٤٢هـ/١٥٣٥م) الذى طلب منه الإمامة فى الجامع بالناس فرفض ذلك(١٣٦).

ومن ناحية أخرى فقد أسهم قضاة عائلة أقيت بدور فاعل فى الاهتمام بالمساجد القديمة والقيام بتوسيعها وتجديدها لكى تقوم بدروها الدينى والتعليمى على أكمل وجه ، فنجد القاضى العاقب بن محمد بن عمر بن محمد أقيت

(ت٩٩١هـ/١٥٨٣م) دوراً فاعلاً ومتعدداً فى هذا المجال، فقد قام بتجديد مسجد محمد نصّ فى الفترة ما بين (٩٧٦ - ٩٧٧هـ/١٥٦٧ - ١٥٦٨م) ، كما أنه قام بتجديد بناء المسجد الذى فى سوق تنبكت فى عام ٩٨٥هـ/١٥٧٧م(١٣٧).

أما الجامع الكبير وهو من الجوامع القديمة فى تنبكت فقد قام بتوسيعه بالطوب اللبن وسوى المقابر القديمة وزادها على الجامع القديم ، ويذكر أنه كان هناك سباق بين القاضى العاقب والاسكيا داود حول توسيع هذا المسجد والذى انتهى إليه بتوسيعه بناءً على أمر من الاسكيا، الذى قدم مساعدة لإتمام هذا التوسع ، فقد قدم إليه مالاً كثيراً وضعه كله تحت تصرفه، كما بعث له حوالى أربعة آلاف خشبة من شجر كنكو لكى تساعده فى إتمام عمليات التوسيع والتجديد ، وهذا كان يتماشى مع سياسة الاساكى التى كانت تهدف إلى تحسين مستوى المعرفة الدينية بالبلاد ، فشملت السياسة التعليمية توسيع المساجد القديمة(١٣٨).

واستكمالاً لدور القاضى العاقب فى حركة التجديد وتوسيع المساجد القديمة ، فقد قام فى عام (٩٨٦هـ/١٥٧٨م) بتجديد بناء مسجد سنكري ووسعه بقدر مساحة الكعبة من حيث الطول والعرض ، وكان قد أخذ هذا المقاس أثناء رحلته لأداء فريضة الحج ، فاستكمله على مقدار الكعبة مازاد وما نقص عليها فى شيء(١٣٩).

وقد قام القاضى العاقب فى عام (٩٧٩هـ/ ١٥٧١م) بتجديد وتوسيع مسجد سيدى يحيى(١٤٠) وتذكر المصادر أن الفقيه العاقب قد أنفق من ماله الخاص فى بناء هذه المساجد مالاً لا يعرف نهايته إلا الله(١٤١). هكذا كان لبعض أفراد هذه العائلة إسهام فى تطوير وتجديد مساجد تنبكت لكى تقوم بدورها التعليمى والدينى.

وقد عاش قضاة عائلة أقيت فى رغد من العيش والثراء ، فقد كانت عادة الاساكى التوسعة على العلماء وعلى القضاة وبخاصة فى المناسبات الدينية طوال شهر رمضان ويوم ليلة القدر وكان من عاداتهم أيضاً إعطاء الفقهاء والمداحين كسوة لهم ، واستمرت هذه العادة قائمة(١٤٢). فقد عاش قضاة عائلة أقيت فى مكانة اجتماعية ثرية وأنعكس ذلك على حياتهم فكانوا يقيمون الاحتفالات فى بيوتهم لتقبل التهانى من الأهالى في مناسباتهم الخاصة ، ويذكر السعدى ذلك بالتفصيل، فعندما رزق القاضى محمود بن عمر بن محمد أقيت بابنه محمد أهداه ضيوفه الرجال الذين فرحوا بولادته ألف مثقال من ذهب، لأنه كان أول مولود ذكر له(١٤٣).

وتذكر المصادر أن أسكيا داوود (٩١٣-٩٩١هـ/١٥٤٩-١٥٨٢م) كثر عطاؤه للقاضى العاقب فأعطاه مائة من الذهب، وقال له يقسمها بين نفسه وبين أهله وذريته وبين من يستحق شيئاً منهم(١٤٤). هكذا عاش قضاة عائلة أقيت فى مستوى معيشى مرتفع انعكس على أحوالهم وقد توقف هذا المستوى المعيشي على علاقتهم بالسلطة السياسية أى سلطة الأساكى :

٢- علاقة عائلة أقيت بالسلطة :

نظراً للمكانة والوضع والنفوذ والتأثير الذى كان لعائلة أقيت ، كان من الطبيعى أن يرتبطوا بعلاقات مع السلطة الحاكمة سواء علاقة سلمية أو علاقة عدائية ، ففى الفترة التى سبقت عهد الأساكين لم تشر المصادر إلا بإشارة واحدة عن الجد الأكبر لعائلة أقيت ، وهو محمد أقيت الذى كان له دور فى معارضة سلطان الطوارق (أقيل أج مالوال) عندما دخل تنبكت عام (٨٣٧هـ/١٤٣٣م) فحاربه ووقف معارضاً له حتى أنه اخترق درعه بالسيف والرمح وترك مدينة تنبكت وأقام ما بين ولاته وراس الماء ، ولم ينس السلطان فعله ، وعندما أراد العودة إلى تنبكت وقف بجانبه صديقه الذى كان له نفوذ وتأثير على السلطان

وهو جد مسراندعمر وزعيم عائلة أندغ الكبير التى كانت لها نفوذ فى تنبكت فى ذلك الوقت ، فزالت العداوة وسمح لهم بالعودة إلى تنبكت ، فقد رأى السلطان أنه من الفطنة أن يضمه إليه بدلاً من أن يكون من المتمردين عليه(١٤٥)، ويوضح هذا الموقف مدى ما لديهم من نفوذ قوى سمح لهم باعتراض السلطان. ولم توضح المصادر سبب تلك المعارضة ، وقد يكون السبب هو تصرفات سلطان الطوارق التى اشتهر بها فى تنبكت من الظلم والطغيان مما دعا زعيم العائلة لأن يقف فى وجه السلطان لكى يحد من الظلم.

أما سنى على (٨٦٩-٨٩٨هـ/١٤٦٤-١٤٩٢م) فعندما دخل تنبكت عام (٨٧٣هـ/١٤٦٨م) . قام بقتل خلق كثير وقام بإذلال أهلها ، وإزاء هذه التصرفات قرر فقهاء سنكرى ومنهم آل أقيت الرحيل إلى ولاته ، فتركوا المدينة هم ومجموعة من القضاة وكان منهم الفقيه عمر بن محمد أقيت وأولاده الثلاثة عبد الله والفقيه أحمد والفقيه محمود ، وظلوا فى ولاته فى رحاب خالهم(١٤٦) حتى انتهت هذه المحنة بعد موت سنى على وعاد الأخوة إلى تنبكت إلا عبد الله الذى أقام فى تازكتا وهي قرية بالقرب من تنبكت ورفض أن يعود، وعلل ذلك بقوله أن الناس فى سنكرى لا يساعدون بعضهم بعضاً ويتجاهلون صلة القرابة ويفترى بعضهم على بعض أمام الناس الذين يمتلكون الجاه والسلطان وأنه لا يسكن مع ذرية سنى على ويقى فيها حتى توفى(١٤٧).

وقد شاهد آل أقيت ما تعرض له أخوالهم من آل أند غمحمد من ظلم من جانب سنى على عندما رجعوا إلى تنبكت ، فقد أهانهم وقتل محمود وأحمد بن أندغمحمد ، وأتى بثلاثة من بناتهم الأبكار ليتخذهن جوارى لهم بزعم أنهن يتعاونّ مع الطوارق(١٤٨).

ونتيجة لموقف سنى على من عدم فهمه الصحيح للدين الإسلامى وعدم أخذه لمشورة العلماء قام العلماء ومنهم عائلة أقيت بانقلاب عليه ، فقد قاموا فى عام

(٨٩٨هـ/١٤٩٢م) بالمعارضة والاحتجاج ضده نتيجة لسياسته فى الاضهاد ونتيجة لتصرفاته التى روأ فيها خروجاً عن الدين فعارضوه[١٤٩]. وهكذا كان لعائلة أقيت موقف للمرة الثانية لمعارضة سلطة الحكام الجائرين .

أما فى عهد الاساكى فكانت لهم مواقف مخالفة فقد كانت علاقة هذه العائلة بالسلطة علاقة قوية فى عهد الأساكى الأقوياء ، فكانت لهم مواقف مع السلطة تبرهن على تحديهم لسلطة الحكام وإراداتهم ، فنجد أن الحكام خضعوا لهم واستجابوا لكى يسعوا إلى تحقيق مشروعهم السياسيى والدينى الذى لايقوم إلا على أساس هؤلاء العلماء ، ومنهم بالطبع عائلة أقيت. وقد وضع أسكيا محمد قواعد هذا المشروع ، وتعامل مع الحركة الإسلامية فى بلاده بذكاء شديد ، فسعى إلى التقرب إلى العلماء وصاحب الفقهاء ، وقلدهم جميع الأمور وأعلى من مقامهم ورفع قدرهم ؛ لأنهم هم وحدهم الذين يستطيعون التأثير على المسلمين فى جميع المناطق وهو الأمر الذى يحتاجه الاسكيا[١٥٠].

فقد اشتهر أسكيا محمد بأنه كان يقدر العلم وأهله ، فإذا دخلوا عليه أجلسهم على سريره وقربهم ، وأمر بألا يقف أحد إلا للعلماء والحجاج ولا يأكل معه إلا العلماء والشرفاء وأولادهم[١٥١]. فقد كانت سياسته مع العلماء والقضاة تتلخص فى الإحسان إليهم بكثرة العطاء، وجعل ذلك قاعدة لمن يأتون بعده أن يحترموهم ويحسنوا إليهم وإلى أهاليهم ، فقد اقتضت المصلحة بأن يكون هناك تحالف بين الطرفين[١٥٢].

وبرغم ذلك فقد كانت هناك نصوص فى المصادر الأصلية تبرهن على قوة سلطة العلماء والقضاة فى هذه العائلة وتحديهم للسلطة ، فقد رصد كتاب الفتاش قصة موقف القاضى محمود أقيت (ت٩٥٥هـ/١٥٤٨م) من رسل الأسكيا وقيامه بطرد هؤلاء الرسل ، والحوار الذى دار بين الأسكيا والقاضى محمود ودلالته على قوة سلطة القضاء داخل مدينة تنبكت ، وحرص الأسكيا على التودد لهم[١٥٣].

واستمرت مهابة السلاطين لأفراد هذه الأسرة ، والذين تولوا منهم منصب القضاء فى عهد الأسكيا داوود (٩١٣-٩٩١هـ/١٥٤٩-١٥٨٢م) ، كان يأتى إلى الحاج أحمد بن أحمد ابن عمر أقيت ويسامره ، وتعظيماً لقدره كان يتغاضى عن أى فعل يصدر منه(١٥٤). أما القاضى العاقب (ت٩٩١هـ/١٥٨٣م) فقد كانت له مع السلاطين مواقف ، فكانوا يخضعون له ويطيعونه فى كل ما أراد ، فإذا رأى ما لا يعجبه عزل نفسه عن القضاء وسد بابه. وكان الأسكيا يقف على بابه طويلاً ويدخل إليه بعد شفاعة بعض علماء البلد وأكابر الشيوخ ، وقد حدث له ذلك مرات كثيرة ، ومنها ما حدث عند بناء المسجد الكبير بتنبكت عندما وقعت وشاية بينهما(١٥٥).

وكان لعائلة أقيت مواقف من الأزمات التى تعرضت لها صنغاى ، وبخاصة فى أواخر عهد الأساكى ، فعندما تعرضت البلاد إلى الحملة المغربية، كان لهم موقف يساير دورهم المؤثر فى المجتمع، وقد أدرك هذا التأثير المنصور السعدى فأرسل مع جودر باشا عام (٩٩٨هـ/١٥٨٩م) عندما دخل صنغاى رسالة إلى قاضى تنبكت الإمام العلامة أبو حفص عمر بن الشيخ سيدى محمود بن عمر أقيت يأمره بأن يحض الناس على الدخول فى الطاعة ولزوم الجماعة(١٥٦) ، وهذا لا يقع إلا إذا سمع الأهالى ذلك منه ، نظراً لتأثيره عليهم.

وفى بداية حكم المغاربة لتنبكت كان للقاضى أبى حفص عمر بن محمد بن محمود أقيت موقف ، عندما حدثت الفتنة بين أهل تنبكت وبين القائد المصطفى التركى، تدخل القاضى وطلب شفاعة من الأمير المغربى لمجموعة من أهل تنبكت، وانتهى الأمر بقبول الأمير شفاعته وعقد صلح بين القائد وأهل تنبكت(١٥٧).

وبعد أن ظهر للعامة مظالم القواد المغاربة أخذ أفراد أسرة أقيت ومجموعة الشيوخ تحرض الأهالى ضد السعديين ويحرضونهم على الثورة والعصيان ، وكان رد فعل الباشا محمود عليهم وعلى مجموعة الفقهاء أنه قام بأسرهم فى

" القصبة " وذهب بفريق منهم إلى وسط البلد وذهب بالفريق الآخر إلى خارج البلد ، ثم اقتحم الباشا محمود ديارهم وأستولى على جميع ما لديهم من الأموال والمتاع ، ونُهبوا وكُشفت عوراتهم وفعلوا بهم الفواحش وذهب بهم رجاله إلى القصبة وسجنوا هناك ستة أشهر ، ثم أمر الباشا محمود بترحيل الفقهاء إلى مراكش بعد احتجازهم فى السجن نحو خمسة أشهر وذهبت جماعة كثيرة منهم إلى مراكش فى عام (١٠٠٢هـ/١٥٩٣م)، ولقد نُهب من ديار هؤلاء الفقهاء - ومنهم فقهاء أقيت بالطبع - أموالاً كثيرة لا حصر لها، ولم يبعث منها إلى المنصور السعدى الا مائة ألف دينار من الذهب[١٥٨].

ومن الأسماء البارزة لعائلة أقيت التى تم ترحيلها إلى مراكش ، كان أبو العباس أحمد بابا وأهل بيته ، ومنهم أيضاً الفقيه القاضى أبو حفص عمر بن محمود بن عمر بن محمد أقيت وكان معه حريم وتم نهب ذخائرهم وكتبهم[١٥٩]. وفى أثناء طريقهم إلى مراكش تعرضوا إلى إهانة فى المعاملة فانكسر عنق السيد عبد الرحمن بن ولى الله أبى البركات محمود وهو يتوضأ فمات فى ساعته ، كما سقط أحمد بابا من على الجمل الذى كان يركبه فى طريقه إلى مراكش فانكسرت قدمه[١٦٠]. وفى أثناء وجود أحمد بابا فى مراكش جددت إقامته هو ومن معه عام (١٠٠٢-١٠٠٤هـ/١٥٩٣-١٥٩٥م) بمدينة مراكش، وحدثت أيضاً مجادلة بين أحمد بابا والمنصور السعدى حول عدم أحقيته فى القيام بالحملة على بلاده[١٦١] ، هذه بعض مواقفهم أثناء وجودهم بمراكش.

٣- آخر ظهور لعائلة أقيت :

أما إذا تتبعنا عائلة أقيت بعد ترحيلهم إلى مراكش ، فنجد منهم من أقام فى مراكش وظل فيها حتى وفاته ويرصد لنا السعدى سجلاً بتاريخ وفيات شخصيات من عائلة أقيت مرتبة ترتيباً زمنياً ، فى شهر يوليو عام (١٠٠٤هـ / ١٥٩٧م) توفيت عائشة إيسر ابنة القاضى العاقب بن محمد ، وفى ٢١ يوليو

توفى حفيد القاضى محمود سيد بن عثمان ، وفى سبتمبر توفى أبو زيد عبد الرحمن بن القاضى محمود ودفن مع ابنه، وفى ١٨ سبتمبر توفت سيدة أم الفقيه عبدالله بن محمود ، وفى نوفمبر فى نفس العام توفى عمر بن الحاج أحمد عم أحمد بابا ، وفى ٩ مارس (١٠٠٧هـ/١٥٩٨م) توفى أبو محمد عبد الله بن القاضى محمود[١٦٢].

أما من رجع من آل أقيت من مراكش فقد استقر فى تنبكت وكان منهم أحمد بابا التنبكتى وبعض أفراد عائلته ، وقد توفى بعد عشرين عاماً (١٠٣٦هـ/١٦٢٧م) ، أما أبنه السيد محمد فقد توفى عام (١٠٥٧هـ/١٦٤٧م) وأشتهر بأنه كان كبير المداحين، وكانت له ابنة تسمى نانا فاطمة توفيت فى سن متقدم فى عام (١١٤٩هـ/١٧٣٦م).

وقد تعرض أحفاد عائلة أقيت إلى ظلم من جانب عبيد الباشا فيذكر فى "تذكرة النسيان" أثناء عرضه لأحداث عام (١١٣١هـ/١٧١٨م) ، أن عبيد الباشا أكثروا من المظالم ونهب آل أقيت، فقد دخلوا ديار أولاد أحمد بابا وأحفاده وحملوا منها متاعاً ولم يتركوا شيئاً فيها، وكذلك كشفوا حرمة ديار أولاد الفقيد محمود وأحفاده ونهبوا منها وسرقوا منها الكثير ، حتى سندات ملكية المنازل سرقوها[١٦٣].

وقد استمر وجود هذه العائلة حتى قدوم الرحالة "ديبوا" "Dubois.F."[١٦٤] في القرن ١٩م ، إذ يذكر أنه قابل اثنين من أحفاد أحمد بابا أحدهما يدعى أحمد أبو بكر يعمل قاضياً ويتمتع بشهرة فى العلوم ، والآخر عمر بابا يعمل ناسخاً للكتب[١٦٥] ، هذا آخر ظهور لعائلة أقيت التى تعتبر من أشهر العائلات العلمية فى مدينة تنبكت.

خاتمة

تعتبر عائلة أقيت من أهم العائلات العلمية البارزة في مدينة تنبكت ونخرج من دراسة هذه العائلة بعدة استنتاجات هامة هي :

أن أصل هذه العائلة يرجع إلى قبائل البربر الصنهاجية وبالأخص إلى قبيلة جدالة خلاف ما قاله البعض من أنّ أصلهم من مسوفة . كما أنهم نسبوا إلى جدهم الأصلي أبي بكر بن عمر الصنهاجي زعيم المرابطين لإضافة نسب الشرف عليهم وعلى أصلهم ، كذلك نسب بعض أفراد هذه العائلة أيضاً إلى الأماكن التي استقروا فيها وأن أقرب الأجداد لهذه العائلة من المحتمل أنهم عاشوا في القرن الرابع عشر الميلادي ، وأن جدهم الأكبر كان من أهل ماسنة ثم رحل إلى ولاته ومنها إلى مدينة تنبكت .

كما أن شهرة هذه العائلة قد ظهرت خلال الفترة من منتصف القرن الخامس عشر حتى نهاية القرن السادس عشر وأنهم عاصروا عهد الاساكي الأقويا في صنغاي الذين ساهموا في تدعيم ودفع الحركة العلمية والثقافية في بلادهم مما شجع هذه العائلة على ممارسة دورهم الثقافي ، كما أنهم اتخذوا مدينة تنبكت مركزاً لممارسة نشاطهم الثقافي ، فكان لهم أكبر الأثر في الحفاظ على تطوير الثقافة في هذه المدينة طوال تلك الفترة .

ويمكن القول بأن البيئة الثقافية التي عاشت فيها هذه العائلة كان لها أكبر الأثر على تكوينهم الثقافي والفكري ، فظهر منهم من ذاعت شهرته في مجال التدريس ، فقاموا بتدريس عدد من العلوم المختلفة سواء اللغوية أو الفقهية وحافظوا على استمرارية تدريسها ونشرها في تنبكت، ولم يقتصر دورهم على طلاب العلم فقط بل كان لهم دور في تعليم عدد من العلماء ذاعت شهرتهم في مدينة تنبكت وخارجها ، كما كان لهم دور تعليمي وثقافي في المغرب وبلاد الهوسا .

وقد تبين أن مدينة تنبكت قد شهدت حركة فكرية وأدبية نشطة ساهمت عائلة أقيت فى دفع هذه الحركة إلى الإمام من خلال ما قدمته لطلاب العلم من كتب تراثية وفقهية ثمينة احتفظت بها فى مكتباتها الخاصة وورثها بعضهم عن بعض ، فقد حازوا هذه الكتب عن طريق الشراء أو الإهداء ، وكانت هذه العائلة تمتلك أعداداً كبيرة من كتب التراث الفكري والثقافي المتنوع في مصدره .

أما المساهمة الفاعلة لهذه العائلة فكانت فى مجال التأليف الذى تعدد ما بين كتابة متون وشروح وحواشى وتعاليق على كتب مشهورة إلى تآليف كتب ذات قيمة تراثية لا تنعزل عن البيئة الثقافية التي تشبعوا بثقافتها ، وكان أشهرها ما كتبه أحمد بابا التنبكتى آخر مشاهير هذه العائلة، فقدم للمكتبة السودانية تراثاً فكرياً رائعاً ، سعى طلاب العلم إلى اقتنائه والاستفادة منه حتى الآن.

كذلك ساهمت هذه العائلة فى زيادة الصلة التى ربطت بين علمائها وعلماء مصر والمغرب، وكان لهذا أثره فى زيادة الصلات والحوار الفكرى بينهم وأتاح لهم الفرصة للإلمام بالثقافات السائدة خارج بلادهم وأن يكونوا دائماً فى حركة تواصل فكرى مستمر عن طريق الرسائل والفتاوى التي كانت بينهما .

كما أن رجال هذا البيت تولوا منصب القضاء واستمروا في هذا المنصب وكانت لهم مساهمة فى الحفاظ على تطبيق الشريعة والحفاظ على سير العدالة فى البلاد طيلة القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي ، وأيضاً ساهموا فى الإشراف على المساجد وتعيين إمامة الجامع الكبير في تنبكت ومنهم من تولى هذا المنصب ومنهم من كان يرفضه ، وتماشياً مع دورهم التعليمي نجد أنهم اهتموا بالمساجد القديمة وقاموا بتوسيعها وتجديدها لكي تقوم بدورها الديني والتعليمي.

كما بينت الدراسة العلاقة التى كانت بين علماء عائلة أقيت باعتبارهم يمثلون العقل المفكر وبين سلطة الحكام ، فأتضح أن هذه العلاقة تأرجحت بين

علاقة سلمية وعلاقة غير سلمية ، فقد كان لبعض أفراد هذه العائلة مواقف صلبة مع الحق وتطبيق الشريعة الإسلامية ، وعدم السماح بحدوث ظلم على الرعية وهذا الموقف نابع من دورهم الأساسى فى المجتمع كمصلحين وقضاة . ونجد أن الحكام خضعوا لهم واستجابوا لهم لكي يساعدوهم على تحقيق مشروعهم السياسي والديني الذي لا يقوم إلا على أكتاف هؤلاء العلماء .

كما أن لهذه العائلة مواقف من الأزمات التي تعرضت لها صنغاي وبخاصة عند قدوم السعديين ، وقد تعرضوا نتيجة لمواقفهم تلك إلى ظلم وتم ترحيلهم إلى مراكش .

هكذا نخلص بحقيقة هامة مفادها أن الدور الثقافي الذي لعبته عائلة أقيت قد ساهم فى وضع أسس للخصوصية الثقافية ودفع الحركة الفكرية فى مدينة تنبكت إلى الأمام من منتصف القرن الخامس عشر حتى نهاية القرن السادس عشر الميلادى.

الهوامش

١- يرجع أصول قبائل صنهاجة إلى قبائل حمير اليمنية ، التى استقرت فى المغرب ليأخذوا خراجهم ويديروا أمرهم ، وتنقسم قبائل صنهاجة إلى سبعين قبيلة منهم لمتونة - كدالة - مسوفة - لمطة ومسراته - تكلاتة ومنداسة - وبن وارث - وبنى فشتال وفى كل قبيلة من هؤلاء بطون وأفخاذ ، وقبائل أكثر من أن تحصى وجميعها قبائل صحراوية ، يقع امتدادها ما بين بلاد البربر وبلاد السودان. (انظر

ابن أبى زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، دار المنصور للطباعة - الرباط ١٩٧٢ ، ص ١١٩ ، ١٢٠ .

٢- قبيلة جدالة هى أحد قبائل صنهاجة ، كانت مضاربها تصل حتى مصب نهر السنغال ، واتخذت مدينة أوليلى مركزاً لها حيث يكثر الملح الذى كانت تحمله القوافل إلى الشمال والجنوب ، وكانت هذه القبيلة قريبة جداً من غانة وصنغاى ، وقريبة من أودغشت وكانت أقرب قبائل الملثمين إلى بلاد السودان . انظر :

حسن أحمد محمود : قيام دولة المرابطين ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ص ٤٦ .

(أما قبيلة مسوفة فكانت من أكثر القبائل الصنهاجية شهرة بسبب عملها فى معدن الملح بتغازة واستقرارها فى مناطق هامة لحركة التجارة الصحراوية ، مما أدى إلى زيادة جاهها وسلطاتها).

٣- عندما ذكر أحمد بابا فى كتابه نيل الابتهاج بتطريز الديباج تراجم كلاً من محمود بن عمر بن محمد أقيت ، وعبد الله بن عمر بن محمد أقيت ذكر كلمة المسوفى ، فى حين لم نجد فى بقية التراجم التى ذكرها عن بقية أفراد العائلة كلمة مسوفى وإنما ذكر الصنهاجى والتكرورى والماسنى وكلها أسماء عامة . (انظر : ص ٢٣٥ ، ٦٠٧)

انظر تفاصيل الجدل حول أصل عائلة أقيت هل يرجع إلى جدالة أم إلى مسوفة فى :

Cuoq, J: la famille Aqit de tombouctou , revue de l'institut des belles lettres Arabes 1978., m41, Premier Semestre : pp.86-89.

٤ - Ibid, p. 86 - 89 .

٥ - أحمد بابا : كفاية المحتاج لمن ليس بالديباج ، دراسة وتحقيق الاستاذ محمد مطيع ، طبعة وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالرباط ٢٠٠٠م ، جـ٢ ، ص ، ٢٨٠

الولاتى : فتح الشكور فى معرفة أعيان علماء التكرور ، تحقيق محمد إبراهيم الكتانى ، ومحمد حجى ، دار الغرب ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٨١ ، ص ، ٣١

Cuoq, J: op. cit., PP.85 , 86 .

٦- هو زعيم المرابطين ، وكان له دور بارز في توحيد الصحراء ، تابع نشر الإسلام ونشر مذهب الإمام مالك بين السودان وجاهدهم حتى تم له فتح بلادهم مسيرة ثلاثة أشهر ، وقد أحدث في السودان تغييراً جذرياً على يده في الفترة من (٤٥٣-٤٨٠هـ/١٠٦١-١٠٨٧م) ، وقد أنتشرت حكايات الشعبية عن بطولاته في حروبه مع السودان وشاعت في الصحراء . انظر : ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ١٣٥ .

عبد العزيز العلوى : التأثيرات الدينية والفكرية المغربية على السودان الغربي الوسيط ، رسالة دكتوراه غير منشورة، المملكة المغربية فاس ١٩٩٩ م، ص١٥٩، ١٦٠،١٦١، ١٦٦ ، ١٦٧) .

وعن تفاصيل دور أبو بكر بن عمر في الصحراء انظر : أحمد الشكرى : مملكة غانة وعلاقتها بالحركة المرابطية ، معهد الدراسات الإفريقية بالرباط ١٩٩٧ ، ص ٥٨-٦٩,

٧- Cuoq, J: op. cit., P.89.

٨- انظر نسب العائلة في Ibid, p. 101 .

٩- كانت وَلاَته تجمع سكني كبير تعيش على منتجات الرعي والتجارة ، وقد تعددت الروايات حول تأسيس هذه المدينة منها ما يذكر أنها تأسست قبل القرن العاشر الميلادي وإن سكانها كانوا من صنهاجة ومن السوننكي ، ومنها ما يذكر أن تأسيسها تم مع بداية إسلام المنطقة إبان الحركة المرابطية ، ثم قدم يحيى وهو من المحاجيب وفتح المدينة وتمت السيطرة على المدينة بواسطة كرامة الوالي فالذي كان يسيطر على الماء هو وحده الذي يستطيع أن يتحكم في المدينة ، وتؤكد الروايات أن وَلاَته وجدت قبل مجيء يحى الكامل وأنه ليس هو المؤسس ولكنه اندمج في المدنية عبر تحالفات وعلاقات زواج مع السكان الأصليين وهم من صنهاجة (وبالأخص من مسوفة) . وإلى جانب المحاجيب ، ضمت ولاته مجموعات قبلية تعايشت في المدينة .

وعرفت هذه المدينة قديماً باسم بير ، وكانت ترد إليها الرفاق والتجارة ، ثم تحولت إلى مكان لجذب طلاب العلم فقد كانت محل سكني الطلاب والعلماء والصالحين من أهل مصر ووجل وفزان وغدامس وتوات ودرعة ، وتفلالة وفاس ، وقد وصفها ابن بطوطة أثناء رحلته ووصف الحياة التجارية والثقافية فيها ، فقد شاهد الحجاج والقضاء والمعلمين وشاهد الحركة العلمية والثقافية رائجة فيها : ففيها كان حفظة القرآن ومعلمو الفقه ، وكانت هذه المدينة محل سكني للأسر الصنهاجية التي أشتهرت بالعلم مثل الـ أند غمحمد والـ الحاج والـ أقيت ، والذين أنتقلوا إلى تنبكت فكانت عمارة تنبكت خراب بير. انظر السعدي : تاريخ السودان ، طبعة بردين ١٨٩٨م ، ص٢١ ، ٢٢ .

ابن بطوطة : تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، دار الشرق العربي (د.ت) ، ص٥٢٥ ، ٥٢٦ .

أحمد بلعراف التكني : إزالة الريب والشك في ذكر المؤلفين من أهل التكرور والصحراء وأهل شنقيط ، دراسة وتحقيق وتقديم ، د/ الهادي المبروك الدالي ، طرابلس ٢٠٠٠م ، ص٤٦ ، ٤٧ .
رحال بوبريك : المدينة في مجتمع البداوة التاريخ الاجتماعي لولاتة خلال القرنين ١٨ ، ١٩ مع تقديم ونشر تاريخ ولاته ، منشورات معهد الدراسات الأفريقية ٢٠٠٢م ، ص٨ - ٢٠ ،
انظر الملحق رقم (١) .

١٠- وحول العداوة بين الجد الأكبر للعائلة محمد أقيت وسلطان الطوارق انظر ما سبق أن ورد بالبحث.

١١- السعدي : مصدر سابق ، ص٣٥ ، ٣٦ .

Cuoq, J: op. cit., p. 90 .

١٢- هو من رجال العلم والصلاح ، وكان من نسله عدداً كبيراً من شيوخ العلم من جهة الأب أو من جهة الأم أو منهما معاً ، وقد تولى قضاة تنبكت في أواسط القرن التاسع الهجري، وتبوأت أسرته مركز الصدارة في العلم . انظر:
نفس المصدر ، ص٢٨ - ٣٠ .

Cuoq, J: op. cit., p. 91 .

١٣- نفس المصدر ، ص ٦٦ ، ٦٧ .

Clarke.B. West Africa and Islam, London 1982, p. 48,49 .

١٤- هو ابن الفقيه أبو عبد الله اند غمحمد بن محمد بن عثمان بن محمد بن نوح، عرف بالمختار النحوي، وكان عالماً بكل فنون العلم توفى عام٩٢٢هـ /١٥١٦م. انظر : نفس المصدر ، ص٢٩ .

١٥- عبد العزيز العلوي : مرجع سابق ، ص٤٠٥ .

Cuoq, J:op. cit., p. 92 .

١٦- Ibid, p.94 .

١٧- Ibid, pp.95 - 96 .

انظر الملحق رقم (٥) قائمة بسلسلة نسب عائلة أقيت .

١٨- موسى كمارا: زهور البساتين في أخبار السوادين، مخطوطة لدى مكتبة الباحثة، ص٢٠ .

١٩- وعن صنغاى وتطورها السياسي والحضاري انظر :
عبد القادر زبادية : مملكة سنغاي في عهد الأسيقيين ، الشركة الوطنية للنشر الجزائر - (د.ت) .
إبراهيم طرخان : إمبراطورية صنغاى الإسلامية ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الرياض ، المجلد الثامن عام ١٩٨١ ، انظر الملحق رقم (٢) .

٢٠- جميلة تكتيك : مملكة سنغاي الإسلامية في عهد الأسكيا محمد الكبير١٤٩٣- ١٥٢٨م، الطبعة الأولى ١٩٩٨ ، دار الكتب الوطنية طرابلس .

Hogben .S.J. An introduction to the History of the Islamic states of Northern Nigeria oxford 1967, p. 38 .

Clarke.B. op. cit., p. 50, 53 .

٢١- عبد العزيز العلوي : مرجع سابق ، ص٣٦٣ .

Moreau-R. Africans Musulmans, inadés Edition, presence Africaina 1982, p.121,124 .

٢٢- أحمد بابا : نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، إشراف وتقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ، طرابلس ، الطبعة الأولى ١٩٨٩ .

٢٣- محمود كعت : تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس ، طبع بردين ١٩١٣ ، ص٧٢ ، ٧٣ ، ١٠٦ ، ١٠٧ .

Hogben .S.J. : op. cit., p. 30 .

٢٤- أما عن نشأة مدينة تنبكت وتطورها الثقافي حتى عهد الأساكي : فقد نشأت على يد قبائل "مقشرن" على يد الطوارق في أواخر القرن الخامس الهجري ، وكانت مكاناً لانتجاعهم وقت الجفاف ثم حفروا فيه بئراً وسرعان ما تحولت إلى مكان لراحة التجار ، فكثر بها الناس وأتت إليها جميع البضائع ، وقد ظهرت المكانة العلمية لهذه المدينة في عهد سلطنة مالي وبخاصة في عهد أشهر سلاطينها منسا موسى (٧١٢-٧٣٧هـ/ ١٣١٢-١٣٣٧م) الذي كان له اهتمام خاص بهذه المدينة فأمر ببناء جامعها الكبير وأتى إليها بعد عودته من رحلة الحج ٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م بمجموعة كبيرة من الكتب الفقهية على مذهب الإمام مالك ، ونتيجة لذلك زاد النشاط الفكري والثقافي بها ، ويقدم السعدي دليلاً على المستوى الذي بلغته الحركة العلمية في هذه المدينة فيذكر أن أحد علماء الحجاز وهو عبد الرحمن التميمي أتى معه إلى تنبكت ولم يستطيع أن يجاري المستوى الفكري فيها ، فتركها وسافر إلى المغرب لتزويد ثقافته ثم رجع إليها وسكن فيها وخرج من ذريته من ذاعت شهرته من الفقهاء ، وفي عام ٨٣٧هـ/١٤٣٣م استولى الطوارق على مدن الصحراء وكانت منهم .ولاته وتنبكت ، واستمرت في يد الطوارق لمدة تقرب من أربعين عاماً ، وعاشت المدينة فى عهد ازدهار وقدم إليها عدد من طلاب العلم الذين كانوا فى ولاتهُ انتقلوا إليها ، وبعد الطوارق دخلها سنى على ، ثم دخلها الاساكى من عام ٨٩٨هـ إلى ٩٩٩هـ ثم ملكها المغاربة خمسة وستين عاماً. انظر :

- السعدى : مصدر سابق ، ص ٢١ ، ٢٢ ، ٥١ ، ٥٦.
- عبد القادر زبادية : مرجع سابق ، ص ١٠٠.
- عبد العزيز العلوى : مرجع سابق ، ص ص ٤٣٨ ، ٤٣٩ .

- Penda M. Bow.Ahmed Baba de tombouctou: précurseur des relations culturelles entre fés et le Soudan occidental .Fés et L'Afrique, Relations economiques, culturelles spirituelles, Fés 1996, p.109.

- Moreou - R : Africains Musulmans , inadés edition présence Africaine 1982, p.118, 119, 120.

انظر الملحق رقم (٢) .

٢٥- الحسن الوزان : وصف أفريقيا ، ترجمة الدكتور عبد الرحمن حميده ، راجعه الدكتور علي عبد الواحد ، طبعة الرياض ١٣٣٩هـ ، ص٥٤١ .

٢٦- أحمد بلعراف التكني : إزالة الريب والشك والتفريط في ذكر المؤلفين من أهل التكرور والصحراء وأهل شنقيط ، دراسة وتحقيق وتقديم د. الهادي المبروك الدالي ، طرابلس ٢٠٠٠م ، ص٥٢ ، ٥٤ ، ٥٥ .

أحمد بن بابير الأرواني : السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تنبكت البهية ، دراسة وتحقيق د. الهادي المبروك الدالي ، تقديم د. عبد الحميد عبد الله الهرامة ، جمعية الدعوة الإسلامية الطبعة الأولى ٢٠٠١م ، ص٤٩ .

٢٧- محمود كعت ، مصدر سابق ، ص٦١ ، ١١٠ .

٢٨- وعن الأسر العلمية في تنبكت انظر :

عبد العزيز العلوي : مرجع سابق ، ص٤٠١ - ٤١١ .

وأسرة الـ الحاج من الأسر العلمية الهامة في صنغاي ، ظهرت مكانتها منذ أن تولى جدهم الأكبر القاضي عبد الرحمن بن أبي بكر بن الحاج في مدينة تنبكت في أواخر عهد سلطنة مالي (أوائل القرن التاسع الهجري) وبعد ذلك عين أسكيا محمد أحد أفرادها قاضياً على يندبغ وكان ذلك إشارة إلى تراجع مكانة الـ الحاج انظر :

السعدي : مصدر سابق ، ص٢٧ ، ٢٨ .

الولاتي : مصدر سابق ، ص٨٨ ، ٨٩ .

٢٩- أحمد بابا : نيل الابتهاج ، ص١٣٧ .

Cuoq, J: op. cit., pp.91, 92 .

30- Ibid, p.97 .

٣١- أحمد بابا : نيل الابتهاج ، ص١٣٨ .

السعدي : مصدر سابق ، ص٣٧ .

الولاتي : مصدر سابق ، ص٢٧ .

٣٢- أحمد بابا : نيل الابتهاج ، ص٦٠٨ .

Cuoq, (J) op. cit., p. 96 .

٣٣- نفس المصدر ، ص٣٥٤ .

٣٤- نفس المصدر ، ص١٤١ ، ٣٥٤ .

أحمد بابير الأرواني : السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تنبكت البهية ، ص٨٤ .

٣٥- الولاتي : مصدر سابق ، ص١٧٥ .

٣٦- هو أحمد بن سعيد سبط محمود بن عمر ولد عام ٩٣١هـ/١٥٢٥م درّس وتلقى تعليمه على يد جده لأمه ، ثم جلس للتدريس من عام ٩٦٠ حتى ٩٧٦هـ/ ١٥٥٢ - ١٥٦٨م وكانت له مصنفات كثيرة ، وتوفى عام ٩٧٦هـ/١٥٦٨م انظر :

أحمد بابا : نيل الابتهاج ، ص١٤٢ ، ١٤٣ .

كفاية المحتاج ، جـ٢ ، ص١٣٩ .

٣٧- هو محمد بن محمود بن أبي بكر الونكري التنبكتي عرف ببغيع ، ولد عام ٩٩٣هـ/ ١٥٨٥م وتوفى عام ١٠٠٢هـ/١٥٩٣م ، أشتهر بحبه للعلم وأهله وجمعه للكتب ونسخها ، وقد تعددت المصادر التي استقى منها علمه ، واستوطن تنبكت ، وكانت له مؤلفات كثيرة وتعاليق وفتاوى - انظر : أحمد بابا : نيل الابتهاج ، ص٦٠٠ - ٦٠٢ .

Penda . M.B. op. cit., p. 111 , 112 .

٣٧- نظام الإجازات العلمية هو أحد الأنظمة التي انتشرت في العالم الإسلامي وفي صنغاي، ويتلخص هذا النظام في أن يقر الأستاذ بأهلية الطالب في تحصيله للعلم ويمنحه إجازة ، وكانت الاجازة تنقسم إلى ثلاث درجات : إجازة السماع وإجازة العرض وإجازة كاملة ، وهي المرحلة التي يصل الممنح فيها إلى مرحلة يستطيع معها ذكر الأسانيد وإرجاعها إلى مصدرها الأول وذكر الفوارق في الروايات بعد أن يلم بفن من الفنون ، وهذا النظام كان يتطلب الصبر والالتزام وتبسيط المفاهيم وعدم الإخلال بالقدر الكافي من التعمق ، وكان يجب على المجاز أن يلقى درساً بحضور أستاذه لكي يحصل لديه قناعة بمنحه الإجازة . انظر :

عبد القادر زبادية : مرجع سابق ، ص١٤٧ - ١٥٠ .

محمد الغربي : بداية الحكم المغربي في السودان الغربي ، إشراف الدكتور نقولا زيادة ، بغداد عام ١٩٨٢ ، ص٥٥٤ .

٣٩- أحمد بابا : نيل الابتهاج ، ص١٤٢ .

المقري : روضة الأسى العاطرة الانفاس في ذكر من لقيته من إعلام الحضرتين مراكش وفاس ، الطبعة الثانية الرباط ١٩٨٣ ، ص٣٠٦ - ٣١١ .

٤٠- حسن الصادقي : جوانب من التواصل الثقافي شمال - جنوب ، بحث ضمن أعمال ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الأفريقية على جانبي الصحراء ، طرابلس، الطبعة الأولى ١٩٩٩م ، ص٢٦٧ .

مخطوطات أحمد بابا التنبكتي في الخزانة المغربية ، معهد الدراسات الأفريقية الرباط ١٩٩٦ ، ص ٤١ ، ٤٢ .

٤١- هو العالم المغربي عبد الله بن أحمد الزموري ، كان شيخاً فقيهاً له شرح على الشفاء سماه (إيضاح اللبس والخفاء عن ألفاظ الشفاء) ، وكان من رجال العلم المشهورين ، فقد وصل إلى بلاد ولاتن وأقرأ أهلها ، ولقى هناك فقهاءها فأثنى عليهم ثم رجع ، وكان حياً في سنة ٨٨٨هـ/١٤٨٣م .

"أحمد بابا" : نيل الابتهاج ، ص٢٣٤ ، ٢٣٥ .

٤٢- الولاتي : مصدر سابق ، ص١٧٧ .

الأوراني : السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تنبكت البهية ، ص٨٣ .

٤٣- أحمد بابا : نيل الابتهاج ، ص١٣٧ ، ١٣٨ .

السعدي : مصدر سابق ، ص٣٧ ، ٦٥ .

٤٤- نفس المصدر ، ص٣١ .

٤٥- Cuoq, J: op. cit., p. 96 .

٤٦- كان ناصر اللقاني ٨٧٣-٩٥٨هـ/١٤٦٨-١٥٥١م من أشهر رجال العلم والفتيا في مصر ، جلس لأقراء العلوم المختلفة وقد قرأ الفقه في نحو ستين سنة ، وتولى الفُتيا في مصر ، كما أستفتى من جميع الأقاليم ، وكانت له مؤلفات عديدة منها ما كتبه على نسخة التوضيح وتقييد على المحلي شارح السبكي وله شرح على خطبة المختصر . انظر :

أحمد بابا : نيل الابتهاج ، ص٥٩٠ ، ٥٩١ .

كفاية المحتاج ، جـ٢ ، ص٢٣٠ - ٢٣٢ .

٤٧- أحمد بابا : نيل الابتهاج ، ص١٤١ ، ١٤٢ .

وعن الإجازات التي منحت من العلماء المصريين إلى عائلة أقيت انظر

المقري : مصدر سابق ، ص٣١٠ - ٣١١ .

٤٨- حسن الصادقي : جوانب من التواصل ، ص٢٦٨ .

٤٩- عبد السلام الأسمر الفيتوري بن سليم ابن محمد بن سالم بن محمد بن حميد بن عمران بن محيي بن سليمان السعيدي المغربي المخزومي القرشي ، كان من أكابر الأولياء وكان من أجل مشايخ الطريقة العروسية ، تعلم وقرأ العلوم على يد الشيخ عبد الرحمن الوسلاتي والشيخ زروق ثم توجه إلى الشيخ الدكالي وأخذ عنه التصوف والطريقة العروسية وقد توفى عام ٩٩٠هـ/١٥٨٢م ودفن في بلدته زليتن ويقصده الزوار من جميع الأقطار . انظر:

أحمد النائب الأنصاري : المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب ، منشورات مكتبة الفرجاني ، طرابلس ليبيا ١٩٦١ ، ج١ ، ص٢٢١ - ٢٢٣ .

٥٠- انظر نص الرسالة في البرموني / كريم الدين مناقب الشيخ عبد السلام الأسمر الفيتوري ، مخطوط مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، طرابلس (ليبيا) رقم ٨٢١ . أنظر الملحق رقم (٦) .

عبد الهادي الدالي: تاريخ أفريقيا فيما وراء الصحراء، دراسة وثائقية، ص٣٨- ٤٦ .

٥١- محمد الغربي : مرجع سابق ، ص٥٤٩ .

مودي سيسوكو / الصنغاى من القرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر ، تاريخ أفريقيا العام، المجلد الرابع - الطبعة الثانية اليونسكو ١٩٩٧ ، ص٢٢٠ .

٥٢- إبراهيم طرخان :الإسلام واللغة العربية في السودان الغربي والأوسط ، مجلة جامعة أم درمان ، العدد ٢ عام ١٩٦٩ ، ص٣١ ، ٤١ .

٥٣- أحمد بابا : نيل الابتهاج ، ص١٣٨ ، ١٤٢ .

السعدي : مصدر سابق ، ص٣٢ ، ٣٣ ، ٣٧ .

الولاتي : مصدر سابق ، ص٢٧ ، ٣٠ .

Cuoq, J: op. cit., p. 94 .

الهادي المبروك الدالي: التاريخ الحضاري لأفريقيا فيما وراء الصحراء، ص٢١٠،٢١١ .

٥٤- أحمد بابا : نيل الابتهاج ، ص١٥١ .

الولاتي : مصدر سابق ، ص٣٠ .

Cuoq, J: op. cit., p. 94 .

٥٥- السعدي : مصدر سابق ، ص٣٧ .

Cuoq, J: op. cit., pp.92, 93 .

٥٦- السعدي : مصدر سابق ، ص٣١ .

الولاتي : مصدر سابق ، ص١٧٨ .

٥٧- جامع سنكري تم بناؤه على يد امرأة غلالية تقرباً إلى الله تعالى ، لم يحدد تاريخ بنائه، ويقال إن منسا موسى في زمن دولة مالي أعاد تجديد هذا المسجد على يد المهندس عبد الله الغدامسي وأبي إسحاق الساحلي ، وقد احتضن هذا المسجد كبار العلماء من السودان ومن المغرب وكان يتم في رحابه إعطاء دروس في الدراسات الإسلامية واللغة العربية ، وقد ارتبط هذا المسجد بعدد من مراكز العلم في المغرب ومصر ، وتخرج منه علماء أفذاذ، وقد تعاقب على أمامته كثير من أشياخ عائلة أقيت . انظر :

السعدي : مصدر سابق ، ص٢٧ ، ٦٣ .

أحمد بلعراف التكني : إزالة الريب والشك والتفريط في ذكر المؤلفين من أهل التكرور والصحراء وأهل شنقيط ، دراسة وتحقيق وتقديم د. الهادي المبروك الدالي هامش ٣ ، ص٤٨ .

Hogben .S.j. op. cit., pp. 39 , 40 .

انظر الملحق رقم (٣) .

٥٨- أحمد بابا : نيل الابتهاج ، ص١٤٢ .

السعدي : مصدر سابق ، ص٣٢ ، ٣٣ .

الولاتي : مصدر سابق ، ص٣٠ .

(فقد كان عاداتهم طوال شهر رمضان هو أن يأتي القاضي والشهود والمداحين لقراءة صحيح البخاري . انظر مجهول : تذكرة النسيان في أخبار ملوك السودان ، نشر هوداس ، باريس ١٩٦٦ ، ص١٧) .

٥٩- الولاتي : مصدر سابق ، ص٣٣ ، ٣٤ .

٦٠- أحمد بابا : نيل الابتهاج ، ص٦٠٧ ، ٦٠٨ .

السعدي : مصدر سابق ، ص٣٨ ، ٤٣ ، ٤٥ .

العلوي : مرجع سابق ، ص٤٦٢ .

٦١- أحمد بابا : نيل الابتهاج ، ص١٣٨ .

السعدي : مصدر سابق ، ص٣٧ .

الولاتي : مصدر سابق ، ص٢٧ .

أحمد بابير الارواني : السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تنبكّت البهية ، ص٨٤ .

٦٢- أحمد بابا : نيل الابتهاج ، ص١٤٢ ، ١٤٣ .

٦٣- هو محمد ابن عبد السلام التونسي ولد عام (٦٧٦هـ/١٢٧٧م) وتوفى عام (٧٤٠هـ/١٣٣٩م) قرأ الموطأ على يد سندين لا يوجد مثلهما في المغرب من حيث القراءة والسماع وهما الشيخان أبو العباس البطرني والشيخ أبي محمد هارون الطاوي ، فقد أشتهر بأنه كان إمام الفقه والفتيا في تونس ، واشتهر بإلمامه بعلوم كثيرة وكذلك عدله في الاحكام . انظر :

البلوي : تاج المفرق في تحلية علماء المشرق ، تحقيق الحسن السائح الرباط ١٩٧٧ ، ١٩٧٨ ، جـ الأول ، ص١٧٦ - ١٧٨ .

٦٤- السعدي : مصدر سابق ، ص٣٤ .

العلوي : مرجع سابق ، ص٤٥٨ .

أحمد دياب : علماء بلاد السودان الغربي في القرنين السادس عشر والسابع عشر وآثارهم العلمية ، ضمن ندوة علماء الأفارقة ، معهد البحوث والدراسات العربية ، ببغداد ١٩٨٣ ، ص١٥١ .

٦٥- أحمد بابا : نيل الابتهاج ، ص٢٣٦ .

محمد الغربي : مرجع سابق ، ص٥٢٥ .

٦٦- نفس المصدر ، ص١٧١ ، ١٧٣ ، ٣٥٣ .

أحمد بابا : كفاية المحتاج ، ج١ ، ص٢٠٢ .

٦٧- نفس المصدر ، ص١٣٧ .

السعدي : مصدر سابق ، ص٣٣ ، ٣٧ .

الولاتي : مصدر سابق ، ص٢٧ .

عبد العزيز العلوي : مرجع سابق ، ص٤٥٩ .

٦٨- السعدي : مصدر سابق ، ص٢٩ ، ٣١ .

العلوي : مرجع سابق ، ص٤٥٩ .

٦٩- مجهول : تذكرة النسيان في أخبار ملوك السودان ، ص٥٤ .

٧٠- أحمد بابا : نيل الابتهاج ، ص٦٠٧ .

السعدي : مصدر سابق ، ص٣١ ، ٣٨ .

عبد القادر زبادية : مرجع سابق ، ص١٣٨ .

عبد العزيز العلوي : مرجع سابق ، ص٤٥٢ ، ٤٦٠ .

٧١- أحمد بابا : نيل الابتهاج ، ص٥٩٧ .

٧٢- وهو من أخذ العلم على كبر ، وحصل العلم في ولاتن ثم سافر إلى الغرب وتقابل مع مجموعة كبيرة من العلماء المشهورين منهم ابن غازي ، وذاعت شهرته وقدرته على الحفظ حتى قيل إنه يحفظ صحيح البخاري كله ، وكان له دور في نشر العلم في كنو وكشن ، وكما كانت له نوازل وأبحاث مع الفقيه العاقب الانصمي ، دّرس في تنبكت ودّرس في مراكش حتى وفاته (٩٤٠هـ/١٥٣٣م) . انظر :

نفس المصدر ، ص٦٠٨ .

٧٣- نفس المصدر ، ص٦٠٨ .

الولاتي : مصدر سابق ، ص١٤٦ .

٧٤- أحمد بابا : نيل الابتهاج ، ص١٤٢ .

الولاتي : مصدر سابق ، ص٢٩ .

٧٥- الولاتي : مصدر سابق ، ص ص٣٣ ، ٣٤ .

محمد حجي : الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين ، طبعة ١٩٧٦ ، جـ الأول ، ص٧١ .

٧٦- انظر نص الإجازة في مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط رقم ٣٦٩٣ ورقة٢١٠ ، ٢١١ ، حسن الصادقي : جوانب من التواصل الثقافي شمال - جنوب، ص٢٦٨ ، ٢٦٩، مخطوطات أحمد بابا في الخزانة المغربية ، ص٤٢ .

٧٧- انظر نص الإجازة في نفس المصدر، ورقة ٢١١، وحسن الصادقي ، المرجع السابق، ص ٢٦٧ ، مخطوطات أحمد بابا ، ص٤١ ، ٤٢ .

٧٨- انظر نص هذه الإجازة ، فقد إجازه أن يروي عنه التعليق في التاريخ ، وحواش على خليل وجلب النعم ودفع النقم في مجانبة الظلمة ، وجزء من تكفير الكبائر بالأعمال الصالحة ، وبعض من كلام ابن مرزوق وترتيب جامع المعيار ، ومسائل التوحيد والتفسير وشرح القصيدة البرهانية للسلالجي ، وأيضاً إجازه في التعليق على مواضع من خليل مسائل في صورة أسئلة وجهها إلى فاس ومراكش، وإجازه على ما جمعه في العربية والفقه والحديث ويروي عنه مختصر خليل قراءة بحث وتحقيق وإجازه في صحيح مسلم والموطأ وصحيح البخاري والشفاء لعياض انظر :

نص هذه الإجازة في المقري : روضة الأس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من اعلام الحضرتين مراكش وفاس ، ص٣٠٤ - ٣١٢ .

ومحمد حجي : مرجع سابق ، ص١٠٤ ، ٢٧٠ .

انظر ملحق رقم (٧) مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط رقم ٣٦٩٣ .

٧٩- نص الإجازة "الحمد لله وحده والصلاة على من لا نبي بعد وبعد فقد أجزت لك أن تروي عني جميع مايجوز لي متلفظاً بها بشرطه المعتبر عند أهلها وكتبه محمد بن أحمد بابا بن أحمد بن محمد أقيت بإذن والده رضى الله عنه ، انتهى" انظر:

حسن الصادقي : مرجع سابق ، ص٢٦٩ ، ٢٧٠ .

محمد الغربي : مرجع سابق ، ص٥٥٥ ، ٥٥٦ .

٨٠- فقد ذكر محمد بن شريفة أن سنن التعليم الإسلامي في كانو وكشن أسسها علماء مغاربة منهم عبد الكريم المغيلي ومحمد بن أحمد الدياخيتي ومخلوف بن علي البلبالي والعاقب بن عبد الله الانصمني المسوفي وعبد الرحمن بن علي القصري وعبد الرحمن سقين . انظر :

ابن شريفة : أعلام التواصل بين بلاد المغرب والسودان ، معهد الدراسات الأفريقية ، الرباط ١٩٩٩ ، ص١٤٧ ، ١٤٨ .

٨١- السعدي : مصدر سابق ، ص٣٧ .

حسين مراد : دولة كانو الإسلامية ، تطورها السياسي والحضاري حتى نهاية ق ٩هـ/١٥م ، بحث في مجلة الدراسات الأفريقية رقم ٤٧ عام ١٩٩٧ ، ص٣٤ .

٨٢- حسن الوزان : مصدر سابق ، ص٥٤١ .

عبد القادر زبادية : مرجع سابق ، ص٢٢٢ .

٨٣- أحمد بابا : نيل الابتهاج ، ص١٣٨ ، ٦٠٧ ، ٣٥٤ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٥١ .

٨٤- نفس المصدر ، ص١٣٧ .

السعدي : مصدر سابق ، ص٣٧ .

٨٥- محمد بن شريفة : من أعلام التواصل بين بلاد المغرب وبلاد السودان ، ص١٠ .

٨٦- محمد بن شريفة : أفادة أحمد بابا التنبكتي من الخزانة المغربية ، ضمن بحوث ندوة أحمد بابا إيسيسكو عام ١٩٩٣ ، ص٨٠ .

٨٧- السعدي : مصدر سابق ، ص٣٣ .

الولاتي : مصدر سابق ، ص٢٧ .

٨٨- نفس المصدر ، ص٣٧ ، ٤٣ .

الولاتي : مصدر سابق ، ص٢٩ .

جميلة تكتيك : مرجع سابق ، ص١٨٩ .

٨٩- الافراني : نزهة الحاوي بأخبار ملوك القرن الحادي ، تقديم وتحقيق عبد اللطيف الشاذلي ، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/١٩٩٨م ، ص١٧١ .

محمد الغربي : مرجع سابق ، ص٥٥٧ .

٩٠- محمود كعت : مصدر سابق ، ص٩٤ .

الحاج مرحبا : فتح الحنان المنان بأخبار السودان ، معهد البحوث والعلوم الإنسانية ، نيامي (النيجر) رقم ١٠٨ ، ص ٢٤ب .

٩١- محمد الغربي : مرجع سابق ، ص٥٥٧ .

٩٢- أحمد بابا : مصدر سابق ، ص١٤١ ، ١٤٢ ، ٥٨٨ .

السعدي : مصدر سابق ، ص٤٣ .

الولاتي : مصدر سابق ، ص٣٠ .

الهادي المبروك الدالي : التاريخ الحضاري لأفريقيا فيما وراء الصحراء ، ص١٨٦ .

Cuoq, J: op. cit., p. 94 .

٩٣- أحمد بابا : نيل الابتهاج ، ص١٧١ ، ١٧٣ ، ٣٥٣ .

: كفاية المحتاج ، ج٢ ، ص٢٠٢ .

٩٤- يدور هذا الكتاب حول تشبيه بعض أحكام الصداق بأحكام البيع وفيه سعى من المؤلف لترسيخ الأحكام المالكية للصداق في بلاده .

أنظر نص المخطوط كاملاً عند سامي سعيد : مساهمة في دراسة تاريخ الحياة الدينية في السودان الغربي خلال العصر الوسيط . (الدين والعلم في عصر الأسكيين ١٤٩٣ - ١٩١٥م) ، جامعة سيدي محمد بن عبد الله ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية فاس ١٩٩١ ، رسالة دبلوم دراسات عليا في التاريخ ، ص٥٢٣ - ٥٢٦ .

مخطوطة : أنفس الاعلاق في فتح الاستغلاق من فهم كلام خليل في درك الصداق . في الخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم ٧٧٤٥ .

٩٥- أحمد بابا : أسئلة في المشكلات ، مخطوطة داخل الخزانة العامة للكتب والوثائق بالرباط ضمن مجموع رقم ك ٤٧٠ .

٩٦- هو مفتي المالكية ورئيسها في مصر ، وكانت تأتي إليه الوفود المختلفة ، وكانت له مؤلفات كثيرة منها "الحاشية على مختصر الشيخ خليل في الفقه ، ورسالة في ليلة النصف من شعبان" وتوفى عام ١٠١٥هـ/ ١٦٠٦م . انظر :

المحبي : خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ، دار صادر بيروت ، بدون تاريخ، جـ٢ ، ص٢٠٤.

٩٧- وقد حظيت مؤلفات أحمد بابا باهتمام وتتبع من جانب عدد من الباحثين منهم حسن الصادقي وشوقي الجمل في بحثه عن أحمد بابا التنبكتي في ضوء بعض مخطوطاته بدار الوثائق بالرباط مجلة المناهل ، العدد ٣٦ الرباط ١٩٧٦ . وهناك دراسة لعبد العزيز بن عبد الله الرباط ١٩٧٦ ، ملحق الموسوعة المغربية للإعلام البشرية وهناك رسالة جامعية قام صاحبها بجرد وإحصاء مؤلفات أحمد بابا .

وهناك كشف لمخطوطات أحمد بابا قام بعرضها حسن الصادقي في كتابه مخطوطات أحمد بابا التنبكتي في الخزانة المغربية - معهد الدراسات الأفريقية ١٩٩٦، ص٤٣- ٤٤ .

انظر عرض لمؤلفات أحمد بابا في أحمد بلعراف التكني ، إزالة الريب والشك والتفريط ، ص٨٦ - ٨٩ .

وأيضاً بعض مؤلفات أحمد بابا التنبكتي كما ذكرها المقري : روضة الأس العاطرة الأنفاس ، ص٣٠٣ - ٣٠٥ .

٩٨- كان لعبيد الله يوسف بن إبراهيم بن عمر الأيسي ، أسئلة في مسألة الرق ، وجهها إلى أحمد بابا التنبكتي ... ، يقول كاتبه عبيد الله يوسف بن إبراهيم بن عمر الأيسي ، سألت سيدي

أحمد بابا بن الحاج أحمد بن الحاج أحمد ، عن كلام فقهاء مشاركين نفعنا الله ببركتهم مشافهة إذا إردت شراء المملوك من السوق ، ذكراً أو أنثى فنجده مولوداً عربي اللسان ، أو بربري اللسان ، وهل يجب على بحثه في أمه من لعلمها (أين) هي من السودان ، لئلا تكون ممن لا يجوز استرقاقها ... فقال لي حفظه الله اشتر ما ظهر لك ، ودع عنك ما خفي عليك بهذه الألفاظ" .

وسألت في موضوع أخر ، في فتوى بيع الكتب فأجاب ما نصه (وسئل عمن مات وخلف كتباً هل يجبر ورثته على بيعها ، أن لم يكن فيهم من يصلح لطلب العلم أم لا ؟ فأجاب لا يجبرون على ذلك (وسئل في موضوع أخر عن بيع الحطب ، بأذن الحطابين يضعون حزيمة صغيرة مع الحطب المراد بيعه، في مؤخرة الجمل، هل تصح للمشتري أم للبائع ؟ فأجاب على البائع أن يعزلها عن الحطب قبل بيعه . انظر :

عبيد الله يوسف بن إبراهيم بن عمر الأيسي يسأل أحمد بابا التنبكتي ، مخطوطة مكتبة الطاهر العلوي بمدينة جاو بدون تصنيف ورقتان . انظر :

الهادي المبروك الدالي : التاريخ الحضاري لأفريقيا فيما وراء الصحراء ، ص١٨٨،١٨٩ .

٩٩- السعدي : مصدر سابق ، ص٤٢ ، ٤٣ .

الولاتي : مصدر سابق ، ص٣٠ .

الهادي مبروك الدالي : التاريخ الحضاري لأفريقيا ، ص١٠٩ .

١٠٠- انظر حسن الصادقي : مرجع سابق ، ص٤٣ ، ٤٤ .

١٠١- محمد بن عمر أقيت : حاشية القيومية على الأجرومية ، رقم ٧٥٣٦ الخزانة الحسنية الرباط.

سامي سعيد : مرجع سابق ، ص٢٧٥ .

١٠٢- انظر الورقة الأولى من مخطوطة اللالئ السندسية في الفضائل السنوسية لأحمد بابا التنبكتي ، الخزانة العامة بالرباط ، مجموع رقم ٩٨٤د في الملحق رقم (٨) .

محمد حجي : مرجع سابق ، ص٧١ .

١٠٣- انظر الورقة الأولى من مخطوط "درر السلوك بذكر الخلفاء وأفاضل الملوك"، مخطوطة بمركز أحمد بابا للتوثيق والبحوث التاريخية ، تنبكت مالي (مناقب) رقم ٧٧٨ انظر الملحق رقم (٩).

السعدي : مصدر سابق ، ص٣٤ .

١٠٤- أحمد بابا : نيل الابتهاج ، ص٥٩٧ .

الهادي المبروك الدالي: التاريخ الحضاري لأفريقيا فيما وراء الصحراء ، ص١٨٣ .

أحمد بابير الأرواني : السعادة الأبدية ، ص٨٥ .

١٠٥- أنظر مناخ الأحباب من منح الوهاب ، ضمن مجموع بالخزانة العامة بالرباط ، رقم ٨٩٠/٥ .

وحول المباحث الكبرى للمنطق كما يراها أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت فهي كما يأتي :

المبحث الأول - التصورات :

١- نظرية الدلالة - الدلالة الطبيعية - الدلالة العقلية - الدلالة الوضعية .

٢- نظرية تركيب الألفاظ ، ج- نظرية التعريف .

المبحث الثاني - القضايا :

- الجملة - مبحث القياس، انظر التفاصيل عند سامي سعيد : مرجع سابق، ص٣٤٩-٣٧٧ .

١٠٦- نفس المرجع ، ص٣٤١ .

١٠٧- أحمد بابا : نيل الابتهاج ، ص١٥١ .

الهادي المبروك الدالي : التاريخ الحضاري لأفريقيا فيما وراء الصحراء، ص١٩٤ .

١٠٨- انظر حسن جلاب : أحمد بابا والتصوف في كتابه "الدر النضير" ، بحث ضمن الندوة التي عقدتها الايسيسكو عام ١٩٩٣م، انظر مضمون الدر النضير، ص١٤٧ - ١٥٢ .

١٠٩- فقد ورد إلى أحمد بابا من بعض تجار توات سنة ١٠٢٣هـ/١٦١٥م يسألونه عن الأوجه الشرعية لاسترقاق العبيد ، فألف فتواه "معراج الصعود لنيل مجلوب السود" ذكر فيه في حكمه بالكشف والبيان لأصناف مجلوب السودان بأن بلد برنو وكن وكشن وسفي وملي وبعض زكزك بلاد إسلام ولكي بقرب كل منها بلاد فيها كفرة إذ أجاب لما سئل عن أهل هذه البلاد المذكورة وقال أن أهلها مسلمون - انظر نص المخطوط توجد منه نسخ متعددة منها في الرباط وباريس، وهناك نسخة في الخزانة الحسنية بالرباط رقم ٧٢٤٨، ونسخة بالرباط رقم ١٧٢٤ .

عثمان بن فودي : تنبيه الأخوان على أحوال السودان ، معهد البحوث في العلوم الإنسانية ، نيامي النيجر ، رقم ٢٦٥ ، ص٥ ، ٦ .

وهناك الفتوى الأخرى لأحمد بابا تحت عنوان "اللمغ في الإشارة لحكم تبغ" ألفها عام ١٠١٦هـ/١٦٠٧م .

انظر محمد حجي: مرجع سابق ، جـ ١، ص٥١ - ٢٥٤ .

وانظر أيضاً :

Moreau - R. op. cit., pp. 126 - 128 .

١١٠- أحمد بابا التنبكتي : تحفة الفضلاء ببعض فضائل العلماء ، تحقيق سعيد سامي ، المملكة المغربية ، جامعة محمد الخامس ، منشورات معهد الدراسات الأفريقية - الرباط ١٤١١٣هـ/١٩٩٢م ، ص٢٩ - ٣٥ .

وحول النسخ الموجودة لتحفة الفضلاء ببعض فضائل العلماء ، انظر : أحمد بلعراف التكني : إزالة الريب والشك والتفريط في ذكر المؤلفين من أهل التكرور والصحراء وأهل شنقيط ، ص٨٨ .

١١١- انظر نص المخطوط عند سامي سعيد ، مرجع سابق ، ص٤٥٢ - ٤٩٩ .

١١٢- الهادي المبروك الدالي : تاريخ أفريقيا فيما وراء الصحراء "دراسة وثائقية" الطبعة الأولى ٢٠٠٢م ، ص٦٦ .

١١٣- انظر جرد لمؤلفات أحمد بابا التنبكتي حسب مراحل حياته العلمية في سامي سعيد : مرجع سابق ، ص٥٥٦ - ٥٦٠ .

١١٤- أحمد بابا : الكشف والبيان لحكم مجلوب السودان ، رقم . Dt 79 - B.6.2

١١٥- وقد بلغت الفتاوى الصادرة فيه وحده أكثر من ثلاثين فتوى ، وقد وجهت الأسئلة إلى جميع أكابر العلماء في تنبكت وفاس ومراكش والقاهرة وغيرها : انظر

د. عبد العزيز عبد الله بطران : حرب فتاوى التدخين بين العلماء المسلمين من شمال وغرب أفريقيا في العقدين الأول والثاني من ظهور التبغ - ندوة فاس وأفريقيا ، الطبعة الأولى الرباط ١٩٩٦ ، ص١٨٤ - ١٨٥ .

١١٦- نفس المرجع ، ص١٩٤ .

١١٧- نفس المرجع ، ص٢٠٧ .

١١٨- حسن الصادقي : جوانب من التواصل الثقافي شمال - جنوب ، ص٢٧٠ .

١١٩- وعند فحص هذه الرسالة نجد فيها الحث على طلب العلم وعدم مصاحبة الجهلاء ، وأيضاً الحث على الدقة في اختيار النسب وعدم اتباع الألعاب التي تضيع الوقت ، والوصية الأخرى فهي ضرورة حفظ القرآن والإكثار من قراءته ، انظر :

الهادي المبروك الدالي : تاريخ أفريقيا فيما وراء الصحراء ، ص٣٨ - ٥٢ .

التاريخ الحضاري لأفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر ، ص٢١٤ ، انظر الملحق رقم (٦) .

١٢٠- الهادي المبروك الدالي : تاريخ أفريقيا فيما وراء الصحراء ، دراسة وثائقية ، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م ، ص٥١ ، ٥٢ ، ١٨٠ .

١٢١- سوزى أباظة : دراسة حول مخطوطى «أسئلة في المشكلات» و «أسئلة إلى علماء مصر» لأحمد بابا التنبكتى ، ندوة البردى والمخطوطات العربية في أفريقيا ، معهد الدراسات الأفريقية ـ جامعة القاهرة عام ٢٠٠١م .

١٢٢- نفس المرجع .

١٢٣- حسن الصادقي : جوانب من التواصل الثقافي ، ص٢٢٦ ، ٢٢٧ ، مخطوطات أحمد بابا التنبكتي في الخزانة المغربية ، ص٤٠ .

١٢٤- كان القاضي محمد بن أحمد بن القاضي عبد الرحمن المتوفي ١٠١٧هـ/١٦٠٨م هو أول القضاة الذين تولوا على يد المراكشيون ، وقد ولاه الباشا محمود بن على بن زرقون بعد ما قبض أولاد سيد محمود ، مكث في القضاء خمس عشر سنة .

السعدي : مصدر سابق ، ص٣٠٨ .

١٢٥- محمود كعت : تاريخ الفتاش ، ص٥٩ .

١٢٦- أحمد بابا : نيل الابتهاج ، ص٦٠٧ .

السعدي : مصدر سابق ، ص٧٥ ، ٧٦ .

أحمد بن بابير الأوراني : جواهر الحسان في أخبار السودان مخطوطة ، معهد البحوث والعلوم الإنسانية ، نيامي النيجر ، رقم ١٠٦ ، ص ٧ب .

Benda .M.B : op. cit., p. 111 .

١٢٧- محمود قاضي تنبكت: مسألة بيع الأحرار الذي شاع في البلدان من ص٣٥-٣٧ .

الهادي المبروك الدالي: تاريخ أفريقيا فيما وراء الصحراء (دراسة وثائقية)، ص٣٧ .

١٢٨- أحمد بابا : نيل الابتهاج ، ص٥٩٧ .

السعدي : مصدر سابق ، ص٣٣ .

١٢٩- محمود كعت : مصدر سابق ، ص١٢١ .

أحمد بابا : نيل الابتهاج ، ص٣٥٤ .

السعدي : مصدر سابق ، ص٣٤ .

١٣٠- السعدي : مصدر سابق ، ص١١٨ .

الولاتي : مصدر سابق ، ١٧٨ .

١٣١- سيسكو : مرجع سابق ، ص٢١٣ .

عبد القادر زبادية : مرجع سابق ، ص٧٤ - ٧٧ .

١٣٢- الجامع الكبير عرف بمسجد جنكري بير (أي المسجد الكبير) تم بناؤه في عهد السلطان الحاج منسا موسى سلطان مالي فبعد عودته من الحج أصطحب معه المهندسين عبد الله الكومي الغدامسي وأبو اسحاق الساحلي وقاموا ببنائه ، وكانت صومعته على خمسة صفوف وكانت القبور لاصقة بها من خارجها من جهة اليمين والمغرب ، وقد حدث اهتمام بهذا المسجد في عهد الاساكين فقد حبس الاسكيا محمد عليه تابوتاً به ستون جزءاً من المصحف الشريف من أجل ختمه واستمرت تقرأ فيه حتى عام ١٠٢٠هـ / ١٦١١ م انظر :

السعدي : مصدر سابق ، ص٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ .

أحمد بلعراف التكني : إزالة الريب والشك والتفريط في ذكر المؤلفين من أهل التكرور والصحراء وأهل شنقيط ، هامش (١) ص٤٨ ، انظر الملحق رقم (٤) .

١٣٣- ويذكر السعدي هذه القصة وهي أن القاضي الفقيه محمود كان صارماً في تعيين أئمة الجامع الكبير - فبعد موت الإمام سيد أبي القاسم اتفق أهل الجامع الكبير على الفقيه أحمد والد نانا سرك ، ورفعوا الأمر إلى القاضي محمود فوافق على تعيينه ، وبعد شهرين جاء ابن سيد القاسم من توات فأراد الأهالي أن يجعلوه إماماً ... فكان رد القاضي محمود عليهم عنيفاً وقال لهم أن لم تخرجوا عني سجنتكم جميعاً ... وبعد سبعة شهور توفى الإمام أحمد واتفقوا على الفقيه سيد على الجزولي فولاه الإمامه القاضي محمود ... نلمح من هذه القصة التي أوردها السعدي أن القاضي يأخذ رأي الأهالي في تعيين الأئمة، ولكن عندما يشعر بأي اعتداء على مهمة الأئمة يكون صارماً في الحق .

السعدي : مصدر سابق ، ص٦٠ .

١٣٤- نفس المصدر ، ص٢٩ .

الأرواني : السعادة الأبدية ، ص١٣١ .

الهادي المبروك الدالي: التاريخ الحضاري لأفريقيا فيما وراء الصحراء ، ص١٥١ .

١٣٥- نفس المصدر ، ص٦٣ .

وعن أئمة الجامع الكبير في تنبكت الذين تولوا على يد المغاربة ، انظر نفس المصدر ، ص٣٠٩ .

الأرواني : السعادة الأبدية ، ص ص ١٣١ ، ١٣٢ .

١٣٦- أحمد بابا : نيل الابتهاج ، ص١٣٨ .

الولاتي : مصدر سابق ، ص٢٨ .

١٣٧- السعدي : مصدر سابق ، ص ص ١٠٩ ، ١١٠ .

١٣٨- محمود كعت : مصدر سابق ، ص١١٠ ، ١١١ .

السعدي : مصدر سابق ، ص١١٠ .

الهادي المبروك الدالي : التاريخ الحضاري لأفريقيا ، ص١٥٠ .

محمد الغربي : مرجع سابق ، ص٥١٨ .

١٣٩- محمود كعت : مصدر سابق ، ص١٢١ ، ١٢٢ .

السعدي : مصدر سابق ، ص١١٠ ، ١١١.

أحمد بابير الأرواني : السعادة الأبدية ، ص٧٣ .

سيسكو : مرجع سابق ، ص ص٢١٩ .

١٤٠- مسجد سيدي يحيى أول مسجد بنى في مدينة تنبكت لصلاة الجمعة في فترة الطوارق في القرن الخامس الهجري ، وقد تم بناؤه على ضريح لرجل من العلماء الصالحين قدم من المغرب وكان له دور في نشر الإسلام في السودان الغربي ، وقد تم تحديد هذا المسجد في زمن محمد نصن ، ثم قام بتجديده القاضي العاقب أقيت . انظر :

أحمد بابير الأرواني : السعادة الأبدية ، ص٧٢ .

الهادي المبروك الدالي: التاريخ الحضاري لأفريقيا فيما وراء الصحراء ، ص١٥٦ .

١٤١- محمود كعت : مصدر سابق ، ص١٢٢ .

١٤٢- نفس المصدر ، ص١٨٠ .

مجهول : تذكرة النسيان ، ص١٤٦ .

١٤٣- السعدي : مصدر سابق ، ص٣٤ .

١٤٤- محمود كعت : مصدر سابق ، ص١٠٦ ، ١٠٧ .

١٤٥- السعدي : مصدر سابق ، ص٣٦ .

Couq, J: op. cit., p. 89 , 90 .

١٤٦- نفس المصدر ، ص٦٥ .

١٤٧- نفس المصدر ، ص٦٩ .

Couq, J : op. cit., p. 93 .

١٤٨- نفس المصدر ، ص٦٥ ، ٦٦ .

السعدي : مصدر سابق ، ص٦٧ .

١٤٩- سنى على كانت له تصرفات تدل على عدم فهمه لصحيح الدين الإسلامي منها أنه كان يترك الصلوات الخمس إلى أخر الليل ، وكان في كثير من الأحيان يقتل ويسجن أقرب المقربين إليه ثم يندم على فعله ، هذا بالإضافة إلى القتل والأسر لعدد كبير من العلماء والفقهاء ، وأيضاً اجادته ممارسة السحر ، وكان يملك موهبة كبيرة فيه ؟

السعدي : مصدر سابق ، ص٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ .

See Ciussoko, Tambceuctau, p. 5/

Rauch, la Religion des Songhay, p. 8 - 48 .

ورغم هذه الإساءة إلى العلماء فإنه كان يقر بفضلهم ، ويقول «لولا العلماء لا تحلو الدنيا ولا

تطيب» وكان يكثر الإحسان إليهم ويحترمهم ويبعث إليهم السراي والهدايا .

السعدي : مصدر سابق ، ص٦٧ .

١٥٠- أحمد بابير الأرواني : جواهر الحسان في أخبار ملوك السودان مخطوطة ، معهد البحوث والعلوم انسانية نيامي النيجر ، رقم ١٠٦، ص١٣ب .

١٥١- الحاج مرحبا : فتح الحنان المنان بأخبار السودان ، ص ٢٣ب .

١٥٢- محمود كعت : مصدر سابق ، ص٧٢ - ٧٣ .

١٥٣- يرصد كتاب الفتاش قصة تحالف الأسكيا محمد مع القاض محمود أقيت ولجوء الأسكيا إليه ليقف معه ، وينير له طريقه وينقذه مما يقع به من معاصي ويحول بينه وبين جهنم . انظر :

محمود كعت : مصدر سابق ، ص٦٠ ، ٦١ .

١٥٤- الولاتي : مصدر سابق ، ص٢٩٠ .

١٥٥- أحمد بابا : نيل الابتهاج ، ص٣٥٤ .

محمود كعت : مصدر سابق ، ص١٠٩ .

١٥٦- نص الرسالة في أولهما نجد تبرير للفتح وفي وسطها نجد الوصية بتقوى الله ويوضح أسباب الفتح وفي أخرها يحس الناس على الطاعة وهذا لا يحدث أو يتم إلا بمساعدة الفقهاء. انظر:

الفشتالي : مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفاء ، دراسة وتحقيق الدكتور عبد الكريم ، الرباط ١٩٧٧ ، ص١٣١ - ١٣٣ .

الافراني : نزهة الحاوي ، ص١٦٦ .

محمد الغربي : مرجع سابق ، ص١٨٥ ، ١٨٦ .

١٥٧- السعدي : مصدر سابق ، ص١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ .

Couq, J : op. cit., p. 98 .

١٥٨- نفس المصدر ، ص١٧٠ - ١٧٣ .

مجهول : تذكرة النسيان ، ص١٧٤ .

Couq, J : op. cit., p. 98 .

١٥٩- وعن المحنة التي تعرض لها علماء تنبكت ، ومنهم أحمد بابا وأهل بيته انظر :

الأفراني : مصدر سابق ، ص١٥٩ - ١٧٢ .

الفشتالي : مصدر سابق ، ص١٧٣ .

موسى كمارا : مصدر سابق ، ص٢٠ .

عبد القادر ذبادية : مرجع سابق ، ص١٣٨ ، ١٣٩ .

محمد الغربي ، مرجع سابق ، ص٥١٩ .

١٦٠- السعدي : مصدر سابق ، ص١٧٣ .

محمود عبدو زبير : السيرة الذاتية لأحمد بابا التنبكتي (ضمن بحوث ندوة التي عقدها إيسيسكو عام ١٩٩٣) ، ص٧٣ .

Couq, J : op. cit., p. 98 .

١٦١- انظر تفاصيل هذا الحوار عند الافراني : مصدر سابق ، ص١٦٦ ، ١٦٧ .

١٦٢- السعدي : مصدر سابق ص٣١ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٩ .

الولاتي : مصدر سابق ، ص٧٥ ، ١٧٨ .

Couq, J : op. cit., p. 99 , 100 .

١٦٣- مجهول : تذكرة النسيان ، ص٢٧ .

Couq, J : op. cit., p. 99 .

١٦٤- ديبوا "Dubois. F." مستشرق فرنسي زار مدينة تنبكت في القرن التاسع عشر ، وكانت قد فقدت الكثير من عظمتها السابقة ، وكتب معلومات كاملة عنها ، وذكر أنها تعيش على مجدها القديم . انظر:

Dubois. F : timbucto, the mgsterious (translated by Dion White - London 1982,) pp. 231-234

١٦٥- Couq, J : op. cit., p. 100 .

الملاحق

أولاً : الخرائط :

١- ملحق رقم (١) خريطة توضح موقع مدينة ولاته وتنبكت.

٢- ملحق رقم (٢) خريطة توضح الموقع الجغرافي لسلطنة صنغاي.

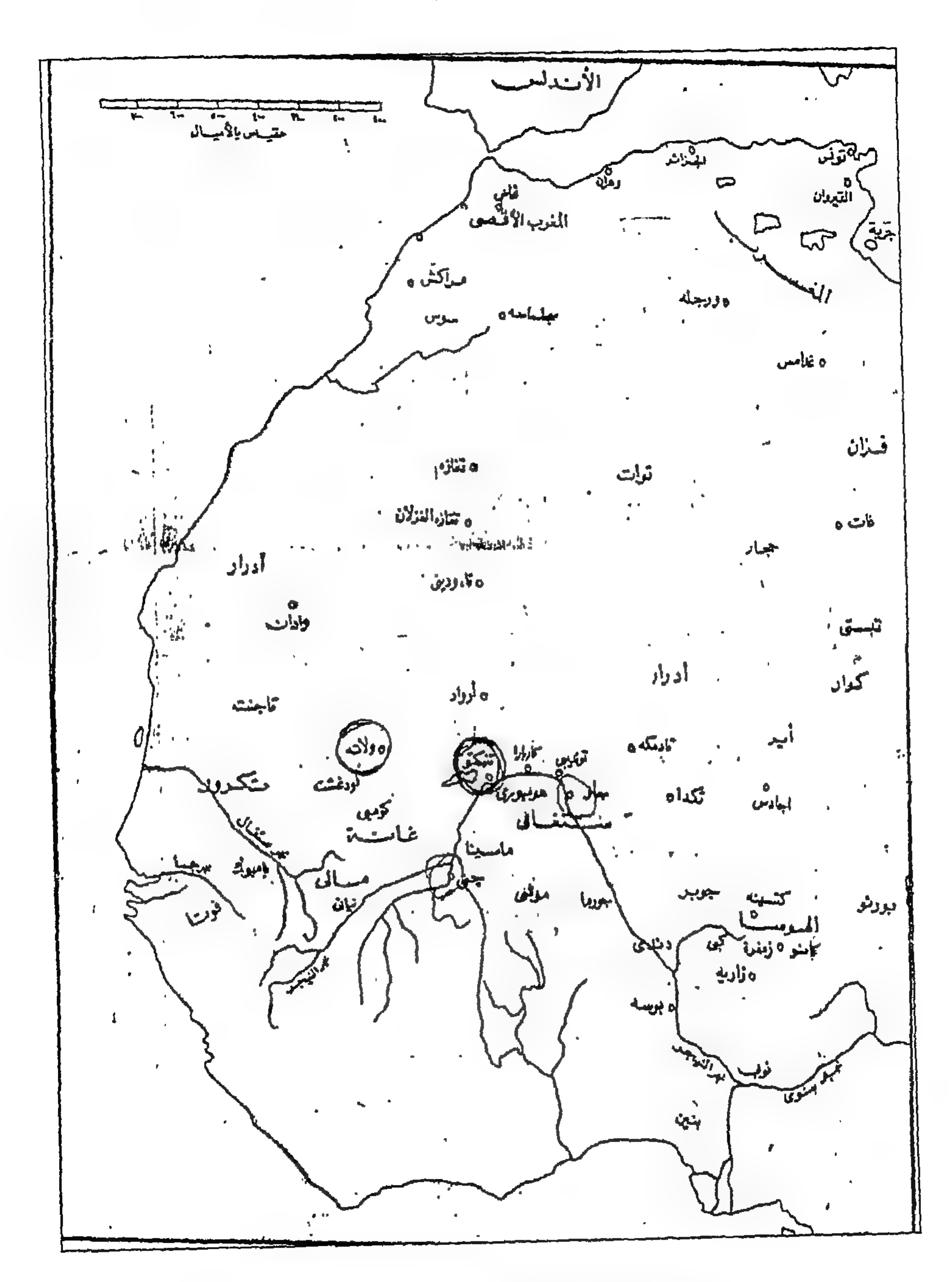
ثانياً: الصور:

- ملحق رقم(٣) صورة لمسجد سنكري.
- ملحق رقم (٤) صورة لمسجد الجامع الكبير.

ثالثاً: المخطوطات :

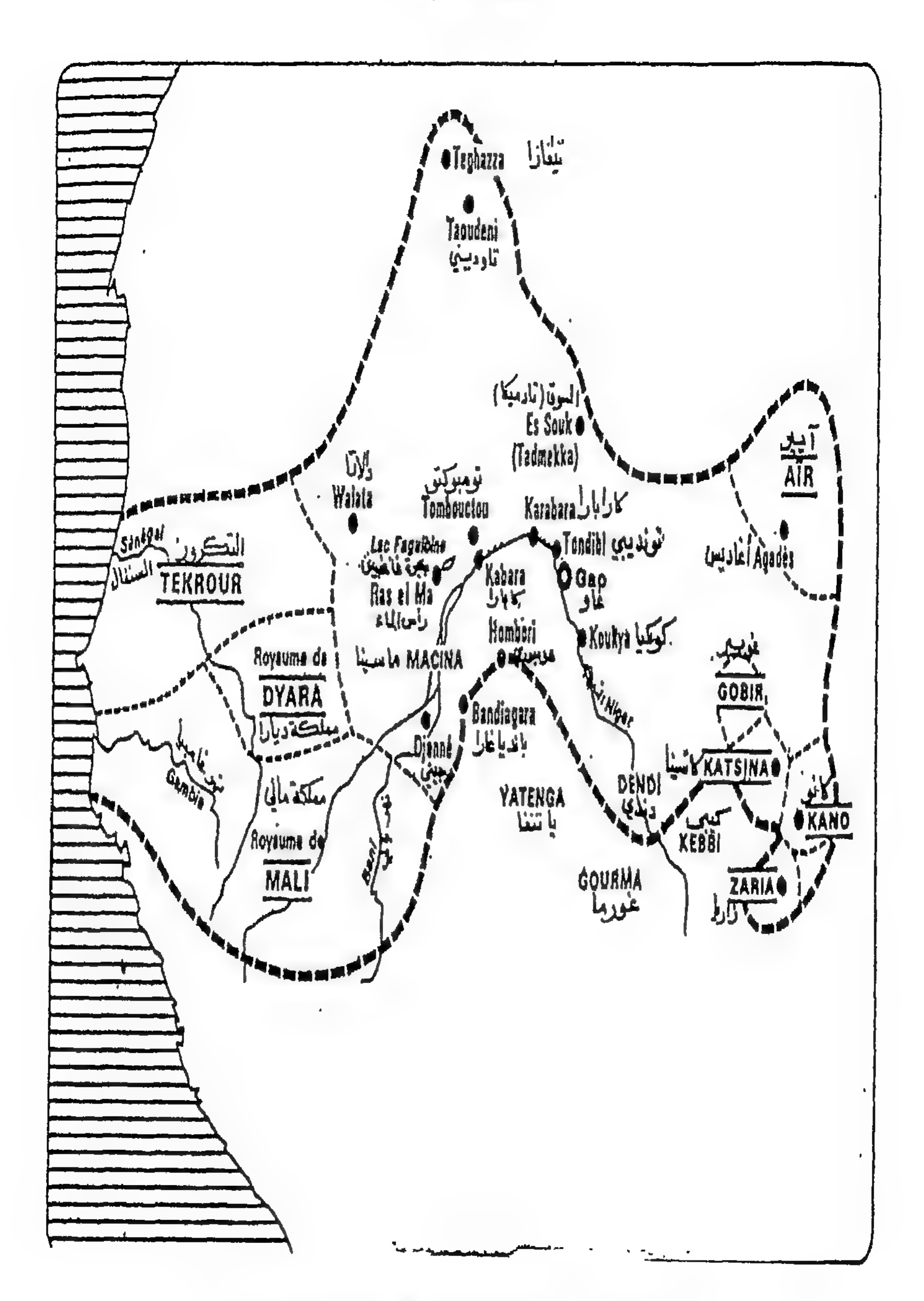
- ملحق رقم (٥) قائمة بسلسلة نسب عائلة أقيت.
- ملحق رقم (٦) الشيخ عبد السلام الأسمر الفيتوري يبعث برسالة إلى أحمد بن أحمد بن أقيت التنبكتي وجماعته ، مخطوط بمركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية - طرابلس - ليبيا رقم , ٨٢١
- ملحق رقم (٧) إجازة أبو العباس أحمد بابا التنبكتي إلى الإمام أبي الفضل محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم الحاحي مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط رقم ٣٦٩٣
- ملحق رقم (٨) ورقتان من مخطوط اللآلئ السندسية في الفضائل السنوسية لأحمد بابا التنبكتي - الخزانة العامة بالرباط ضمن مجموع رقم ٩٨٤ د.
- ملحق رقم (٩) الورقة الأولى من مخطوطة درر السلوك بذكر الخلفاء وأفاضل الملوك - مخطوطة بمركز أحمد بابا للتوثيق والبحوث التاريخية تنبكت مالي (مناقب) رقم ٧٧٨ .

ملحق رقم (١)



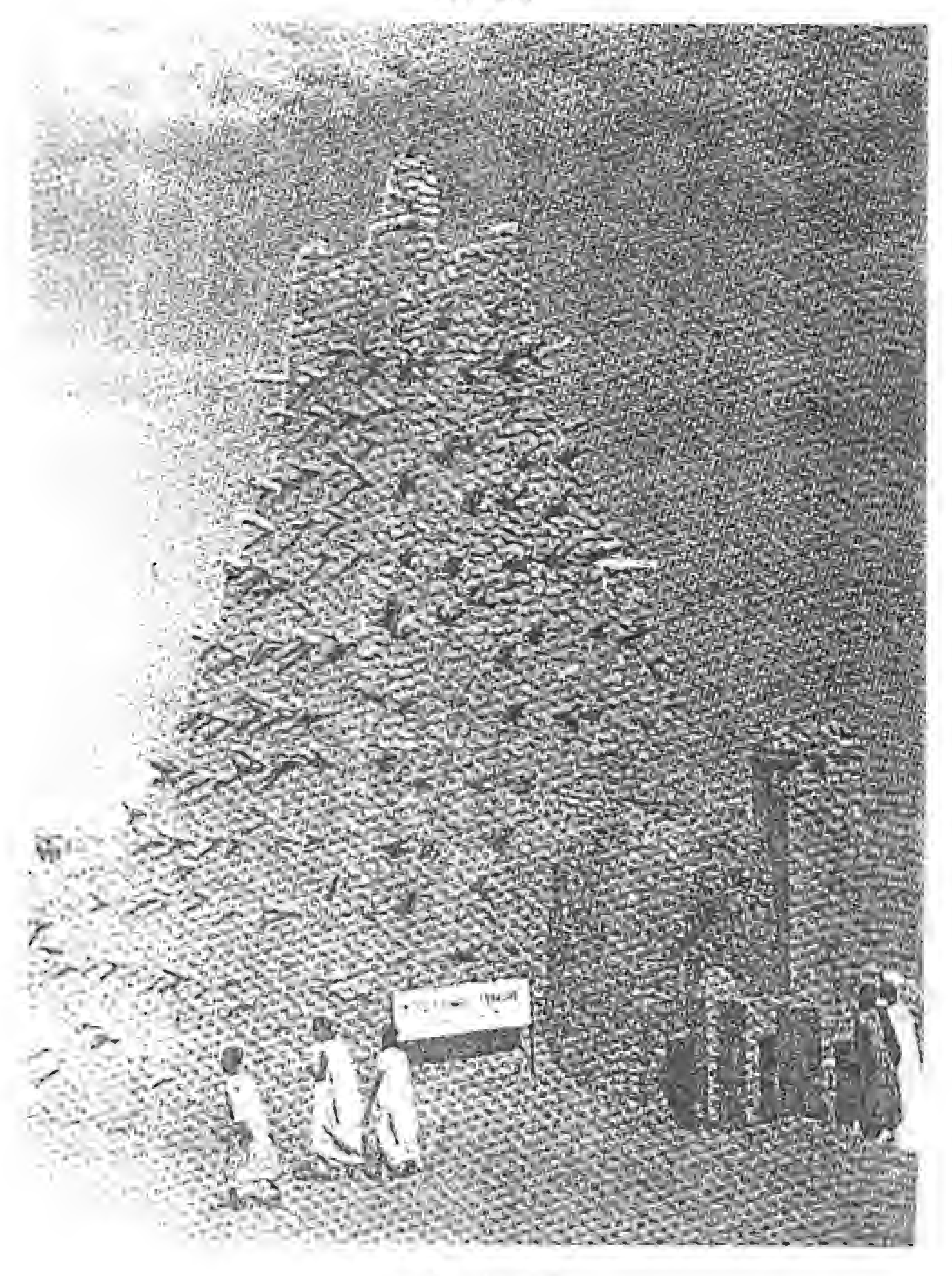
خريطة توضح موقع مدينة ولاته وتنبكت

ملحق رقم (٢)



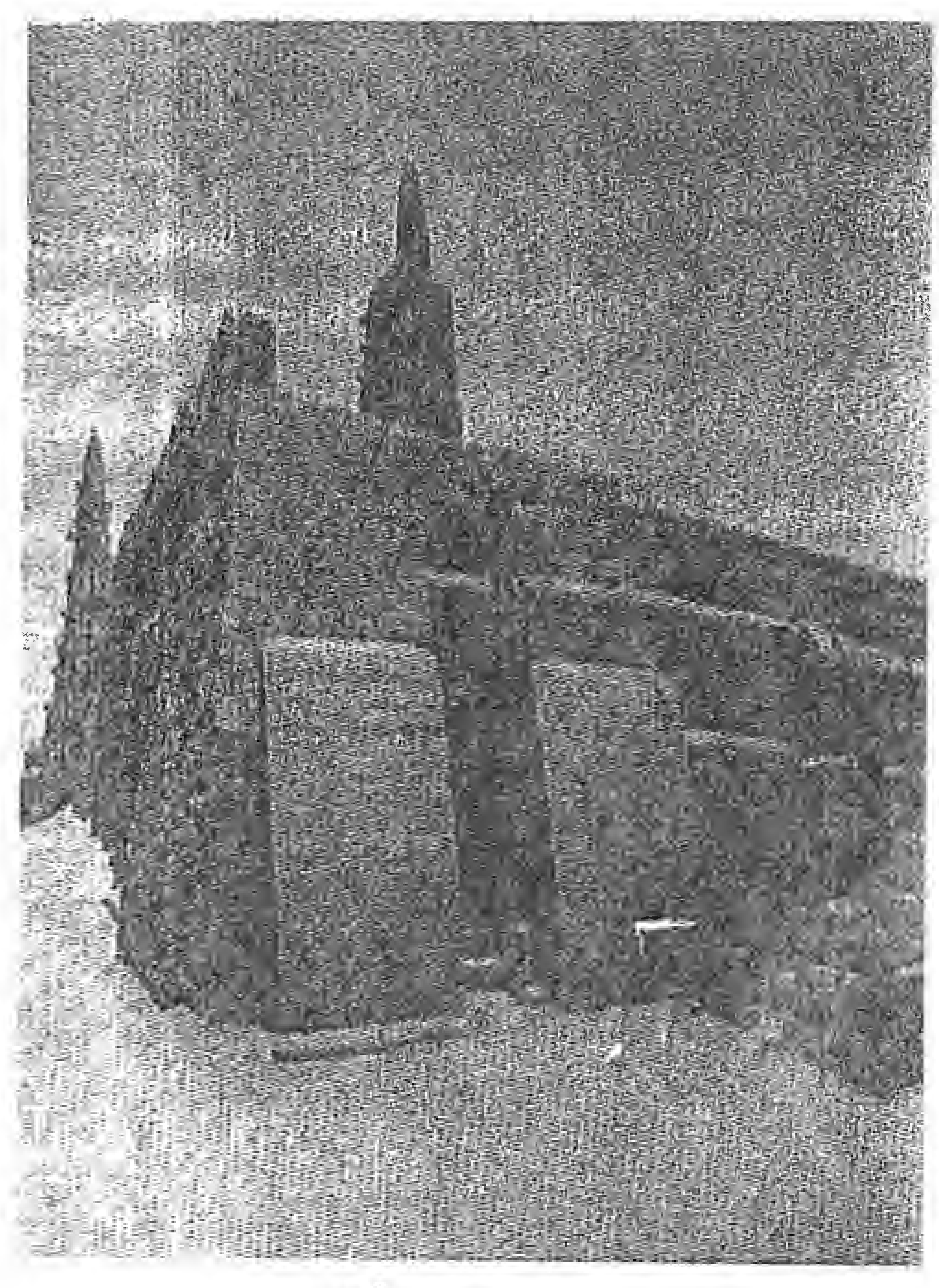
خريطة توضح الموقع الجغرافى لسلطنة صنغاى

ملحق رقم (٢)



صورة لمسجد سنكري

ملحق رقم (٤)



صورة لمسجد الجامع الكبير

ملحق رقم (٥)

قائمة بسلسلة نسب عائلة أقيت

١- عمر (القرن العاشر والحادي عشر)	١٨- الحاج أحمد بر (١٤٥٨-١٥٣٥م)
٢- أبو بكر	١٩- عبد الله (١٤٦١-١٥٢٢م)
٣- أناس	٢٠- محمود (١٤٦٤-١٥٤٨م)
٤- بحر	٢١- أبو حفص عمر توفي ١٥٩٧م
٥- هـ . بـ . ران	٢٢- أحمد ١٤٨٣-١٥٢٢م) أحمد بابا (١٥٥٦-١٦٢٧م) محمد توفي في ١٦٤٧م ونانا فاطمة تاج توفيت ١٧٣٦م
٦- تابكارا	٢٣- خديجة ويجة ١٥٢٤- ١٦١٧م
٧- تاشينا	٢٤- أبو بكر ملقب بأبو بكر بر(١٥٢٦-١٥٨٣م)
٨- يحيى	٢٥- نانا حفصة (زوجة القاضي محمود)
٩- لاكي	٢٦- محمد (قاضي) (١٥٠٤ - ١٥٦٥م) [محمد الأمين توفي ١٥٩٣م]
١٠- نايكا	٢٧ - القاضي العاقب (١٥٠٧-١٥٨٣م) [عيشة إيسري توفت في مراكش ١٥٩٧م]
١١- بكر	٢٨ - أبو حفص عمر (١٥١٠-١٥٩٤م)
١٢- جدالة	٢٩- عبد الله ت ١٥٩٨م
١٣ يحيى	٣٠- عبد الرحمن توفي في ١٥٩٧م
١٤- علي	٣١- ابنة أبو العباس (توفيت في ١٥٦٨م) زوجة محمد بن سعيد
١٥- عمر	٣٢- أحمد بر (محمد قتله المغاربة في ١٥٩٣م (أيوب ت ١٦٣٠م)
١٦- محمد أقيت (نحو عام ١٤٠٠م)	٣٣- أم سلمة توفيت ١٥٩٦م.
١٧- تزوج عمر من ابنة أندغ محمد	

المصدر : Cuoq.j La Famille Aqit de tomboctou , p. 101 .

ملحق رقم (٦)

عبد الله الأسمر الفيتوري يبعث برسالة إلى أحمد بن أحمد بن أقيت التنبكتي وجماعته

مخطوط بمركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية

طرابلس (ليبيا) رقم ٧٢١

ق ١٥٤

يظهر وقد كتبت من مقطعاته وكلامه الذي في التصوف وغيره في شيء كثير
يمكن حصره وآخر ما أملى علينا كتاب العظمة في التمدح بالنعمة
رسالة تسمى بالأنوار السنية في أسانيد الطريقة العروسية و[illegible]
التمدح بالنعم التي أنعم الله علينا على ما كتبته بخط يده من التآليف والنهاية
[illegible] وقد انتقل كثير في يوم قتل المغاربة لسيدي عمر [illegible]
بني الزرهوني ونهبهم الزاوية فلم يرد من ذلك شيئاً الأمر تحيلنا عليه [illegible]
في البلدان بعد تونس [illegible] ونشرع في نقل البعض من ذلك في ذلك ما كتب [illegible]
الذين هم بتنبكت سيدي أحمد بن أحمد بن أقيت وجماعته وهو بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً من [illegible] الفقير إلى الله عبد
السلام [illegible] الفيتوري إلى الأحباب والأنجاب جعلهم الله من أهل السنة
والكتاب السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فهذه نصيحة مني إليكم وهي
[illegible] والصلاة والسلام على سيدنا محمد والرسل [illegible] العلماء [illegible] الله أن
[illegible] بالتقوى النصيحة الوهبية بتقوى الله واتباع سنة رسول الله
صلى الله عليه وسلم [illegible] أيها الفقراء المنتسبين إلى الطريقة العروسية
بأن لا تكونوا [illegible] ولا مبتدعين ولا مغيرين ولا معاندين ولا مجادلين
[illegible] ولا [illegible] ولا [illegible] والعمل ولا [illegible] وأما ما يجب عليكم [illegible]
[illegible] كالطهارة والوضوء والصلاة ونحو ذلك
[illegible] النطق وحفظ اللسان [illegible] من [illegible]
[illegible] العلماء [illegible] والعلم
[illegible] مع حصول
[illegible] التوكل [illegible]

في النحو ان يرى نفسه [illegible]

فان زنا اللحن [illegible] من الناس [illegible] وتبع [illegible]

قال بعضهم [illegible] العلانية [illegible]

[illegible] المنطق بعد [illegible] فقال بعضهم [illegible] الله

[illegible] النوازح [illegible] المنطق [illegible] الشيخ

[illegible] المشهور [illegible] المذهب الجمهور

[illegible] المنطق علم شريف [illegible]

[illegible]

[illegible] والتفاسير [illegible] العربية

[illegible]

[illegible] العربية [illegible]

[illegible]

[illegible] الله [illegible] الله

[illegible] والله اعلم [illegible]

[illegible] عنه بامر [illegible] العربية [illegible] الاسود الدؤلي

[illegible] وقد اتفق العلماء على ان النحو [illegible] اليه [illegible] العلم

[illegible] التفسير [illegible] كتاب الله حتى [illegible] بالنحو

[illegible] القرآن عربي [illegible] مقاصد العربية [illegible]

[illegible] قال ابن [illegible]

[illegible] على طالب العلم [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] الشيوخ [illegible]

[illegible] والتفسير [illegible] والحديث

[illegible] طالب العلم [illegible]

[illegible] صلى الله عليه وسلم

[illegible]

[illegible] الله [illegible] الدين [illegible]

بهذه ما يحتاج اليه لا ينبغي وفرض كفاية وهو ما زاد عليه لتبحر غيره وفي نحو

وأشير التبحر في الفقه وعلم القلب وفي الحرام وهو علم الطلسمات والشعبذة

وفي التنجيم بالدين الا ما يعرف به القبلة والمواقيت ونحو ذلك قال شيخنا

ابن الحاج عبد الواحد الدكالي رحمه الله تعالى في كتب الفقه والتلاوة

خير من قيام الليل بلا سماع [illegible] النفس المعتقد افضل من قراءة

القرآن وكذا تعلم العلم مع [illegible] التعلم لنفسه وتعليمه [illegible]

التعلم لنفسه في [illegible] من [illegible] الاستراحة [illegible]

ما يحتاج اليه [illegible] فالتوحيد [illegible] [illegible] او مسألة

[illegible] فالعلم الذي هو من [illegible] [illegible] احدهما على

[illegible] ما يجري به ذات الله تعالى وصفاته على ما يليق به تعالى وما يجب

[illegible] جميع ما جاء به من عند ربه وفي الثاني علم [illegible]

[illegible] بعض [illegible] ما يتعلق به [illegible] [illegible]

الله تعالى او خلاف اجماله [illegible] واصلحها وفي الثالث [illegible] الشريعة

[illegible] ما يتعلق [illegible] الطهارة [illegible] والصلاة والزكاة والحج ونحوها

من انواع ابواب الفقه [illegible] [illegible] من [illegible]

[illegible] من [illegible] الشريعة [illegible] التفسير والحديث

والتفسير [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] يا ابا محمد بن احمد [illegible] [illegible] [illegible] القاهر بالقرآن

مع السفرة الكرام البررة والمراد بالمهارة [illegible] [illegible] والاخرج كل

[illegible] [illegible] [illegible]

والكرام جمع كريم والبررة جمع بار بمعنى محسن والسفرة جمع سافر وهو

الكاتب والمعنى [illegible] المراد بهم الملائكة [illegible] [illegible]

من [illegible] [illegible] المعاصي [illegible] [illegible] [illegible] الذين

هم حملة اللوح المحفوظ كما قال الله تعالى بأيدي سفرة كرام بررة

[illegible] المراد بهم [illegible] صلى الله عليه وسلم والملائكة [illegible]

كذا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] الحديث [illegible] [illegible] القرآن [illegible] [illegible]

[illegible] الثاني [illegible] [illegible] [illegible] اهل العلم [illegible]

القرآن [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] كتب الفقه [illegible] الشيخ [illegible] رحمه الله [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] الله [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible]

صلاة [illegible] [illegible] [illegible] صلاة الليل [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible]

الهيئة

[illegible] الاوصل
[illegible] للمؤدب ان يعلم الصبيان في المسجد القرآن وان اعاز ذلك بانه
[illegible] تاديب فيه الصنائع لا يسوغ [illegible] الحديث جنبوا [illegible]
[illegible] صبيانكم ومجانينكم [illegible] القرآن [illegible] اليل بعد
[illegible] الليل بالقرآن في العدد الاول الطابعة الاولى يعني الرسول
صلى الله عليه وسلم واصحابه [illegible] ونشرب الدخان [illegible] الان وهو
[illegible] الرائحة تسمى بالتابغة يذكر انها خلقت من بول ابليس لعنه الله
[illegible] قال الله عز وجل ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الآية
[illegible] بالمخلفة من بول [illegible] الحديث قال ربيعة الصاحبة [illegible]
[illegible] صلى الله عليه وسلم من الشجرة [illegible] فقلت يا رسول الله لما [illegible]
فقال يأتي اناس في آخر الزمان يشربون من اوراق هذه الشجرة ويقولون
[illegible] الاشراف وهم بريئون منهم ولنا برية منهم [illegible]
[illegible] ان من يشربها [illegible] النار [illegible] ابليس [illegible]
[illegible] ولا تصاحبوه ولا تسلموا عليه بانه ليس من الامة المحمدية [illegible]
[illegible] من اهل [illegible] وهي من سواد الاشقياء [illegible] ليس من الامة المحمدية
[illegible] الامامة ولا [illegible] الجماعات [illegible] يجوز شربها
[illegible] وذلك قول من لا يعتقد قوله [illegible] يميل [illegible]
[illegible] هل هو حرام [illegible] رحمه الله [illegible] الدخان عنده [illegible]
[illegible] الوجه الاول انه من الخبائث وقد حرم الله عز وجل في كتابه العزيز الخبائث
[illegible] النبي صلى الله عليه [illegible] الثاني ان فيه اضاعة المال وقد نهى
صلى الله عليه وسلم عن اضاعة المال الثالث ان فيه التشبه باهل النار [illegible]

[illegible] ولا يقبل الجواز الا من يشرب والله اعلم ونسئل [illegible] والاستغنا
[illegible] رحمه الله [illegible] بلده [illegible] بعض العلماء [illegible]
فقال لي [illegible] لا احد ان يقدم على امر حتى يعلم حكم الله فيه
وهذا الا علم حكم الله فيه [illegible] والله [illegible]
[illegible] اهل الاعتزال والفلسفة والزنادقة واليهود والنصارى والمجوس [illegible]
[illegible] حاجة ضرورية [illegible] مع عدم [illegible]
[illegible] والصحبة [illegible] منهم [illegible]
[illegible] الحديث [illegible]
[illegible] بنا [illegible]
[illegible]
[illegible] والكبر والمزاح والضحك الكثير [illegible]
[illegible] حرام [illegible] الضرر الذي [illegible]
ذلك من [illegible] الطريقة [illegible] ولله در [illegible]
قال الكبر [illegible] والتواضع رفعة والمزاح [illegible] والضحك الكثير [illegible]
[illegible] والاياس من [illegible] الله [illegible] اخواني واياكم [illegible]
[illegible] التي ينكرها الشرع ويستقبحها الطبع [illegible]
[illegible] الطائعين والمتكلمين العارفين [illegible] المشايخ
[illegible] حسن [illegible] مستبشر الوجه [illegible] حسن الحديث [illegible]
[illegible] ونصحه [illegible] صحيح [illegible]
حدث صدق واذا [illegible] واذا سئل [illegible] واذا [illegible]
[illegible] واذا [illegible] وان يكون حسن الاستماع [illegible]

بها [illegible]

على الذي ما سمعه فيها ولا يسرع بتكذيب المحدث فانه من سوء الادب منه ايضا

الاستماع بالحيرة واذا التبس من حديثك ناظره اليه فاعلم انه يستفهم منك

ويجب على الجليس ستر عورة جليسه وغض عينيه وحفظ سره وينبغي

للجالس ان يكون خفيف الجلسة اذا رأى ثقل جلوسه والتحرك والابتداء له

في جلوسه [illegible] قيل ان الجليس الصالح خير من الوحدة والوحدة خير

من جليس السوء [illegible] نهي نبينا عن مجالسة الاشرار ان قال ان كان

[illegible] ان يكون [illegible] من العلماء

والاخذ من المتقدمين [illegible] ثم [illegible] بن [illegible] ما اهواه

[illegible] الجليس الصالح [illegible] من [illegible] والجليس السوء

[illegible] الدنيا [illegible]

واعملوا بما [illegible] اذا جلستم مع اهل [illegible]

بالعقائد الاشعرية [illegible] اذا جلستم مع اهل القرآن [illegible]

[illegible] بالتدبر والترتيل [illegible] الالفاظ القرآنية

[illegible] والترتيل [illegible] الا بما هو مشروع عندهم واذا

جلستم مع اهل [illegible] الدين [illegible]

جلستم مع اهل [illegible] والسنة

[illegible] واذا جلستم مع [illegible] اهل [illegible] وسلامة

الغفلة [illegible] والعبادة [illegible] واذا جلستم مع

الخلفاء بما [illegible] الروايات الصحيحة والاحوال المشهورة [illegible]

[illegible] الهوى [illegible]

مع عدم الجدال والمراء الجالب للعداوة اذا جلستم مع الصوفية [illegible]

بما يشاهد [illegible] الحقانية [illegible] المنكر مع ادب الباطن

قبل الظاهر واذا جلستم مع العارفين [illegible] بما تشتمل به [illegible]

[illegible] وجوه العربية [illegible] الحكمة والادب [illegible]

[illegible] المعنى الذي تدل [illegible] عنه [illegible]

ما توجهتم به ان خيرا فخير وان شرا فشر جلستم مع الفقراء الذاكرين

الا جماعة [illegible] بما يشاهد [illegible] وبما [illegible] عليهم

[illegible] قال [illegible] صحبة [illegible] يوم [illegible] وصحبة [illegible]

[illegible] وصحبة [illegible] وصحبة [illegible] القطيعة الله [illegible]

[illegible] الحديث [illegible] ان صحبة [illegible]

[illegible] الحديث [illegible] الرحم [illegible] وهدية [illegible] الا

[illegible] جاه [illegible] وللتلطف [illegible] المجالسة [illegible]

[illegible] الارحام [illegible] ذلك [illegible] وكل

[illegible] الحديث

[illegible] الرحم [illegible] المع

[illegible] الله [illegible] بالزهد

[illegible] الدنيا [illegible] الشيخ

[illegible] الاعلم [illegible] الدين [illegible] خلو القلب [illegible]

[illegible] الاخرة [illegible] ذكر

[illegible] الامام [illegible] والتعسف

[illegible] والنسب [illegible]

الهرمة والعلوبة والشيدرة والابعد ... العربة بالعين واما
بالطيلة الطويلة ... اما النهرية بالعجوز المدبرة واما القعيدة فهي
القصيرة واما اللبوة فذات الولد من غيرك فيها علم وحقيقة الاحسن
[illegible] مثل الطفل وحقيقة الاسن هي امراة لها بنية تمد العمل الى
[illegible] اهل نسبه تعيبه من غير بلية في الحديث قال الخطاب بن عيسى
النساء [illegible] ابا بكر واخواته [illegible] لم ارا ولدا بكر الصديق
[illegible] لهذا الان [illegible] اسما بنت سيدنا ابي بكر رضي الله عنه
حديث ابي عمرو بن العلا قال قال رجل لا اتزوج امراة حتى انظر ولدي منها
وكيف ذلك قال انظر الى ابيها واخيها فانها تجيء باحدهما
[illegible] هذا المعنى حيث قال [illegible] الرجيث [illegible]
[illegible] ... [illegible] بان ترتيع [illegible] من الناس
من ابيها وخالها فانهما منها [illegible] بقول العلا ان
[illegible] ولا تطلب البيت الذي [illegible] ولا تدع [illegible] الكثير [illegible]
الذي [illegible] امر المال [illegible] علي شيوخها وخال [illegible]
[illegible] كبيرة [illegible]
[illegible] عجيب [illegible] بالتعليم
[illegible] من الظالمين [illegible] تعالى [illegible] يقول
[illegible] عجيب لمن [illegible]
[illegible] لا يقول حسبنا الله ونعم الوكيل [illegible] فانقلبوا بنعمة من الله
[illegible] لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم
[illegible] لمن خاف مكر الناس كيف لا يقول وافوض امري الى الله ان الله بصير بالعباد

11

[illegible]
[illegible] مكروه عجيب لمن [illegible]
[illegible] الله [illegible] بيان [illegible]
[illegible] الكيميا [illegible] والجدول [illegible] والبال
[illegible] واللعب بالنرد والشطرنج [illegible] من الباطل
[illegible] [illegible] والباطل
[illegible] العروبية [illegible]
[illegible] الله [illegible] الله [illegible] العرب
[illegible] وربما يكون [illegible]
[illegible] والعكر [illegible]
[illegible] الاسن [illegible]
[illegible] الدنيا
[illegible]
ابن [illegible]
[illegible] السلطان
[illegible] العلماء [illegible] الدنيا [illegible]
[illegible] السلطان [illegible] واتتر [illegible] معاد
[illegible] السلطان [illegible] الدنيا [illegible] تزيد
[illegible] العالم [illegible] الدنيا [illegible]
[illegible] الطبيب [illegible] الداء
[illegible] الناس [illegible]
[illegible] العلم [illegible]
[illegible] الاخلاص
[illegible] الكبر [illegible]
[illegible] وعدم [illegible]
[illegible] عنده [illegible]
[illegible] نفسه
[illegible] علامة [illegible]

حاشية

[illegible]

الدنيا الا باهل البر والمساعدة فاذا نفرض لعلالا فلن من ربح الجنة

الطمع فيما بايدي الناس فمن طمع في الدنيا نصيبه من اجل علمه

لا طمع بغير مطمع وباع دينه بالدنيا وليت كان في الدنيا يكون ذلك

[illegible] التي تستغني بها نفسه وعياله مع الذهب من النعم [illegible] معه

[illegible] الا من كان يحتمل [illegible] عليه [illegible] دنياه وما يعلمه من العلم

[illegible] من اراد [illegible] رضي الله عنه [illegible]

[illegible] واذا [illegible] انما [illegible]

[illegible] طلب [illegible] والداب [illegible]

الناس والخير الا ان كان [illegible] يذل [illegible]

[illegible] الوساوس [illegible] للقلب [illegible] الا العلم

[illegible] والبر [illegible] والكبر وانه [illegible] العلم

[illegible] والجلوس مع الثمانية [illegible] من [illegible]

[illegible] الصلاة [illegible] ولولا [illegible]

[illegible] الطبع [illegible] وقال صلى الله عليه وسلم

من جلس مع ثمانية اصناف زاده الله ثمانية اشياء من جلس مع الامراء

زاده الله [illegible] ومن جلس مع الاغنياء زاده الله [illegible] في الدنيا

ومن جلس مع الفقراء زاده الله الرضى بما قسم الله [illegible]

ومن جلس مع الصبيان زاده الله لهوا ولعبا ومن جلس مع النساء زاده

الله [illegible] ومن جلس مع الصالحين زاده الله رغبة في الطاعة

من جلس مع النساء زاده

[illegible] زاده الله [illegible] ومن جلس مع العلماء زاده

[illegible] الجمعة [illegible]

[illegible] الرواح الى الجمعة [illegible]

[illegible] اربع تسليمات بالفاتحة وآية الكرسي [illegible]

[illegible] الصلاة [illegible] بانها تقضي [illegible]

[illegible] الرواح للجمعة [illegible]

[illegible] عند الرواح للجمعة [illegible]

[illegible] اربع تسليمات بالفاتحة وآية الكرسي [illegible]

[illegible] الخطيب والخطبة [illegible]

[illegible] الصلاة [illegible]

[illegible]

[illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible]

اردت ان [illegible]

[illegible] الشرح [illegible]

[illegible] ان الله الغفور الرحيم [illegible]

[illegible]

[illegible]

جبار عنيد وشيطان مريد وشقي بعيد من الخلق وشديد يا قادر يا مقتدر
يا ذا القهر يا حميد تقع بيدك يا حبيبك وتقول ثلاث مرات و في رواية اخرى عن
بعضهم تقرأه سبعا بنية ولا يجمع بالجمعة ولا بغيرها انتهت ذا الدرجة
الدوبالي ثم ذكر عنه دعاء اخر نسبه لشيخه الشاذلي اللهم انك تعلم الى بغيبة
في حجب ما ملكتني معالمه اصلا به ميني احد لا يبدل بقيمة باسمك
المحيط الذي حفظت نظام الموجودات واكتسى دعامن بكون ايتك ولا به
سيما من بهرك وحمايتك وتوجيه تجا من بركة وكرامتك وركبني مركب النجاة
في الحياة والممات وامددني بجيش من رايتي اسماية القاهرة تدابح
عني من اراد في بسوء من جميع المؤذيات انه سالتك بكلماتك التامات الا
الا انت علام السرائر والنيات والخبيات وبرد الائ تنقطع رتبة كاجبابرة
جبارة يا عزيز يا جبار يا الله يا واحد يا ذو بسم بذا الجلال والاكرام الذي والازلي
من رتبتك وبحقك تعزت ربوبيتك ما تبصر له القلوب وتذل الجبابرة وتبرق
له الابصار يا جبار يا متكبر يا ذا الطول والاحول والقوة الا بالله العلي العظيم
وما من دعوانا ان الحمد لله رب العالمين وكتب لجماعة من فقراء الزاوية العربية و
من خط ابنه منه سيدي احمد عبد الحميد الشهير بني السفاح الرزين
وسيدي عبد الحميد عبد الله الكمردي الشهير بالهلال وسيدي ابو
اسحق بن علي العربي وشيخهم وهي بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله
على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما من عبد الله بن سليم الى احبابنا
الشيش اليا والي طريقتنا المغربية اعلموا رحمكم الله ان الاوبة الى الحق
واجب على ... عليه وكذا التبعى عن النكر والم تستطيعوا واشتغلوا
بانفسكم والصوا ... حتى ثلاث مرات كما قال صلى الله عليه وسلم الصابر
على دينه كالقابض على الجمر وايام والخلطة وعليكم بالعزلة والجد وامر لبوا

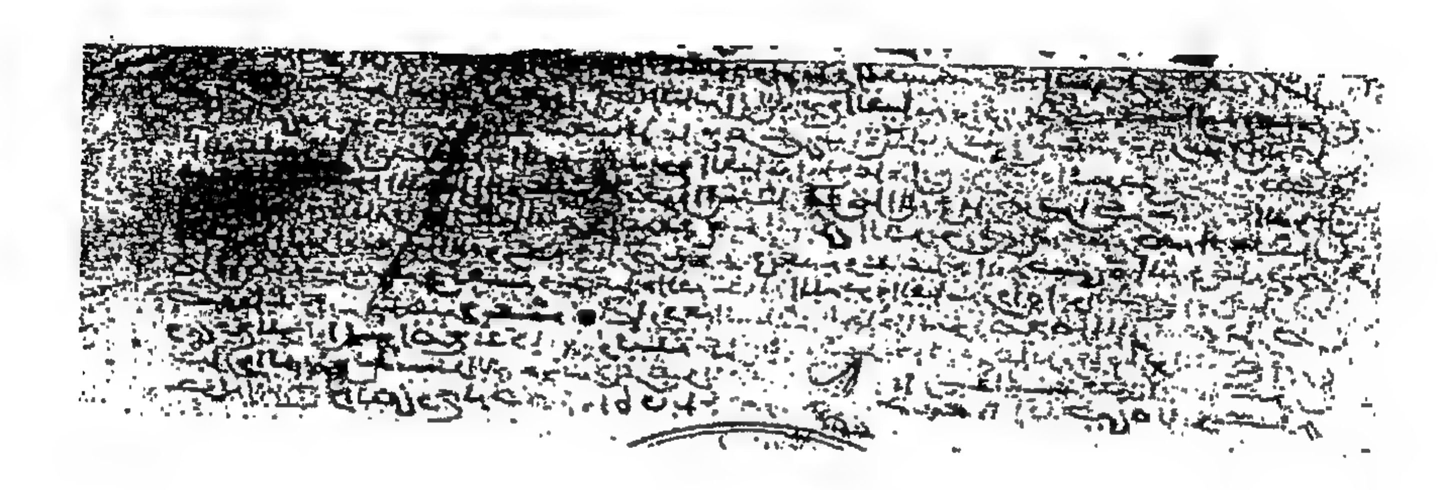
ملحق رقم (٧)

ملحق رقم (٨)

ملحق رقم (٩)

درر السلوك كلام بابا
المختار سوداني (مشافهة)





بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

المصادر والمراجع

أولاً - المخطوطات :

١- أحمد بن أحمد بن عمر أقيت ت ٩٩١هـ/١٥٨٤م.

- "مناخ الأحباب من منح الوهاب" ، ضمن مجموع بالخزانة العامة بالرباط ، رقم ١٨٩٠ .

٢- أحمد بابا (أبو العباس أحمد بن عمر التكروري التنبكتي ت ١٠٣٦هـ /١٦٢٧م).

- "أسئلة إلى علماء مصر" مخطوطة داخل المكتبة الوطنية بباريس، تحت رقم٥٣٨٢ .
- "أسئلة في المشكلات" مخطوطة داخل الخزانة العامة للكتب والوثائق بالرباط ضمن مجموع ، رقم ك ٤٧٠ .
- "درر السلوك بذكر الخلفاء وأفاضل الملوك" ، مخطوطة بمركز أحمد بابا للتوثيق والبحوث التاريخية تنبكت مالي مناقب ، رقم ٧٧٨ .
- "قواعد العالم العلامة أحمد بابا السوداني في حيلة الدخان" ، مخطوط تحت ، رقم ٢٥١ نيجيريا .
- "اللآلئ السندسية في الفضائل السنوسية" مخطوط الخزانة العامة بالرباط ضمن مجموع ، رقم ٩٨٤ د .
- "معراج الصعود" ، صورة من بعثة معهد المخطوطات عن الخزانة الملكية بالرباط ، رقم ٢٩/٢٣٥٦٥ ورقم ٢٠٤ ، فقه مالكي وتحت رقم Dt 79 - B. 6.2 تحت اسم الكشف والبيان لإصناف مجلوب السودان .

٣- أحمد بن بابير الأوراني :

- "جواهر الحسان في أخبار السودان" ، مخطوطة ، معهد البحوث والعلوم الإنسانية ، نيامي ، النيجر ، رقم١٠٦ .

٤- البرموني ،كريم الدين :

- "مناقب الشيخ عبد السلام الأسمر الفيتوري" ، مخطوط، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، طرابلس (ليبيا) ، رقم ٨٢١ .

٥- الحاج مرحبا :

- "فتح الحنان المنان بأخبار السودان" ، معهد البحوث والعلوم الإنسانية، نيامي (النيجر)، رقم ١٠٨ .

٦- "عبيد الله يوسف بن إبراهيم بن عمر الأيسي ، يسأل أحمد بابا التنبكتي" ، مخطوطة مكتبة الطاهر العلوي بمدينة جاو بدون تصنيف "ورقتان" .

٧- عثمان بن فودي :

- "تنبيه الأخوان على أرض السودان" ، مخطوطة في معهد البحوث في العلوم الإنسانية نيامي النيجر ، رقم ٢٦٥ .

٨- محمد بن عمر أقيت :

- "حاشية القيومية على الأجرومية" ، رقم ٧٥٣٦ ، الخزانة الحسنية الرباط .

٩- موسى كمارا : موسى بن أحمد ت ١٩٤٥هـ :

- "زهور البساتين في تاريخ السوادين" ، ويعرف أيضاً تحت عنوان "انتصار الموتور في ذكر قبائل فوت تور" ، مخطوطة لدى الباحثة ، حصلت عليها من السنغال .

١٠- "إجازة أبي العباس أحمد بابا التنبكتي إلى محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم الحاحي والى الخطيب أبي زيد ابن الوقار التلمساني" ، مخطوط مرقون بالخزانة العامة، بالرباط ، تحت رقم ٣٦٩٣ .

ثانياً - المصادر العربية :

١- أحمد بابا التنبكتي (أبو العباس أحمد بن عمر التكروري التنبكتي ١٠٣٦هـ/١٦٢٧م):

- "تحفة الفضلاء ببعض فضائل العلماء" ، تحقيق سعيد سامي ، جامعة محمد الخامس ، منشورات معهد الدراسات الأفريقية ، الرباط (١٤١٣هـ-١٩٩٢م) .

- "كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج" ، دراسة وتحقيق الأستاذ محمد مطيع ، طبعة وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، الرباط (١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م) ، جزءان .

- "نيل الابتهاج بتطريز الديباج" ، إشراف وتقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة ، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ، طرابلس ، الطبعة الأولى ١٩٨٩ .

٢- أحمد بابير الأرواني :

- "السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تنبكت البهية" دراسة وتحقيق د. الهادي المبروك الدالي ، تقديم د. عبد الحميد عبد الله الهرامة ، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ، الطبعة الأولى ٢٠٠١م .

٣- أحمد بلعراف التنبكتي ت١٩٥٥ :

- "إزالة الريب والشك والتفريط في ذكر المؤلفين من أهل التكرور والصحراء وأهل شنقيط" ، دراسة وتحقيق وتقديم د. الهادي المبروك الدالي ، طرابلس ٢٠٠٠ .

٤- أحمد النائب الأنصاري :

- "المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب" ، منشورات ، مكتبة الفرجاني طرابلس ليبيا ١٩٦١ ، جـ الأول .

٥- الإفراني (محمد الصغير ابن الحاج محمد بن عبد الله ت١١٥٧هـ/١٧٤٥م) :

- "نزهة الحاوي بأخبار ملوك القرن الحادي" ، تقديم وتحقيق عبد اللطيف الشاذلي ، الطبعة الأولى ، الدار البيضاء (١٤١٩هـ/١٩٩٨م) .

٦- ابن بطوطة (أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي ت ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧ م) :

- "تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأقطار" ، دار الشرق العربي ، (د.ت).

٧- البلوي (خالد بن عيسى البلوي ت٧٧٥هـ/١٣٧٣م) :

- "تاج المفرق في تحلية علماء المشرق" ، تحقيق الحسن السائح ، نشر اللجنة المشتركة لنشر التراث بين المملكة المغربية ودولة الإمارات العربية، الرباط ١٩٧٧ ، ١٩٧٨.

٨- الحسن الوزان (الحسن بن محمد الفاسي المولد حوالي ٨٨٨هـ/١٤٨٣م) :

- "وصف أفريقيا" ، ترجمة الدكتور عبد الرحمن حميدة ، راجعه الدكتور على عبد الواحد ، طبعة الرياض ١٣٣٩هـ.

٩- ابن أبي زرع (أبو الحسن على بن عبد الله كان حياً عام ٧٢٦ هـ / ١٣٢٦ م):

- "الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس" ، دار المنصور لطباعة ، الرباط ١٩٧٢ .

١٠- السعدي (عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران ت١٠٦٤هـ/١٦٥٥م):

- "تاريخ السودان" ، وقف على طبعه هوداس ، طبعة بردين ، انجي ١٨٩٨م .

١١- الفشتالي (أبي فارس عبد العزيز الفشتالي ت١٠٣١هـ/١٦٢١م) :

- "مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفاء" ، دراسة وتحقيق الدكتور عبد الكريم ، مطبوعات وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، الرباط ١٩٧٧ .

١٢- مجهول :

- "تذكرة النسيان في أخبار ملوك السودان"، باريس، نشر هوداس ، باريس ١٩٦٦ .

١٣- المحبي (محمد أمين بن فضل الله ت ١١١١هـ/١٦٩٩م) :

- "خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي" ، دار صادر بيروت ، بدون تاريخ ، الجزء الثاني .

١٤- محمد بلو (أبو عثمان بن فودي ت١٢٥٣هـ/١٨٣٢م) :

- "انفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور" ، تحقيق بهيجة الشاذلي ، منشورات معهد الدراسات الأفريقية ، الرباط ١٩٩٦م.

١٥- محمود كعت التنبكتي (ت ١٠٠٢هـ / ١٥٣٩م) :

- "تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس"، طبع بردين انجي ١٩١٣م .

١٦- المقري (أحمد بن محمد المقري ت١٠١٤هـ/ ١٦٠٥م) :

- "روضة الأس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس"، الطبعة الثانية ، الرباط ١٩٨٣م .

١٧- الولاتي (أبو عبد الله الطالب البرتلي ت١٢١٩هـ/١٨٠٤م) :

- "فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور" ، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني ، ومحمد حجي ، دار الغرب ، بيروت الطبعة الأولى ١٩٨١ .

ثالثاً- المراجع العربية :

١- أحمد الشكري :

- مملكة غانة وعلاقتها بالحركة المرابطية ، منشورات معهد الدراسات الأفريقية ، الرباط ١٩٩٧ .

٢- جميلة تكتيك :

- مملكة سنغاي الإسلامية في عهد الأسكيا محمد الكبير (١٤٩٣ - ١٥٢٨م)، الطبعة الأولى ١٩٩٨ ، دار الكتب الوطنية طرابلس ، مركز جهاد الليبيين .

٣- حسن أحمد محمود :

- قيام دولة المرابطين ، دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٥٧ م .

٤- حسن الصادقي :

- مخطوطات أحمد بابا التنبكتي في الخزانة المغربية ، معهد الدراسات الأفريقية ١٩٩٦ .

٥- رحال بوبريك :

- المدينة في مجتمع البداوة، التاريخ الاجتماعي لولاته خلال القرنين ١٨ ، ١٩ مع تقديم ونشر تاريخ ولاته ، منشورات معهد الدراسات الأفريقية ٢٠٠٢م .

٦- عبد القادر زبادية :

- مملكة سنغاي في عهد الأسيقيين، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ت).

٧- محمد حجي :

- الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين ، الجزء الأول ١٩٧٦ .

٨- د. محمد بن شريفة :

- من أعلام التواصل بين بلاد المغرب وبلاد السودان المملكة المغربية ، جامعة محمد الخامس السويسي ، معهد الدراسات الأفريقية ، الرباط ,١٩٩٩

٩- محمد الغربي :

- بداية الحكم المغربي في السودان الغربي ، إشراف الدكتور نقولا زيادة، المكتبة الوطنية ، بغداد ١٩٥٢م .

١٠- د. الهادي المبروك الدالي :

- تاريخ أفريقيا فيما وراء الصحراء ، (دراسة وثائقية) ، الطبعة الأولى ، بنغازي ٢٠٠٢م .

- التاريخ الحضاري لأفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر ، طرابلس ، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م .

رابعاً- الدوريات والبحوث :

١- إبراهيم طرخان :

- الإسلام واللغة العربية في السودان الغربي والأوسط ، مستخرج من مجلة جامعة أم درمان الإسلامية ، العدد الثاني (١٣٨٩هـ/١٩٦٩م).

- إمبراطورية صنغاى ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الرياض ، المجلد الثامن ١٩٨١م .

٢- أحمد دياب :

- علماء بلاد السودان الغربي في القرنين السادس عشر والسابع عشر وآثارهم العلمية ، بحث ضمن ندوة العلماء الأفارقة ومساهمتهم في الحضارة العربية الإسلامية، ندوة المنظمة العربية للتربية والثقافة ، والعلوم ، معهد البحوث والدراسات العربية ، بغداد ١٩٨٣ .

٣- حسن الصادقي :

- جوانب عن التواصل الثقافي شمال - جنوب ، بحث ضمن أعمال ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الأفريقية على جانبي الصحراء ، كلية الدعوة الإسلامية ، طرابلس ، الطبعة الأولى ١٩٩٩م .

٤- حسن جلاب :
- أحمد بابا والتصوف في كتابه "الدر النضير" ، بحث ضمن الندوة التي عقدها إيسيسكو عام ١٩٩٣ .
٥- حسين مراد :
- دولة كانو الإسلامية ، تطورها السياسي والحضاري حتى نهاية ق ٩هـ/١٥م ، بحث في مجلة الدراسات الأفريقية ، رقم ٤٧ عام ١٩٩٧ .
٦- سوزى أباظة :
- دراسة حول مخطوطى «أسئلة في المشكلات» و «أسئلة إلى علماء مصر» لأحمد بابا التنبكتى ، ندوة المخطوطات العربية في أفريقيا ـ معهد البحوث والدراسات الأفريقية ، جامعة القاهرة، عام ٢٠٠١م .
٧- عبد العزيز عبد الله بطران :
- حرب فتاوى التدخين بين العلماء المسلمين في شمال وغرب إفريقيا في العقدين الأول والثاني من ظهور التبغ ، ضمن أعمال ندوة فاس وإفريقيا العلاقات الاقتصادية والثقافية والروحية الناشر ، معهد الدراسات الأفريقية وكلية الآداب والعلوم الإنسانية، سايس ، فاس ، الطبعة الأولى ,١٩٩٦
٨- مودي سيسوكو :
- الصنغاى من القرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر ، بحث ضمن تاريخ إفريقيا العام ، المجلد الرابع ، اليونسكو ، الطبعة الثانية ١٩٩٧ .

خامساً- المراجع الأجنبية :

1. Baubau Hama, L'empire Songhay (Paris 1974).
2. Clarke, B.: West Africa and Islam, London 1982.
3. Cuoq, J.: La Famille Aqit de Tombouctou, Revue de L'institut des Belles Lettres Arabes 1978, N.41, Prremier Smestre .
4. Dubois, F. : Timbucto, the mysterious Translated by Dion White - London, 1982 .
5. Hogben. S.J.: An Introduction to the History of the Islamic States of Northern Nigeria, Oxford 1967.
6. Penda M.BOW : Ahmed Baba de tombouctou; Precurseur des Relations Cultrelles entre Fés et le Soudan Occidental , Fés et l'Afriques, Relations Economiques Culturelles et Spirituelles, Asis Fes, 1996.
7. Moreau Ren: Africains Musulmans, inades Edition-Présencc Africaine, Paris1982.
8. Rouch, J : Contribution a L'Histoire du Songhay - Dakar 1953.

سادساً- الرسائل العلمية :

١- سامي سعيد :

مساهمة في دراسة تاريخ الحياة الدينية في السودان الغربي خلال العصر الوسيط : الدين والعلم في عهد الأسكيين (١٤٩٣ - ١٥١٩)، دبلوم الدراسات العليا في التاريخ ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، فاس١٩٩١ ، جامعة سيدي محمد بن عبد الله .

٢- عبد العزيز العلوي :

التأثيرات الدينية والفكرية المغربية على السودان الغربي الوسيط، رسالة دكتوراه غير منشورة ، المملكة المغربية ، فاس ١٩٩٩م .

فهرس

مفهوم التنمية الإقتصادية في الجزائر

الدكتور / كمال بوناح(*)

مقدمة:

إن الوضعية التى ورثتها الجزائر عن الاستعمار الفرنسى مباشرة بعد الاستقلال، تتجسد فى مقولة المفكر الفرنسى (جاك بيرك) (Jaques-Berque) الشهيرة حيث قال :

« واجهت السلطة فى الجزائر بعد الاستقلال، إشكالية ، تحويل مجتمع كان يبدو (بدون أرض) إلي استرجاع أرض (بدون مجتمع) .

ولهذا فالتسرع والتلقائية فى أتخاذ المبادرات على مختلف المستويات ميزت هذه المرحلة ، بدليل أن التسيير الذاتى رأى النور فى صيف ١٩٦٢ مباشرة ، تحت ظروف اقتصادية هزيلة وسياسة متأزمة.

خلافا للتسيير الذاتى الذى ظهر فى أوروبا الشرقية (يوغوسلافيا) بالتحديد ، كتجربة تأسست وتنظمت منذ ١٩٥٠ بتوجيه من استالين ، ثم ارتقت تدريجيا الى مستوى نمط إقتصادى أصبح معروف عالميا ، خلافا لذلك فى الجزائر، حيث ظهر فى ظروف صعبة وفى مرحلة تاريخية متميزة ، وهذا عن طريق المبادرات التلقائية للعمال وذلك قبل ظهور القوانين المنظمة لسنة كاملة ، لأن الاستجابة للضرورة الملحة بعد المغادرة الجماعية لكافة المعمرين وأصحاب المصانع والإطارات والتجار الكبار، إضافة الى غياب الأسس التشريعية والقوانين والوظيفية الضرورية ، وهذا ما جعل العمال

(*) أستاذ محاضر بقسم علم الاجتماع كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية جامعة منتورى قسنطينة الجزائر .

يتسارعون من أجل ضمان ضروريات العيش والتصدى لكل التحديات فى غمرة الاستقلال ، وبالتالى كانت التجمعات واللقاءات تلقائية على مستوى كل الواحدات الاقتصادية (الفلاحية - الصناعية - التجارية وحتى الخدمات) . من أجل ضمان استمرارية تسيير هذه الوحدات التى تعتبر الدعمات الأساسية للاقتصاد الوطنى آنذاك (Benamrane Djilali, 1980.99) .

وما تعليمه ٢٤ أوت ١٩٦٢ ، التى أكتفت بالتنوية بمبادرة العمال ما داموا بإمكانهم استعمال هذه الوحدات بطرية عادية، وفى أطار أحترام الأفراد والممتلكات، وبالتالى الاعتراف الرسمى بعد أكتوبر ونوفمبر ١٩٦٢ بمجالس العمال المسيرة (Comite de gestion) ، على مستوى المؤسسات الفلاحية والصناعية ، هو بمثابة تجسيد الامتيازات الفردية فقط ، إلى غاية أنتظار شهر مارس ١٩٦٣ ، حتى تمكن التسيير الذاتى على مستوى المؤسسات الفلاحية، والصناعية ، وقطاع المناجم ، وهذا وفق مجموعة نصوص قانونية للتطبيق، منها من طبق حينا ، والبعض الآخر تأخر على مستوى بعض القطاعات الى سنوات لاحقه .

هذه هى الظروف والمعطيات التى ظهر فيها جلياً الاقتصاد الجزائرى بعد الاستقلال مباشرة ، وسنرى الانعكاسات والسلبيات على التنمية الاقتصادية من خلال التطرق الى مفهوم التنمية الاقتصادية فى الجزائر عقب الاستقلال مباشرة، وفق ما يعبر عنها فى العصر الحاضر ببرامج وخطط وسياسات تهدف الى تحقيق تنمية اقتصادية يرتفع بموجبها الدخل القومى ، وهذا ما جعل الجزائر تتخذ نتيجة لذلك عدة إجراءات وتدابير مقصودة من أجل التصدى لمختلف التحديات التى واجهت جزائر الاستقلال .

د. كمال بوناح

مفهوم التنمية الاقتصادية فى الجزائر:

من المعروف والمتفق عليه أن التنمية الاقتصادية هى الزيادة أو النمو الإدارى المخطط له والمعين ، الذى يتوصل إليه نتيجة إجراءات وتدابير مقصودة، يعبر عنها فى العصر الحاضر ببرنامج وخطط وسياسات تهدف الى تحقيق معدلات معينة من النمو (الزيادة) ، وعلى هذا الأساس يقال مثلا أن الخطة الخمسية تهدف الى تحقيق تنمية اقتصادية يرتفع بموجبها الدخل القومى الى مستوى نسبة مئوية معينة .

ومن ثم يمكن تعريف النمو الاقتصادى ، بأنه الزيادة فى الانتاج القومى يرافقه زيادة فى مستوى المعيشة للفرد فى المدي الطويل .

وأن أهداف النمو الاقتصادى تتضمن على علاقة متبادلة بين فروع الاقتصاد، فمثلا خلال المراحل من النمو الاقتصادى للأمة ، فالإنتاجية الزراعية يجب أن تزيد بسرعة كافية لتتخلى عن كمية كبيرة من القوى العاملة لاستخدامها فى الصناعة. كما يجب تحقيق تراكم رأس المال الضرورى لزيادة الإنتاجية (محمد سعيد الفتيح ١٩٧٩. ٣٥٢) .

على هذا الأساس يؤكد العالم الاقتصادى الانجليزى (أرثر لويس ARTHOR-LIWIS) ليس من الربح أن تنتج حجما ناميا من السلع الصناعية ما لم يكن الإنتاج الزراعى ينمو فى وقت واحد ، ولهذا فإن كل أقتصاد زراعى راكد (Stagnant) لا يشير الى أى تطور صناعى (محمد سعيد الفتيح ، ١٩٧٩, ٣٥٢) .

ولهذا استلزم على الجزائر بعد الاستقلال مباشرة أن تتجه نحو وضع أسس علمية للتنمية والتخطيط لأن أكثر من ٨٥٪ من سكان الجزائر يعتبرون ديفيينى، وكثيرا ما كانوا يعانون من حلقات دائرية ، كانخفاض المستوى

الاقتصادى الى درجة الانحطاط ، وبروز الأمية بنوعيها - الهجائية والفكرية - وكذا ظهور الأمراض بمختلف أنواعها - الوبائية منها والمتوطنة - مع التأكيد على سيادة توجيهات قيمية ومعيارية مدعمة لحلقات التخلف والجمود نتيجة تحجر الأنماط الثقافية ، وهذا ما يطلق عليه «القصور الذاتى الثقافى» . بالإضافة الى ما تحتله هذه الجماهير الريفية من ثقل اقتصادى فى عملية التنمية الوطنية ككل . حيث تعتبر هذه المجموعات هى المصدر الوحيد لليد العاملة التى تمد قطاع الصناعة النامى ، وقطاع الخدمات بالقوة العاملة اللازمة ، كذلك تعتبر هى المصدر الأساسى للناتج الزراعى فى نفس الوقت الممثل لغذائيات السكان الذين يتزايدون بمعدلات سريعة، نتيجة تحجر واستاتيكية الأنماط الثقافية المتعلقة بالإنجاب وحجم الأسرة .

كذلك يعتبر هذا المجتمع بمثابة القوى الأساسية المضادة والمعوقة للتجديدات الوطنية ، وهذا راجع بطبيعة الحال الى سبب ما فرض عليه من انغلاق إجتماعى وتحجر وجمود ثقافى على امتداد سنين طويلة من الهيمنة والاستعمار ، وهذا جعل الجزائر المستقلة ترغب فى الاسراع بخطى التنمية ومحاولة إيجاد النموذج الذى ينبغى عليها أن تنتهجه فى عملية النمو ، مع العلم أن هناك حقيقة هامة تؤكد أنه ينبغى على الجزائر ألا تتخذ النماذج الغربية كقدوة لها فى عملية نموها الاقتصادى فى المستقبل ، بحيث يؤكد العالم الاقتصادى الأمريكى (سيمون كوزنتس) (Simon-cozntes) فى هذا الصدد . « أن الوضع الاقتصادى للدول الصناعية المتقدمة حاليا يختلف فى مرحلة ما قبل التصنيع اختلافا كليا عن الوضع الاقتصادى والتراث التاريخى للدول المتخلفة اليوم . (حسين عمر، ١٩٧٨ ، ٢٧).

وهذا يبرر أهمية العوامل الثقافية ، التاريخية . والحضارية لكل مجتمع بحيث مراعاة هذه العوامل مجتمعة فى وضع الخطط التنموية لكل

مجتمع . أى أن الخطة التنموية لابد أن تنبع أصلا من قيم وعادات وتقالية المجتمع ، حتى يضمن لها النجاح والاستمرارية .

وبالتالى تبقى التنمية الاقتصادية فى هذا الإطار حسب الظروف والإمكانات التى ورثتها الجزائر عن الاستعمار الفرنسى تتطلب توجه خاص وأسلوب مغاير تماما ، بحيث لا يهدف فقط لتنمية الانتاج الوطنى وتنمية الدخل الوطنى ، بقدر ما يعنى ذلك تحقيق المساواه الاقتصادية كشرط أساسى من الشروط الواجب توافرها فى المجتمع الجزائرى، وهذه الأسباب تتمثل فى :

ـ الحماسة بين الجماهير فى هذه الفترة بالذات (الحصول على الاستقلال الوطنى) وهذا مؤشر أساسى يدفع بالفلاحين الى التعلق برفع مستوياتهم المعيشية وهنا لا يصبح عنصر العمل كمجرد مصدر للدخل ، بل يعتبر أساسا أسلوبا فى الحياة يدفع به إلى إقامة سياج من التبجيل والترحيب . أما فى حالة انعدام هذا الشرط يؤدى لامحالة التى نفور الأفراد ، وبالتالى لا تؤمن الجماهير بجدوى التقدم والرقى .

كذلك فى هذه الفترة بالذات كون غياب المساواة الاقتصادية يؤدى لا محالة الى إعاقة تكوين رأس المال، مع أن هذا الأخير يعتبر عامل أساسى وهام فى تحقيق النمو الإقتصادى السريع. وهذا ما ذهب إلى تأكيده العالم (روستو) (Rousston) أن النمو الأقتصادى يتحدد أساساً بعاملين أثنين هما :

حصيلة الجمع بين رأس المال والقوى العاملة. وأن هذين العاملين فى تضافرهما يكشفان عن ستة ميول هى :

١ - الميل إلى تطوير العلوم الأساسية.

٢ - الميل إلى تحقيق تقدم مادى.

٣ - الميل إلى الإبتكار الفنى.

٤ - الميل إلى تحقيق تقدم مادى.

٥ - الميل إلى الإستهلاك.

٦ - الميل إلى أنجاب الأطفال (حسين عمر، ١٩٧٨، ٣٠) .

ولهذا أكبر مشكلة واجهت الجزائر غداة أستقلالها أنحصرت فى ماهية الخطة والأسلوب الواجب أتباعها بالنسبة للتنمية الوطنية. هل فى صالح الاقتصاد الجزائرى أن تتجه نحوالأسلوب التلقائى فى التنمية؟

ومعروف أن هذا الأسلوب هوالمتبع فى مجتمع الاقتصاد الحر ، حيث أن التنمية تقتضى تدخل الدولة بل تتوقف على وجود رجال الأعمال والمنظمين فى سعيهم على ممارستهم للنشاط الاقتصادى، وهذا للحصول على أقصى الأرباح، على أعتبار أن حافز الربح هوالدافع القوى على ممارستهم للنشاط الأقتصادى، وهذا بدوره يطرح إشكالية الحصول على رؤوس أموال كبيرة من جانب ، وخبرة فى الإقتصاد والتنمية والتنظيم من جهة أخرى. وكلاهما تفتقر إليهم الجزائر آنذاك. فيبقى فى هذه الحالة إتجاه واحد يتطلب على الجزائر إتباعه، يتمثل فى أسلوب التخطيط الاقتصادى بدليل أنه يعتبر وسيلة لا غاية، ويتميز بأنه وسيلة عملية منظمة ومستمرة يتم بموجبها حصر الموارد المتاحة فى المجتمع، المادية والبشرية والمالية وتقدير أحتياجات المجتمع، ثم تحديد طريقة تعبئة وإستغلال هذه الموارد أو تشغيلها وتوجيهها وتوزيعها على النحو الذى يساعد على تحقيق الغايات المرجوة، أى فى أقصر فترة ممكنة وبأقل جهد أو تكلفة اجتماعية وإقتصادية وبأدنى قدر من الضياع. (حسين عمر، ١٩٧٨ ، ٦٧).

ولهذا ترقى هذه الخطة إلى مستوى الإطار المادى لمجموعة المثل والآمال التى تسيطر على أفكار الناس آنذاك، وتتبلور فيها السبل التى يمكن للدولة بها أن تجعل رغبتها بالنسبة للمجتمع الجديد الذى تصبو إليه حقيقة واقعة .

هكذا أتجهت الجزائر ما بعد الإستقلال إلى الأختيار المفروض عليها في التنمية الاقتصادية بحيث أختارت أسلوب التنمية الرأسية (وهى تعنى زيادة فى الإنتاج فى نفس المساحة الأرضية، بإدخال أساليب تكنولوجية وتحسين السلالات، وإستخدام المخصبات وتحسين خواص ومكونات التربة، والاعتماد على الإرشاد الزراعى، والوسائل العلمية والفنية فى الإنتاج الزراعى).

وحسب إعتقاد السلطة آنذاك لا يتحقق ذلك فى ظل إنشاء نظام تعاونى فلاحى خاضع لهيمنة ومراقبة الدولة. ألا وهو نظام (التسيير الذاتى) (autogestion). مع العلم أنه من الخطأ إهمال أسلوب التنمية الأفقية (التى تعنى إضافة مساحات جديدة إلى الاراضى المزروعة، وما يتبعه ذلك من إنشاء مجتمع جديد. أى التوجه الى استصلاح الأراضى والاهتمام أكثر بالمزروعات المسقية).

- تفاقم الأزمة الاقتصادية عشية الاستقلال:

بالنظر إلى الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للجزائر ما بعد الاستقلال مباشرة يمكن أن نصنفها بالأوضاع الاقتصادية الكارثية من جراء السقوط الحر للاقتصاد الجزائرى، وهذا بفعل الهروب الجماعى للإدارة الاستعمارية، وكذا الاستنزاف المالى على كل المستويات، حيث دفع بالسلطة آنذاك الى انتهاج أسلوب النموذج التسييرى الجماعى ، سواء تعلق الأمر بالجانب الصناعى، أو الجانب الفلاحى، وبالتالى محاولة إدخال أسلوب التسيير الذاتى فى بلد غير مهيأ لا سياسيا ولا مادياً لذلك. إذ بينت الحالة الاجتماعية المزرية والملفتة للانتباه، أن عدد العاطلين عن العمل بلغ حدود (٢مليون نسمة) مقابل ٢٦٠٠٠٠٠ فرد بدون مصدر رزق مع مطلع سنة ١٩٦٣.

مما أدى إلى ظهور شبه تمرد فى أوساط المجتمع الريفى، وكذا التجمعات الحضرية مع مارافق ذلك من ظواهر اجتماعية خطيرة، كتفشى ظاهرة السرقة

والإضرابات والإضطرابات الاجتماعية. وتبقى فى رأى الباحث ثلاثة أسباب رئيسية مغذية لهذه الظواهر واستمرارها، وهى:

١- عدم وجود يد عاملة مؤهلة وفنيين قادرين على تحريك التجهيزات والآلات التى تركها المعمرين الأوروبيين.

٢- اتباع سياسة عدم تغيير وتبديل واستبدال الآلات، والتجهيزات القديمة، باقتراب مرحلة الاستقلال الوطنى.

٣- انغلاق السوق المحلية من جراء وجود سلع ومنتوجات صممت بالدرجة الأولى لتلبية حاجيات المستهلك الأوروبى داخلياً وخارجياً.

وتبقى هذه المرحلة تتسم بوجود أزمة خانقة فى القطاع الفلاحى الذى تأثر كثيرا بانغلاق الأسواق الخارجية (الصادرات للدول الأوروبية)، ومحدودية تلبية الحاجيات الداخلية (تلبية المنتوج داخل الأسواق الوطنية).

وعليه يلاحظ تدنى وسقوط مفاجىء للثلث، ثم الربع، ثم ثلثى الإنتاج بالتسلسل، للكروم، والخضر، والمحاصيل الصناعية. (Benujamin stora, 1995-20) وعليه يبقى التسيير الذاتى الفلاحى يمتص وحده غالبية القروض المتوفرة مقابل مردود ضعيف ومديونية فاقت كل تقدير.

أى بعبارة أخرى يتضح أن الإنتاج الفلاحى الموجه للإستهلاك الداخلى لم يواكب الزيادة فى الطلب على المنتوجات الأساسية للفرد الجزائرى، إذ لا يتعدى معدل إنتاج الحبوب ١٦ إلى ١٧مليون قنطار فى السنة، مع العلم أن الاحتياجات من هذه المادة الاستراتيجية تفوق ٢٤ إلى ٢٥مليون قنطار، يقابلها زيادة فى نسبة النمو السكانى بـ ٣٪ فى السنة.

وبالنظر إلى هذه الاخفاقات والتناقصات الاقتصادية الاجتماعية يمكن أن يضاف لها انعكاس آخر يتمثل فى إيقاف مفاجىء لمخطط قسنطينة(*)، والآثار

(*) مخطط قسنطينة يطلق عليه مشروع ديغول (Degaule) سنة ١٩٥٩ محاولة تجميع السكان ضمن تجمعات سكانية لامتصاص غضب الجزائريين .

المترتبة عنه، حيث تمثلت النتائج فى القطاع الصناعى بانخفاض ٥٥ ٪ فى مجال البناء والأشغال العمومية ما بين سنة ١٩٦٢ - ١٩٦٣. إذ تبين الإحصائيات أن ١٤٠٠ شركة زالت من أصل ٢٠٠٠ شركة تعمل فى مجال الأشغال العمومية.

أما بخصوص قطاع المناجم والحديد والصلب، فالإنتاج أنخفض إلى ٢٠ ٪ و١٥ ٪ بالتسلسل، وكذا انخفاض فى قطاع النسيج بـ٥٨ ٪، وانخفاض فى حدود ١٤ ٪ فى مجال صناعة المصبرات الخاصة بالأسماك، ويتواصل هذا الانخفاض إلى ٤٠ ٪ فى انتاج الفواكه، مع شبه انقطاع كلى لإنتاج السكر.

يقابل ذلك نزول طارئ ومفاجئ فى مجال الاستثمارات مقارنة بالانتاج . إذ قدر الاستثمار ما بين ١٩٦٢ - ١٩٦٣ بـ (٨٤ مليار فرنك فرنسى) عوض ١٤٦٤ مليار فرنك فرنسي (باحتساب المنتوجات البترولية)، أما خروج المنتوج البترولى فانخفض الاستثمار إلى ٦٩ مليار فرنك فرنسى عوض ٣٣٣ مليار فرنك .

ويقابل هذا الضعف فى الاستثمار زيادة معتبرة فى النفقات غير المنتجة مثل النفقات العالية فى مجال الخدمات العمومية، حيث ارتفع عدد الأعوان العموميين ما بين سنة ١٩٥٤ - ١٩٦٣، من ٣٠٠٠٠ إلى ١٨٠٠٠٠ فرد (Benuamin stora, 1995, 21).

وحتى فى القطاع العسكرى كانت النفقات المخصصة لميزانية الجيش الوطنى الشعبى آنذاك تشكل عبأ ثقيلاً على ميزانية التسيير ، باعتبار أن جيش التحرير الوطنى (A.L.N.) بلغ تعداده ٨٠٠٠٠ جندى فى غضون سنة ١٩٦٢، (كلهم مرابطون بالحدود) ، و٦٠٠٠ جندى موزعون (بالمعاقل الداخلية) ، مع بداية ١٩٦٣يقفز العدد إلى ١٢٠٠٠٠ جندى منتشرين ضمن الفيالق المختلفة المشكلة للجيش الوطنى الشعبى. أى برصيد ١٠ ٪ من الدخل القومى الوطنى (Benuamin stora, 1995, 23).

وبالمقابل لهذه الاختلالات والتناقضات الهيكلية والأعباء المالية لجزائر الاستقلال، لابد على السلطات الرسمية من التفكير بسرعة فى وضع سياسة ناجعة لمواجهة ظاهرة النزوح الريفى الذى اتسم فى هذه الفترة بخاصية الرغبة الملحة فى الترحال والانتقال للأفراد والجماعات نحو المدن والمراكز الحضرية، وهذا بغية الحصول على ممتلكات شاغرة تركها المعمرون العائدون إلى فرنسا. مع الظاهر أن المدينة فى هذه الفترة بالذات ونظرا لخصوصيتها ومباهج مظاهرها الجذابة كانت تشكل فى مخيلة الريفى المقصد الوحيد لتحقيق أرقى أنواع الرفاهية والعيش الرغيد، ربما نتيجة الحصار والقهر والتهميش والحرمان الذى سلط على العائلة الريفية طيلة الحقبة الاستعمارية.

وبالتالى أصبحت المدن والمراكز الحضرية بمثابة المنفذ الوحيد للريفيين بدون أرض ولا أمل ولا مال، مما غير من وجه هذه المدن التى أصبحت عبارة عن بؤر للبؤس والفقر والحرمان، وتجلى ذلك بالخصوص فى اتساع وانتشار السكن (القصديرى) على مختلف أطراف المدن.

وتبين الأرقام أن المدن الجزائرية ما بين سنة ١٩٦٠ - ١٩٦٣ استقبلت أزيد من ٨٠٠٠٠٠ نسمة كسكان جدد بالمدن الكبيرة والمتوسطة الحجم، وأن نصف هذا العدد وحده يمثل محافظة الجزائر الكبرى (العاصمة) وحدها إذ أن عدد سكان الجزائر العاصمة ارتفع نسبة ٨٥٪ ما بين سنة ١٩٥٤ - ١٩٦٠ ، مع زيادة فى عدد السكان نحو مراكز البلديات الحضرية .

إذ تبين الإحصاءات أن التعداد ارتفع من ٣ ملايين نسمة فى سنة ١٩٥٩ إلى أكثر من ٤ ملايين نسمة بحلول سنة ١٩٦٦. وهذا مقارنة بعدد السكان الذى كان يمثل ١٠ ملايين نسمة ككل (Benuamin stora, 1995, 33) .

هذه الوضعية غير المنتظمة سرعت مباشرة فى تشكيل فوارق اجتماعية واقتصادية داخل النسيج العمرانى الحضرى، مما تولد عنه صراع ظاهرى بين

الفئات الفقيرة والمنعدمة الدخل من المهاجرين والنازحين، وكذا الفئات المتوسطة من أصحاب المهن الحرة، والحرفيين، والموظفين الإداريين. وربما تجلى ذلك فى أول ظهور لبرجوازية صغيرة في الأوساط الحضرية، استغلت هذه الظروف المزرية لتستثمر أموالها فى بعض الأنشطة الاقتصادية والتجارية الخدمات.

- الاختيار الاقتصادى لفترة ١٩٦٥ - ١٩٧٨ :

يتفق كل المحللين الاقتصاديين أن حقيقة منعرج السياسة الاقتصادية فى الجزائر اتضح جليا مع مطلع سنة ١٩٧١ بالقرارات التاريخية لتأميم الثروات الطبيعية، وعلى رأسها البترول والغاز. إذ عكفت السلطات السياسية الحاكمة آنذاك على رفع نوع من التحدى فى مواجهة كل المشاكل الاقتصادية والاجتماعية الناجمة عن مخلفات الاستعمار الفرنسى، وهذا بالإسراع قدر الإمكان فى وضع استراتيجية اقتصادية واجتماعية تمكن البلاد من الخروج من حالة التخلف والفقر إلى مرحلة متقدمة ، تتمثل فى محاولة تصنيع البلاد بطريقة تجعل من الجزائر فى مرحلة أولى تنتقل من بلد زراعى إلى بلد صناعى على غرار الدول النامية الأخرى.

ومما زاد فى توسيع هذا التوجه الاقتصادى الموجه، هو الاعتقاد بأن عملية التصنيع هى بمثابة القاطرة الأمامية التى باستطاعتها أن تجر القطاع الفلاحى إلى مستوى أعلى من التقدم والازدهار.

وباعتماد نظرية الصناعة «المصنعة» التى يرجع الفضل إلى تبنيها والدفاع عنها فى مرحلة السبعينيات لمجموعة من الاقتصاديين الفرنسيين، أمثال (فرانسوا بيرو) (FRANCOIS- Perroux) وخاصة (جيرار ديستان دى برنيس) (Gerard destanne de Bernis)، استاذ كرسى بجامعة «جرونوبل» (Universite de Grenoble)، أصبح هو المرجع المفضل للاستراتيجية التنموية فى الجزائر.

وتتلخص نظرة (Feancois - Perroux) لمفهوم التصنيع ، (أنه بمثابة مؤشر تراكمى مهيكل للنسق الاجتماعى عن طريق العمل المكثف لنظام الآلة الذى يسمح بزيادة غير مكلفة للأشياء الضرورية والمفيدة للجماعة الانسانية). (Benuamin stora, 1995, 33) وبالتالى يذهب كل من (فرانسوا بيرو) (Francois Perroux) و(جيرار ديستان دى برنيس) (Gerard destanne de Bernis) إلى كون التصنيع فى حد ذاته ظاهرة عامة معقدة تشمل فى مجملها المرنة الجوانب التقنية، والاقتصادية. والاجتماعية، (أى الهياكل الاجتماعية فى قالب هيكلة اجتماعية واقتصادية).

أما (الهياكل السياسية)، فهى بالأساس تتحول فى العمق بفعل التصنيع. وكذا الجانب النفسى الاجتماعى (أى الطباع الفردية)، وهكذا يصبح الترابط بين الظواهر متخذاً مدلولاً ذو اتجاهين. من جهة يمثل شروط إنجاز الآخرين. وفى نفس الوقت يمثل نتائج أنجاز الأخرين.

وهكذا يتجلى نموذج الاقتصاديين الفرنسيين فى تحديد النظام الاجتماعى والاقتصادى الموجه للدول المستقلة حديثا، والتى مازالت تعانى من أسباب التبعية والتفكك فى مختلف مجالات البنيات الداخلية، أى أنها بإمكانها أن تتجه وفق هذا النموذج بعد حصولها على الاستقلال لتجميع وإدماج النظام الإنتاجى الوطنى وفق تنشيط ديناميكية تنموية داخلية تمكنها من وضع صناعة قاعدية (الصناعة ـ المصنعة)، التى تسمح للكوادر والعمال باكتساب الخبرة والتكوين فى المجال الصناعى العصرى والتكنولوجية المتقدمة، وبالتالى الانتقال إلى صناعة منتجة موجهة للتجهيزات الضرورية والمستعجلة ، كالصناعة المنتجة للآلات الخاصة لوسائل العمل فى مختلف مجالات التنمية، كالبناء والزراعة، والتغذية ... الخ (B enjamin storx, 1995, 36) . وعلى عكس هذه المرحلة (مرحلة الستينات والسبعينات) تبقى الجزائر متأثرة بالمعطيات

والخصو صيات الداخلية (مرحلة الاستقلال) ، وكذا تأثير العوامل الخارجية في شكل مفاهيم وتوجيهات أملتها الظروف التاريخية للهيكلة العالمية فى مجالات السياسية والاقتصادية، والحرب الباردة والمصالح المتباينة لمختلف الدول المهيمنة على مصير الشعوب والضعيفة .

مع التأكيد فى هذه المرحلة بالذات على أن القيادات السياسية فى الجزائرالمستقلة تبقى تحركها نزعة التحرر والانعتاق من التبعية الاستعمارية، وهذا لكون قيادتها السياسية متشبعة إلى حد النخاع، بما يسمى آنذاك بإيدلوجيات (الحركات التحررية العالمية والمبنية أساسا على سيادة مفهوم الزعيم القومي الثائر على مظاهر التخلف والبؤس والشقاء والعنصرية.وهذا يعنى أن المناخ الدولى آنذاك يسهل كثيراً اعتناق نماذج تنموية موجهة لتحرير البلاد من جميع مخلفات التبعية الاستعمارية .

ويكفى ما نراه مجسداً فى الاستراتيجية والنموذج التنموى الجزائرى من خلال تأثير مجموعة من المنظرين لهذا الاتجاه أمثال : (أنذاك قيندار فرانك) (Gunder Frank - Andre) ، (شارل بيتلتهايم) (Charles Bettelheim) ، (إيمانيل والرستان) (Immanuel - Wallerstein) ، (يمانيال أرقيرى) -Im (manuel- Arghiri) ، (ف . هـ كاردوسو) (F.h.cardos) (سيلسوفيرطادو) (Celso - Furtado) وسمير أمين (Amine - Samir) ......الخ .

الذين يقررون أن الدولة هى الوحيدة القادرة على تجسيد هذا النموذج، حيث تتبوء الصناعة المقام الأول فى تحريك عجلة الاقتصاد ضمن النظام الوطنى .

هكذا ترسخت فكرة التوجه إلى تصنيع البلاد وفق الاعتماد على قاعدة ضرورية تنطلق أساسا من الصناعات باعتيارها المحرك الأول للتنمية برأى كل الملاحظين والمحللين المهتمين بأفاق التنمية المستقبلية للجزائر. ويرمز هذا الاختيار الاقتصادى إلى تحقيق بعض الأهداف الآتية مثل :

١ - اختيار وطني يعجل بسرعة لتحضير مستقبل البلاد .

٢ - إمكانية تحقيق الاهداف التنموية بسرعة عن طريق إيرادات البترول والغاز .

٣ - رفع التحدى الداخلى والخارجى فيما يتعلق بشرعية مفهوم الدولة والأمة الجزائرية .

٤ - الاعتقاد بأن قوة الجهاز الانتاجى وحدة كافية لتدعيم الاستقلال السياسى للدولة وبالتالى مضاعفة القدرات والإمكانات الممكنة إلى وضع نظام اشتراكى لاحقا (Benjamin stora . 1995. 35) .

النظام الانتاجى ونتائجة بعد الاستقلال مباشرة :

بعد سنوات ١٩٦٢ - ١٩٦٥ والتى انتهت بتأميم القطاع الفلاحى العصرى الأوروبى وكذلك أول صدور للعملة النقدية الجزائرية المتمثلة فى الدينار الجزائرى فى سنة ١٩٦٤ ، اتجهت الجزائر بعد هذه المرحلة مباشرة لتجسيد المرحلة الثانية المتمثلة فى تصنيع البلاد ابتداء من سنة ١٩٦٩ - ١٩٧٨ م .

وقبل الشروع فى إنجاز هذه المرحلة المتميزة فى تاريخ الجزائر ، لجأت السلطات السياسية فى أول وهلة إلى تكثيف عملية التأميمات المختلفة وهذا حتى يتسنى لها مراقبة آليات الجهاز الاقتصادى بدقة .

حيث تجسد ذلك مباشرة بضم الشركات المنجمية فى ٨ مايو ١٩٦٦ إلى قطاع الدولة . ثم جاء دور شركات التأمين يوم ٣١ مايو ١٩٦٦ ، تلتها تأميمات شبكة التوزيع (Esso et Mobil) فى اوت ١٩٦٧ .

وهكذا تكاثفت عملية التأميمات خاصة فى شهرى مايو وجوان من سنة ١٩٦٨ ، حيث جاء دور الشركات المتخصصة فى توزيع المواد البترولية فى الجزائر يوم ١٣ مايو من سنة ١٩٦٧ وهذا بإنهاء مهام ١٤ شركة أجنبية متخصصة فى

قطاع مواد البناء تم تأميم ٥٠ شركة متخصصة في صناعة (الأسمنت والصباغة والمعاصر الزيتية ، والحديد ، الصلب) وعلى رأسها الشركات الكبيرة مثل :) . Ropolin - Laforge - Lesueur)

وبمجرد .حلول شهر أوت لسنة ١٩٦٨ وما ميزة من تسارع في وتيرة اتخاذ مجموعة من الإجراءات الخاصة بالتأميم. تبين أن السلطة في الجزائر كانت تهدف وتسعى لإعطاء ومنح الشركة الوطنية للمحروقات (SONATRACH) أحقية احتكار تسويق مشتقات مواد البترول، وكذا مراقبة كلية للقطاع البتروكيميائى . واختتمت المسيرة بقرار ٢٤ فيفرى ١٩٧١ الذى وضع حدا نهائياً لاحتكار الغاز الطبيعي ، والبترول الخام ، وأنابيب النقل . وحددت نسبة الشركة الفرنسية للبترول ب ٥١ ٪ (مثل شركات CFP- PELEF- ERAP) . (Benjamin stora , 1995 , 36)

ويحلول ١٥ نوفمبر ١٩٧٤ تمت وبصفة نهائية عملية التأميمات التى كانت أهداف مسطرة ومضبوطة ومحدده في الزمان. حيث تميزت بالسرعة الفائقة من حيث المدة الزمنية المحددة لها .

.وبالتالى اتضحت الرؤية الاقتصادية للجزائر، على اعتبارأن الاقتصاد تحرر كليا وتمت عملية الاندماج بصفة مرضية للغاية .

هذا الأسلوب شابة ما حصل في الاتحاد السوفيتى أي بمعنى تمكنت السلطات الجزائرية من اتباع وتشجيع الاستثمار المكثف مع الأفضلية للصناعة القاعدية الأساسية والمتمثلة أساسا في صناعة الحديد والصلب وكذا قطاع الكيمياء مع الاعتناء الكلى بالجانب التقنى وجلب أحدث ما توصلت اليه التكنولوجية العالمية في مجل التقنية آنذاك . لأن اتباع منهج إرساء قاعدة صناعية ثقيلة وتنميتها أصبح بالضرورة هو السبيل الوحيد لتحريك دواليب الاقتصاد بمفهومة الشامل .

أما الصناعات التحويلية الاستهلاكية فقد تقرر تأجيلها إلى مرحلة قادمة حتى تتمكن من تلبية حاجيات الطلب المتزايد من جراء المداخيل الناتجة عن النمو فى الإنتاج وهذا التفضيل والتميز لصالح الصناعة القاعدية والصناعة ككل، كان على حساب القطاع الفلاحى بالدرجة الأولى، لأن مكننة الفلاحة، وتكثيف الانتاج الزراعى وتحسين خصوبة الأرض الفلاحية عن طريق استعمال الأسمدة الكيماوية، أصبح أمر واقع فى خلق مناصب شغل، وكذا توفير الانتاج الموجه للاستهلاك الضرورى كحتمية للقضاء على التبعية الغذائية، وبالتالى الوصول إلى الاكتفاء الذتى .

هكذا شرعت الجزائر فى وضع مخططات تنموية محدودة الآجال ابتداء من سنة ١٩٦٧، بالانطلاق فى أول مخطط يمتد من ١٩٦٧ إلى ١٩٦٩ أى بعد الانتهاء مباشرة عن عملية تأميم قطاع البنوك التى كانت حتى ١٩٦٦ ما تزال خاضعة للهيمنة الخارجية، خاصة الفرنسية منها، مما عجل بإنشاء ثلاثة بنوك كبيرة فى الفترة الممتدة ما بين سنة ١٩٦٦ أو ١٩٦٧ :

- البنك الوطنى الجزائرى (B.N.A) فى أول جويلية ١٩٦٦ .
- القرض الشعبى الجزائرى (CPA) فى أول ديسمبر ١٩٦٦ .
- البنك الخارج الجزائرى (B.E.A) فى ١٢ سبتمبر ١٩٦٧ .

وعلى هذا الأساس تم الشروع فى تنفيذ المخطط الثلاثى (١٩٦٩ - ٦٧) للتنمية وبحلول المرحلة الثانية لأول مخطط رباعى (١٩٧٠ - ١٩٧٣) شرعت الجزائر فى وضع تخطيط مالى تمثل فى مجلس القرض (BAD) يساعد فى تمويل الاستثمارات المختلفة (Benjamin stora 1995 . 37)

والسؤال الذى يبقى مطروحاً، هل وصلت الأهداف المسيطرة للنظام الانتاجى فى الجزائر إلى حقيقتها بعد السيطرة الكلية على قطاع البنوك ؟

وقبل الإجابة على هذا السؤال، لابد من آن نعرج بالتحديد لمفهوم نوعية وطبيعة الهياكل الموضوعة من قبل السلطات السياسية الحاكمة آنذاك لتنفيذ هذه البرامج، حيث تبين أن المهمة فى البداية اسندت للأمانة العامة آنذاك المكلفة بالتخطيط (SEP) والتى من مهامها التكفل بالتنسيق والمتابعة لمختلف المشاريع الكبرى، وهذا شكل تجميع كلى للشركات والمؤسسات الكبرى الوطنية، وكذا مجموعة الوزارات المعنية، وهذا يعنى حفاظا على التحكم والانسجام بقدر الإمكان من حيث سلطة القرارات الموجهة وبالخصوص التحكم أكثر من القرارات الموجهة لعملية التجهيزات المختلفة فى مجال التنمية. لكن وبرغم كل هذه المجهودات فى مجال الاستثمار، ويبقى النمو بطء، حيث ان الاستثمارات وصلت إلى حدود ٢١ ٪ من الإنتاج الداخلى الخام
(PIB) وهذا فى سنة ١٩٦٣ ، ثم قفزت إلى ٤٢ ٪ بحلول سنة ١٩٧٣ ، ثم إلى ٥٠ ٪ فى نهاية سنة ١٩٧٧ ، وهذا النسب تمثل واحد من أعلى النسب العالمية .

والدليل على ذلك يتضح من خلال الانتاج الداخلى الخام (PIB) الذى كان يرتفع بمعدل ٦,٤ ٪ كل سنة للفترة الممتدة سنة ١٩٧١ - ١٩٨٠ إذا تمكن الانتاج الوطنى الخام من الوصول إلى تحقيق ٣٦,٦ مليار دولار فى سنة ١٩٨١ ، أى ما يعادل ١٩٧١ دولار للفرد الجزائرى الواحد .

يعنى بعملية تركيبية مقارنة بدول المغرب العربى، يأتى الفرد الجزائرى من حيث المدخول فى المرتبة الثانية بعد الفرد الليبى بـ ٨٤٦٠ دولار للفرد، لكن يتقدم عن الفرد فى دولة تونس بـ ١٢٤٢ دولار للفرد والمغرب بـ ٢٢٧ دولار للفرد الواحد . مع الإشارة هنا إلى الزيادة المعتبرة فى إنتاج الحديد الخام الذى تجاوز ١,٢ مليون طن عوض ٤٠٠٠٠٠ طن ما بين الفترة الممتددة من سنة ١٩٧٧ - ١٩٨٢ كذلك بروز واضح لصناعة الجرارات التى انطلقت مع مطلع سنة ١٩٧٤، حيث وصل الانتاج إلى حدود ٤٩٠٠ جرار فى سنة ١٩٧٩ . كذلك تبين

أن انتاج الكهرباء تجاوز ٦٠٠٠ ميجا واط (GWH) في سنة ١٩٨٠ عوض ٤٠٠٠ ميجا واط سنة ١٩٧٧ .

أما بخصوص الصناعات التحويلية فاز دادت بنسبة ٩,٩ ٪ للفترة الممتدة ما بين سنة ١٩٧٠ - ١٩٧٩ ، مع التأكيد على وجود بعض الاختلالات التى سايرت العملية ككل . لأن توجية وتركيز الموارد المالية لقطاع المحروقات بحوالى ٣٠ ٪ من مجموع الاستثمارات فى الفترة ما بين سنة ١٩٧٦ - ١٩٧٧ ، وكذا اللجوء إلى الخبرة الأجنبية الفرنسية ضمن ما يسمى بالتحويل التكنولوجي مع ما صاحب ذلك من عمليات واسعة فى مجال الاقتراض الخارجى ، هذه العوامل مجتمعة ربما صعبت وعقدت أكثر بعض الحالات فى القطاعات الإنتاجية، وعجلت بظهور بوادر أولية لرهن الاستقلال الاقتصادى، عكس الطموحات والأهداف والمرامى التى تم تسطيرها لربح مده المعركة فى المجال الاقتصادى .

وإلا كيف نفسر الاستثمارات المكثفة التى خصصت للصناعة بـ ٦٤,١ ٪ من مجموع الاستثمارات الكلية ما بين ١٩٧٤ - ١٩٧٧، بالإضافة إلى انتاج الأسلوب التسييرى المركزى الذى كثيراً ما عرقل عملية التنسيق الضرورى بين مختلف القطاعات .

أى بمعنى تسلط الجهاز البيروقراطى الذى لم يسمح بالتواصل المطلوب بين القطاع العام والقطاع الخاص، كذا جهاز الانتاج ونظام لتسويق، واخيرا بين القطاع الفلاحى والقطاع الصناعى، وعلية أصبحت هذه التراكمات فى حد ذاتها كعملية معرقلة لمواصلة انجاز المشاريع الصناعية نفسها .

وربما أدى الاتجاه المتمثل في وضع وحدات انتاجية صناعية على شكل المفتاح باليد الإسراع فى دفع عملية التنمية ، دون مراعاة العواقب الوخيمة المترتبة عن الجهل فى التحكم والسيطرة على التكنولوجيات العصرية وخير دليل على ذلك ما لوحظ من تباطؤ فى انجاز المعامل والمركبات فى مختلف

جهات الوطن ، مع مردود انتاجى ضعيف ظهر جليا بمجرد الانطلاق فى عملية الانتاج بعد انجاز المشروع وحتى بمقارنة مردود الانتاج كهدف نظرى مسطر فى العملية التخطيطية ، يلاحظ بالمقابل أن عملية المردود الانتاجى لا يتعدى فى أحسن الحالات ٣٠٪ إلى ٤٠٪ من الطاقة الانتاجية الحقيقية للمركب أو المعمل

ضف إلى ذلك النقص الواضح فى المنشآت التخزينية وعرقلة العملية التسويقية ككل .

وعلى هذا الأساس تبين أن هذه العوامل مجتمعة أو منفردة ، كافية لبروز تناقضات هيكلية وتفاوت قطاعى تعداه حتى إلى تفاوت جهوى بارز.

ويمكن التأكيد على هذه التناقضات من خلال اتضاح الأسلوب والمنهج الذى اتبع آنذاك والمبنى أساساً على تفضيل وبروز أقطاب صناعية مهيمنة.

وعليه اضطرت الجزائر تحت هذه الظروف القاهرة بالاستنجاد بالخبرات الأجنبية مثل ، (الشركات العالمية – المنظمات العالمية) وهذه عوامل وأسباب كافية ومشجعة تدفع بالتأكيد الى تراكم الديون الخارجية للجزائر، إذ بلغت ٢ر٧ مليار دولار سنة ١٩٧٢ لترفع الى حدود ٤ر٢٣ مليار دولار فى غضون سنة ١٩٦٩ ، أى ما يعادل بالتسلسل ١٢٪ ثم ٦ر٢٥٪ من خدمة المديونية للصادرات الخارجية (Beujamin stora. 1995. 38) .

وبالمقابل لهذه الصعوبات الاقتصادية والمالية ، وصعوبة التحكم فى الآليات الإنتاجية للقطاع الصناعى برمته ، صادفه فى الجهة المقابلة قطاع فلاحى يصارع ويجابه التحديات المفروض عليه من جراء النقص الفادح والمتسارع فى الأيدى العاملة النشيطة أو المنتجه، وعليه أصبح الرهان على كسب معركة الاكتفاء الذاتى ، والتخلص من التبعية الغذائية الخارجية هدف بعيد المنال . لأن عدم قدرة هذا القطاع على تلبية الحاجات الغذائية للطلب المتزايد باستمرار ، يتطلب منا

الوقوف عند مختلف المحطات البارزة التى طابعت هذا القطاع من حيث هيكلته أو تطوره ، أو مساهمته فى التنمية الوطنية ككل . والسؤال الذى يبقى مطروحاً كيف تم التعامل مع المسألة الزراعية فى جزائرالاستقلال؟.

لأن المعطيات الميدانية آنذاك كانت توحى بأن المسألة الزراعية فى الجزائر ما تزال مهشمة ، وعملية اندماج القطاع الزراعى فى الاقتصاد الوطنى بعيدة المنال.

وهذا ما يؤكده الاقتصادى الجزائرى عبد اللطيف بن اشنهو حيث يبرز أن التقرير الشامل حول الاستثمار المحقق وما يجب تحقيقه كضرورة ملحة لتجديد الجهاز الإنتاجى فى قطاع التسيير الذاتى للفترة الممتدة ما بين سنة ١٩٦٦ - ١٩٩٤ ، هو فى حدود ٣٨٪ بصفة عامة.

وهذا يعنى أن مساهمة القطاع الزراعى فى الانتاج الوطنى الخام (PIB) يبقى ضعيف وفى تناقص مستمر بـ ٣١٪ فى سنة ١٩٦٣ وفى حدود ١٨٪ فى سنة ١٩٦٥، ولا يتعدى ١٣٪ فى مطلع سنة ١٩٧٢ ، أى فيما معناه أنه يمثل ١٢٪ فقط من حجم الاستثمارات المقررة للفترة الممتدة من سنة ١٩٧٠ - ١٩٧٣ ، و٤ر٧٪ للفترة الممتدة ما بين سنة ١٩٦٤ - ١٩٧٧. وهذا دليل يؤكد استحالة تجديد الحظيرة بالبنية الخاصة الوطنية لوسائل الإنتاج فى تلك الفترة.

أكثر من ذلك يذهب المؤرخ السياسى الفرنسى (اتيان برينو (Bruno-Etienne) إذ يؤكد : «أن اتباع هذا المسار ناجم عن محاولة إقحام العالم الريفى والمجتمع الفلاحى فى منطلق الاقتصاد الصناعى ، والمشكل عموما من سلطة مهيمنة من فئات اجتماعية تنتمى للوسط الحضرى أى بمفهوم يتركز على التنمية الصناعية الحضرية».

بدليل أن المرسوم التنفيذى الخاص بتطبيق الثورة الزراعية المؤرخ فى ٨ نوفمبر سنة ١٩٧١ ، والمتضمن للمرحلة التطبيقية الممتدة ما بين سنة ١٩٧٢ - ١٩٧٥ يبرز أن ١٤١٠٠٠ هكتار ، (هياكل زراعية غير تابعة

للمعمرين) تم هيكلتها فى شكل تعاونيات فلاحية . أى حوالى ٥٢٦١ تعاونية مختلفة الأنواع بحيازة لا تتعدى ٢١٧ هكتار فى المتوسط لحوالى ٩٠٠٠٠ فلاح مقابل ١٧٠٠٠٠ فلاح فى قطاع التسيير الذاتى (مزارع الدولة) (Benjamin stora. 1995, 39) أى ما يعادل ١٠٪ فقط من الملكية الخاصة غير تابعة للدولة .

ولهذا حتى مفهوم ومدلول الثورة الزراعية فى حد ذاته يبقى غير مجدى وغير هادف ، على اعتبار أن عدد معتبر من المستفيدين تنازلوا عن هذه الاستفادات وبالمقابل أن التقديرات كانت تشير الى حوالى ٧ ملايين فلاح لم يتمكنوا من الانخراط فى هذه العملية الفلاحية فى سنة ١٩٧٣.

على عكس ذلك أن تجربة التسيير الذاتى التى جاءت عن طريق مبادرة العمال الفلاحين الفقراء ، وبعض المناضلين المتطوعين فى الفترة الممتدة ما بين ١٩٦٢ -١٩٧٠ وبالتالى أتضح فيما بعد أن القطاع الفلاحى أصبح بمثابة المصدر الرئيسى لتوفير اليد العاملة لكل النسيج الصناعى.

وانعكس ذلك على العلاقة بين الريف والمدينة ، إذ تأثرت هذه العلاقة من جراء سياسة التفضيل والتمييز وتسخير الموارد المالية فى اتجاه أحادى مما عجل بتراكم مالى لصالح الصناعة ، أى جمدت الأجور لأكثر من ١٠ سنوات فى القطاع الفلاحى بسبب تموين المدن وإقامة مصانع على أكثر من ١٥٠٠٠٠ هكتار من أجود الأراضى الفلاحية، مع تسرب كبير لليد العاملة الشابة والمؤهلة لمختلف النشاطات الاقتصادية المتواجدة فى مختلف المدن الجزائرية ، إذ قدر العدد آنذاك بحوالى ١٠٠٠٠٠ مهاجر فى السنة ، وهذا ما انعكس بصفة مباشرة على الانتاج الفلاحى ، حيث تراجع الإنتاج فى المحاصيل الكبرى (قمح ، شعير،...) مثلا الى ١٩٫٣ مليون قنطار فى الفترة الممتدة ما بين سنة ١٩٧٩-١٩٨١ وحتى مستوى الاكتفاء الذاتى الغذائى الذى كان يمثل ٧٠٪ فى سنة ١٩٧٠ ، تقهقر

الى حدود ٣٠٪ فى سنة ١٩٨٠، أى بمعنى نصف الاحتياجات الغذائية من الحبوب مستوردة ، بدليل أن ما يعادل ٨٠٪ من الزيوت الغذائية مستوردة وثلثى (٣/٢) الاحتياجات من البقول الجافة ، وقرابة الاحتياجات الكلية من مادة السكر مستوردة وهذا فى مطلع سنة ١٩٨٤. أى ما يعادل ٦٠٪ من الاحتياجات الغذائية ، والذى يمثل (٢/٤) من قيمة الورادات الاجمالية للبلد (Beujamin-stora,1995-39)

وهذا العدد مرشح للزيادة باستمرار ، وبالتالى أصبح على ضوء هذه المعطيات الصعبة التى تواجه الاقتصاد الجزائرى اليوم، يحق لنا أن نتساءل عن مكانة الجزائر ضمن النظام العالمى الجديد، الذى يعتمد بالأساس على تسهيل المبادلات الاقتصادية، والتجارية بين مختلف الدول ، ضمن منظور عالمى يرتكز أساسا على قاعدة اقتصادية وتجارية مستحدثة عن طريق إنشاء برامج هيكلية وأطر فنية لاحتواء التطور والتحكم أكثر فى مسار التجارة الدولية الخارجية وهذا ما نراه مجسداً اليوم فى مفهوم التكتلات الجهوية، أى الاقليمية (مثل الاتحاد الأوروبى ، والأسواق الآسيوية - والمشاريع الكبرى بين الدول) كمشروع النفق الأوروبى ، ومد خطوط السكك الحديدية العابرة للقارات - وكذلك إنشاء شركات متعددة الجنسيات ، تعتمد على وسائل الاتصال الحديثة ، لان مفهوم تطور الأسواق العالمية الكبرى مربوط أساسا بوسائل اتصال حديثة جدا . وكذا شبكة من البنوك العالمية الكبرى مهمتها تقوم بتسهيل المبادلات التجارية ، مثل (البنك العالمى ، وصندوق النقد الدولى) ، وهذا بغية تمكين هذه الدول الكبرى من تمرير برامجها بسهولة، وبالتالى تحضير وإدماج بقية الدول الأخرى للدخول فى النظام العالمى الجديد.

وبالمقابل على الصعيد الداخلى لهذه الدول التابعة تبقى الانعكاسات وخيمة من جراء إرغامها على تغيير وتعديل مستمر لسياستها الاقتصادية والمالية والتجارية ، التى تصل أحيانا الى حد عدم القدرة والسيطرة على مختلف برامجها التنموية .

أى بمثابة أساليب جديدة ومبررات كافية ، تضفى نوع من الشرعية الدولية للتدخل المباشر فى الشئون الداخلية تحت غطاء إصلاح الأمور الاقتصادية والسياسية والثقافية والإجتماعية ، وهذا وفق ما يسمى بهيئتها الدولية. (كالأمم المتحدة - الاتحاد الأوروبى- المنظمات غير الحكومية... الخ).

ويبقى الهدف على المستوى البعيد ، والمتوسط ، هو الوصول الى فتح أسواق جهوية ، وكذا توجيه العملات والمؤشرات الإدارية والجبائية وتفكيك القيود الجمركية ، على غرار ما يسمى اليوم (بالمناطق الحرة ، والمناطق ذات التبادل الإختيارى) أى فتح مجال واسع لتنقل رؤوس الأموال بحرية دون قيود ، ولا شروط تحت الدعم المباشر (للبرصات العالمية). وحتى المنتوج الزراعى مستقبلا يبقى مرهون بمدى قدرة أى دولة فى تحسين مردودها الإنتاجى وفق نظرية الامتيازات المقارنة لـ : (DAVID - Ricardo) ، أى كل بلد مطالب فى هذه الحالة بأن يتخصص فى المادة والمنتوج المتمكن من إنتاجه بوفرة وبأقل تكلفة ممكنة .

المراجع والمصادر بالعربية

١ - محمد سعيد الفتيح مبادئ الاقتصاد الزراعى مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية ، سوريا، ١٩٧٩.

٢ - حسنى عمر التنمية والتخطيط الاقتصادى ، دار الشرق المملكة العربية السعودية، ط١، جدة، ١٩٧٨.

٣ - حسن بهلول القطاع التقليدى والتناقضات الهيكلية فى الزراعة بالجزائر : ش ، و، ن، ت ، الجزائر ١٩٧٦.

٤ -سمير أمين المغرب العربى الحديث ، ترجمة توصيل داغرا دار الحداثة بالتعاون مع الديوان الوطنى للمطبوعات الجامعية ط٣ الجزائر ،١٩٨٠.

٥ - عبد اللطيف بن اشنهو التجربة الجزائرية فى التنمية والتخطيط ١٩٦٤ - ١٩٨٠ ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ١٩٨٤.

٦ - عبد القادر جغلول تاريخ الجزائر الحديث ، دار الحداثة للنشر والطباعة والتوزيع ،ط بيروت، ١٩٨١.

٧ - عدى الهوارى الاستعمار الفرنسى فى الجزائر ، د.و.ن.ت ، الجزائر، ١٩٨٣.

٨ - محمد السويدى مقدمة فى دراسة المجتمع الجزائرى تحليل سوسيولوجى لأهم مظاهر التغير فى المجتمع الجزائرى المعاصر د.و.م.ج الجزائر ١٩٩٥.

٩ - يوسف عبد الله صايغ ، اقتصاديات العالم العربى الجزء الثانى ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر .ط. بيروت ١٩٨٤.

المجلات والنشريات والمطبوعات

١٠ - الجزائر فى أرقام ١٩٧٢ - ١٩٦٢ - وزارة الأعلام والثقافة

المراجع باللغة الانجليزية

1- BEN JAMIN - STORA, HISTOIR EDE L'ALGERE DEPUIS L'INDEPEAIDANCE : ED - DECOUVERTE 'PARIS' 1995 .

2 - FRANCOIS-PERROUX: PROBLEM DE L'GERIE-INDEPENDNTE, PRESSE-UNIVERSITAIRE DE FRANCE-PARIS. V1963 .

3 - PONCET-LA.RENOVATION, RURALE EN, ALGERIE-PARIS 1975 .

4- J.C MARTENS: LE MODELE ALGERIEN DE DEVELOPPEMENT BILAN D'UNE DECENNIE 1962-1979. ED. SNED 'ALGER' 1973 .

5 - PIERRE BOURDIEU: T. RAVAIL ET TRAVAILLEURS: LES EDITIONS DE MINUIT 'PARIS' 1970 .

6 - R. DUMONT : PROBLEMES DE L'ALGERIE INDE PENDANTE. P.U.F PARIS. 1963 .

الأخطار التى تواجه صحة المرأة فى إفريقيا واستراتيجيات الحد منها

د. فاتن محمد محمد البنا (*)

مقدمة:

تتعرض المرأة فى إفريقيا من خلال أدوارها المتعددة فى الحياة إلى العديد من الأخطار الصحية العضوية والنفسية ، والتغيرات الاقتصادية، ويتعرض كل من الرجال والنساء لهذه الأخطار ولكن بطرق مختلفة ، وذلك تبعاً لاختلاف الدور الذى يلعبه كل منهما ، في كافة ابعاد الأنشطة الانتاجية والانجابية التي يقومون بها خلال مراحل حياتهم المختلفة ، وتبدو صعوبة ذلك بالنسبة للنساء لان هناك العديد من الأنشطة غير الظاهرة التي تقوم بها المرأة ، كما أن اتساع نطاق اهتماماتها ادي الي اتساع نطاق المخاطر التي تتعرض لها سواء داخل المنزل أو في العمل ، فغالبا يكاد يقتصر دور الرجل فى المجتمع الافريقى على كونه منتجاً اقتصادياً ، في المقابل تتحمل النساء مسئولية مزدوجة فى تدبير شئون المنزل ، ويقع عليهن عبء رعاية الأطفال وكبار السن ، وإنتاج الغذاء خاصة فى الريف، كما تتحمل المرأة مخاطر الحمل والوضع، ونتيجة لهذا تعمل المرأة ساعات أطول من الرجل وبإمكانيات أقل، كما أنها تواجة التمييز وعدم المساواة بينها وبين الرجل فى التعليم، والتغذية، والرعاية الصحية، كل هذا يضاعف من الأخطار التى تواجهها المرأة الأفريقية.

ويشير ارتفاع معدل وفيات الأمهات فى إفريقيا إلى أحد الأخطار الواقعة على صحة المرأة الافريقية ، حيث كانت ترتفع معدل وفيات الامهات فى كل من

(*) استاذ مساعد - قسم الجغرافيا - معهد البحوث والدراسات الافريقية - جامعة القاهرة .

جنوب أسيا وإفريقيا لتشكل ٩٠٪ من جميع وفيات الامهات فى العالم سنة ١٩٩٠ وأشارت التقديرات فى إفريقيا إلى أن امكانية وفاة المرأة خلال حياتها نتيجة أسباب تتعلق بالحمل تبلغ واحدة من بين كل ٢٥ إمرأة ، ومقابل كل أمرأة تموت هناك عشر نساء يصبن بالمرض نتيجة الحمل والوضع ، ولذلك توجد أعلى معدلات وفيات للأمهات وإصابتهن بالأمراض فى إفريقيا ، وقدرت منظمة الصحة الدولية WHO عام ٢٠٠٠ م أن هناك نصف مليون امرأة تموت من جراء خطر الحمل والولادة ،كما أشارت الي تركز معظم حالات الوفيات ٩٥ ٪ في آسيا وافريقيا جنوب الصحراء (٢٥٣ألف و٢٥١ ألف حالة وفاه للامهات في كل منهما علي التوالي) كما تصل نسبة الوفيات بين الأمهات في أمريكا اللاتينية والكاريبي الي ٤ ٪ من جملة وفيات الأمهات ، ولا تضم الدول المتقدمة الا ١ ٪ من إجمالي وفيات الأمهات علي المستوي العالمي (Yvette C., PRB, 2004) .

وقد وصلت بعض معدلات وفيات الامهات فى بعض الدول الافريقية إلى ٢٣٠٠، ٢٢٠٠ ، حالة وفاة لكل ١٠٠,٠٠٠ مولود (في رواندا و سيراليون علي التوالي عام ١٩٩٩) فى مقابل ٢ حالة فقط فى النرويج وحالة واحدة في العديد دول العالم المتقدم .

وتشكل نسبة الأمية المرتفعة بين النساء الافريقيات خطراً آخر من الأخطار التى تهدد صحة المرأة وأطفالها ، فمن بين ٩٤٨ مليون أمى فى العالم نجد أن ٦٦٪ منهم من النساء، وترتفع هذه النسبة فى إفريقيا وأسيا لتصل إلى ٧٥٪.

وجاء مرض الايدز ليكتسح القارة منذ بداية العقد الثمانيني ، وكان المسؤل عن وفاة ٣ مليون نسمة عام ٢٠٠٣علي المستوي العالمي وكان نصيب إفريقيا جنوب الصحراء ٢,٣ مليون حالة وفاة (UNAIDS, / WHO, December 2003.) وكانت المرأة الإفريقية والطفل الافريقى ضحية لهذا الوباء ، وتمثل ذلك في الثمانينات فى آلاف الضحايا والأرامل ومئات الآلاف من الأطفال الأيتام ممن

أطلق عليهم أيتام الايدز AIDS Orphans وارتفعت التقديرات لهؤلاء الأطفال الي ١١,٥ ملين طفل عام ٢٠٠١ ثم تعدي الرقم ١٥ مليون طفل عام ٢٠٠٣ .

وقد حاولت الباحثة تناول موضوع الاخطار التى تواجه صحة المرأة الافريقية فى ظل مفهوم الجغرافيا التطبيقية التى تتجه إلى أن تكون أكثر اهتماماً بمشكلات البشر وإيجاد الحلول لها، وهذا الاتجاه يجعل للجغرافيا قيمة نفعية وتطبيقية ويبعدها عن مجرد الرصد والوصف، وقد فضلت الباحثة معالجة الموضوع من خلال تطبيق أهم خصائص الجغرافيا التى تؤكد على البعدين الزمانى والمكانى، وفى ضوء هذا تناولت الأخطار التى تواجه صحة المرأة الإفريقية خلال حياتها فى مراحلها العمرية المختلفة (البعد الزمانى) ثم الاخطار التى تواجه المرأة أثناء قيامها بدورها الاجتماعى ومن خلال نشاطها الاقتصادى (الرسمى وغير الرسمى)، والأخطار الناجمة عن نقص الخدمات الصحية والرعاية الصحية خاصة فى الريف الافريقى (البعد المكانى).

وعرضت الباحثة لبعض الأدوار التى قامت بها منظمات الأمم المتحدة فى مواجهة الأخطار التى تواجه صحة المرأة الافريقية خاصة وأن عقد التسعينات قد شهد التحولات العلمية والتكنولوجية والبيئية ، وعلى صعيد النظم والعلاقات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وواكبت هذه التغيرات السياسية والاقتصادية تغيرات اجتماعية وثقافية هائلة . ولقد سعت الأمم المتحدة للاستجابة لتلك المتغيرات وشهدت أنشطتها فى المجالات الاجتماعية طفرة كبيرة خاصة فى مجال مكافحة المخدرات والقضاء على الفقر، والنهوض بالمرأة ورعاية الأطفال وحماية البيئة والسكان والهجرة والصحة ، وتوسعت أعمال الأمم المتحدة فى مجال المساعدات الانسانية ، والتنمية الاقتصادية والاجتماعية والبشرية، وقد شهدت السنوات الماضية توسعاً فى عقد المؤتمرات الدولية التى عقدت فى إطار الأمم المتحدة مثل مؤتمرات البيئة ثم السكان ، كذلك مؤتمرات التنمية الاجتماعية مروراً بمؤتمر الجريمة المنظمة والمخدرات وانتهاء بمؤتمر المرأة فى بكين

وغيره ، وهذا يعبر عن تزايد وعى المنظمة الدولية بدورها المتشابك فى المجالات البيئية والاقتصادية والاجتماعية، ولا يخلو هذا النشاط الفائق للأمم المتحدة وخاصة منظماتها المتخصصة مثل منظمة الصحة العالمية واليونسيف من تضمينات جغرافية وهو ما حرصت الباحثة على توضيحه ، كما حاولت الباحثة التعرف علي بعض الاستراتيجيات والحلول التي قامت بها الحكومات والجمعيات الأهلية في مواجهة بعض الأخطار التي تواجه صحة المرأة الإفريقية وذلك وفقا للنقاط الأساسية التالية :-

أولاً - سوء التغذية:

يشمل مفهوم سوء التغذية Malnutrition جميع الحالات التى تعانى من تغذية غير سليمة خارجة عن المعايير العلمية لاحتياجات الانسان الفعلية من المواد الغذائية مما يؤدى إلى اعتلال الصحة وحدوث المرض، وهذا المفهوم بالمعنى الدقيق للكلمة يشمل حالات فرط التغذية كما يشمل حالات نقص التغذية، وهى الحالات الشائعة الانتشار فى دول العالم النامى (فيليب عطية - ١٩٩٢ : ٤٥).

وتشيرتقديرات منظمة التغذية والزراعة FAO التى اضافت ١٨ مليون نسمة الي الذين يعانون من الجوع وسوء التغذية في العشر سنوات الأخيرة ، ليصبح اجمالي الذين يعانون من الجوع علي مستوي العالم ٨٥٢ مليون نسمة ٢٠٠٤ م (UN,Africa Renewal , January 2005:23) . كما اشارت المنظمة الي التقدم الذي حققته بعض دول القارة في خفض اعداد الذين يعانون من الجوع بنسبة ٢٥٪ خلال التسعينات ، ففي افريقيا جنوب الصحراء انخفض معدل الزيادة السنوية لعدد الذين يعانون من الجوع وسوء التغذية من ٥ مليون نسمة الي ١مليون نسمة في الفترة من ١٩٩٥/ ١٩٩٧الي ٢٠٠٠ / ٢٠٠٢ . وقد كانت التقديرات تشير فى السبعينات إلى وجود ثمانين مليون افريقى قد عانوا من الجوع (*) وسوء التغذية،

(*) يعرف الجوع بعدم حصول الفرد على احتياجاته من المواد الغذائية تبعاً لحالته المورفولوجية والوظيفية مما لا يمكنه من الاحتفاظ بصحته ويعرضة للاصابة بالأمراض بسبب هذا النقص .

ثم قفز الرقم فى النصف الأول من الثمانينات إلى مائة مليون ، واتسع حزام الفقر جنوب الصحراء ليشمل كل من أثيوبيا والسودان وتنزانيا وملاوى وتشاد والنيجر وبوركينا فاسو وموريتانيا والصومال وغامبيا وكينيا وانجولا وغيرها (فيليب عطية - ١٩٩٢ : ٤٩).

وجدير بالذكر ان اقاليم القارة الافريقية قد تباينت بها نسب الذين يعانون من الجوع وسوء التغذية ،كما تباين التقدم في خفض نسب هذه المجموعة من الافراد من اقليم الي آخر في الفترة من ١٩٩٠/٩٢ -٢٠٠٠/٢٠٠٢ م كما يوضحه الجدول التالي :-

جدول (٢)

التوزيع النسبي للذين يعانون من الجوع وسوء التغذية في افريقيا

في الفترة من ١٩٩٠/١٩٩٢ الي ٢٠٠٠/٢٠٠٢ م

الاقليم	١٩٩٠/١٩٩٢م (٪)	٢٠٠٠/٢٠٠٢ م (٪)
شمال افريقيا	٤٪	٤٪
غرب افريقيا	٢١٪	١٦٪
وسط افريقيا	٣٦٪	٥٥٪
شرق افريقيا	٤٦٪	٤٠٪
جنوب افريقيا	٤٨٪	٤٠٪

UN,Africa Renewal , January 2005 .

من استقراء الجدول يتضح مايلي :-

- ترتفع نسب الذين يعانون من سوء التغذية في أربعة اقاليم علي مستوي القارة ولا تخفض الا في اقليم واحد هو الشمال الافريقي ، حيث لاتتعدي نسبة الذين يعانون من سوء التغذية ٤٪ في الفترتين المشار اليهما بالجدول .
- شهدت بعض اقاليم القارة انخفاضا في نسب الذين يعانون من الجوع وسوء التغذية في الفترة من ١٩٩٠/١٩٩٢ -٢٠٠٠/٢٠٠٢ ، ففي الغرب

الافـريقي انخفـضت النسبـة من ٢١٪ ال ١٦٪ ، وشهـد الشـرق والجنوب الافريقي انخفاضا في نسبة من يعانون من الجوع من ٤٦٪ و٤٨٪ الي ٤٠٪ لكل منهما علي التوالي .

- ارتفعت نسبة الذين عـانوا من الجوع في وسط القـارة من ٣٦٪ الي ٥٥٪ ، وهذا يشير الي اخفاق دول الاقليم في خفض نسب الذين يعانون سوء التغذية.

يتميز الغذاء فى إفريقيـا (كما هو الحال فى معظم بلاد العالم النامى) بأنه غير متوازن ويفتقر إلى السعرات الحرارية الهامة والمواد البروتينية خاصة البروتينات الحيوانية ، ويفتقر إلى اليود والحديد ويقدر ما يخص الفرد من السعرات الحرارية فى معظم الأقطار الافريقية بأقل من ٣٠٠٠ سعر حرارى فى اليوم ، وهذا القدر ضئيل إذا قورن بما يحصل عليه الفرد من سعرات حرارية فى المجتمعات الصناعية، الذى يزيد فى معظم الأحيـان عن ٣٠٠٠ سعـر حرارى ، مع استهـلاك كبيـر من البروتين الحيوانى (محمد على وآخرون: ١٩٨٦: ٢٢١ - ٢٢٣).

هناك بعض الدول بالقـارة الافريقيـة قـد ينخفض بهـا نصيب الفـرد من السعـرات الحرارية إلى أقل من ٢٠٠٠ سعـر حرارى فى اليـوم كما هو الحال فى اثيـوبيـا وموزمبيق وبوروندي واريتـريا وانجـولا (١٨٤٥، ١٧٩٩ ، ١٧٠٨ ، ١٥٨٥ ، ١٩٨٣ سعر حرارى يوميـاً لكل منها علي الوالي عام ١٩٩٦) ، وقد يقتـرب نصيب الفـرد من السعـرات الحرارية فى بعض الدول الافريقيـة إلى الحد الذى أوصت به منظمة الأغذية والزراعة (FAO) ومنظمة الصحة العالمية (WHO) وهو ٣٠٠٠ سعر حرارى كحد أدنى للسعرات اللازمة للفرد البالغ يومياً ، كما هو الحال في دولة جنوب افريقيا (٢٩٣٣سعر حرارى يوميا) ولا يزيد نصيب الفرد من السعرات الحرارية عن ٣٠٠٠ سعر حرارى إلا فى مصر وليبيا وتونس والجزائر (٣٢٨٩، ٣١٣٢، ٣٢٥٠ ، ٣٠٢٠ ، سعـر حـرارى لكل دولة على التـوالى) (تقرير التنمية البشرية - ١٩٩٩ : ٢١٣ - ٢١٤).

وقد أشار البعض الي مدي معاناة الفرد فى افريقيا من نقص البروتين في السبعينات حيث كان يقل نصيب الفرد فى القارة عن عشرة جرامات من البروتين الحيوانى يومياً، وهذا القدر يقل كثيراً عن الحد الضرورى (*) وبالمقارنة ببعض الدول المتقدمة نجد أن الفرد فى الولايات المتحدة الامريكية يتناول يومياً فى المتوسط ٩٠,٢ جرام من البروتين تحتوى على ٦١,٤ جرام من البروتين الحيوانى ، وفى نيوزيلاند يبلغ نصيب الفرد يومياً ٩٦,٣ جراما من البروتين منها ٥٦,١ من البروتين الحيوانى، بينما يبلغ ما يتناوله الفرد يومياً من البروتين فى كل من السنغال وموريتانيا ومالى والنيجر وتشاد ومصر ٥٧,٩ ، ٥٦,١ ، ٥٣,٣ ، ٥٢,٨ ، ٥٧,٤ ، ٧١,٩ جراما تحتوى على ١٠,٩ ، ٩,٩ ، ٥,٢ ، ٣,١ ، ٢,٩ ، ١١,٠ جراما من البروتين الحيوانى لكل دولة على التوالى، وهذا يعكس مدى نقص كمية البروتينات فى الطعام (خاصة البروتينات الحيوانية) فى العديد من الدول الافريقية (فاروق شويقة - ١٩٧٦: ٤٠٨ . ٤٠٩).

وجدير بالذكر ان القارة مازالت تعاني النقص في امداد السكان الافارقة بالبروتين ، فمعظم الدول الافريقية يقل نصيب الفرد بها عن ٥١ جراما يوميا من البروتين (متوسط نصيب الفرد من الامداد بالبروتين - النباتي والحيواني معا - ٥١ جرام يوميا في الدول ذات التنمية البشرية المنخفضة)، وعلي سبيل المثال يحصل الفرد في جمهورية الكنغو اليموقراطية وانجولا وغينيا وسيراليون علي ٢٩,٧ ، ٤٣,٣ ، ٤٤ ، ٤٣,٧ جراما من البروتين يوميا في كل دولة علي التوالي ، الا انه توجد بعض الدول الافريقية التي يرتفع بها مايتناوله الفرد من البروتين كما هو الحال في تونس وجنوب افريقيا والمغرب

(*) يعد نقص البروتينات من أهم أوجه النقص الغذائى أو الجوع النوعى ، والبروتينات هى العنصر الهام فى بناء الخلية الحية، ولذلك تعتبر أساس الحياة نفسها، وقد تبين من الدراسات الخاصة بالتغذية أن هناك عشرة أنواع على الأقل من الأحماض الامينية لا غنى عنها فى غذاء الإنسان ، بعضها لازم لنموه ، والبعض الآخر لحفظ صحته بعد سن البلوغ وهذه الأحماض لا توجد كلها معاً فى العادة إلا فى البروتين ذى الأصل الحيوانى أما البروتينات النباتية فتكاد تخلو من عنصر أو أكثر من هذه الأحماض (جوزية دى كاستر - بدون تاريخ نشره: ٣٦ - ٣٧).

ومصـر (حيث يتناول كل فرد يوميا ٨٧,٦ ، ٧٣,٣ ، ٥٨,٨ ، ٨٧,٩ ، جراما من البروتين في كل دولة علي التوالي) وهذا يعكس حدوث زيادة في نصيب الفرد من البروتين بالقارة في نهاية التسعينات عما كان عليه الحال في السبعينات ، الا أن عدم التوازن في الغذاء في افريقيا يظل قائما بالمقارنة بالدول المتقدمة والتي بلغ متوسط نصيب الفرد من البروتين في معظمها أكثر من ١٠٣ جرام يوميا ، وتعدي نصيب الفرد من البروتين هذا المتوسط في الولايات المتحدة وبلغ اكثر من١١١ جرام يوميا ، وتعدي نصيب الفرد من البروتين ١٠٦ جراما في الدانمرك و ١١٣جراما في ايرلندا عام ١٩٩٦ (تقرير التنمية البشرية - ١٩٩٩ : ٢١٣ - ٢١٤).

وجدير بالذكر أن الأطفال والحوامل والمرضعات هم أكثر من يتعرض لعبء النقص الغذائى ، فقد قدر فى أوائل الثمانينات أن حوالى ٣٠٪ من أطفال افريقيا جنوب الصحراء لا يحصلون على التغذية التى يحتاجونها ، ويعانى ٤٪ آخرون من سوء التغذية الشديد الذى يهدد حياتهم (ايكهولم -١٩٨١ : ٢٧) وفى عام ١٩٨٥ عانى اكثر من ٢٥-٣٠ مليون طفل فى مختلف ارجاء القارة من الجوع وسوء التغذية مما استدعى اعطاءهم نظاما غذائيا معينا للحفاظ على حياتهم ، وبقى الكثيرون دون اى اهتمام يذكر (تومسيفون - ١٩٩١:٩) .

وقدر ان الدول النامية في بداية التسعينات ضمت ١٧٤ مليون طفل (أقل من ٥ سنوات) عانوا من سوء التغذية ، ثم انخفض العدد الي ١٥٠ مليون طفل مع نهاية العقد (٢٠٠١ م) ، و كان نصيب آسيا نصف هؤلاء الأطفال (جنوب آسيا وحده ضم ٧٨مليون طفل) ، أما افريقيا جنوب الصحراء فكان نصيبها الخمس (٣٢ مليون طفل) وقد لوحظ زيادة اعداد الأطفال الذين يعانون من سوء التغذية في افريقيا خلال العقد المنصرم ، وجدير بالذكر ان نصف وفيات الأطفال في هذه الفئة العمرية ترجع الي سوء التغذية علي المستوي العالمي (UNICEF, 2001.) .

ويرجع تدنى وضع المرأة الاجتماعى والاقتصادى ، فى العديد من المجتمعات الافريقية الي تفشي ظاهرة سوء التغذية بينهن ، حيث تعتبر المرأة أدنى مرتبة من الرجل ولا يسمح لها بتناول الطعام الا بعد ان يكون الرجال والأولاد الذكور قد فرغوا منه ، وتفوق الوجبة المقدمة للرجال تلك التى يسمح بها للنساء والاطفال دون سن السابعة كماً ونوعاً، مما يحرم الامهات والاطفال وخاصة البنات من حصولهن على حاجتهن اليومية من الطعام الجيد والمتوازن ،مما يسبب سوء التغذية لديهن لكونهن الفئة الأكثر عرضة للمرض والأقل مناعة (الصحة العالمية - ١٩٩١ : ١٨).

ويؤدى سوء تغذية البنات إلى تزايد احتمالات مرضهن أكثر من احتمالات ذلك بالنسبة للبنين ، وعندما يمرضن تكون احتمالات حصولهن على العلاج السليم أقل ،والمرأة التي تعاني من سوء تغذية مزمن سوف تلد اطفالا ضعاف البنية ينتقل اليهم سوء التغذية والضعف والهزال ، ومع سوء التغذية وأمراض الطفولة تزداد احتمالات تعرض الإناث للمخاض المتعسر فيما بعد (فى سن الانجاب) وتصاب نساء كثيرات بفقر الدم (الانيميا) بسبب افتقار غذائهن إلى ما يكفى من الحديد لسد احتياجات الحيض والحمل ،) صندوق الأمم المتحدة للسكان - ١٩٩٥ : ٤٧٠) حيث أن قدرتهن على تخزين الحديد فى الجسم أقل كثيراً من قدرة الرجال (يمكن للرجل البالغ تخزين حوالى ألف مللجم من الحديد فى حين لا تزيد قدرة الانثى من نفس العمر الا على تخزين ٣٠٠ مللجم) ، أضف إلى ذلك الحمل المتكرر الذى قد يؤدى إلى تفاقم الأصابة بالانيميا إلى درجة خطيرة (فيليب عطية - ١٩٩٢ : ٧٤)، ويؤدي نقص الحديد والإصابة بالأنيميا الي موت مايقرب من ٢٠٪ من الأمهات في آسيا وافريقيا (Frehwot ,B . 1998, : 3)

ويتضح مما تقدم أن معظم السكان فى إفريقيا يعانون من سوء التغذية فالغذاء غير متوازن ويفتقر إلى السعرات الحرارية والمواد البروتينية وإلى اليود

(خاصة فى إفريقيا الاستوائية) والحديد وفيتامين "أ" (منظمة الصحة العالمية – ١٩٩١ : ٩) ونتيجة للعوامل البيولوجية والثقافية وفى ظل تدنى الأحوال الاقتصادية والاجتماعية للمرأة الافريقية، ونظراً للتمييز بين الجنسين ، تعانى النساء الافريقيات بصورة أكبر من الرجال من سوء التغذية فى كل مراحل العمر الخاصة بهن (Nancy D., 1994: 124.) ، وتتعرض الفتيات بشكل خاص للمخاطر الناتجة عن سوء التغذية بسبب تزايد احتياجهن للغذاء أثناء فترة المراهقة وكذلك أثناء فترة الحمل أو الإرضاع ، وهذا النقص فى التغذية له أثار شديدة على المدى القصير والمدى الطويل على النساء وأطفالهن.

في اطار استراتيجيات مواجهة سوء التغذية خاصة بين النساء والأطفال في الدول النامية عامة وافريقيا خاصة ،اكدت كل من اليونسيف ومنظمة الصحة العالمية WHO أن وضع تخطيط فعال لتحسين الوضع الغذائيي بالقارة يجب ان يضم عدة ابعاد أو مستويات ، المحلي والاقليمي والدولي ، كما أن التعرف علي جذور المشكلة واسبابها يؤدي الي ايجاد حل فعال لظاهرة سوء التغذية بالقارة الافريقية ، فعلي الحكومات أن تعي أبعاد المشكلة وجذورها ، وتعي أن الاستفادة من الطاقات البشرية مرتبط بصحة افراد المجتمع ، حيث يعمل سوء التغذية اذا ما استشري في منطقة علي ضعف انتاجية افراد المجتمع وهذا يؤثر بالسلب علي اقتصادياته ،ولذا علي حكومات الدول الافريقية زيادة الانفاق العام علي الخدمات الصحية والاجتماعية ، فتوفير المياة النقية والصرف الصحى وخدمات الرعاية الصحية ، والاهتمام بتدعيم موقف المرأة التعليمي والاقتصادي والصحى ياتي بثماره في المدي القريب والبعيد ، وهنك بعض الامثلة الناجحة ، منها تبي تنزانيا لبرنامج مكافحة سوء التغذية كان مردوده تحسين الوضع الغذائى لنصف اطغال تنزانيا في اواخر التسعينات . (Frehwot ,B . 1998, : 3)

وعلي المستوي الدولي تري (اليونيسف) انه علي الدول المانحة والدول المستقبلة ضرورة توجيه الاعتمادات المالية الي دعم وانشاء الخدمات الاجتماعية ،

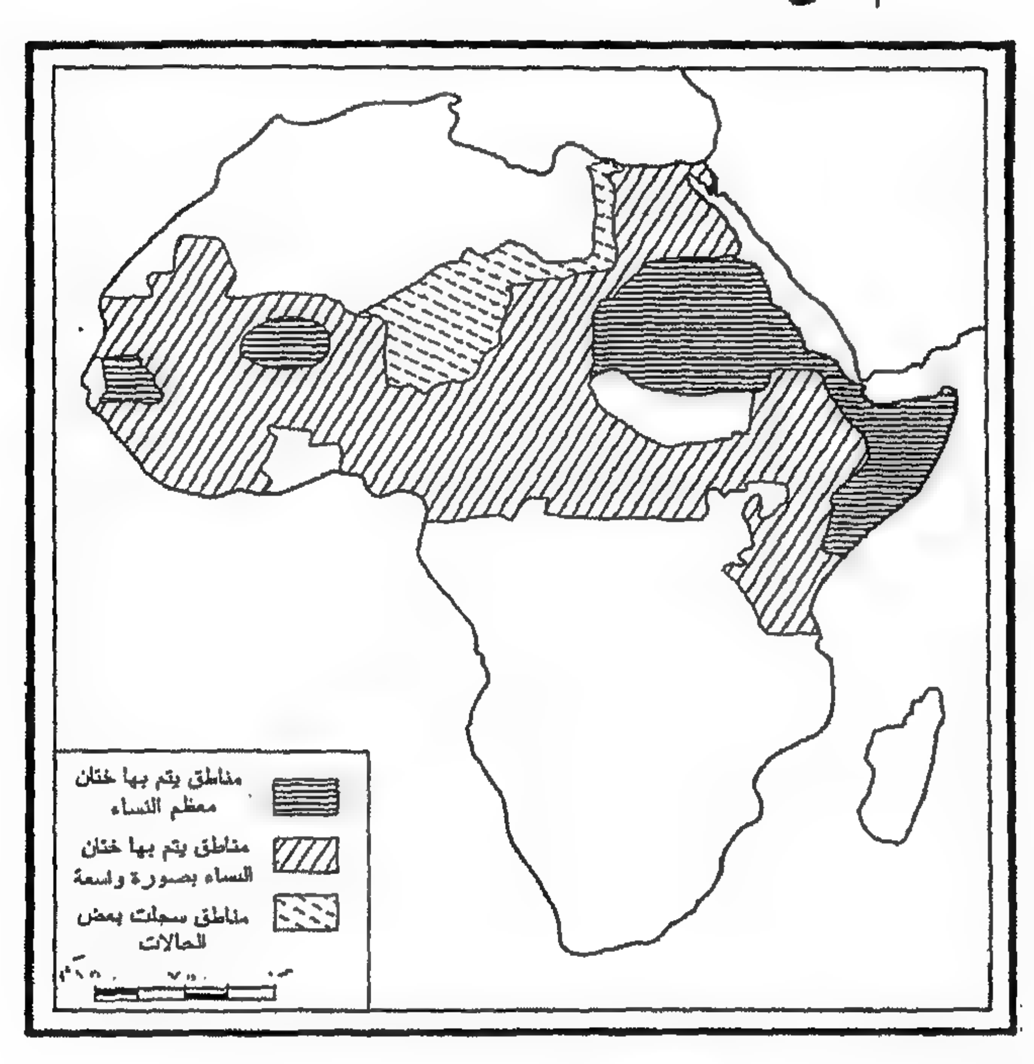
كما ناشدت اليونسيف الدول المانحة خفض الديون المستحقة لها لدي بعض الدول الافريقية حتي تستطيع الدول الفقيرة تلبية احتياجات سكاتها ، وعلي سبيل المثال دفعت افريقيا (التي تعد من أكثر الاقاليم التي تعاني من مشكلة سوء التغذية في العقدين الاخيرين) ١٣,٦ بليون دولار كانت ديونا لتقديم بعض الخدمات ، كما انفق ضعف هذا المبلغ علي الصحة العامة عام ١٩٩٥ (Frehwot. B . 1998, : 3).

ثانيا - ختان الإناث(خفاض الاناث) :Female circumcision

يعد ختان الإناث قضية كبرى من قضايا الصحة العامة ، وممارسته الحقت الضرر بصحة وحياة ما قدر بـ ٨٥ مليون إلى ١١٤ مليون فتاة وإمرأة في اواخر التسعينات ، معظمهن يعشن في إفريقيا ومن المقدر أنه تجرى عملية الختان لنحو مليونين أو أكثر من الفتيات سنوياً ، أي أن هناك ٦٠٠٠ حالة ختان تحدث للإناث يوميا (Taissir M , 1997 :1) وبذلك وصل عدد حالات الخفاض لدي الاناث مابين ١٠٠ -١٤٠ مليون حالة عام ٢٠٠٠ وفقا لتقرير منظمة الصحة العالمية ، وتعد جذور هذا التقليد موغلة فى القدم، فقد أشار المؤرخ الاغريقى هيرودوت إلى ممارسة هذه العادة فى القرن الخامس قبل الميلاد بين الفينيقيين والحيثيين والأثيوبيين والمصريين (فوزية أسعد: ١٩٨٢: ٣٢٨) وتشير عبارة "ختان الإناث" Female circumcision إلى تقليد يدخل فيه بتر الأعضاء التناسلية فى الأنثى، ويشير أنكى فان "Anke,V." إلى وجود ثلاث أشكال رئيسية للختان ويطلق على أخطر أشكال الختان أو الشكل المتطرف منه "التكميم" أو "التبزيم" أو الختان الفرعونى Pharaonic circumcision، (Anke V., 1992: 777). ويجرى الختان عادة للفتيات الصغيرات أو المراهقات ، كما هو الحال في مصر حيث يجري الختان للفتيات بين سن ٧ و١٠ سنوات ، وأحيانا للنساء بعد انجاب المرأة مولودها الأول (Afrol News ,2003) .

التوزيع الجغرافى والتباين الإقليمى لانتشار ظاهرة ختان الإناث فى إفريقيا :

يمارس الختان بشكل أو بأخرفى حوالى ٤٠ دولة معظمها فى شرق وغرب إفريقيا وفى أجزاء من شبه الجزيرة العربية، ونتيجة للهجرة من هذه المناطق فإنه يمارس الأن أيضا فى أوربا وأمريكا الشمالية (صندوق الأمم المتحدة للسكان - ١٩٩٥: ١٢)، وقد حدد البعض التوزيع الجغرافى للمناطق التى يمارس فيها ختان الإناث فى إفريقيا بالمناطق التى تقع ضمن حزام متواصل يمر بوسط إفريقيا من الغرب إلى الشرق ثم يتبع مجرى نهر النيل (فوزية أسعد: ١٩٨٢: ٣٢٧).



شكل (١) التوزيع الجغرافى لمناطق ختان الإناث فى افريقي

- Paul B.K, Maternal Mortality in Africa: 1980-87, Soc. Sci. Med .

وتوضح الخريطة (١) التوزيع الجغرافى والتباين الاقليمي لمناطق ممارسة الختان فى القارة الافريقية كما أوردها بول "Paul" (Paul B., 1993 : 649) وهى تضم مصر والسودان وكينيا والصومال وأجزاء من أثيوبيا وبعض مناطق فى موريتانيا ومالى وتشكل هذه الأقطار نطاقاً عرضياً يمتد من البحر الأحمر والمحيط الهندى شرق القارة إلى المحيط الاطلنطى غرب القارة الإفريقية ويمكن

ملاحظة من السياق سابق الذكر ومن الشكل رقم (١) بعض تضمينات نظرية تضاؤل حدوث الظاهرة بالإبتعاد عن مركز معين Distance decay theory وفى حالتنا هذه ، الإبتعاد عن السودان ، ومنطقة القرن الإفريقى كذلك بالإبتعاد عن غرب إفريقيا.

كذلك يلقى الجدول (٢) والشكل (٢) الضوء على تفاوت نسب انتشار ممارسة ختان الإناث فى بعض الدول الافريقية كما أوردتها تقديرات الأمم المتحدة سنة ١٩٩٥ (الأمم المتحدة - ١٩٩٥: ٧٠).

جدول (٢)

التوزيع النسبي لانتشارظاهرة لختان الإناث فى بعض الدول الافريقية المختارة

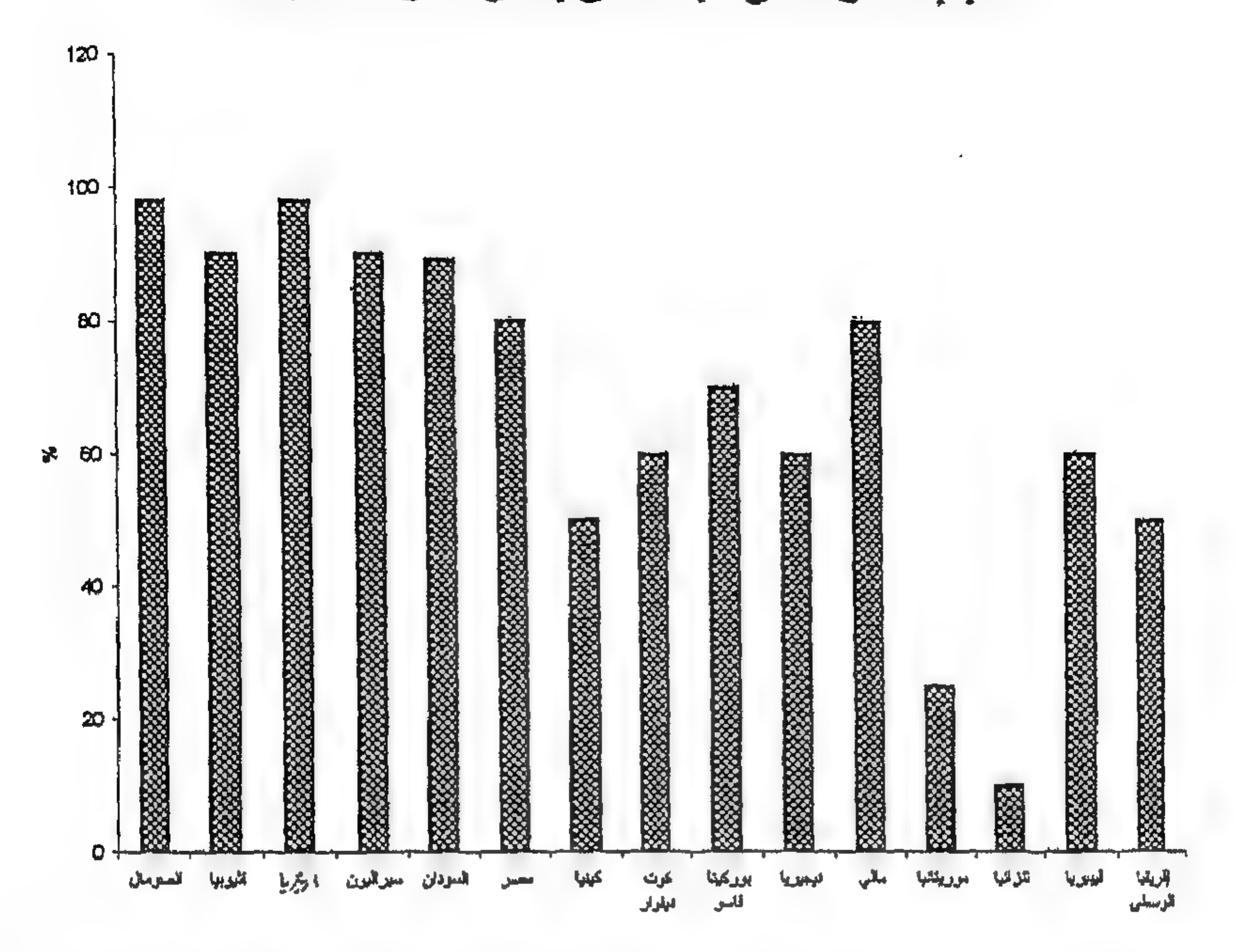
التوزيع النسبي لختان الاناث بالنسبة لاجمالي الاناث	الدول المختارة
أكثر من ٧٠٪	اثيوبيا - اريتريا - بوركينا فاسو - جيبوتى - السودان - سيراليون - الصومال - مالى.
٥٠ - ٦٠٪	بنين - تشاد - توجو - جمهورية أفريقيا الوسطى - غامبيا - غينيا - غينيا بيساو - كوت ديفوار - كينيا - مصر - ليبيريا - نيجيريا.
٢٠ - ٣٠٪	السنغال - غانا - موريتانيا - النيجر.
٥ - ١٠٪	أوغندا - جمهورية تنزانيا المتحدة - زائير.

المصدر: الأمم المتحدة . المرأة في العالم ١٩٩٥ " اتجاهات واحصاءات ، ١٩٩٥، ص ٧٠ .

ويؤكد الجدول التباين الاقليمى ومدى التفاوت فى نسب الانتشار العام لظاهرة ختان الإناث من بلد إلى أخر بالقارة الافريقية حيث تسود هذه الظاهرة بين نساء بعض الدول الافريقية بشكل كبير ونسب عالية خاصة فى اقليم القرن الافريقى، ففى بعض دول هذا الاقليم مثل جيبوتى والصومال واريتريا تصل نسبة انتشار ظاهرة الختان إلى أكثر من ٧٠٪ وقد ترتفع هذه النسبة إلى ما يقرب من ١٠٠٪ بين نساء الصومال وبعض أجزاء من أثيوبيا والسودان (Paul B. 1993: 649) .

شكل (٢)

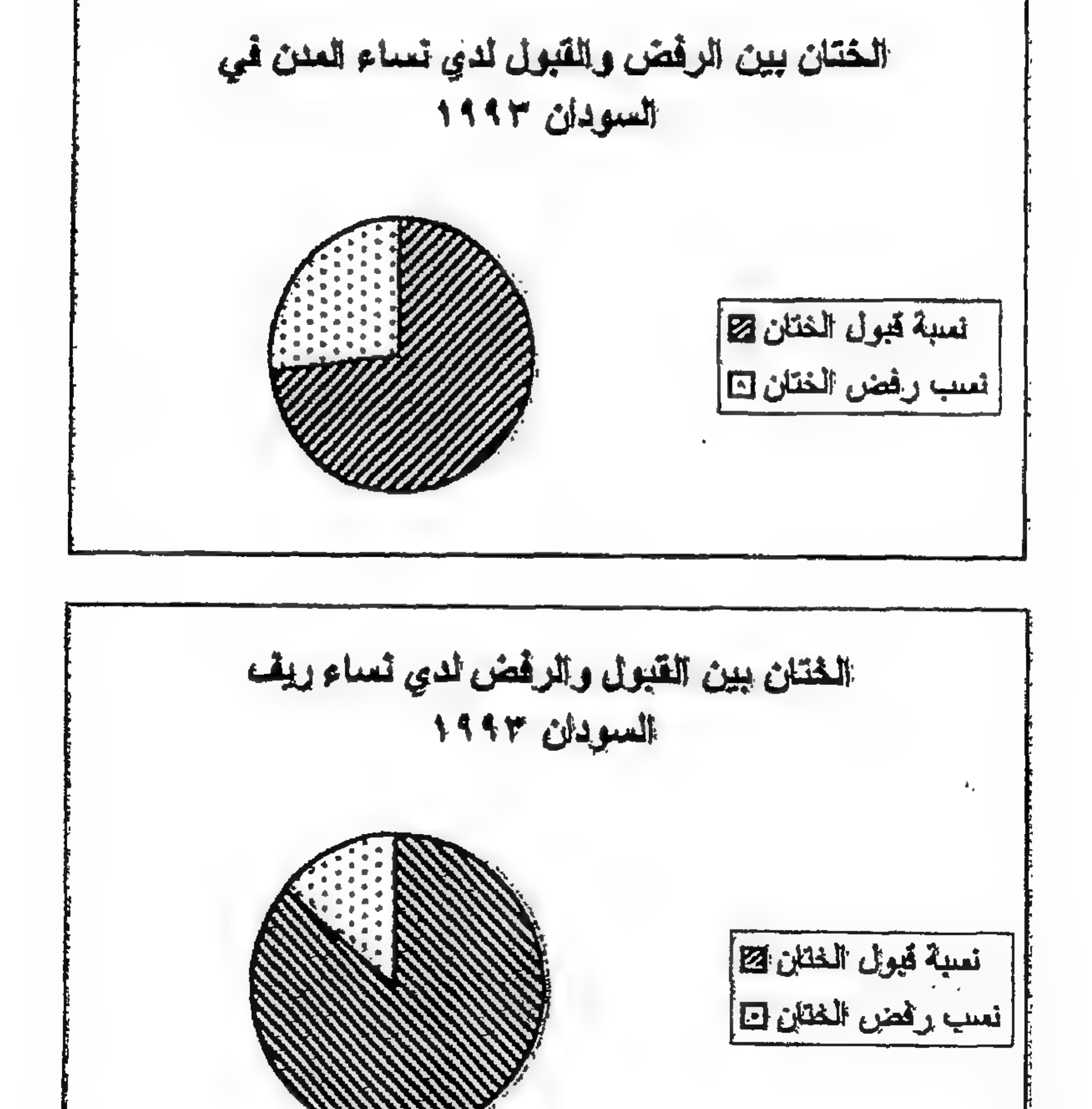
نسب إنتشار ختان الإناث فى بعض الدول الافريقية



ويعـد اقـليم غـرب إفـريـقـيـا من الاقـاليم التى ترتفع بهـا نسب انشار ظـاهـرة خـتـان الإنـاث ، حـيـث يضم العـديد من الدول التى تتـراوح نسب انتـشـار الظـاهرة بهـا بين ٥٠٪ إلى ٦٠٪ وهذا يعنى أن أكـثر من نـصف إناث هـذا الاقـليـم يـرضـخـن لهـذه العـمليـة ، وجدير بالذكر أن المجـتـمـعـات التى تجرى بها عادة ختان الإناث يكون رد فعل المجتمع بها عنيفاً حيال النسا ء اللاتى لا يرضخن لهذه العـادة، إذ عـادته مـا يحرمن من الزواج ، وبدون الزواج فى هذه المجتـمعات تزداد محـدودية ما تحصل عليه النسـاء من دعم مـادى واجتـمـاعى (الأمم المتحدة -١٩٩٥: ٧٠) ويظهر الجدول (٢) والخريطة شكل (١) أن هناك بعض المنـاطق بالقارة الافـريقـية تنخفض بهـا نسب انتشـار ظاهرة ختان الإناث إلى نسب تتـراوح بين ٥٪ و ١٠٪ كـمـا هو الحـال فى تنزانيـا وزائيـر وأوغندا ، وتكـاد تنعـدم هذه الظاهرة فى مـعظم الاقليم الجنوبى من القـارة وبعض مناطق الاقليم الشمالى .

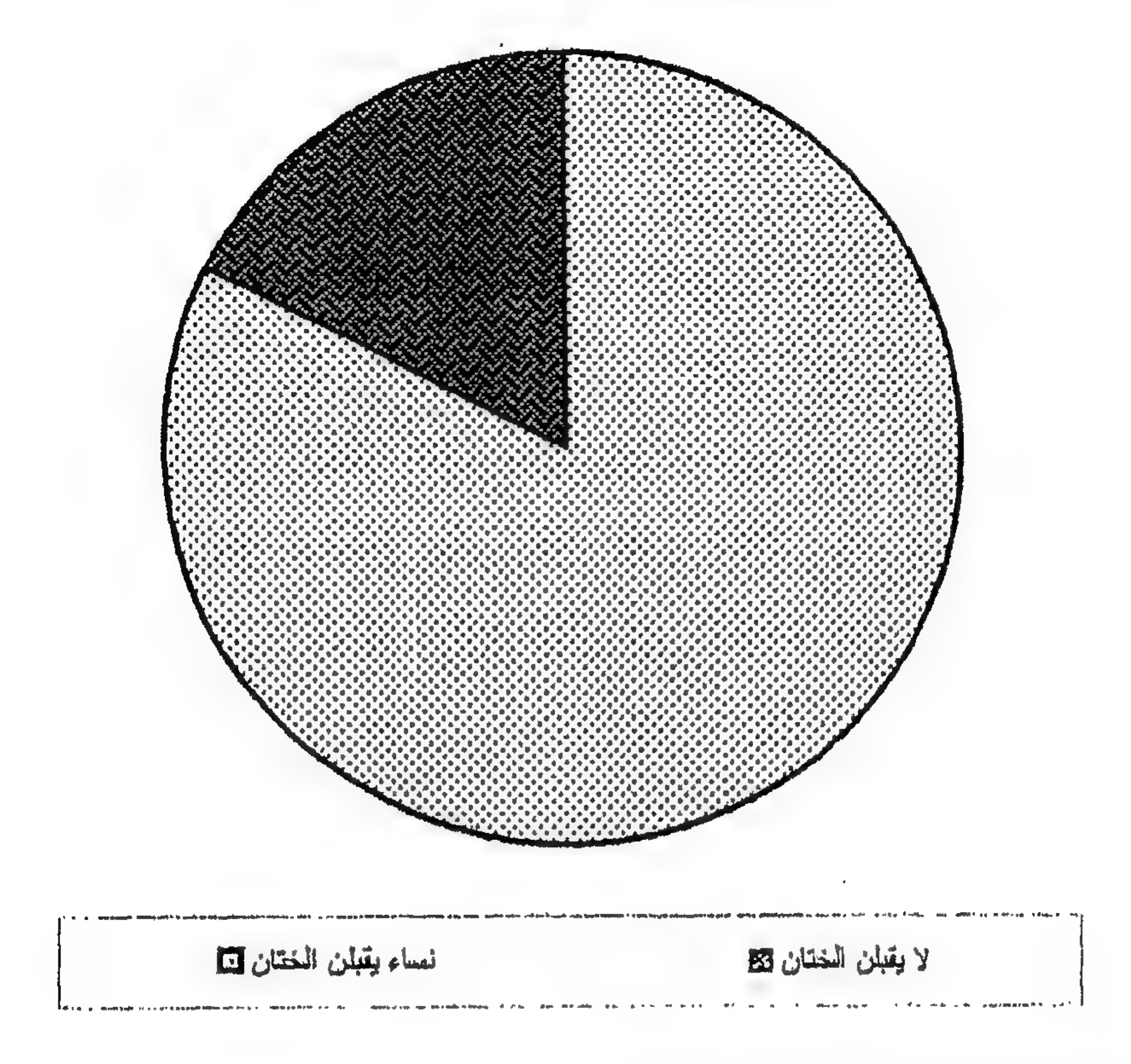
وكما يتباين توزيع ظاهرة الختان علي المستوي الاقليمي وعلي مستوي الدول في القارة الافريقية ، يختلف توزيع الظاهرة بين الريف والحضر ، ويظهر التباين في تقبل عملية الختان بين المناطق الريفية والحضرية من خلال دراسة تمت في السودان عام ١٩٩٣ ، وجد ان نسبة قبول الختان ترتفع في ريف السودان لتصل الي ٨٥٪ بينما تنخفض في المدن نسبيا لتصل الي ٧٣٪، ويوضح الشكل (٣) الختان بين القبول والرفض لدي نساء المدن والريف بالسودان ، إلا أنه علي المستوي العام في السودان تسود فكرة قبول عملية الختان شكل (٤) حيث تعد السودان من الدول التي تسود بها هذه الظاهرة ، (Taissir ,M.Hasan El din , 1997 :3) .

شكل (٣)



شكل (٤)

نسب قبول النساء للختان فى السودان



الأبعاد الصحية لختان الإناث:

ونظراً لان ختان الإناث يجرى عادة خارج نطاق النظام الطبى (يجرى عمليات الختان ممارسون تقليديون) فمن الممكن أن تترتب عليها عواقب صحية وخيمة ، ويتم البتر فى أحيان كثيرة باستخدام أدوات غير نظيفة أودون تعقيم مما يزيد من خطر التلوث ، كذلك يتم بدون تخدير ولهذا يترتب عليه العديد من الأثار النفسية والبدنية السيئة ، ومما يضاعف الاضرار النفسية والجسدية المصاحبة لختان الإناث ، أن هذه العملية تجرى للأطفال من الإناث فى سن يتراوح بين ٤ إلى ١٦ سنه (الامم المتحدة - ٧١:١٩٩٥) وفى بعض البلاد الافريقية مثل الصومال يتم ختان ٨٧٪ من جملة الصوماليات قبل بلوغهن سن السابعة

أوالثامنة (AnkeVan-1992:779) ، ونظرا لتعدد المضاعفات التى تعانى منها الفتيات والنساء اللاتى تجرى لهن عملية الختان فقد قسم البعض هذه المضاعفات الصحية الى ثلاثة انواع (Anke Van- 1992:779) هى:-

١- مضاعفات فورية Immediate حيث تتعرض الفتاه لآلام مبرحة وصدمة ونزيف وتلوث ، وقد تتعرض لخطر الموت فور الختان أو نتيجة الصدمة أو النزيف الشديد أو نتيجة الالتهاب الذى تصاب به فى كثير من الحالات.

٢- مضاعفات تحدث على المدى البعيد أو مضاعفات لاحقة Subsequent مثل حدوث ضرر لمجرى البول أو فتحة الشرج والعقم والتلوث المزمن للجهاز التناسلي وسلس البول ، ويمكن أن تؤدى إعاقة تدفق البول إلى العدوى أو التسمم الدموى الجرثومي وغيرها من المضاعفات اللاحقة.

٣- مضاعفات ترتبط بعملية الوضع Obstetric حيث تتسم عملية الوضع لدى الإناث اللاتى كن ضحية الختان فى كثير من الأحيان بالتعقيد الشديد ، وقد أشار " انكى فان" Anke Van إلى سبع مضاعفات خاصة بعملية الوضع وناتجة عن ختان الإناث والتى من الممكن أن تؤدى إلى موت الام والطفل.

٤- من المضاعفات التي يمكن ان تضاف الآن والتي ترتبط بختان كل من الاناث والذكور معا ، الاصابة بفيروس الايدز HIV/AIDS وهذه الاصابة تحدث نتيجة استخدام أدوات ملوثة وغير معقمة في عملية الختان ، بالاضافة الي تعدد مرات استخدام نفس الأدوات في عمليات ختان متتالية ، وفي عمليات ختان جماعية تؤدي في نهاية الأمر الي انتشار هذا المرض العضال ، (. WHO, June 2000)

ونخلص مما سبق إلى أن عملية ختان الإناث تخلق اخطارا تهدد الصحة التناسلية للإناث على مدى حياتهن ، ومما يؤكد ذلك الدراسة الاستقصائية التى شملت عينة تضم ٣٠٠ سيدة حول مقديشيو والتى ظهر منها أن حوالى ٤٠٪ من

نساء العينة يعانين مضاعفات شديدة مباشرة و ٤٠٪ يعانين مضاعفات بعيدة المدى (الامم المتحدة - ٧٠:١٩٩٥) .

وجدير بالذكر أن حركة مناهضة الختان فى افريقيا قد بدأت فى الستينات ، وانضمت لها الآن جماعات نسائية عديدة ، وتعد الحلقة الدراسية التى عقدتها منظمة الصحة العالمية سنه ١٩٧٩ (استباقاً للمؤتمر العالمى الذى عقد عام ١٩٨٠ بشأن عقد الامم المتحدة للمرآة) بشأن الممارسات التقليدية التى تؤثر على صحة المرأة والطفل ، والتى عقدت فى الخرطوم بالسودان أول حلقات الدراسة التى عقدت تحت مظلة منظمة الأمم المتحدة ، وقد رأت هذه الحلقة الدراسية ضرورة التخلى عن ممارسة ختان الإناث بجميع أشكالها ، واشتركت منظمة الصحة العالمية ، واليونيسيف سنه ١٩٨٠ فى اتخاذ قرار بضرورة أن تسترشد الخطوات المتخذة بالنسبة لهذا الموضوع الحساس بمبدأين رئيسيين هما ضرورة اشراك الحكومات الوطنية ، وضرورة جعل الحملة ضد هذه الممارسة جزءا من البرنامج العام للرعاية الصحية الأولية (فوزية أسعد - ٣٢٩:١٩٨٢) .

ويعد المؤتمر الدولى للسكان والتنمية سنه ١٩٩٤ أول مؤتمر دولى يعارض ممارسة ختان الإناث بوضوح ، ويدعو المجتمع الدولى إلى القضاء على هذه الممارسة مؤكداً انها تشكل انتهاكاً لحقوق الانسان الأساسية وتشكل خطورة كبرى على صحة المرأة تدوم طيلة عمرها ، كما أطلقت منظمة الصحة العالمية WHO عام ١٩٩٧ استراتيجية لمكافة ختان الاناث في افريقيا تضم أهدافاً قصيرة ومتوسطة وطويلة الأجل ، وتقوم علي التضامن مع اليونسيف UNICEF و UNFPA وتدعم هذه المنظمات ، الحكومات والجماعات الوطنية بغرض حماية صحة الطفل والمرأة الافريقية وذلك من خلال التعليم المدعم بتعريف الأضرار الصحية لهذه العادة ، ومنتظر أن يحقق هذا التعاون خفض نسب ختان الإناث خلال عشر سنوات ، والقضاء عليه خلال ثلاثة أجيال (Afrol , News , 2000) .

وجدير بالذكرانه علي مستوي الحكومات اتبعت الدول الافريقية اتجاهين لمقاومة عادة ختان الاناث ، الأول جنح الي تجريم القيام بهذه العادة ، فقد قدمت غينيا أول قانون ضد ختان الاناث عام ١٩٦٥ ، كذلك أصبحت عملية الخفاض للاناث جريمة يعاقب عليها القانون منذ عام ١٩٩٥ (بالسجن ودفع غرامة مالية) في جيبوتي ، واتبعت بعض الدول مسلكا آخر ومنها مصر حيث جعلت منع ممارسة عادة الخفاض للاناث جزءا من برنامجها العام للرعاية الصحية وفي سبيل ذلك تم التعاون مع UNDP لانهاء هذه العادة في ست محافظات بالوجه القبلي تضم ٦٠ قرية خلال ثلاث سنوات ، وبتكلفة قدرها ٢,٦ مليون دولار امريكي ، هذا بالاضافة الي الاتجاهات الايجابية التي تمت من خلال عمل العديد من الاتحادات والمنظمات والمجلس الأعلي للامومة والطفولة و وسائل الاعلان والجمعيات الاهلية و علماء الدين والوزارات المعنية ، حيث بدأت معركة ضد هذه العادة ، (Afrol, News, 2001) ومع كل هذه الجهود والاستراتيجيات مازالت ممارسة و انتشار هذه العادة واسعة بالقارة ؛ حيث يتلازم معها ويقترن بها اعتبارات اجتماعية وثقافية ذات جذور موغلة في القدم ، (Afrol.News,2003.)

ثالثاً - خطر الايدز:

تعد أزمة الإيدز والعدوي بفيروسه من أعتي الأزمات الصحية التي يواجهها العالم اليوم ، ففي غضون عقدين ، أودت هذه الأزمة بحياة ٣٠ مليون فرد تقريبا ويقدر عدد أولئك المتعايشين مع الإيدز والعدوي الفيروسية الأن ما يقرب من ٤٠ مليون نسمة ، يعيش ٩٥٪ منهم في الدول النامية ، وتحدث ١٤٠٠٠ اصابة جديدة بالعدوي كل يوم ، وفي عام ٢٠٠٣ اصيب حوالي خمسة ملايين نسمة أخرين بفيروس نقص المناعة البشرية HIV منهم ٣,٢ مليون نسمة في افريقيا جنوب

الصحراء ، ويتسبب الإيدز والعدوي بفيروسه في تدميرالأسر والمجتمعات وتقويض اقتصاديات الدول، ويعتبر الايدز السبب الرئيسي للوفاة في إفريقيا والسبب الرابع للوفاة علي مستوي العالم . (صندوق الأمم المتحدة لمكافحة الايدز)

وكلمه AIDS هي اختصار للاسم الكامل للمرض وهو (أعراض نقص المناعة المكتسبة) The Acquired immune deficiency syndrome وقد اكتشف المرض لأول مرة في الولايات المتحدة الأمريكية في بداية الثمانينات، والتي حظيت بأكثر من نصف حالات الإيدز المبلغة لمنظمة الصحة العالمية WHO ١٩٩٠ م ، (Shannon, P. And Bashahur: 1991) .

ويسبب فيروس نقص المناعة البشرية HIV الإصابة بالمرض ولكن بعد فترة حضانة أو كمون Latency قد تصل إلى عشر سنوات ، ولذا يبقي الفيروس في أجساد المصابين لفترة قد تطول أو تقصر دون أن تبدو عليهم أعراض مرض الإيدز، والنوعان الرئيسيان للفيروس الناقل للمرض يطلق عليهماHIV-1, HIV-2 والأول هو الأكثر شيوعا في العالم ، وظل هو السائد عالميا حتى ١٩٨٨ م حين تم كشف فيروس HIV-2 والذي جري إبلاغه لمنظمة الصحة العالمية من قبل دول إفريقية وغير إفريقية وله نفس التأثير وسرعة الانتشار لكنه لا يزال متمركزا في مناطق بعينها من إفريقيا ،لاسيما غرب القارة (Panos Institute , 1989 : 33) .

وقد شهدت بدايات عقد الثمانينات ظهور مرض الايدز كمشكلة تهدد العالم أجمع ، وقدرت منظمة الصحة العالمية عدد المصابين عام ١٩٩٢ بحوالي ٢,٧ مليون شخص ، تطور الفيروس لديهم ليصبحوا مرضى ايدز (AIDS) حقيقيين ، وقد تباين التوزيع الجغرافى للمرض بين القلة الواضحة فى الاوقيانوسية (٥٠٠٠ حالة) والكثرة الغالبة فى افريقيا (٩٧٠,٠٠٠ حالة) في هذه الفترة . (WHO.,G.P.A,1992 : 1-2) ثم وصل عدد المصابين بالايدز حتى

أواسط عام ١٩٩٤ إلى قرابة اربعة ملايين من النساء والرجال والاطفال ، وقد قدرت منظمة الصحة العالمية WHO عدد المصابين بفيروس المرض HIV سنة ١٩٩١ ما بين ٩ ، ١١ مليون شخصا، ارتفع الرقم إلى مالا يقل عن ٣٣ مليون حالة حاملة للفيروس ١٩٩٩م وجد منها مالا يقل عن ٢٢,٥ مليون حالة في إفريقيا وحدها بنسبة ٦٧,٥ ٪ أي أن القارة وحدها استأثرت بأكثر من ثلثي الحالات الحاملة لفيروس الإيدز في العالم ، وهذا يوضح عبء المرض بالقارة الإفريقية ، وجدير بالذكر أن توزيع حالات الإصابة بفيروس بنقص المناعة المكتسبة HIV/AIDS علي أقاليم العالم الصحية قد أظهرت العديد من التغيرات عام ٢٠٠٣ م(*) ، وحسب تقديرات منظمة الصحة العالمية وبرنامج الامم المتحدة لمكافحة فيروس نقص المناعة البشرية HIV حتي نهاية عام ٢٠٠٣ تبين أن القارة الافريقية استأثرت وحدها عام ٢٠٠٣ بعدد ٢٦,٦ مليون حالة حاملة لفيروس الإيدز/ AIDS HIV من اجمالي ٤٠ مليون حالة للفيروس علي مستوي العالم او ما يعادل ٦٦,٥ ٪ من اجمالي الحالات الحاملة للفيروس في العالم (UNAIDS/WHO,2003.) .

وجدير بالذكر أن عدد حالات الإيدز أو الفيروس المبلغة فى إفريقيا لا تساوى سوى ١٠ إلى ١٥٪ من الحالات الحقيقية وهذا يؤكد التباين والفرق الكبير بين حالات نقص المناعة HIV المقدرة بواسطة خبراء الصحة العالمية وعدد حالات الإيدز المبلغة للمنظمة الدولية، وهذا الفرق يضيق في الدول المتقدمة ويتسع في الدول النامية ، فقد كانت نسبة الصدق في الإبلاغ عن حالات مرض الإيدز سنة ١٩٩٠ ٧٨,٧ ٪ للأوقيانوسية و ٦٧,٥٪ لأوروبا و٦٢,٥٪ للأمريكتين بينما انخفضت هذه النسبة إلى ١٠,٥٪ في إفريقيا (فاتن محمد البنا، ١٩٩٢) .

(*) قسمت منظمة الصحة العالمية العالم إلي عشر أقاليم صحية تم ذكرها بالجدول (٤) .

خطر الاصابة بفيروس نقص المناعة المكتسبة HIV/AIDS بين الاناث في افريقيا :-

وتواجة نساء العالم تزايد خطر الاصابة بفيروس نقص المناعة المكتسبة فقد زادت نسبه اصابتهن من ٢٠ ٪ من اجمالي حالات الاصابة عام ١٩٨٠ إلى ٤٠٪ عام ١٩٩٣ ، وأرتفت النسبة الي ٤٨٪ عام ٢٠٠١ و٥٠٪ خلال عامي ٢٠٠٢/٢٠٠٣ حسب تقديرات منظمة الصحة الدولية .(WHO,UNAIDS. 2004).

وجدير بالذكر أن النساء الافريقيات قد كن هدفا للاصابة بالفيروس في القارة الإفريقية وهي القارة المتفردة بين قارات العالم فى تصاعد الاصابة بفيروس نقص المناعة المكتسبة الايدز ، حيث كانت واحدة من بين كل أربعين إمرأة افريقية مصابة بهذا المرض ، في منتصف التسعينات (حكيمة حيمشي ولطيفة ايمان – ١٩٩٥:١٤) كما كانت تصل نسبة النوع Sex Ratio إلى درجة التساوى ، أى أنها تبلغ (١:١) بمعنى تساوى المصابين من الذكور والإناث ، وهذا على عكس نسبة النوع بالنسبة للاصابة HIV/AIDS فى باقى أنحاء العالم التى تختلف من منطقة لأخرى ، فقد بلغت سنه ١٩٩٢ فى الولايات المتحدة الامريكية ١:١٩ أى أن هناك ١٩ ذكرا مقابل كل انثى مصابة (Piot, P.,et al., 1992 :15)، والنسبة ترتفع إلى أربعة أو خمسة رجال مصابين مقابل كل إمرأة فى كل من أمريكا اللاتينية ، وشمال شرق أسيا ، واوروبا الغربية ، أما فى جنوب شرق أسيا فتبلغ النسبة ٢ :١ (Mann,J.M., et al.,(eds.),1992).

ويرجع تساوى نسب الاصابة بين الرجال والنساء فى القارة الافريقية في منتصف التسعينات إلى نمط انتشار فيروس HIV/AIDS ، حيث يسود انتقال المرض بين السكان من خلال العلاقات الجنسية المغايرة Heterosexuality وهذا

بخلاف النمط الذى يسود فى الولايات المتحدة الامريكية ومعظم قارة اوروبا واستراليا ، ويتميز بتواجده فى المناطق الجغرافية التى يتصف سكانها بالعلاقات الشاذة ، حيث تسود بينهم العلاقات المثلية الجنسية Homosexuality ، (Martin,S,et al., 1992:148) .

وقد أدي تردي الوضع الاجتماعى والحضارى والاقتصادي الي زيادة انتشار فيروس (HIV) بين الإناث فى القارة الافريقية ، فشيوع بعض العادات الافريقية مثل ختان البنات واستخدام الالات البدائية فى ذلك يسهل انتقال الفيروس عن طريق تلوث مجرى الدم (Shannon , G.W.,1991 : 84 - 88) ، كذلك تؤدى اصابة العديد من النساء الافريقيات ببعض امرض الجهاز التناسلى إلى تعرضهن للعديد من المخاطر الجسدية التى قد تكون مميته ، كما تيسر هذه الامراض العدوى بفيروس نقص المناعة المكتسبة (صندوق الأمم المتحدة للسكان - ١٩٩٤ : ٣٧) .

وتشير التقديرات الحديثة إلى استمرار تزايد تعرض النساء للإصابة بفيروس نقص المناعة المكتسبة ، حيث وصلت نسبة الاصابة بينهن عام ٢٠٠٣ الي ٦٠٪ من اجمالي البالغين حاملي الفيروس في إفريقيا جنوب الصحراء . في حين بلغت نسبة الاصابة في آسيا ٥٦٪ وفي شرق اوروبا ، ووسط آسيا ٤٦٪ لكل منهما ، وبذلك تكون نسبة الاصابة بين النساء في افريقيا جنوب الصحراء قد تعدت نسب الاصابة بين الرجال بما يعادل ١,٣ مرة .

يوضح الجدول التالي مدي ارتفاع نسب الاصابة بفيروس HIV/AIDS بين النساء في الفئة العمرية (١٥-٤٩ سنة) مقارنة بالرجال في بعض الدول الافريقية المختارة و التي ترتفع بها نسب الاصابة بفيروس المرض .

جدول (٣)

التوزيع العددي والنسبي للمصابين بفيروس نقص المناعة المكتسبة HIV/AIDS من البالغين في الفئة العمرية (١٥-٤٩) في بعض الدول المختارة في القارة الافريقية عام ٢٠٠١ م (بالالف)

الدولة	انتشار الفيروس بين النساء في الفئة العمرية (١٥-٤٩) (بالالف)	النسبة المئوية لانتشار الفيروس بين النساء في الفئة العمرية (١٥-٤٩) %	انتشار الفيروس بين الرجال في الفئة العمرية (١٥-٤٩) (بالالف)	النسبة المئوية لانتشار الفيروس بين الرجال في الفئة العمرية (١٥-٤٩) %
سوازيلاند	٨٩	٥٩	٦١	٤١
بتسوانا	١٧٠	٥٧	١٣٠	٤٣
زمبابوي	١٢٠٠	٦٠	٨٠٠	٤٠
جنوب أفريقيا	٢٧٠٠	٥٧	٢٠٠٠	٤٣
ناميبيا	١١٠	٥٥	٩٠	٤٥
زامبيا	٥٩٠	٥٩	٤١٠	٤١
ملاوي	٤٤٠	٥٦	٣٤٠	٤٤
ج أفريقيا الوسطي	١٣٠	٥٩	٩٠	٤١
موزامبيق	٦٣٠	٦٣	٣٧٠	٣٧
تنزانيا	٧٥٠	٥٨	٥٥٠	٤٢
الكاميرون	٥٠٠	٥٨	٣٦٠	٤٢
نيجيريا	١٧٠٠	٥٣	١٥٠٠	٤٧
كينيا	١٤٠٠	٦١	٩٠٠	٣٩
أثيوبيا	١١٠٠	٥٨	٨٠٠	٤٢
افريقيا جنوب الصحراء	١٥٠٠٠	٥٨	١١٠٠٠	٤٢

- UNAIDS, Report on Global HIV/AIDS ,Epidemic , July , 2002 .
- UNAIDS, Human development Report 2003, New York , 2003 ,pp.260-261 .

ويوضح الجدول السابق مدي التفوق العددي والنسبي لانتشار فيروس نقص المناعة المكتسبة بين الاناث في الفئة العمرئة (١٥-٤٩ سنة) في افريقيا جنوب الصحراء بصفة عامة ، حيث ضمت إفريقيا جنوب الصحراء ١٥ مليونا من النساء

المصابات بفيروس المرض في مقابل ١١ مليون من الذكور المصابين عام ٢٠٠١ بنسبة ٥٨ ٪ للنساء مقابل ٤٢ ٪ للرجال ، وجدير بالذكر أن التقديرات عام ٢٠٠٣ تشير الي ارتفاع مستمر في زيادة تفشي الاصابة بين النساء في هذه الفئة العمرية حتي وصلت الي ٦٠ ٪ ، وهذه النسبة المرتفعة لانتشار الفيروس بين نساء القارة ، تلقي الضوء علي ماتعانيه نساء إفريقيا اللاتي يقع عليهن الضرر الصحي المباشر في هذه الفئة الديموجرافية ، كما تشيرالي الخطر الذي يواجه الأطفال عن طريق الأم المصابة بفيروس المرض Vertical Transmission .

ويوضح الجدول (٣) مدي التباين الجغرافي للتوزيع النسبي والعددي لانتشار الفيروس بين الاناث البالغات (١٥-٤٩سنة) في بعض الدول المختارة ويلاحظ انه علي الرغم من التباين العددي الواضح بين الدول الافريقية ، والذى يتفاوت بين الملاين (كما هو الحال في دولة جنوب افريفيا ، ونيجيريا وكينيا وزمبابوي وأثيوبيا حيث سجلت الأرقام ٢,٧ ، ١,٧ ، ١,٤ ، ١,٢ ، ١,١ ، ١,١ مليون حالة حاملة الفيروس لكل دولة علي التوالي) وعدة آلاف (كما هو الحل في سوازيلاند التي ضمت ٨٩ ألف امرأة حاملة لفيروس المرض ، وناميبيا التي كانت اعداد المصابات بها ١١٠ الف حالة) ، نجد أن التوزيع النسبي للاصابات بين هذه الفئة الديموجرافية من الاناث تكاد تكون متقاربة ، وتتعدي في معظمها ٥٥٪ من جملة الاصابة في الفئة العمرية (١٥ -٤٩) ، وقد تصل النسبة في بعض الدول الي ٦٣ ٪ كماهو الحل في موزامبيق و٦١ ٪ في كينيا ، وتدل هذه النسب المرتفة لانتشار الفيروس بين النساء في سن الحمل علي تعرض فئتين لخطر الايدز ، الفئة الاولي هي فئة النساء البالغات في سن (١٥-٤٩سنة) والفئة العمرية الثانية هي فئة الأطفال في سن (أقل من ١٤ سنة)، وجدير بالملاحظة ان جميع الدول المختارة بالجدول تشترك في ارتفاع نسب الاصابة بفيروس المرض بين البالغين من الجنسين ، فقد قدرت نسبة الاصابة في بتسوانا ٣٨,٨٪

من إجمالي البالغين عام ٢٠٠١ و٣٣,٧ ٪ في زمبابوي و ٣٣,٤ في سوازيلاند لنفس العام (UNAIDS, 2002) .

ومما يجعل الأمر أكثر خطورة في افريقيا ارتفاع نسبة الاصابة بالفيروس بين الفتيات والنساء صغيرات السن في الفئة العمرية (١٥-٢٤) ويوضح الجدول التالي التفاوت في نسب الاصابة بفيروس نقص المناعة المكتسبة بين النساء والرجال في الفئة العمرية صغيرة السن علي مستوي الاقاليم الصحية في العالم .

جدول (٤)

التوزيع الجغرافي للمصابين من صغار السن بفيروس نقص المناعة المكتسبة حسب تقدير ديسمبر ٢٠٠١ م (الفئة العمرية ١٥-٢٤ سنة)

الاقليم	عدد الاناث (بالألف)	النسبة المئوية لانتشار الفيروس بين الاناث في الفئة العمرية (١٥-٢٤)	عدد الذكور (بالالف)	النسبة المئوية لانتشار الفيروس بين الذكور في الفئة العمرية (١٥-٢٤)	الاجمالي (بالألف)
افريقيا جنوب الصحراء	٥٧٠٠	٦٧,١	٢٨٠٠	٣٢,٩	٨٥٠٠
جنوب وجنوب شرق آسيا	٩٣٠	٦١,٢	٥٩٠	٣٨,٨	١٥٢٠
أمريكا اللاتينية	١٧٠	٣٩,٥	٢٦٠	٦٠,٥	٤٣٠
شمال افريقيا والشرقالأوسط	١١٠	٧٢,٨	٤١	٢٧,٢	١٥١
شرق آسيا والباسيفيك	٨٧	٣٠,٣	٢٠٠	٦٩,٧	٢٨٧
أوروبا الشرقية ووسط آسيا	٨٥	٢٠	٣٤٠	٨٠	٤٢٥
الكاريبي	٧٢	٥٥	٥٩	٤٥	١٣١
أمريكا الشمالية	٤٧	٣٢	١٠٠	٦٨	١٤٧
غرب أوروبا	٣٣	٣٧,٥	٥٥	٦٢,٥	٨٨
العالم	٧٣٠٠	٦٢	٤٥٠٠	٣٨	١١٨٠٠

Source :UNAIDS, Unpublished data , December ,2001 .

النسب المئوية من حساب الباحثة .

من استقراء الجدول السابق يتضح عظم الخطر الذى تتعرض له النساء الصغيرات في الفئة العمرية (١٥-٢٤سنة) في القارة الافريقية ,وكذا الرجال في نفس الفئة ,خاصة في افريقيا جنوب الصحراء ، فقد ضمت القارة وحدها ما يربو علي ٨,٥ مليون حالة لفيروس المرض من اجمالي ١١,٨ مليون حالة علي مستوي العالم وبنسبة تصل الي ٧٢٪ عام ٢٠٠١ .

كذلك يوضح الجدول أن نسب انتشار الفيروس بين النساء الصغيرات تتعدي نسب الانتشار بين الرجال في نفس الفئة العمرية في أربعة أقاليم صحية من بين تسعة أقاليم علي مستوي العالم ، يأتي اقليم شمال إفريقيا والشرق الأوسط في المقدمة بنسبة ٧٢,٨ ٪ ثم تأتي إفريقيا جنوب الصحراء في المرتبة الثانية بنسبة١,٦٧ ٪ ، تليها جنوب وجنوب شرق آسيا بنسبة ٦١,٢ ٪ ثم يأتي اقليم الكاريبي بنسبة ٥٥ ٪ وهذة الأقاليم هي التي ينتشر المرض بين السكان من خلال العلاقات الجنسية المغايرة Heterosexuality وعن طريق الحقن الملوث بفيروس المرض بين المدمنين للمخدرات ، ونقل الدم الملوث بفيروس المرض ، كما هو الحال في منطقة شمال افريقيا والشرق الأوسط ، وهذا بخلاف النمط الذى يسود فى الولايات المتحدة الامريكية ومعظم قارة اوروبا واستراليا ، ويتميز بوجوده فى المناطق الجغرافية التى يتصف سكانها بالعلاقات الشاذة ، حيث تسود بينهم العلاقات المثلية الجنسية Homosexuality ، ولذلك ترتفع نسب انتشار الفيروس بين الرجال صغار السن عنها بين الاناث .

وترتفع معدلات الاصابة بين فئات السن الصغيرة عند النساء عنه عند الرجال ، ويرجع البعض زيادة تعرض النساء الصغيرات (اللاتى تتراوح أعمارهن بين الخامسة عشر ، والرابعة والعشرين فى الدول النامية) للعدوى بالايدز بنسب اكثر من الذكور فى نفس السن إلى عدم اكتمال نمو الغشاء المخاطى التناسلى الانثوى لديهن (حكيمة حيميشي – لطيفة ايمان – ١٩٩٥ :١٤) .

كما أدت ظاهرة تحول الرجال فى كل من جنوب شرق آسيا وافريقيا إلى معاشرة الفتيات الصغيرات (بشكل متزايد فى الوقت الحالى) لتفادى المخاطر المرتبطة بالعلاقات مع العاملات الاكبر سنا (من البغايا) إلى اصابة الفتيات بالمرض فى سن أصغر بشكل كبير ، ولذلك اصبح فيروس (HIV-I)شائع الانتشار بين النساء اللاتى تتراوح أعمارهن بين ٢٠-٢٥ سنه فى افريقيا (صندوق الامم المتحدة للسكان - ١٩٩٤:٣٥).

وكما يتباين التوزيع الجغرافي لإنتشار فيروس HIV بين صغار السن علي مستوي العالم يختلف ويتباين علي مستوي الدول في القارة الافريقية والجدول التالي يوضح هذا الاختلاف في بعض الدول:-

جدول (٥)

التوزيع النسبي لانتشار فيروس نقص المناعة المكتسبة بين صغار السن في الفئة العمرية (١٥-٢٤ سنة) في بعض الدول المختارة بالقارة الإفريقية حتي نهاية عام ١٩٩٩م.

الدولة	النسبة المئوية لانتشار الفيروس بين الاناث في الفئة العمرية ١٥-٢٤	النسبة المئوية لانتشار الفيروس بين الذكور في الفئة العمرية ٢٤-١٥
كوت ديفوار	٩,٥ ٪	٣,٨ ٪
غانا	٣,٤ ٪	١,٤ ٪
كينيا	١٣,١ ٪	٦,٤ ٪
مدغشقر	٠,١ ٪	٠,٤ ٪
مالي	٢,٢ ٪	١,٣ ٪
موزامبيق	١٤,٨ ٪	٦,٨ ٪
السنغال	١,٦ ٪	٠,٨ ٪
تنزانيا	٨,١ ٪	٤,٠ ٪
اوغندا	٧,٤ ٪	٣,٩ ٪
زامبيا	١٧,٨ ٪	٨,٢ ٪
زمبابوي	٢٤,٥ ٪	١١,٤ ٪

Source: UNAIDS, Report on Global AIDS Epidemic, June 2000 .

قامت الباحثة بحساب متوسط الحدود العليا والدنيا للنسب المئوية لانتشار الفيروس .

يلقي الجدول السابق الضوء علي التباين المكاني والنوعي للانتشار فيروس نقص المناعة المكتسبة في ١١ دولة افريقية في الفئة العمرية (١٥-٢٤ سنة) ويتضح منه مايلي :-

- ترتفع نسب انتشارالفيروس في هذة الفئة بين الاناث عنها بين الذكور في كل الدول المختارة، فيما عدا مدغشقر التي انخفضت بها نسبة الإنتشار الي ١ , ٠٪ بين الاناث، بينما كانت ٤ , ٠٪ لدي الذكور .
- تراوحت نسب انتشار فيروس نقص المناعة المكتسبة بين الاناث صغيرات السن بين ١ , ٠٪ في مدغشقر و٥ , ٢٤٪ في زمبابوي ، وهذا يوضح انتشار الفيروس بدرجات متفاوتة بين الدول المختارة ، ففي سبع دول من بين احدي عشر دولة قدر أن نسب الانتشار تعدت ٧٪ بين الاناث صغيرات السن و كن ايجابييات لفيروس نقص المناعة المكتسبة ، وهذا يشير الي مدي ما تتعرض لة هذة الفئة العمرية من خطر صحي له مردود مستقبلي مدمر .

ويعد شيوع فيروس نقص المناعة المكتسبة بين النساء في سن الحمل (١٥-٤٩ سنة) في افريقيا من المخاطر الصحية التي يتعرض لها كل من الأم والطفل علي السواء ، وذلك منذ انتشار المرض بالقارة ، فقد وصل شيوع الفيروس فى افريقيا بين النساء الحوامل إلى نسب مرتفعة فى العديد من المناطق الافريقية في التسعينات ، ففى بعض مناطق وسط افريقيا (حيث تركزت بؤرة المرض في تلك الفترة) تراوحت نسبة الانتشار بين ٢- ١٥٪ من جملة النساء الحوامل ، وبلغت فى كيجالى برواندا ٦ , ٣١٪ ، ووصلت إلى ١٠٪ فى جمهورية افريقيا الوسطى والكنغو وفي بعض المناطق الريفية فى تنزانيا (صندوق الامم المتحدة للسكان - ١٩٩٤:٣٥) ، وقدر صندوق الامم المتحدة لمكافحة الايدز عام ٢٠٠٢ ان القارة الافريقية ضمت خمسة ملاين امرأة في سن الحمل مصابة بفيروس نقص المناعة المكتسبة ، و هناك امرأة مصابة بفيروس المرض من بين ثلاث نساء تترددن علي عيادات ما قبل الوضع في بعض المراكز الافريقية الرئيسية ، ومن الملاحظ

ارتفاع معدلات الاصابة بفيروس نقص المناعة المكتسبة بين النساء في سن الحمل في دول الجنوب الافريقي ؛ والذي يعد بؤرة تركز مرض الايدز الآن في افريقيا ، هناك أكثر من واحدة من بين خمس نساء من الحوامل مصابة بفيروس نقص المناعة المكتسبة ، وتشير تحليلات عيادات أمراض النساء والولادة الي ارتفاع نسب انتشا ر فيروس نقص المناعة المكتسبة بين النساء الحوامل ، في ٨ دول في الجنوب الافريقي في الفترة من ١٩٩٧ -٢٠٠٢ م لتصل الي ٤٠٪ في كل من جابورون Gaborone (في بتسوانا) و مانزيني Manzini (في سوازيلاند) و١٦ ٪ في بلانتري Blantyre (في مالاوي) و٢٠ ٪ في لوساكا Lusaka (في زامبيا) ، ويتعدي انتشارالفيروس ٣٠ ٪ في مقاطعةCauteny الحضرية في جنوب افريقيا ،و ١٨ ٪ في مابوتو Maputo عاصمة موزامبيق . (UNAIDA/WHO, December 2003.)

وجدير بالذكر أن معدلات انتشارالفيروس بين النساء الحوامل في الدول سابقة الذكر تفوق بكثير معدلات انتشار الفيروس بين البالغين (ذكور واناث) في هذة الدول التي مثلت قمة التراتب العالمي بين الدول التي ينتشر بها فيروس نقص المناعة المكتسبة عام ٢٠٠٣، حيث احتلت سوازيلاند المرتبة الاولي بنسبة ٣٨,٨ ٪ تليها في المرتبة الثانية بتسوانا بنسبة ٣٧,٣ ٪ وجاءت جنوب افريقيا في المرتبة الخامسة بنسبة انتشار للفيروس قدرت بما يعادل ٢١,٥ ٪ تلتها زامبيا في المرتبة السابعة ثم ملاوي في المرتبة الثامنة واحتلت موزامبيق المرتبة العاشرة بنسبة ١٢,٢ ٪ . (World Population Data sheet , PRB ,2004)

ومما يعكس خطورة الوضع فى افريقيا انتقال المرض الي الطفل عن طريق الأم، فقد ضمت القارة حوالى مليون طفل (فى اوائل عام ١٩٩١) ولدوا حاملين للفيروس عن طريق الأم ، وقدرت نسبه الأطفال المصابين عن هذا الطريق بين ٢٥-٣٥٪ من إجمالي الأطفال الحاملين للفيروس ، وقد لقي نصف هؤلاء الأطفال حتفهم بعد تطور المرض لديهم ، وبالمقارنة نجد أن الاطفال المصابين بفيروس نقص المناعة المكتسبة فى أمريكا اللاتينية قد بلغوا ١٠,٠٠٠طفل لنفس العام وهذا

يعكس خطورة الوضع فى افريقيا بالنسبة لهذه الفئة الديموجرافية ، وفي ظل البيانات الحديثة ضمت القارة ٢,٦ مليون طفل مصابين بفيروس هذا المرض ، وقدرت منظمة الصحة العالمية في دراستها الخاصة باستراتيجية مواجهة المرض في الفترة من ٢٠٠٣ -٢٠٠٧ م ان مايقرب من ١٠٪ من وفيات الاطفال في افريقيا جنوب الصحراء ترجع الي الايدز) ,WHO ٢٠٠٣، (بالاضافة الي ١٥ مليون من النساء في الفئة العمرية (١٥ -٤٩ سنة) حاملات لفيروس الايدز ويعنى ذلك أن المكاسب الصحية والديموجرافية التى جنتها افريقيا فى العقدين الاخيرين قد ازيحت وفقدت بزيادة الوفيات بين الامهات والاطفال وعادت إلى مستوياتها فى السبعينيات (Mortin,S.,1992:146-48) .

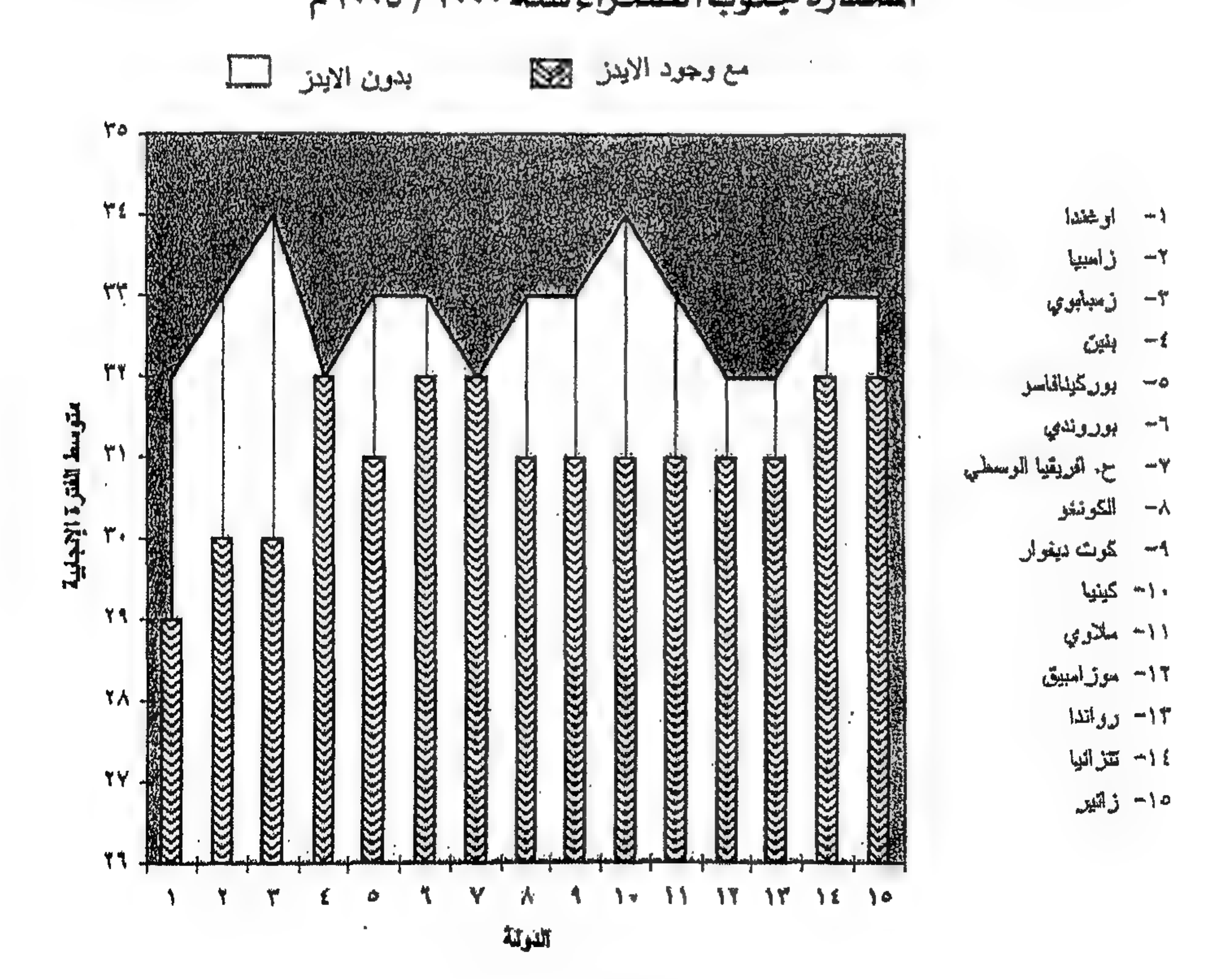
وتعني زيادة الاصابة بفيروس المرض بين الاناث في إفريقيا زيادة نسبه الأطفال المصابين عن طريق الأم بصورة تختلف عن دول الغرب ؛ حتى أنه وجد في أوغندا أن أغلب الأطفال جرى تشخيص المرض لديهم قبل بلوغهم السنة الثانية (٧٨٪) والأغلبية اكتسبت المرض قبل الولادة (Muller, O. et al .,1990 :283) .

وفى مجتمع يغلب عليه صغار السن ، فمن المنتظر زيادة نسبة إنتقال المرض رأسياً من الأم إلى المولود فى غياب الرعاية الصحية المناسبة ، وعدم إتاحة الأدوية الحديثة التى تضمن خفض نسبة الإنتقال فى إفريقيا لإرتفاع أثمانها ، حيث يلاحظ أنه مع زيادة أعداد النساء المصابات بالفيروس فى الفئة العمرية من ١٥ - ٤٩ يزداد أعداد الأطفال الذين يصابون بالمرض ، ففى كينيا على سبيل المثال ارتفعت أعداد النساء المصابات إلى أكثر من مليون إمرأة ، ووصل عدد الأطفال المصابين بالفيروس إلى ٧٨ ألف طفل فى نفس العام (١٩٩٩) ، ومع إرتفاع عدد الأمهات المصابات فى إثيوبيا إلى ١,٦٠٠,٠٠٠ إرتفع عدد أصابات الأطفال إلى ١٥٠,٠٠٠ طفل وفى جنوب إفريقيا تصل حالات الإصابة بين النساء فى عمر الإنجاب (١٥ - ٤٩) إلى ٢,٣٠٠,٠٠٠ حالة وترتفع معها حالات الإصابة للأطفال إلى ٩٥ ألف حالة.

وعند حساب تكلفة الايدز يفرق العلماء بين التكلفة المباشرة وغير المباشرة والأولي هي تكلفة العلاج والأدوية واجور العلماء وبقية الجهاز الصحي والمستشفيات وغيرها مما يدخل تحت بند رؤوس الأموال الثابتة ، أما التكلفة غير المباشرة فهي الفاقد بسبب المرض من عمر المريض الافتراضي بحسب مستوي أمد الحياة في المنطقة الجغرافية التي يعيش فيها ، وما كان سيكسبه من خلال العمر لو قدر له عدم الاصابة بالمرض (فاتن محمد البنا ، ١٩٩٨ : ٣١٤) ، وللايدز أثاره السلبية على الفترة الإنجابية للمرأة وعلى عمرها المتوقع فى هذه الفترة ، والجدول (٦) وشكل (٥) يوضحان هذه الاثار فى ١٥ دولة افريقية جنوب الصحراء.

شكل (٥)

العمر المتوقع للنساء فى فترة الإنجاب (قبل الإيدز وبعده) وسنوات الإنجاب المقدر أن تفقد فى الفترة الإنجابية بسبب الإصابة الإيدز فى بعد الدول الإفريقية المختارة جنوب الصحراء سنة ٢٠٠٠ / ٢٠٠٥ م



جدول (٦)

العمر المتوقع للنساء فى فترة الانجاب (قبل الايدز وبعد الايدز) *
وعدد سنوات الانجاب المقدر فقدها من جراء الاصابة بالايدز فى
بعض الدول الافريقية جنوب الصحراء فى سنه ٢٠٠٠/ ٢٠٠٥م

الدولة	متوسط سنوات العمر للفترة الإنجابية المتوقع للنساء فى الفئة العمرية من ١٥-٥٠ سنه			
	قبل الايدز ١٩٨٠/١٩٨٥	مع وجود الايدز ٢٠٠٠/٢٠٠٥	بدون الايدز ٢٠٠٠/٢٠٠٥	عدد سنوات المقدر لها أن تفقد فى الفترة الانجابية بسبب الاصابة بالايدز
اوغندا	٣١,٤	٢٩,٤	٣٢,٢	٢,٨
زامبيا	٣١,٨	٢٩,٦	٣٢,٨	٣,٢
زمبابوى	٣٢,٥	٣٠,٤	٣٣,٦	٣,٢
بنين	٣٠,٩	٣١,٥	٣٢,٠	٠,٥
بوركينا فاسو	٣١,٥	٣٠,٦	٣٢,٥	١,٩
بوروندى	٣١,٥	٣١,٧	٣٢,٥	٠,٧
ج افريقيا الوسطى	٣١,٤	٣١,٦	٣٢,٤	٠,٩
الكنغو	٣١,٩	٣٠,٩	٣٢,٩	٢,١
كوت دى فوار	٣١,٨	٣٠,٦	٣٢,٨	٢,٢
كينيا	٣٢,٦	٣١,٤	٣٣,٥	٢,١
ملاوى	٣٢,٢	٣٠,٧	٣٢,٧	٢,٠
موزامبيق	٣١,٠	٣٠,٨	٣٢,١	١,٢
رواندا	٣١,٣	٣٠,٦	٣٢,٣	١,٨
تنزانيا	٣١,٩	٣١,٣	٣٢,٩	١,٥
زائير	٣١,٧	٣١,٥	٣٢,٨	١,٣

* المصدر: فى الفترة التى سبقت انتشار الايدز

(UN.,World population prospects,1995:p.59-60).

يوضح الجدول رقم (٦) ما يلي :-

أن الفترة الانجابية للمرأة الإفريقية تقدر نظريا بـ ٣٥سنه ، من ١٥ الى ٥٠ سنه ، مع افتراض أن جميع النساء يعشن طول هذه الفترة قبل ظهور وانتشار الايدز بالقارة (أى قبل سنه ١٩٨٠-١٩٨٥) ، والجدول يوضح أن متوسطات هذة الفترة تراوحت (فترة الانجاب) بين ٣٢,٢سنه فى كينيا و ٣٠,٩ سنه في بنين ، معنى ذلك أن متوسطات سنوات العمر فى اثناء الفترة الانجابية قد أظهرت ارتفاعاً بدون مرض الإيدز فى كل الدول الإفريقية المختارة جنوب الصحراء ، حيث بلغت فى زمبابوى وملاوى والكنغو وكوت دى فوار ٣٢,٥ و ٣٢,٢ و ٣١,٩ و ٣١,٨ سنه لكل دوله على التوالى ، ولايقل متوسط هذه الفترة الانجابية عن ٣١ سنه إلا فى دولة بنين حيث بلغت ٣٠,٩سنه.

ويظهر الجدول السابق الاثار السلبية التى سوف تؤثر على الفترة الانجابية نتيجة لانتشار الايدز بين النساء الافريقيات ، وذلك عن طريق تقدير العمر المتوقع للنساء فى الدول جنوب الصحراء سنه ٢٠٠٠/٢٠٠٥ خلال الفترة الانجابية فى حالة عدم وجود الايدز ، ثم تقدير العمر المتوقع للنساء خلال نفس الفترة الانجابية ولكن مع وجود الايدز ومع الأخذ فى الاعتبار ارتفاع معدلات الوفيات الناتجة عنه بين هذه الفئة العمرية ، والفرق بين التقديرين قد اعطى فى النهاية سنوات الانجاب المقدر لها ان تفقد من الفترة الانجابية من جراء الآثار المدمرة للايدز.

واتضح من الجدول (٦) و شكل (٥) أن كلا من زامبيا وزمبابوى سوف تقل فترة الانجاب لنساء كل منهما اكثر من ثلاث سنوات أى أن حوالى ١/١٠ (عشر)عمر المرأة الانجابى سوف يفقد بتأثير الايدز فى البلدين مع نهاية عام ٢٠٠٥ ، وسوف تفقد خمس دول أخرى وهى اوغندا وكوت ديفوار وكينيا والكنغو ومالاوى سنتين أو اكثر من فترات الانجاب بكل منها ، ويبقى

ثماني دول يقل بها تأثير الايدز حيث يقدر أن تفقد ما بين ٥ ,٠ إلى ٩ ,١ سنه من الفترة الانجابية بسبب الاصابة بهذا المرض .

وجدير بالذكر أن المرض يأخذ شكلا وبائيا لدى بعض الفئات الاخرى من الإناث ، فتتراوح نسبة مصل الدم ايجابى للفيروس بين ٢٧٪ و٨٨٪ بين البغايا من الإناث فى المدن الكبرى فى شرق افريقيا ووسطها(Piot p.et al. ,1992: 1-2) .

ان سيادة المرض فى الفئة العمرية الواقعة بين ٢٠ -٤٠ سنه (أى بين أفراد القوة العاملة المنتجة سواء بالنسبة للرجال أو النساء فى قارة افريقيا حيث يصل معدل الاصابة فى بعض المدن الافريقية فى هذه الفئة العمرية إلى ٢٥٪) يؤثر على قوة الاقتصاد الافريقى وسلامته ، ولذا فإن للايدز أصداء اقتصادية واجتماعية أشد خطورة مما توحى به إحصائيات الوفيات بالقارة حيث تواجة افريقيا ارتفاعا كبيرا فى النفقات الطبية ، ونقصاً فى أعداد العمال المهرة (ميخائيل ميرسون ١٠:١٩٩٥).

أصبح الايدز الآن يعد الخطر الذى يهدد كل من الرجال والنساء على السواء فى افريقيا وفى العالم ، فقد اصبح السبب الرئيسى فى الوفاة بين الذكور الراشدين فى بعض العواصم الافريقية جنوب الصحراء كما هو الحال فى هرارى عاصمة زمبابوى (مارى باسيت - ١٧:١٩٩٥) ، والسبب الثانى فى وفيات الإناث فى تلك العواصم (صندوق الامم المتحدة للسكان - ٣٧:١٩٩٤) ، ويكفي الاشارة الي انه توفى ما يقرب من ٢ ,١ مليون امرأة في القارة الافريقية بسبب الايدز عام ، ٢٠٠٢ ولقي في نفس العام مايقرب من ٦١٠ ألف طفل (أقل من ١٥ سنة) حتفهم من جراء هذا المرض بالقارة (الصندوق العالمي لمكافحة الايدز والسل والملاريا ، ٢٠٠٢) ، واذا وضع فى الاعتبار أن ٢٢٪ من الاسر الافريقية ترعاها النساء، وان النساء الافريقيات هن القائمات على معظم النشاط الاقتصادى فى القطاع غير الرسمى لإستشعرنا

الخسارة التى يسببها المرض فى القارة ومدى الخطر الذى يواجة المرأة الافريقية بها (Nancy D.L.,Edie K.,1994:29) .

جدير بالذكر أنه إذا استمرت الإصابة بفيروس الإيدز HIV/AIDS بمستوياتها الحالية في إفريقيا ، فإن ذلك سوف يقلب الأوضاع الديموجرافية بالقارة ، ويجعل المكاسب التي سبق أن تحققت ديموجرافيا وخاصة في خفض معدلات الوفيات ، وزيادة أمد الحياة ، تتراجع في القارة ، ومثال ذلك أنه قدر معدل الوفيات سنة ٢٠٠٥م في زامبيا إحدى الدول الإفريقية كثيفة الإصابة بحوالي ١٩,٥ في الألف وذلك في وجود الإيدز، بينما قدر هذا المعدل في غياب الإيدز بحوالي٣,٥ في الألف وأمد الحياة قد انخفض في بوتسوانا (إحدى أكثر دول القارة والعالم تأثرا بالمرض) من ٦١سنة سنة ١٩٩٣م ٤٦ سنة ١٩٩٨م ، وينتظر أن ينخفض إلي ٤١ سنة بين ٢٠٠٠- ٢٠٠٥م ، وفي زيمبابوي هبط أمد الحياة من ٦١ سنة إلي ٣٩ سنة في خلال خمس سنوات كذلك هبط معدل نمو السكان من ٣,٣٪ سنويا (كمتوسط للفترة من ١٩٨٠ إلي ١٩٨٥) إلي ١,٤٪ ١٩٩٨م ، وقد وصل انخفاضه إلي ١٪ ٢٠٠٠م (محمد مدحت جابر ، ١٩٩٩ : ١٠٤) ، وقدرت منظمة الصحة العالمية WHO في تقريرها السنوى عام ٢٠٠٠ أن أمد الحياة في افريقيا انخفض من ٤٢ عام ١٩٩٠ الي ٣٨,٧ عام ٢٠٠٠ ، ويرجع هذا التراجع في امد الحياة في افريقيا جنوب الصحراء الي انتشار الايدز ، وقد قدر ان خسارة هذا الاقليم بسبب المرض بلغ ست سنوات كانت ستضاف علي متوسط امد الحياه في غياب هذا الوباء عام ٢٠٠٠ ، (UNDP , 2003: 195 .)

استراتيجية مكافحة الايدز:

وفي ظل تلك الصورة القاتمة للمرض بالقارة يحتاج الأمر إلي تضافر الجهود العالمية والإقليمية للوقوف أمام انتشار طاعون العصر كما يسمى الإيدز أحيانا ، ويحتاج الأمر إلي جهود مضاعفة خاصة و أن إفريقيا فقيرة في بنيتها وسياستها

الصحية ، وهذا الوضع يحتم تضافر الدول الغنية مع إفريقيا لأن تدعيم ومكافحة الإيدز بها يعتبر مكافحة له علي مستوى العالم ، ولا يتم ذلك إلا بتدعيم التنمية الشاملة للدول الإفريقية والقضاء علي مشكلاتها العديدة .

لايوجد في الوقت الحاضر أي علاج للاصابة بعدوي فيروس الايدز ، وليست هنك أي لقاحات مرشحة للظهور من الآن ولسنوات عديدة ، الا أن تطوير أدوية مضادات الفيروسات Antiretroviral treatment قد جاءت بأمل جديد واصبحت قادرة علي تحسين حياة أعداد كبيرة من المصابين بالايدز وفيروسه ، وغيرت من الفكرة عن الايدز والعدوي بفيروسه من مرض فتاك قاتل وحولته الي حالة مرضية مزمنة قابلة للمعالجة ، وجدير بالذكر أن التعبئة السياسية المتنامية قد ساعدت علي تثقيف المجتمعات والحكومات و التاكيد بأن الحصول علي العلاج هو حق من حقوق الانسان ، ومن أجل محاربة الايدز خصص البنك الدولي تمويلا متزايدا ، وانطلقت مؤسسات جديدة كالصندوق العالمي لمكافحة الايدز والسل والملاريا وبرامج طموحة ثنائية الأطراف ، بما فيها المبادرة الرئاسية للولايات المتحدة بشأن الايدز والعدوي بفيروسه ؛ ممايعكس بوضوح المستوي الفريد للارادة والموارد التي لم يسبق لها مثيل من أجل محاربة الايدز و العدوي بفيروسه ، وفي عام ٢٠٠١ قدر الشركاء في اطار برنامج منظمة الأمم المتحدة المشترك المعني بالايدز والعدوي بفيروسه وسائر المنظمات الاخري ، الي جانب عدد من العلماء العاملين في منظمة الصحة العالمية بأنه (وفي أفضل الظروف) هناك ٣ملاين من سكان الدول النامية ممن هم في حاجة الي الاستفادة من الحصول علي المعالجة بالأدوية المضادة للفيروسات ، والحصول علي الخدمات الطبية قبل نهاية عام ٢٠٠٥ ، ويعد عدم الحصول علي هذا العلاج الذي يمثل احدي حالات الطوارئ الصحية العالمية من الامور الخطيرة ، واستجابة لذلك أطلقت منظمة الصحة العالمية وشركاؤها مبادرة (علاج ٣ملايين نسمة قبل نهاية عام ٢٠٠٥) ، وحالة

الطوارئ الصحية هي حالة تحفز علي العمل وتبطل اسلوب العمل المعتاد حيثما وجدت ، فبلوغ هدف (٣ملايين قبل نهاية ٢٠٠٥) يقتضي الزاما واسلوبا جديدا للعمل في اطار المجتمع الصحي العالمي ، ولا تستطيع الدول تحقيق النجاح منفردة وانما يستلزم تحقيق هذا النجاح تكثيف واستنهاض الهمم بحيث يتم الربط بين الدول والمنظمات متعددة الأطراف والوكالات الثنائية و المجتمعات والمنظمات غير الحكومية .

الا ان هذا التحول لم تشهده الا الدول المتقدمة دون الفقيرة ، ولم تشهد المناطق النامية التي تعلو بها معدلات الاصابة هذا التحول حتي الآن ، فمن بين ستة ملاين نسمة تحتاج احتياجا ملحا للعلاج بالادوية المضادة للفيروسات في الدول النامية لايتجاوز متلقوا العلاج نسبة ٨٪ ، وسيواجه الملاين من النساء والاطفال والرجال الهلاك مالم تتح لهم فرصة الحصول علي علاج يمكن تدبيره علي نحو جيد ، وجدير بالذكر أن اجمالي المتلقين للعلاج بالقارة الافريقية ، في بداية عام ٢٠٠٣ كان ٥٠ ألف حالة تمثل ١٪ من اجمالي الحالات التي في حاجة الي علاج والبالغ عددها ٤,١ مليون حالة ، أكثر من نصف هذة الحلات من النساء والأطفال ، وبالمقارنه بالأمريكتين نجد أن ١٩٦ الف حالة قد تلقت العلاج بنسبة ٥٣٪ ، ولم يتلق العلاج ٣٧٠الف حالة تمثل ٤٧٪ من اجمالي الحالات التي في حاجة الي علاج ، وعلي مستوي اقاليم العالم الصحية تلقي ٣٠٠الف نسمة العلاج من اجمالي ٥,٥ مليون نسمة في حاجة اليه (منظمة الصحة العالمية ، ٢٠٠٣ : ٥٤) ويلاحظ ان تقرير برنامج منظمة الصحة العالمية WHO بالتعاون مع الصندوق العالمي لمكافحة مرض الايدز والسل والملاريا UNAIDS قد اوضح في أواخر عام ٢٠٠٣ أنه تم امداد ١٠٠ ألف حالة مرضية بالقارة الافريقية بالعلاج تمثل ٢٪ من اجمالي الحالات التي في حاجة اليه ، في حين انه تم تغطية ٨٤٪ من الحالات في الأمريكتين بالعلاج المضاد لهذا الفيروس

(۲۱۰ ألف حالة من اجمالي ۲٥۰ ألف حالة) ، وفي اوروبا تم تلقي ۱۹٪ من حالات العلاج ، وفي جنوب آسيا لم يغطي العلاج سوي ۷٪ ، وعلي المستوي العالمي تلقي ۷٪ العلاج من اجمالي ٥,۹ مليون نسمة في حاجة اليه ، (WHO,NUAIDS ,2003 : 3) , ومما لاشك فيه ان هذة المقارنات الرقمية في مجال تلقي العلاج علي المستوي العالمي ليست في صالح الدول النامية بصفة عامة وليست في صالح إفريقيا بصفة حاصة حتي الآن .

وستبقي الوقاية عنصرا اساسيا في جميع التدخلات الخاصة بفيروس الايدز والأخذ بالعلاج الناجح للايدز والعدوي بفيروسه هو النشاط الوحيد الذي يمكنه فعلا أن يحفز فهم الوقاية وأثرها ويعجله وسيحدث ذلك في اطار مبادرة ۳ملايين قبل نهاية عام ۲۰۰٥ كجزء من استراتيجية شاملة تربط ما بين العلاج والوقاية والرعاية والدعم الاجتماعي الكامل للمصابين بالإيدز والعدوي بفيروسه ، ويجب أن يتلقي هذا الدعم الرجال والنساء علي حد سواء .

ان بلوغ هدف علاج ۳ملايين قبل نهاية ۲۰۰٥ يقوم علي النجاح في حشد الموارد علي الصعيد الدولي من أجل تلبية الاحتياجات المالية التقديرية الاجمالية وتبلغ ٥,٥ مليار دولار علي اقل تقدير حتي نهاية ۲۰۰٥ .

والجهود السابقة الذكر ماهي الا البداية لزيادة وتعزيز العلاج الحالي بالادوية المضادة للفيروس في النظم الصحية ، حيث انها لابد ان تعطي للمصاب طوال العمر واذا احسنت ادارتها يمكنها تحويل الايدز الي مرض مزمن ، غير أن الانسحاب من العلاج أو انهاءه انما يعني عودة الفيروس الذي يحمل في طياته الموت الأكيد ، وفي نهاية المطاف سيحتاج جل المصابين الآن بالفيروس علي الصعيد العالمي (والذين يزيد عددهم علي اكثر من ٤۰ مليون نسمة) الي سبيل للحصول علي العلاج ، واذا نظرنا الي ما بعد ۲۰۰٥ فان المنظمة وشركاءها سيصيغون نهجا استراتيجيا جديدا للحفاظ علي المكاسب من المبادرة والتوسع

فيها باللجوء الي آليات مستدامة للتمويل وتوزيع الأدوية بحيث تصبح تلك الأدوية جزءا من برنامج الرعاية الصحية التي تقدم في كل مركز صحي وعيادة (3 : WHO ,2003) إن الوصول إلى إستراتيجيات فعالة فى مقاومة الأمراض مثل الإيدز والدرن وغيرها ، يعتمد بدرجة كبيرة على شكل الإنتشار Diffusion Type وما إذا كان من الحضر إلى الريف ويطلق عليه Cascade diffusion ، أو الإنتشار الهيراركى ، أو الإنتشار النقلى Contagious diffusion.

خامسا- المخاطر الصحية التي تتعرض لها المرأة الافريقية في الفترة الانجابية:-

تعتبر مرحلة الانجاب من المراحل العمرية الهامة التي تمر بها المرأة ، وهي مرحلة لها انعكاسات كبيرة علي صحتها خلال تلك الفترة وما بعدها ، لذلك فان توفير الرعاية الصحية للأم خلال هذة المرحلة له اولوية خاصة لضمان الأمومة الآمنه للأم والطفل معا .

تقضى المضاعفات التي تحدث في أثناء هذة المرحلة على حياة إمراة في العالم كل دقيقه ، وتشير تقديرات منظمة الصحة العالمية (WHO) منذ عقد ونصف وحتي الآن إلى أن نصف مليون إمراة تموت سنوياً على الأقل في العالم نتيجة لأسباب ترجع إلى الحمل والوضع (3 : WHO ,1991) ، (. WHO,2000) .

ويتباين التوزيع الجغرافي لحالات وفيات الأمهات على مستوى العالم ، فلا تضم الدول المتقدمة إلا القليل من هذه الحالات بينما تستقطب الدول النامية معظم حالات وفيات الأمهات . والجدول (٧) يوضح هذا الاختلاف والتباين.

جدول (٧)

التوزيع النسبي والجغرافي لوفيات الأمهات في العالم عام ٢٠٠٠ م

الإقليم	عدد حالات الوفاة	النسبة ٪ من إجمالي حالات الوفاة (٪)
جنوب آسيا	٢٥٣,٠٠٠	٪٤٧,٨
إفريقيا	٢٥١,٠٠٠	٪٤٧,٥
أمريكا اللاتينية	٢٢,٠٠٠	٪٤,١
الدول المتقدمة	٢,٥٠٠	٪٠,٥
باقي العالم	٠,٥٠٠	٪ ٠,١
الجملة	٥٢٩,٠٠٠	٪١٠٠

Yvette Cllymore ,Improving Emergncy Care to end Maternal deaths, population Reference Bureau ,2004 .

يتضح من الجدول أن آسيا ساهمت بـ ٤٧,٨ ٪ من إجمالي وفيات الأمهات في العالم سنة ٢٠٠٠ م احتلت إفريقيا المركز الثاني بنصيب يعادل ٤٧,٥ ٪ من إجمالي وفيات الأمهات في العالم ، وبذلك تكون إفريقيا وجنوب آسيا مسئولتان عن ٩٥,٣ ٪ من حالات وفيات الأمهات في العالم سنة ٢٠٠٠ ، وساهمت أمريكا اللاتينية بـ ٤,١٪ من وفيات الأمهات تصبح الدول النامية مسئولية عن معظم حالات وفيات الأمهات العالمية.

وفي المقابل تتضائل بشكل كبير مسئولية الدول المتقدمة عن مثل هذه النوعية من الوفيات ، ويوضح الجدول أن نصيب الدول المتقدمة لا يمثل سوى ٠,٥ ٪ فقط من إجمالي وفيات الأمهات في العالم ، ويرجع هذا التباين بالدرجة الأولي إلى نتائج وفروق الرعاية الصحية بين الدول الصناعية أو الدول المتقدمة (التي تكتمل بها هذه النوعية من الرعاية) وبين دول جنوب آسيا وإفريقيا وغيرها من الدول النامية حيث يتدنى مستوى الرعاية الصحية ويسود أفتقار فرص الوصول إلى مرافق هذه الرعاية ، كما أن عدم الاهتمام بصحة المرأة وسلامتها يتركها إلى رعاية سيئة قبل الوضع وفي الفترة المحيطة به.

تعد وفيات الأمهات من أهم مؤشرات التباين في نتائج الرعاية الصحية بين الدول الصناعية والدول النامية ، فقد أدى الاهتمام بصحة الأم في أوروبا إلى خفض معدل تعرض الأمهات لخطر الموت الناتج عن أسباب تتعلق بالحمل والوضع، حيث تتعرض أمراة واحدة للموت من بين ٢٨٩٣ امراة ، وتنخفض هذه النسبة في دول شمال أوروبا لتصل إلى إمراة تموت من بين كل ٩٨٥٠ .

ونظرا للاحوال الصحية المتردية ، والقصور في الامداد بالخدمات الصحية ، وانتشار مرض عضال مثل الايدز بالقارة الافريقية ، فقد ازداد خطر الموت الذي تتعرض له المرأة الافريقية في المرحلة الانجابية عام ٢٠٠٠ ، ففي القارة الافريقية قدر ان هناك امرأة تموت من بين كل ٢٠ امرأة ، وفي افريقيا جنوب الصحراء تموت واحدة من بين كل ١٦ امرأة نتيجة لأسباب تتعلق بالحمل والوضع ، ويقل الخطر بعض الشيء في شمال القارة ، فمن بين كل ٢١٠ امرأة تموت واحدة ، وفي المقابل لاتتعرض نساء الدول المتقدمة لهذا الخطر حيث تتعرض امرأة واحدة للموت من بين كل ٢٨٠٠ امرأة في الدول المتقدمة ، (WHO, 2000).

ويشير "Paul" إلى أنه في مقابل كل امراة تموت هناك ١٥ إمراة مصابة بالمرض نتيجة الحمل والوضع في إفريقيا جنوب الصحراء (عجز الجسم عن ضبط البول أو الغائط incontinence والعقم infertility وغير ذلك)، كما يحدث إعاقة ما بين ٢ إلى ٣ مليون إمراة إفريقية ناتجه من جراء مضاعفاف عملية الوضع كل عام ، وتنعكس هذه الآثار والإعاقة على نوعية حياة النساء الإفريقيات وعلى أسرهم. (Paul B.K. 1993: 75) كما تشير الدراسات التي تمت في كل من أندونسيا وغانا ومصر سنة ١٩٩٥ إلى التأثير الضار الذي حدث للنساء في هذة المناطق ، حيث وجد مقابل كل حالة وفاة بين الأمهات ما بين ٢٤٠ و ٣٣٠ حالة مرضيه سادت بينهن بعد الولادة .(صندوق الأمم المتحدة للسكان، ١٩٩٥، ٤٧).

وأوضح تقرير منظمة الصحة العالمية "WHO" في الفترة من ١٩٧٧/٧٣ أن

معدل وفيات الأمهات في الدول التي تتوافر بها نظم متقدمة للرعاية الصحية تتراوح بين ٥ إلى ٣٠ لكل ١٠٠,٠٠٠ مولود حي ، ويهبط هذا المعدل على نحو مطرد ، وأضاف بأن معظم الدول النامية يسوء الوضع بها ، حيث يكون من المعتاد تجاوز معدلات وفيات الأمهات ٥٠٠ حالة لكل ١٠٠,٠٠٠ مولود حي ، كما أن بعض المناطق في إفريقيا قد تجاوزت معدلات الوفيات بها ١٠٠٠ لكل ١٠٠,٠٠٠ مولود حي (منظمة الصحة العالمية ، ١٩٨١ : ٢٦٦).

مع أن المرأة تعد موضع تقدير في معظم المجتمعات لدورها الإنجابي ، فإن صحتها الانجابية لم تلق حماية جيدة في الدول النامية بصفة عامة وفي القارة الإفريقية بصفة خاصة ، فقد قدر معدل وفيات الامهات علي مستوي العالم ،٤٠٠ حالة لكل ١٠٠ ألف مولود حي ، عام ٢٠٠٠م ، اما علي مستوي الأقاليم احتلت افريقيا المرتبة الأولي في ارتفاع معدل وفيات الامهات حيث بلغ ٨٣٠ حالة وفاه لكل ١٠٠,٠٠٠ مولود حي ، تليها آسيا في المرتبة الثانية ثم تأتي الاقيانوسية في الترتيب الثالث ، ثم امريكا اللاتينية والكاريبي في المرتبة الرابعة بمعدلات تبلغ ٣٣٠ ، ٢٤٠ ، ١٩٠ ، لكل اقليم علي التوالي ، وتلقي الامهات في الدول المتقدمة الرعاية الصحية في الفترة الانجابية ولذلك ينخفض معدل وفيات الامهات الي ٢٠ حالة وفاة فقط لكل ١٠٠ الف مولود حي ، (: , WHO , 2000) .

والجدول (٨) يوضح البعد الشاسع بين معدل وفيات الأمهات في بعض دول القارة الإفريقية وبين نظيره في بعض الدول المتقدمة:-

جدول (٨)

التوزيع الجغرافي لمعدل وفيات الأمهات في بعض الدول الإفريقية مقارنة ببعض دول العالم عام ٢٠٠٠ (لكل ١٠٠,٠٠٠ مولود حي)

بعض الدول الإفريقية	معدل وفيات الأمهات لكل ١٠٠,٠٠٠ مولود حي	الدولة	معدل وفيات الأمهات لكل ١٠٠,٠٠٠ مولود
١- النيجر	١٦٠٠	٢٦- ناميبيا	٣٠٠
٢- مالي	١٢٠٠	٢٧-اريتريا	٦٣٠
٣- بوركينافاسو	١٠٠٠	٢٨- مدغشقر	٥٥٠
٤-سيراليون	٢٠٠٠	٢٩- الكاميرون	٧٥٠
٥-تشاد	١١٠٠	٣٠- كينيا	١٠٠٠
٦-غنيا	١١٠٠	٣١- زامبيا	٧٥٠
٧- الصومال	١١٠٠	٣٢- المغرب	٢٣٠
٨- موريتانيا	١٠٠٠	٣٣- مصر	٨٤
٩- موزمبيق	١٠٠٠	٣٤- الجابون	٥٢٠
١٠- ملاوى	١٨٠٠	٣٥- زمبابوى	١١٠٠
١١-السودان	٥٩٠	٣٦- ليسوتو	٥٥٠
١٢-ج إفريقيا الوسطي	١١٠٠	٣٧- الجزائر	١٤٠
١٣- السنغال	٦٩٠	٣٨- بوتسوانا	٣٣٠
١٤- اثيوبيا	٨٥٠	٣٩- تونس	١٢٠
١٥- زائير	-	٤٠- ليبيا	٩٧
١٦- رواندا	١٤٠٠	٤١- ج جنوب إفريقيا	٢٣٠
١٧- انجولا	١٧٠٠	٤٢- موريشيوس	٢٤
١٨- نيجيريا	٨٠٠	٤٣- بنين	٨٥٠
١٩- ليبيريا	٧٦٠	٤٤-اريتريا	٦٣٠
٢٠- توجو	٥٧٠	النمسا	٧
٢١- أوغندا	٨٨٠	النرويج	٦
٢٢-غانا	٥٤٠	اليابان	١٠
٢٣-كوت دايفوار	٦٩٠	المملكة المتحدة	١١
٢٤-الكنغو	٥١٠	الولايات المتحدة الامريكية	١٤
٢٥-جيبوتى	٧٣٠	السويد	٥

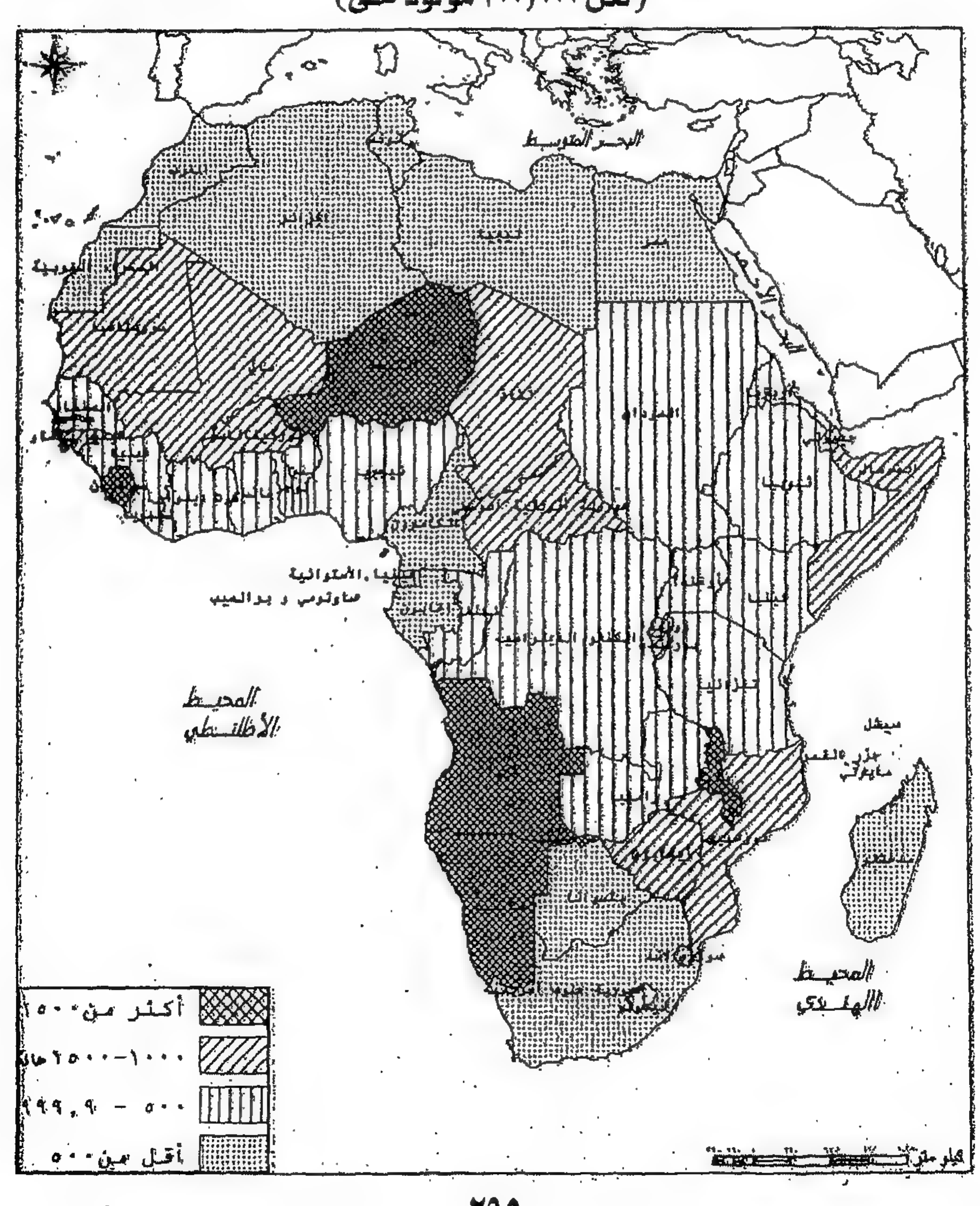
WHO , Millenium Health Indicator , table 7 ,2000 .

ويؤكد الجدول (٨) والشكل (٦) ارتفاع معدل وفيات الأمهات على مستوى القارة الإفريقية ، كما يشير إلى وجود تباين واختلاف كبير على مستوى دول القارة، حيث تتركز المعدلات المرتفعة لمعدل لوفيات الأمهات في معظم دول إفريقيا المدارية، وتنخفض هذه المعدلات بصورة نسبية في معظم دول شمال القارة.

شكل (٦)

التوزيع الجغرافي لوفيات الأمهات في القارة الإفريقية عام ٢٠٠٠م

(لكل ١٠٠,٠٠٠ مولود حى)



ويشير جدول (٨) الي أنه بعد مرورأكثر من عقدين كاملين من الزمان على تقدير منظمة الصحة العالمية المشار إليه ؛ ما زالت هناك الكثير من الدول الإفريقية ترتفع بها معدلات وفيات الأمهات ، فقد تجاوزت ١١ دولة افريقية (من اجمالي ٤٤ دولة موضحة بالجدول) معدلات وفيات ١٠٠٠حالة وفاة لكل ١٠٠,٠٠٠ مولود حي ، وسجلت ١٣دولة معدلات وفيات للأمهات تراوحت بين ٥٠٠ و١٠٠٠ حالة لكل ١٠٠,٠٠٠ مولود حي ، وانخفض المعدل عن ٥٠٠ حالة وفاة في ١١ دولة ، ولم يظهر بين الدول الإفريقية إلاثلاث حالات انخفض بها معدل وفيات الامهات عن ١٠٠ حالة لكل ١٠٠,٠٠٠ مولود حي في كل من موريشيوس (٢٤ حالة) ومصر (٨٤ حالة) و ليبيا (٩٧حاله).

يوضح الجدول أيضا التباين الواضح بين انخفاض معدلات وفيات الأمهات في الدول المتقدمة (يصل إلى ٥ حالات و٦حالات لكل ١٠٠,٠٠٠ مولود حي في كل من السويد والنرويج علي التوالي) في حين يرتفع هذا المعدل في معظم الدول الإفريقية ، وهذا يعكس توافر وتكامل نظم الخدمات والهياكل الصحية في الدول الصناعية والمتقدمة و توفر الرعاية الصحية بها في مقابل تعثر هذه الرعاية في معظم الدول الإفريقية ونقص وقصور هياكلها الصحية ، ولذلك يندر وجود هذا النوع من الوفيات في الدول الأوروبية وأمريكا الشمالية واليابان في حين يرتفع معدل وفيات الأمهات في إفريقيا نتيجة للعديد من الأسباب نذكر منها:-

أسباب ارتفاع معدلات وفيات الأمهات في إفريقيا:

تتعدد وتتداخل الأسباب والعوامل المؤدية إلى ارتفاع معدلات وفيات الأمهات فى القارة الافريقية ، منها تدني الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية للمرأة فى العديد من المجتمعات الافريقية ، يضاف الي ذلك افتقار فرص الوصول الي مرافق الرعاية الصحية ، وتدنى مستوى هذه الرعاية فى معظم الدول الأفريقية .

وترجع زيادة معدلات وفيات الأمهات الافريقيات إلى الأسباب المرضية المباشرة مثل النزيف Hemorrhage والإلتهابات Sepsis وتسمم الدم Toxemia (ارتفاع ضغط الدم المرتبط بالحمل) . وتعسر المخاض Uterine rup-ture ومضاعفات الإجهاض غير المأمونة Complication from induced abortion حيث أدت هذه الأسباب إلى وفاة ما بين ٥٠٪ إلى ٧٠٪ من الأمهات فى بعض الحالات المدروسة ببعض الدول الافريقية (نيجيريا - زامبيا - تنزانيا - اثيوبيا) ، وهى بذلك لاتختلف كثيراً عن الأسباب المرضية المسببة لوفيات الأمهات فى معظم الدول النامية .

وترتفع معدلات وفيات الأمهات فى إفريقيا فى أوساط النساء الفقيرات اللاتى يعانيين من سوء التغذية. وجدير بالذكر أن اللجوء إلى الاجهاض قد يرفع من المخاطر التى تتعرض لها المرأة ، لا سيما إذا تم الإجهاض بطريقة غير مأمونة ، إذ يشكل الاجهاض غير المأمون تهديداً رئيسياً لصحة المرأة ، ويقدر أن النساء تجرى لهن أكثر من ٤٠ مليون عملية اجهاض كل عام وما يتراوح بين ٢٦ مليون و ٣١ مليون عملية منها يجرى بشكل غير قانونى ، بينما يجرى حوالى ٢٠ مليون عملية فى ظل ظروف غير مأمونة ويتسبب فى حدوث ما يقدر بـ ٦٧,٠٠٠ حالة وفاة، ويعانى عدد أكبر من النساء من مضاعفات طويلة الأجل ، مثل الالتهابات والألم والعقم. وفى بعض البلدان تشكل المراهقات ما يصل إلى إلى ٦٠٪ من النساء اللائى يعالجن فى المستشفيات من مضاعفات الاجهاض ، والاجهاض غير المأمون هو سبب مستمر وهام للوفاة والعجز وهو مسئول عن ما لايقل عن ١٠٪ إلى ١٥٪ من وفيات الأمهات فى العالم ، وقد وجد أنه سبب ٢٦٪ من وفيات الأمهات فى أثيوبيا و ٤٧٪ فى البرازيل والوفيات المرتبطة بالإجهاض تحدث جميعها تقريباً فى البلدان النامية (حالة سكان العالم ، ١٩٩٥ : ص ٤٨).

كذلك يلاحظ وجود علاقة لصيقة بين معدل وفيات الأمهات واستخدام التسهيلات الصحية ورعاية ما قبل الولادة ، وعلى سبيل المثال معدلات وفيات النساء اللاتى ذهبن إلى مستشفيات ، واللاتى لم يذهبن كانت على التوالى ٢٨٥ و ٢٧٠٦ حالة وفاة لكل ١٠٠,٠٠٠ مولود حي في وسط غرب نيجيريا عام ١٩٨٠ وكانت ١٦٠و ١٠٩٠حالة وفاة فى أديس أبابا سنة ١٩٨٤ ويمكن تلافى ٨٠٪ من المخاطر التى تواجه الأمهات فى تنزانيا خلال زيارتهن الأولى للرعاية ما قبل الولادة ، وتنخفض وفيات الأمهات حين تتوافر الخدمات الصحية والبشرية من أطباء وممرضات والخدمات غير البشرية من مستشفيات ومؤسسات صحية معقولة ، ومن شأن خفض وفيات الأمومة فى الدول الإفريقية ، التحكم فى ما يعرف بالموت المبكر Premature Deth .

وتشير تقديرات التسعينات ، إلى أن ٦٠٪ من النساء لم يتلقين رعاية طبية أثناء الحمل أو وقت الوضع علي مستوي العالم ، وهى نسبة مخيفة لكنها أقل مما كان مقدراً من قبل حيث كانت تصل إلى ٧٠ - ٨٠ ٪ فى أواخر السبعينات ، ويرجع هذا الانخفاض إلى إتاحة قدر أكبر من التدريب للقابلات المحليات بما يسمح بإلمامهن بمبادئ الطب الوقائى والصحة العامة، والتغذية ورعاية الأم والطفل ، وتنظيم الأسرة ، مما يمنع الحمل المتكرر وخطره على صحة الأم والطفل بالإضافة إلى تعلم فن التوليد الطبيعى، والتعرف على الأمهات المعرضات للخطر فى الوقت الملائم لوضعهن تحت الاشراف الطبى ، لكن على الرغم من المنطق النظرى السليم لهذا الاتجاه فإنه فى كثير من الدول النامية لم تصل خدمات هذا البرنامج إلى أكثر من ٢٠٪ من المجموعة المستهدفة (فيليب عطية - ١٩٩٢ : ١٨).

وقـدرت مـنظمـة الصحـة العـالميـة فـي أواخـر التسـعينـات أن ٦٥ ٪ مـن النسـاء فـي الـدول النـاميـة يتلقـين رعـايـة طبيـة اثنـاء الحـمل ، و٣٥٪ يلـدن تحـت اشـراف اشـخـاص مـدربين ، و٣٠٪ فـقط هن اللاتي تحظين بزيارة واحدة ، او تحصلن علي قدر ضئيل من الرعاية الصحية بعد الولادة ، وفي المقابل تحظى ٩٧٪ من نساء الدول المتقدمة برعاية ما قبل الولادة ، و٩٩٪ من حالات الوضع تتم علي يد اشخاص مدربين ، ٩٠٪ يحصلن علي الرعاية الصحية بعد الوضع ، وجدير بالذكر ان الرعاية الصحية في فترة ما بعد الوضع شديدة الأهمية وضرورية حيث تحدث كثير من المضاعفات في هذة الفترة ، فقد قدر أن ٧٠٪ من وفيـات الأمهـات تحدث في الاسبوع الأول من هذة الفـترة ، وتعـاني النسـاء الفقيرات في كل من افريقيا جنوب الصحراء وفي آسيا من عدم الحصول علي هذة الرعاية (WHO,1998 .) .

وتقدر نسب الحصول علي الرعاية الطبية السابقة للولادة في شمال افريقيا ٤٩٪ و٣١٪ كنسبة للولادة بالمستشفيات و٥٣٪ للولادة تحت اشراف مدرب ،أما في افريقيا جنوب الصحراء فهناك ٦١٪ للرعاية السابقة للولادة و٥٢٪ نسب الولادة في المستشفيات و٤٠٪ الولادة بحضور مشرف مدرب ، وقد ازدادت حالات الولادة بحضور مشرف مدرب في العقد الماضي ، علي أن الحالة ساءت في المناطق الريفية والتي بها نقص في هيكل الخدمات الصحية خاصة في شرق وغرب القارة ، (الأمم المتحدة ، ١٩٩٥ : ٧٧) .

والجدول التالى يوضح مدي التباين والاختلاف بين دول القارة في توزيع نسب الحالات التي تلقى رعاية طبية في فترة الحمل وما قبل الولادة ، ونسب النساء اللاتي يستخدمن التسهيلات الصحية اثناء عملية الوضع ، ونسب من يلدن تحت اشراف اشخاص مدربين :-

جـدول (٩)

التوزيع النسبي لحالات الوضع تحت اشراف اشخاص مدربين والنساءالافريقيات اللاتي يتلقين رعاية صحية وتسهيلات وخدمات صحية في بعض الدول الافريقية في عام ٢٠٠٠م

الدولة	حالات رعاية ماقبل الوضع ٪	حالات استخدام التسهيلات الصحية٪	حالات الوضع تحت اشراف اشخاص مدربين ٪	الدولة	حالات رعاية ماقبل الوضع ٪	حالات استخدام التسهيلات الصحية٪	حالات الوضع تحت اشراف اشخاص مدربين٪
بوروندي	٨٨	٢٠	٢٤	ليبيا	١٠٠	-	٩٤
جيبوتي	٧٦	٦٥	٧٩	المغرب	٤٥	٣٧	٤٠
اريتريا	١٩	٥	٦	تونس	٧١	٨٦	٩٠
كينيا	٩٥	٤٤	٤٥	الجزائر	٥٨	٧٦	٩٢
ملاوي	٩٠	٥٥	٥٥	السودان	٥٤	١٨	٨٦
موزمبيق	٥٤	٢٧	٣٠	النيجر	٣٠	١٦	١٥
رواندا	٩٤	٢٥	٢٦	بوركينافاسو	٥٩	٤٣	٤٣
الصومال	٤٠	٢	٣٤	نيجيريا	٦٠	٤٧	٤٧
انجولا	٢٥	١٦	١٧	توجو	٤٣	٨	٣٢
تشاد	٣٠	١٥	١٥	جنوب افريقيا	٨٩	٨٩	٨٢
مصر	٥٣	٢٧	٦١	ليسوتو	٩١	٥٠	٥٠

* بيانات الدول العربية من جامعة الدول العربية . المشروع العربي لصحة الأسرة، القاهرة ١٤-١٦ ديسمبر ٢٠٠٢ ص ٥٢ .

WHO , Maternal and Newborn health ,Department of Reproductive health and Research , 2000 .

من استقراء الجدول (٩) يتضح ما يلي :-

- تعاني معظم الدول الافريقية من نقص في الرعاية الصحية للنساء في فترة الحمل ، وهي ليست أحسن حالا من باقي الدول النامية ؛ حيث تنخفض نسب حالات الرعاية الصحية في فترة الحمل الي أقل من ٦٥٪ في معظم الدول

المثلة بالجدول ، ففي دول الشمال الافريقي والتي تنخفض بها معدلات وفيات الأمهات بصفة عامة ، لا تزيد نسب حالات الرعاية الصحية عن ٦٥٪ الافي كل من ليبيا وتونس حيث تبلغ ١٠٠٪ و٧١٪ في كل منهما علي التوالي ، وجدير بالملاحظة أن ارتفاع نسب حالات الرعاية الصحية في بعض الدول في إفريقيا جنوب الصحراء ،) مثل ارتفاعها في كينيا وفي ملاوي وفي رواندا لتصل الي ٩٥٪ ٩٠٪ و٩٤٪ لكل دولةعلي التوالي) يعد ارتفاعا مضللا الي حد بعيد حيث لاتعبرهذه النسبة الا علي زيارة واحدة من السيدة الي مراكز الرعاية الصحية في فترة الحمل ، وليست رعاية طوال هذه الفترة . ومع ذلك نجد ان بالقارة بعض الدول تنخفض بها نسب حالات الرعاية الصحية في فترة الحمل لتصل الي ١٩٪ فقط في اريتريا و٢٥٪ في انجولا و٣٠٪في كل من تشاد والنيجر .

- ويوضح الجدول ايضا تدني نسب حالات الولادة تحت اشراف طبي اوتحت اشراف أفراد مدربين ، ويلاحظ التباين الجغرافي بين دول القارة في هذا المجال ، حيث ترتفع نسب الولادات تحت اشراف مدرب وفي مؤسسات الخدمات والتسهيلات الطبية في دول الشمال الافريقي عما هو عليه الحال في بعض دول افريقيا جنوب الصحراء ، ففي ليبيا والجزائر وتونس ومصر تمثل نسب الولادات تحت اشراف أفراد مدربين ٩٤٪ ، ٩٢٪ ، ٩٠٪ و٦١٪ لكل دولة علي التوالي ، وفي المقابل يظهرمدي تدني نسب الاستعانة بالأشخاص المدربين في حالات الولادة في افريقيا جنوب الصحراء حيث انخفضت هذة النسبة الي ٦٪ في اريتريا و٨٪ في اثيوبيا و١٥٪ في تشاد و١٧٪ في انجولا ، وقد ترتفع النسبة كما هو الحال في دولة جنوب افريقيا (٨٢٪ حالة ولادة تحت اشراف مدرب) .

- كما يوضح الجدول تدني نسب استخدام التسهيلات الصحية ، في جل الدول الموضحة بالجدول حيث تنخفض نسب استخدام هذه التسهيلات في عملية

الولادة في الصومال لتصل الي ٢٪ فقط وتصل الي ٨٪ في توجو ١٥٪ في تشاد و١٨٪ في السودان .

ولعل حرمان المرأة الافريقية من الحصول علي تسهيلات الرعية الصحية خاصة في الفترة الانجابية يرجع الي عدة اسباب منها :-

- تدني مستوي الرعاية الصحية وافتقار فرص الوصول الي مرافق هذه الرعاية ،حيث تتفاوت المسافات التي يتعين علي المرأة ان تقطعها الي أقرب مركز صحي يقدم التسهيلات والخدمات الصحية تفاوتا كبيرا ، ففي ١٢ دولة جرت فيها عمليات مسح ديموجرافي وصحي ، كان متوسط المسافة تتراوح بين كيلومتر واحد في مصر و١٩ كيلومتر في اوغندا ، وفي معظم الدول كانت تبلغ متوسط المسافة التي يجب أن تقطعها المرأة للوصول الي الخدمة ما بين ٣-٤ كيلومتر ، (حالة سكان العالم ، ١٩٩٥ : ٥٦) كما قدرت منظمة الصحة العالمية ان ٨٠٪ من النساء الريفيات في افريقيا يعشن في اماكن تبعد أكثر من خمسة كيلومترات عن مراكز الرعاية الصحية ، يضاف الي ذلك ندرة وسائل المواصلات وقلة الطرق المعبدة ، وحالتها المتدهورة التي يمكن ان تعرقل وصول السيدة الي التسهيلات والخدمات الصحية ، في الوقت المناسب وفي كثير من الأحيان يكون المشي هو وسيلة الانتقال الأولي، (WHO, 7April 1998) .

وقد اوضح المسح الجيبوتي لصحة الاسرة الذي تم في الفترة من فبراير ٢٠٠٢ حتي نوفمبر ٢٠٠٣ أن ٤١,٨ ٪ من الحالات المدروسة يرجع عدم حصولها علي الخدمات الطبية الي بعد المسافة عن هذه التسهيلات ، وان ٤٥,١ ٪ يرجع الي ندرة او قلة وجود المواصلات و الباقي راجع الي نقص الأموال لسداد مقابل هذه النوعية من الخدمات.(جامعة الدول العربية ، فبراير ٢٠٠٤ : ٥٣) .

- وربما يكون احد أسباب حرمان المرأة الإفريقية من الحصول علي الرعاية الصحية بعض الممارسات التقليدية السائدة في الريف الافريقي ، ويعزي ذلك الي

ان عملية الولادة في كثير من البلاد النامية تعد من شئون المرأة ، وينظر اليها علي انها حدث طبيعي ، ولذلك لاتحصل المرأة علي الخدمات الطبية ولا يتوفر لها الانتقال اليها الا بعد فشل محاولات استخدام الأعشاب أو المعالجة بالطب التقليدي الذي غالبا ما يتم علي يد العراف أو المداوي التقليدي ، كذلك تلعب العادات الاجتماعية دورا في عدم وصول المرأة الي الرعاية الصحية في الوقت المناسب ، كما هو الحال في كل من الكنغو الديموقرطية ونيجيريا ، ففي معظم الأحيان يتعذر طلب المساعدة الطبية وقت الولادة في حاله غياب الزوج عن المنزل في هذا الوقت ، . (WHO , 7April 1998) وبالنسبة للمرأة في قبيلة باريبا في دولة بنين ، يمثل الانجاب اختبارا للإرادة فتحمل المخاض في وحدة وصمت يعد طريقا مؤكدا لنيل الاحترام الاجتماعي ، وطلب العون يعتبر دليلا علي الضعف وعملا مخزيا ، ونتيجة لذلك تموت نساء كثيرات وتتعرض اخريات لمضاعفات تحدث اثناء الوضع وكان يسهل انقاذهن من هذا المصير في غياب هذة التقاليد ، وفي أجزاء من غانا يعتبر المخاض المتعسر المطول دليلا علي الخيانة الزوجية ، وهذا الاعتقاد يؤدي الي تأخير التماس الرعاية العاجلة ، (صندوق الأمم المتحدة للسكان ، ١٩٩٥ : ٤٥) .

- وكثيرا ماتكون محدودية المعرفة والجهل من الامور التي تؤدي الي زيادة سوء وضع المرأة الصحي ، فقد اجريت في السنغال دراسة استقصائية عام ١٩٨٩ ولوحظ من خلال الدراسة ان المرأة تفتقر الي المعلومات الأساسية عن علامات وأعراض مضاعفات المخاض ، ووجد أن ٢٥٪ من النساء اللاتي شملتهن الدراسة لايستطعن تسمية مضاعف واحد من تلك المضاعفات التي قد تواكب عملية الوضع ، وكان بعضهن يعتقد أن الحمي والدوار والشحوب هي علامات للحمل العادي ،)صندوق الأمم المتحدة للسكان ، ١٩٩٥ : ٤٧) .

استراتيجية رعاية الأمومة في المرحلة الانجابية :-

شهدت سبعينات القرن العشرين الاهتماما بصحة الأم والطفل ، وأصبح هناك ادراك بأن نقل نمط النظام العلاجي الغربي الخاص بالرعاية الصحية فشل في تحقيق احتياجات معظم سكان الدول النامية ، وكان هذا مدخل الاهتمام بالرعاية الصحية الأولية The Primary Health Care، واعلنت منظمة الصحة العالمية WHO ومنظمة UNICEF عام ١٩٧٨ أن رعاية الأمومة والطفولة من ضروريات الرعاية الصحية الأولية ، وكان الهدف الأساسي دمج رعاية الأمومة والطفولة في الرعاية الصحية الأولية علي المستويات المحلية ، ومن ثم فان الرعاية الصحية الأولية وتاكيدها علي العدل للجميع في الرعاية ، ووصول الرعاية الي كل من النساء والأطفال كانت تمثل النموذج لنمو وتطور الرعاية الصحية في الثمانينات والتسعينات ، وتجلت أهمية هذا الأتجاه في أن نصف المستفيدين منه هم من النساء والأطفال .

وقد كانت دعوة منظمة الصحة العالمية لرعاية وحماية الأمومة Safe Motherhood عام ١٩٨٧ م من البرامج التي تهدف الي خفض وفيات الأمهات الي النصف علي الأقل حتي نهاية القرن العشرين ، وقد أعطي هذا البرنامج الأولوية لتحسين تغذية الأمهات وتحسين صحة النساء بصفة عامه أكثر من الاهتمام بالاعتبارات الأخري ، (Penny P. ,1994 :138-156) .

ان العامل الرئيسي للوقاية من الاعتلال ، وخفض معدلات وفيات النساء خاصة بالمناطق الريفية هو امكانية الحصول علي خدمات صحية ملائمة ، وهذا لا يتوقف علي النظام الصحي وحده ، فالعامل الاجتماعي والاقتصادي والثقافي والسياسي، لاسيما مركز المرأة وحريتها في أن تتخذ القرارات المتعلقة بها ؛ تؤثر تأثيرا شديدا في امكانية الحصول علي الرعاية الصحية وفي المجتمعات التي تكون فيها المرأة فقيرة وأمية (كما هو الحال في المجتمعات الافريقية) يكون

لا حول لها ولا قوة ، ولذلك تظهر معدلات الاعتلال ومعدلات وفيات الأمهات بها مرتفعة ، (حالة سكان العالم ،١٩٩٥ :١٢) .

أن استراتيجية رعاية الأمومة في الدول الافريقية يجب أن تقوم علي التعاون بين المؤسسات الحكومية ، والجمعيات الأهلية (NGOs) ، كما يجب أن تعي هذة المؤسسات أن الاهتمام بصحة المرأة لاتقل أهمية عن الاهتمام بالصحة العامة ، ولرفع كفاءة نظام الرعاية الصحية الأولية (الذي يقدم الخدمة العلاجية والوقائية) يمكن أن يضم اليه القابلات والمداويين أو الممارسيين التقليديين ، حيث يحظي كل منهم بتأييد المجتمع ويتمتع بمكانة اجتماعية هامه وفهم واسع وعميق لشئون القرية وشئون المجتمع المحلي ، بالاضافة الي قربه من الناس واستطاعته ان يكفل استمرار الرعاية ، كما يقدم بعض خدمات الرعاية في مناطق بعيدة لايتوفر فيها أي نوع من الخدمات الصحية الحكومية ، (نجمويت كيخيلا وآخرون ١٩٨٢ : ٨) وتلعب القابلة دورا مؤثرا في المجتمع الافريقي ، خاصة في المناطق الريفية فهي الشخص الوحيد الذي يمكنه نقل المعلومات وتقديم الارشادات والمساعدات للنساء في الريف الافريقي ، ولذلك فاستخدامهن في الارشاد المحلي يكون اكثر فاعلية في امداد النساء بالمعلومات والمعرفة الخاصة بالفترة الانجابية ، ولدعم الدور الذي يمكن أن يقمن به بعد تدرينهن التدريب الكافي علي اسس الرعاية الصحية ، كمبادئ تجنب التلوث والنفاس ومباشرة الولادة ، وتزويدهن بمعلومات حول تنظيم الاسرة وتغذية الأم والطفل ، فهن أفضل من يؤدي هذا الدور علي الرغم من أميتهن (محمد نور الدين السبعاوي ١٩٨٦ : ١٢٩) ، وقد قامت بعض الدول منها موزامبيق بتدريب القابلات والمرضات علي القيام ببعض العمليات الطبية (الفنية) ومنها كيفية استخراج المشيمة المحتجزة ، وعملية المساعدة علي التنفس ، ووصل تدريب بعض المرضات الي كيفية قيامهن بالعمليات القيصرية Caesarean deliveries وكان ذلك بهدف

التغلب علي صعوبة و طول مسافة الوصول للخدمة الطبية وندرة وسائل المواصلات في العديد من الأماكن البعيدة .(WHO, 1998)

ويؤكد السياق سابق الذكر على ضرورة المزاوجة بين الطب الحديث والطب الشعبى Ethnomedicine . وجدير بالذكرأن بعض الدول الافريقية قد ساهمت فيها الجهود الذاتية المحلية علي تقديم العون للنساء الحوامل ، خاصة في الحالات الحرجة ، ففي سيراليون وغانا قام رؤساء بعض القبائل والجماعات بالتعاون مع اتحاد عمال النقل في بعض المناطق المحلية بوضع وتنظيم وتنفيذ جدول لتخصيص بعض السيارات لنقل الحالات الحرجة الي مراكز الرعاية الصحية ، وهذا التعاون قام لمواجهة النقص في وجود سيارات مخصصة لنقل واسعاف الحالات الحرجة (WHO , 1998) .

وجدير بالملاحظة ان العديد من الدول الافريقية قد اهتمت بادخال الفترة السابقة للولادة في مجموعة عمليات الرعاية الصحية الاولية في العقدين الاخيرين ، وهذة الاستراتيجية تتيح فرصة لمعالجة الأمراض التي يزيدالحمل من حدتها وتقديم الخدمات الوقائية لتحسين صحة الأم والطفل . ومن أهم الخدمات التي تقدم التحصين ضد التيتانوس ، والمبادرة بالرعاية الطارئة في مجال التوليد ، وتوفير المضادات الحيوية وتسهيلات نقل الدم ، كل ذلك سيكون له أثركبير في خفض معدلات وفيات الأمهات او الحد من الأضرار التي يمكن حدوثها اثناء الولادة ، ولذلك ينبغي قياس مؤشرات تغطية توافر هذة التسهيلات وسهولة الاستفاد منها ، (المرأة في العالم ١٩٩٥ :٧٥) .

سادسا-الأضرار الصحية الناجمة عن تلوث الهواء نتيجة للاعتماد علي مصادر الوقود التقليدي في الريف الأفريقي :-

تتعرض المرأة الافريقية من خلال الأدوار الاجتماعية والاقتصادية الذي تقوم بها للعديد من الأخطار البيئية ، فالمرأة هي المسؤلة عن الأعمال المنزلية من جلب

المياه ، وغسل ملابس الأسرة ، واعداد الطعام وغيرها من الأنشطة التي يمكن أن تكون خطيرة حيثما كان الصرف الصحي سيئا ، وتسهيلات الغسل قاصرة ، وامدادات المياة ملوثة ، كما يقع علي عاتق المرأة رعاية الأطفال والمسنين المرضي ، مما يعرضها لخطر العدوي بكثير من الجراثيم والفيروسات المسببة للعديد من الأمراض ، ففي الريف تتعرض لمخاطر صحية عديدة ، حيث تتحمل المرأة المسؤولية في الاسر الفقيرة من جمع روث الماشية وحطب الوقود لتلبية احتياجات الاسرة من الطاقة ، وقد يعني هذا قضاء ساعات طويلة سيرا علي الأقدام للحصول علي الوقود ، يضاف الي ذلك الأخطار الصحية التي تتعرض لها المرأة الريفية من خلال العمل في الحقول الزراعية ، حيث تتعرض للمواد السامة من الأسمدة والمبيدات الحشرية ، وفي الحضر تتعرض المرأة للأخطار الصحية الناتجةعن استخدام المواد الكيميائية السامة ،والمواد اللاصقة والمواد القابلة للاشتعال خلال عملها في الصناعات الصغيرة المتاحة لها.

ومما لاشك فيه أن المرأة في إفريقيا جنوب الصحراء ؛ والتي تنتمي الي الذين يقفون عند قاع سلم الطاقة حيث استخدام الوقود التقليدي ، يتحتم عليها حرق روث الماشية ، والأخشاب ومخلفات المحاصيل داخل منزلها لأغراض الطهي والتدفئة ،وهذا يؤدي الي تلوث الهواء الداخلي ، فحرق الوقود التقليدي يملأ المنازل بالدخان حاملا مئات المواد السامة ، خاصة في المناطق الريفية ،) تقرير التنمية البشرية لعام ١٩٩٨ : ٥٢-٥٣) .

يتسبب تلوث الهواء الناتج من الانبعاثات الصناعية وعوادم السيارات ، وحرق الوقود أو التقليدي في المنازل في وفاه اكثر من ٢,٧ مليون نسمة كل عام نتيجة لالحاق الضرر بالجهاز التنفسي ، وأمراض القلب والرئة، والسرطان ، والخسائر تكون أفدح في المناطق التي يتغاضي فيها عن مشاكل تلوث الهواء دون غيرها .

علي الرغم من أن تلوث الهواء يعتبر عادة مشكلة خاصة بالبلاد الصناعية في الأغلب ، فان نسبة كبيرة من الوفيات تحدث في العالم النامي بسبب تلوث الهواء ، وعادة ينظر الي التلوث علي أنة يحدث للهواء الخارجي ، إلا أن أكثر من ٨٠٪ من الخسائر تحدث من التلوث الداخلي ، وتحدث أكثر من ثلثي الوفيات في المناطق الريفية ، وجديربالذكر أن استخدام الوقود التقليدي قد تدني بشكل كبير في العقدين الماضيين الا أن الاعتماد علية مازال قائما بالقارة الأفريقية (تقرير التنمية البشرية لعام ١٩٩٨ : ٦٩) .

وقد أظهرت تقديرات التسعينات ارتفاع نسب استخدام خشب الوقود للطاقة المنزلية في العديد من الدول الأفريقية لتصل إلى ٩٤٪ في زائير ، وتصل إلي أكثر من ٨٠٪ في كل من أثيوبيا وأنجولا وأوغندا وبوركينافاسو وملاوي وغانا وغيرها من الدول في افريقيا جنوب الصحراء ، ولا يقل استخدام الوقود الخشبي الإ في بعض الدول في شمال إفريقيا ، حيث تصل نسبة استخدام خشب الوقود للطاقة المنزلية إلي ٣٧٪ في تونس و٢٩٪ في الجزائر ، ويوضح شكل (٧) التوزيع النسبي للطاقة المنزلية في بعض دول القارة الافريقية عام ١٩٩٠ (المرأة في العالم ١٩٩٥ : ٥٣) .

كذلك تشير تقديرات استخدام الوقود التقليدي من المواد الصلبة عام ٢٠٠٠م الي استمرار الاعتماد عليه كمصدر رئيسي للطاقة بنسب مرتفعة في معظم الدول الافريقية جنوب الصحراء ، فترتفع نسب المستخدمين لهذا النوع من الوقود الي أكثر من ٩٠٪ من سكان كل من مدغشقر والنيجر وروانـدا وسيراليون وتوجو وتشاد والعديد من الدول الافريقية جنوب الصحراء ،ولا تقل نسب مستخدمي الوقود التقليدي من المواد الصلبة الا في بعض الدول في شمال افريقيا ،ففي تونس تصل النسبة الي ٢٩٪ ، وفي مصر تصل ٢٣٪ وفي ليبيا تنخض نسب السكان المستخدمين للوقود التقليدي

شكل (٧)

النسبة المئوية للطاقة المنزلية من خشب الوقود فى بعض الدول الإفريقية ١٩٩٠م

%

0 - 10 - 20 - 30 - 40 - 50 - 60 - 70 - 80 - 90 - 100

تونس - الجزائر - المغرب - ليبيريا - انجولا - أوغندا - بنين - بوتسوانا - بوركينا فاسو - بوروندي - تشاد - توجو - تنزانيا - رواندا - زائير - زامبيا - السنغال - السودان - الصومال - غانا - غينيا - الكاميرون - كوت ديفوار - كينيا - مالي - مدغشقر - ملاوي - موريتانيا - موريشيوس - موزامبيق - النيجر - نيجيريا

الدولة

الي ٥ ٪ فقط ،. (WHO 2004 : T7)

وينتج عن استخدام الوقود التقليدي تلوثا أشد من التلوث الذي تحدثه البدائل الحديثة مثل الكيروسين والبروبين والغاز الحيوي والكهرباء (تقرير التنمية البشرية ١٩٩٨ : ٦٩) حيث يؤدي حرق الوقود التقليدي إلي ملأ المنازل بالدخان الذي يحمل مئات المواد السامة ، ويؤدي تركيز جزيئات الملوثات في الهواء الداخلي للمنازل إلى العديد من الأضرار الصحية التي تكون المرأة الإفريقية بحكم دورها التقليدي هي الضحية الأولي له حين تتعرض لاستنشاق دخان مواد الكتل الخشبية الذي يؤدي الي الإصابة بأمراض الجهاز التنفسي المزمنة .

وتشير خمسة عشر دراسة اجريت في ست من الدول منخفضة الدخل في إفريقيا وآسيا في الفترة من ١٩٧٢ الي ١٩٨٨م إلي الأخطار البالغة التي تتعرض لها صحة كثير من النساء اللاتي يطهين الطعام داخل المنازل بالدول النامية (المرأة في العالم ١٩٩٥: ٤٩) ، وكان من نتائج هذة الدراسات مايلي :-

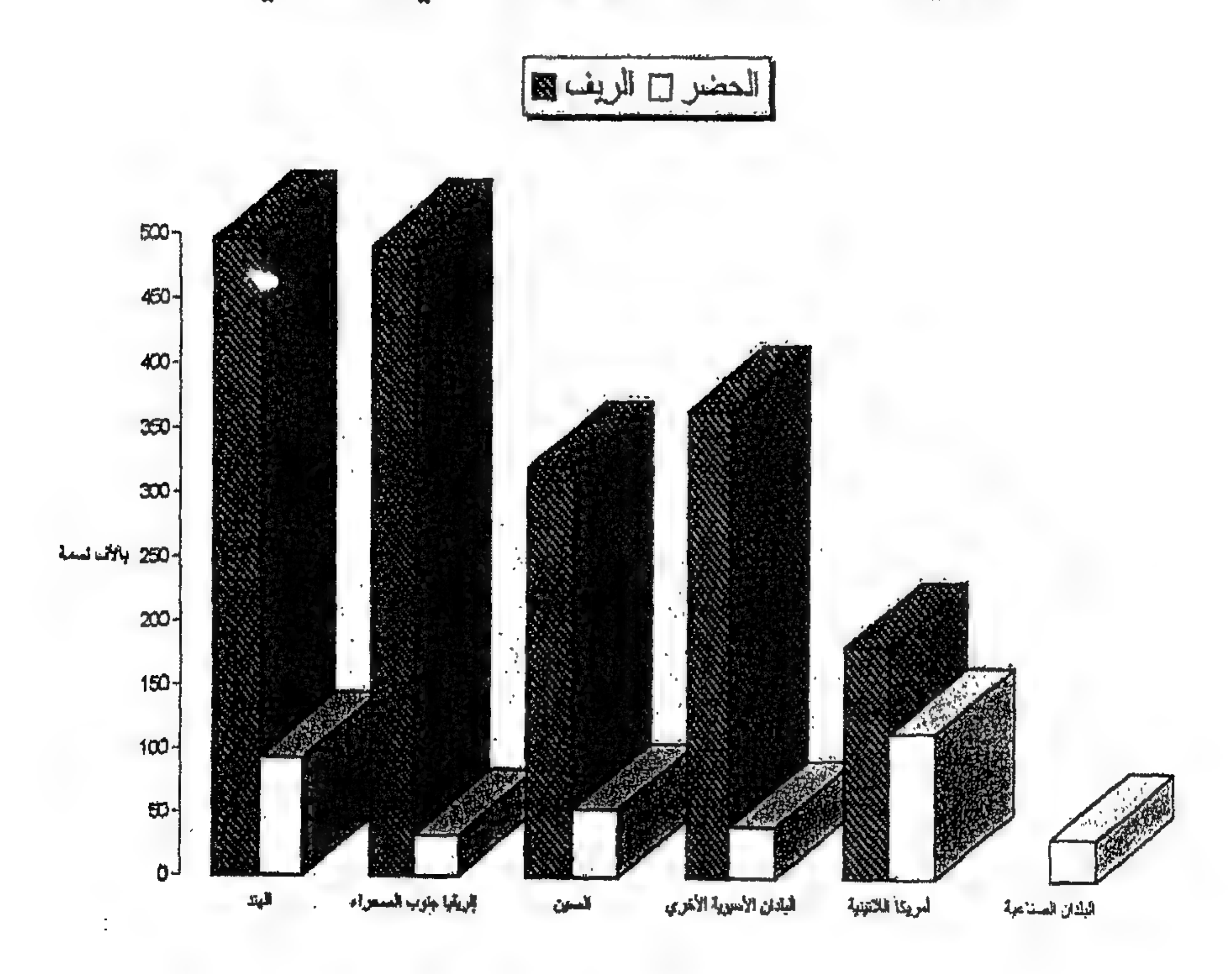
وجد في كينيا عام ١٩٧٢ أن مستوي تركيز الجزيئات الملوثة للهواء في مناطق الأراضي المرتفعة بلغ ما بين ٢٧٠٠ -٧٩٠٠ ميكروجرام في المتر٣ داخل المطبخ الكيني، وهذا الرقم يدل علي أن مستوي تركيز الملوثات في المتر٣ عالية جدا ، حيث ان المستوي المصرح به من قبل منظمة الصحة العالمية يصل الي ٢٣٠ ميكروجرام في المتر٣ كحد اقصي لمدة ٧ أيام في العام فقط ، كما تراوح مستوي التركيز عام ١٩٧٢ بين ١٠٠٠ -٢٥٠٠ ميكروجرام في المتر٣ في منازل غامبيا التي تستخدم الوقود التقليدي ، ثم اظهرت الدراسة التي تمت في عام ١٩٨٨ أن مستوي التركيزالعالي في منطقة المطبخ في منازل كينيا أيضا (لمدة ٢٤ ساعة) تراوح بين ١٢٠٠- ١٩٠٠ ميكروجرام من الملوثات ، وهذة الملوثات عالية

التركيز تتعرض لها المرأة نتيجة احتراق وقود الكتل الخشبية في منطقة المطبخ (المرأة في العالم ١٩٩٥ : ٤٩) ونتيجة لذلك تنتشر أمراض التهاب الجهاز التنفسي الحاد والتهاب الشعب الهوائية في المناطق الريفية في افريقيا .

وينتج عن تلوث الهواء العديد من حالات الوفيات علي مستوي العالم ، يوضحها الجدول (١٠) والشكل (٨) كما يلي :-

شكل (٨)

الوفيات الناجمة عن تلوث الهواء الداخلي و الخارجي



جدول (١٠)

التوزيع الجغرافي للوفيات الناجمة عن تلوث الهواء الداخلي و الخارجي في ريف ومدن بعض الأقاليم بالعالم ١٩٩٦ - (بالألف)

المنطقة	الوفيات الناجمة عن التلوث الداخلي		الوفيات الناجمة عن التلوث الخارجي في المناطق الحضرية	المجموع
	الريف	الحضر		
الهند	٤٩٦	٩٣	٨٤	٦٧٣
افريقيا جنوب الصحراء	٤٩٠	٣٢	-	٥٢٢
الصين	٣٢٠	٥٣	٧٠	٤٤٣
البلاد الآسيوية	٣٦٣	٤٠	٤٠	٤٤٣
امريكا اللاتينية ومنطقة الكاريبي	١٨٠	١١٣	١١٣	٤٠٦
البلاد الصناعية	-	٣٢	١٤٧	١٧٩
الدول العربية	-	-	٥٧	٥٧
المجموع	١٨٤٩	٣٦٣	٥١١	٢٧٢٣

برنامج الأمم المتحدة الانمائي ، تقرير التنمية البشرية لعام ١٩٩٨ ، نيويورك ، ١٩٩٨ ، ص ٧٠ .

ومن الشكل والجدول يتضح ما يلي :.

١ - تحتل الوفيات الناجمة عن التلوث الداخلي للهواء المرتبة الأولي من إجمالي الوفيات الناتجة عن تلوث الهواء (٢,٢ مليون حالة) ، من جملة ٢,٧ مليون حالة وفاة ناجمة عن تلوث الهواء.

٢ - تمثل الوفيات الناجمة عن تلوث الهواء الداخلي بالريف الأفريقي ما يعادل ٢٦,٥٪ من أجمالي وفيات الناجمة عن التلوث الداخلي في ريف الدول النامية في العالم عام ١٩٩٦ (٤٩٠ألف حالة من أجمالي ١٨٤٩الف حالة).

٣ - يضم الحضر في إفريقيا ٣٢ ألف حالة وفاه من أجمالي ٥٢٢ ألف حالة وفاه ناتجة عن التلوث الداخلي أي ما يعادل١ , ٦٪ من أجمالي حالات الوفيات.

٤ - يعد التلوث الداخلي للهواء من المشاكل الصحية في الريف الأفريقي والتي تكون المرأة بحكم دورها التقليدي في المناطق الريفية هي الضحية .

٥ - تحتل الوفيات الناتجة عن تلوث الهواء الداخلي ، المرتبة الأولي في ريف الهند ، ثم تليها في المرتبة الوفيات في المناطق الريفية في دول افريقيا جنوب الصحراء ، وهذا يلقي الضوء علي التأثير المدمر لتلوث الهواء داخل المنازل في هذه المناطق حيث يعيش معظم الفقراء .

خاتمة

إن تقديم الرعاية الصحية للمرأة لا يعنى مجرد إتاحة الخدمات الصحية لها، بل يعنى إزالة العقبات القائمة فى سبيل صحتها ، فالقضاء على سوء التغذية والجهل والمرض و التعرض للايذاء البدني و التلوث البيئى يعادل ما تعنيه حل المشكلات الطبية والصحية البحتة ويماثل توفير الخدمات الطبية وتوفير العقاقير واللقاحات فى مراحل حياتها المتعددة و المختلفة و خاصة فى المرحلة الإنجابية ، إن تحسين الأوضاع الصحية للمرأة لا توجد فى معزل عن عديد من المؤثرات ، فهي تتأثر بمجموعة من العوامل البيئية والاجتماعية والاقتصادية المترابطة ، والمتكاملة ، وقد يكون العمل الذي يجرى خارج القطاع الصحي له تأثيرات صحية اكبر بكثير من تلك التي تحدث من عمل مباشر و داخل هذا القطاع ، أن أي إستراتيجية لرعاية صحة المرأة الإفريقية يجب أن تكون منسجمة مع خلفية هذة المرأة الحضارية والثقافية ، فقد أثبتت تجارب سابقة فشل العديد من و الإستراتيجيات الصحية المستوردة و ذلك لافتقادها للبعد الحضاري والاجتماعي الذي ينسجم مع ثقافة المرأة الإفريقية . و هذا لا يؤدى بنا إلى الامتناع عن طلب المساعدات والاستفادة من الخبرات و الجهود العالمية ، و لعل الاستفادة من البرنامج العالمي الذي تقدمه منظمة الصحة العالمية بالاشتراك مع العديد من المنظمات والهيئات الدولية لمقاومة الايدز ، عن طريق تقديم العلاج الي ٣مليون مصاب بالمرض قبل نهاية عام ٢٠٠٥ يفيد في وقف تقدم مرض عضال مثل وباء الإيدز ويقلل من حدة انتشاره و شيوعه بنسب عالية بين نساء القارة ، (حيث تعدت نسب انتشاره بين النساء نسب انتشاره بين الرجال) ، وهذا يعني انه يكسب كل يوم عددا متزايدا من النساء والأطفال بالقارة ،ويهدد معظم الفئات الديموجرافية بالمراضة والوفاة ،وهذا يعني أن المكاسب التي جنتها افريقيا في العقدين الأخيرين قد ازيحت وفقدت بزيادة الوفيات بين الأمهات والأطفال و عادت الي مستوياتها في السبعينات (فاتن محمد البنا، ٢٠٠٢ / ٢٠٠٣ : ٥٤١) .

فى ظل هذه الصورة القاتمة يحتاج الأمر الي تضافر الجهود العالمية و الإقليمية و المحلية للوقوف أمام انتشار طاعون العصر بين نساء القارة ,كما يجب أن تتبع

إستراتيجية مواجهة هذا المرض بين النساء؛ الأخذ فى الاعتبار أمور تتعلق بالخصائص الطبيعية و البشرية و الحضارية للمناطق الجغرافية التي سوف تطبق فيها الاستراتيجيات و برامج مقاومة المرض ,كما يجب ان تراعى عواقب انتشار المرض بين النساء ، وخاصة ما يتعلق بتاثيره فى زيادة عدوى الأطفال ، وانتقال الفيروس إليهم عن طريق الام .

يعتبرالأخذ ببرامج التثقيف الصحي من السياسات التي تهدف الي تحسين الأوضاع الصحية والإجتماعية للمرأة الإفريقية ، ويكون لهذه البرامج في المجتمعات الريفية دور في مشاركت المرأة الإجابية في عملية التنمية ، سواء كانت هذه البرامج تتعلق بالإرشادات الصحية الخاصة بتنظيم الأسرة وصحتها ، أو أسس الصحة المنزلية والمبادئ الرئيسية للتغذية الصحيحة والغذاء الصحى المناسب للأسرة ، أو دورات التوعية الخاصة بأضرار الزواج المبكر ومشاكله ، وأضرار الإدمان والمخدرات وطرق مكافحتها (فتحى محمد مصيلحى ، ١٩٩٨ :٣٥١-٣٥٢) .

ان رسم أي سياسة تهدف الي تحسين الأوضاع الصحية للمرأة الافريقية ، يجب أن تبني علي اساس قاعدة بيانات ، تتعلق بصحة الأسرة ، وصحة كل من المرأة والطفل في افريقيا ، وتقوم بالتعرف علي مدي انتشار بعض الأمراض بين أفراد المجتمع ، والأمراض المصاحبة للحمل والولادة ، وأمراض الطفولة ، وتوزيع خدمات الرعاية الصحية ، ومدي كفاءتها ، ومدي ادراك ووعي افراد المجتمع بالقضايا المتعلقة بصحة المرأة في كل مراحل حياتها ، ويمثل بناء القاعدة المعلوماتية هدفا رئيسيا علي مستوي الدول ,لتمكين وزارات الصحة والأجهزة الصحية والتخطيطية من الحصول علي المعلومات الشاملة والدقيقة اللازمة لوضع سياسات وبرامج دعم صحة المرأة الافريقية من واقع بيانات صحيحة ومدروسة .

جملة القول ، أن إستراتيجيات النهوض بأوضاع المرأة فى القارة الإفريقية لابد أن تساغ فى ظل أبعاد التنمية المستدامة Sustainable Development ، بحيث تأخذ فى الإعتبار النظام الصحى وتطويرة ككل من ناحية ، وأبعاد النظم الثقافية والإجتماعية فى القارة من ناحية أخرى .

المراجع العربية :

- الأمم المتحدة ، المرأة في العالم ١٩٩٥ " اتجاهات واحصاءات ، ١٩٩٥ .
- الصندوق العالمي لمكافحة الايدز والسل والملاريا ، ٢٠٠٢ .
- الصندوق العالمي لمكافحة الايدز والسل والملاريا ،٢٠٠٣ .
- ايكهولم اريك ، الصحة للجميع ، ترجمة محمد عبد اللطيف ابراهيم ، مكتبة غريب ، القاهرة ١٩٨١ .
- برنامج الأمم المتحدة الانمائي، تقرير التنمية البشرية لعام ١٩٩٠، نيويورك، ١٩٩٠ .
- برنامج الأمم المتحدة الانمائي، تقرير التنمية البشرية لعام ١٩٩٨، نيويورك، ١٩٩٨ .
- بنك التنمية الافريقي ، صندوق التنمية الافريقي ١٩٩٢ ، التقرير السنوي . مؤسسة الأهرام عام ١٩٩٣ .
- تومسيفون ن. ماليتنليما، السياسة والتغذية في افريقيا، الصحة العالمية ديسمبر ١٩٩١ .
- جامعة الدول العربية ، اجتماع خبراء حول استخدام بيانات مسوح صحة الأسرة في رسم السياسات الصحية والسكانية ، المشروع العربي لصحة الأسرة ، القاهرة ١٤-١٦ ديسمبر ٢٠٠٢ ، القاهرة ، ٢٠٠٤ .
- جامعة الدول العربية ، جمهورية جيبوتي ، المسح الجيبوتي لصحة الاسرة ، التقرير الرئسي ، المشروع العربي لصحة الاسرة ، مطبعة جامعة الدول العربية ، فبراير ٢٠٠٤ .
- جوزية دي كاسترو ، جغرافية الجوع ، ترجمة زكي الرشيدي ومحمود موسي ، دار الهلال القاهرة ، بدون سنة نشر .
- حكيمة حيميشي و لطيفة ايمان ، المغرب : النساء في مواجهة العدوي ، رسالة اليونسكو القاهرة ، ١٩٩٥ .
- زهير أحمد السبعاوي ، الصحة حاضرها ومستقبلها في المملكة العربية السعودية ، ادارة البحث العلمي ، الرياض ، ١٩٨٨ .
- صندوق الأمم المتحدة للسكان ، حالة سكان العالم ، ١٩٩٤ .
- صندوق الأمم المتحدة للسكان ، حالة سكان العالم ، ١٩٩٥ .
- فاروق عبد الجواد شويقة ، نطاق الجوع في غرب افريقيا ، معهد البحوث والدراسات العربية ، الدراسات الخاصة ، العدد ١ ، القاهرة ، ١٩٧٦ .

- فتحي محمد مصيلحي ، المرأة الريفية في مصر بين تحديات الواقع وصياغة المستقبل ، محافظة المنوفية ، ١٩٩٨ م .
- فاتن محمد البنا ، الأبعاد الجغرافية لمرض الإيدز في إفريقيا ، مجلة بحوث كلية الآداب، جامعة المنوفية، العدد ١١ ديسمبر ١٩٩٢ .
- فاتن محمد البنا ، الايدز في افريقيا ، التقرير الاستراتيجي الأفريقي، الاصدار الثاني، معهد البحوث والدراسات الافريقية، مركز البحوث الافريقية، جامعة القاهرة، ٢٠٠٢ / ٢٠٠٣ .
- فوزية أسعد، التشوية الجنسي للنساء، منبر الصحة العالمية، المجلد الثالث، العدد ٤ ، ١٩٨٢ .
- فليب عطية ، أمراض الفقر والمشكلات الصحية في العالم الثالث ، عالم المعرفة ، الكويت ، ١٩٩٢ .
- ماري باسيت، زيمبابوي جذور الايدز الاجتماعية، رسالة اليونسكو، القاهرة، ١٩٩٥ .
- منظمة الصحة العالمية، نحو مستقبل أفضل لصحة الأم والطفل، منبر الصحة العالمي ، المجلد الثاني ، العدد ١ ، ١٩٨١ .
- منظمة الصحة العالمية ،التقرير الخاص بالصحة في العالم ٢٠٠٣ .
- محمد علي محمد و السيد عبد العاطي ومحمد أحمد بيومي ، الطب والمجتمع " دراسات وبحوث في علم الاجتماع الطبي " ، دار المعرفة الجامعية ، الأسكندرية ، ١٩٨٦ .
- محمد نور الدين ابراهيم السبعاوي ، الجغرافيا الطبية " دراسة تطبيقية علي محافظة كفر الشيخ " ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة المنيا ،١٩٨٦ .
- محمد مدحت جابر ، الأبعاد الجغرافية لمرض الإيدز في العالم مع إشارة لمنطقة الخليج العربية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٩٩ .
- نجويت كيخيلا ، الن كورين ، جيلز بيبو ، النظامان الطبيان بإفريقيا : خيارات أمام المخططين ، منبر الصحة العالمي ، المجلد الثاني ،العدد ١ منظمة الصحة العالمية ، جنيف ، ١٩٨١ .

المراجع غير العربية :

- Afrol.News, Djibouti to fight female genital mutilation, May 2001.

- Afrol.News, Egyptian mobilize against female genital mutilation, January 2003.

- Anke V.K, Female Circumcision and Gender Identity: A questionable lance ? , Soc. Sci Med .Vol .35, No., (Great Britain) 1992.

- Center for disease control (CDC) , Family planning Methods and practice : Africa , Atlanta , Georgia , USA 1983.

- Coater B.E, et .al, Geography and Inequality Oxford University press, New York, 1977.

- Davis N., Kieffer E., The Health of women Beyond maternal and child health, in Phillips D.R, and verbassett y., (Ed.) Health and Development, New York, 1994.

- Frehwot, Bekele , Malnutrition The "Silent emergency " UNICEF, from Africa Recovery , Vol.11 #3 February 1998 .

- Mann, J.M et al., Eds, AIDS in the world, Cambridge, MA: Harvard University press, 1992

- Martin, S. et al., HIV. Infection - 10 years on, Editorial, J. of tropical pediatrics, Vol .38, August 1992 .

- Muller, O. et al .,Pediatric HIV-1 Disease in Kampala Hospital , Journal of tropical pediatrics ,Vol .36, December 1990.

- Nancy, D.L., Edie k., The health of women: beyond maternal and child health, in David R.F., yola v., Health and development, New York, 1994. pp. 122-136.

- Paul B.K, Maternal Mortality in Africa: 1980 -87, Soc. Sci .Med. vol 37, No.6, 1993 .

- Penny price, Maternal and child health care strategies in Philips D.R , and verbasselt y. Health and Development ,London 1994 .

- Piot P., Gavael M., Epidemiological and sociological aspects of HIV -infection in developing countries. In British Medical Bulletin, Vol . 44, No. 1, 1988.

- Piot , P. et al., eds, AIDS in Africa : A manual for physicians, Geneva , 1992. .

- Shanon , G.W , Pyle, G.F and Bashshur , R.L, the Geography of AIDS: Origin and course of an Epidemic, The Guilford press, New York, 1991.

- Taissir M. ,Hosam El -Din , Socio -Demographic correlates of Female Circumcision in

Sudan, in CDC-27 th , Annual Seminar , December ,1997 .

- The Panos Institute , AIDS and the third world , New society Publishers, London , 1989 .

-The world Bank, Uganda, growing out of poverty, Washington, D.C ,

- UN, Africa Renewal, Vol. 18.# 4 , January 2005 .

- UNADIS / WHO, AIDS Epidemic update December , 2003 .

-United Nations, World population Monitoring, New York, 1991, P 229

- UN, World population prospects, the 1994 Revision , New York , 1995 .

- UNDP ,Human Development Report 2003 , Oxford University Press , New York ,2003 .

- UNAIDS, Report on Global AIDS Epidemic, June 2000.

- UNAIDS, Report on Global HIV/AIDS, Epidemic, July, 2002.

- UNAIDS, /WHO , AIDS Epidemic ,Update ,December 2003 .

- WHO,Global Health -Sector Strategy for HIV/AIDS,2003-2007, Geneva ,Switzerland , 2003.

- World Health Organization , Maternal Mortality , A Global Fact book Geneva, 1991.

- WHO, Fact Sheet N.241 June , 2000 .

- WHO , Maternal and Newborn health ,Department of Reproductive health and Research , Geneva ,Switzerland , 2000

- WHO ,The 3 by 5 initative , The three Mellion people living with HIV/AIDS by 2005 , Geneva , Switzerland ,2003 .

- WHO , UNAIDS ,The WHO Strategy ,Treating 3 Million by 2005 Making it happen , Geneva , Switzerland 2003 .

- WHO ,World Health Day Safe Motherhood 7April 1998 ,Improve Access to Maternal Health Services Geneva , Switzerland ,1998 .

- World Population Data sheet of the population Reference Bureau , PRB ,2004 .

- Yvette Cllymore ,Improving Emergncy Care to end Maternal deaths ,population Reference Bureau , 2004 .

تأثير استخدام مياه الصرف الصحى على التركيب الكيميائى لحشيشة البرمودا النامية على إمتداد مجرى الصرف الصحى فى أراضى المناطق الجافة

سمير جميل السليمانى و ماجد حسين هاشم

كلية الأرصاد والبيئة وزراعة المناطق الجافة - جامعة الملك عبد العزيز، جدة

ملخص

تم دراسة استخدام مياه الصرف الصحى المعالجة فى محطة مكة المكرمة على التركيب الكيميائى لحشيشة البرمودا النامية على امتداد المجرى المائى فى منطقة جافة . تم عمل خمس رحلات ميدانية لجمع العينات النباتية ، وفى كل رحلة تم جمع العينات من خمسة محاور عرضية على إمتداد مجرى الصرف عند نقطتين (واحدة على كل جانب من المجرى المائى يفصلهما ثلاثة أمتار)، تم تحليل جميع العينات النباتية من حيث محتواها من العناصر الكبرى (النيتروجين ، الفوسفور ، الكالسيوم ، المغنسيوم ، الصوديوم) والعناصر الصغرى (الحديد ، الزنك ، المنجنيز ، النحاس) ، والعناصر السامة (النيكل ، الكادميوم ، الكروميوم ، الرصاص) .

أظهرت النتائج أن محتوى نبات حشيشة البرمودا من N,P,K,Ca,Mg. Na, Zn, Mn, Cu, Ni, Pb, Cr قد نقص بينما زاد محتوى النبات من الحديد مع طول مدة استخدام مياه الصرف الصحى ، ولوحظ عدم تأثر عنصر الكالسيوم بتلك المدة . وقد لوحظ نقص محتوى النبات من عناصر البوتاسيوم ، الصوديوم ، الزنك ، النيكل ، الرصاص وزاد محتواه من النيتروجين والحديد على امتداد مجرى الصرف الصحى ، ومع ذلك لوحظ أيضا عدم تأثر بعض العناصر بموقع أخذ العينات ولم يؤثر الجانب الذى أخذ منه العينات علي جميع العناصر الكبري والصغري والسامة ،ومن ناحية أخري فقد لوحظ زيادة بعض العناصر في السيقان عن جذور النبات مثل النيتروجين ، والفسفور والبوتاسيوم والكالسيوم والماغنسيوم ، المنجنيز ، النحاس ، الكروميوم ، الكادميوم ، إلا أن العكس كان صحيحاً مع عناصر الزنك ، النيكل ، الرصاص حيث زادت فى الجذور عن السيقان .

Rabie ,M.H.(1984) .Studies on some heavy metals in soil of A.R.E.Ph.D.Thesis .Fac .of Agric Ain Sham Univ .109 P.

Saber , S. (1990) .Water Reuse .National Conference : Scientific Research and Water , EICA , Egyptian International Center for Agric ., Cairo on 4-5 Sept. ,1990.

Saha , P K, Mandal , L .N and Chattopadhyay , G.N. (1996) .Effect of use of sewage effluent on the changes of phosphorus in water and soil of a fish pond . J. Agric in th Tropics , 11 (3):179-185.

Sauerbeck , D,R.(1991) .Plant : Element and availability of heavy metals derived from sewage sludge .Water , Air and Soil Pollution , 57-58: 227-237.

Shelton , W. R. and Harper , H . J.(1941) .A rapid method for the determination of total phosphorus in soil and plant material . Iowa State College Journal of Sci .15:403-413.

Sidle ,R.C.and Johnson ,G.C. (1972) .Evaluation of a turn grass-soil system to utilize and purify municipal wastewater .Hydrology and Water Resources in Arizona and the Southwest , Vol .No.2.

Sommers, L.E.(1980) .Toxic metal in agricultural crops . pp. 105-140. In G.Bitton et al (eds) P . Sludge- Health Risk of Land Application . Ann. Arbor Science Publisher . Inc.Ann Arbor . MT.

Vaisman , I. Shallevet , J ., and Feighin , A . (1981) . Reducing groundwater pollution from municipal wastewater irrigation of of Rhodes Grass grown on sand dunes . J.Env . Qual., 10 (4) : 434-439.

Williams , D. E., Vlamis , J. Pukite ,A, H, and Corey, J. E. (1980) . Trace elements accumlation movement and distribution in the soil profile from massive application of sewage sludge.Soil Sci . 129 :119-132.

Wong,Y .S .Lan , C.Y.,Chen, J. Z. ,Li, S.H.Liu ,Z. and Tain , W. F. (1995) . Effect of waste water discharge on nutrient contamination of mangrove soils and plants . Hydrobiologica , 295 (1-3) : 243-254.

Kloke , A . (1979) .Content of arsenic , cadmium , Shromium , fluorine . lead , mercury and nickel in plants grown on contaminated soil . Paper presented at United Nations – ECE Symp . on Effects of Air – borne pollution on vegetation , Warsaw , August 20.192.

Kovalskiy , V.V.(1974) .Geochemical environment , health and disease . In Trace Subst . Environ . Health , Vol . 8 Hemphill . D. D., Ed . University of Missouri , Columbia , Mo . 137.

Linzon , S. N. (1978) . Phytotoxicology excessive levels for contaminants in soil and vegetation . Report of Ministry of Environment , Ontario , Canada.

Larsen , D.J.(1967) Utilization of nutrients from waste water by wheat . M. Sc. Thesis . Univ . of Arizona , Tucson , Dept . of Soils Water and Eng .

Mahajan ,V.P.Randhawa, G.S. Bains . O.S , and Sawhney , J.S. (1978) . Effect of sewage irrigation on the seed yield of celery . Indian Jour .Agr. Sci . 1978 , 48 (5) : 270-273 .

Mengel ,K.and Kirkby ,E.A.(1978) .Principles of Plant Nutrition . International Potash .Institute . Worblaufen – Bern .593.

Michell , G. A, Bingham , F.T.and Page , A. L. (1978) . Yield and metal composition of lettuce and wheat grown on Ni and Zn . J. Environ . Qual ., 7:165-171.

Mohammed , A, M, and Battikhi, A, M.(1997). Effect of sewage sludge on some soil properties and barley plant in Muovgs area . Dirasaat Agric , Sci . , 24 (2) : 204-216.

Murphy , W.K.and Bowier , J.J.(1975) .Response of Aspen to irrigation by municipal wastewater . Pennsylvania State Univ ., Univ park School of Forest Res .Tappai Vol .58,No.5,p.128.

Otabbong, E., Sadovnikova, L., Lakimenko., O., Nilson., I and Persson., J (1997) Sewage sludge: soil conditioner and nutrient source . 11 .Availability of Cu ,Zn, Pb, and Cd to barley . Acta Agric . Scandivaiva Section , Soil and Plant Sci ., 47(2) : 65-70.

Page , A.L.(1974) .Fate and effects of trace elements in sewage sludge when applied to agricultural land .A literature review study . Review copy .Ultimate Disposal Research Program , EPA, Cincinnati , ohio 96 p.

Page , A,L. and Chaney A.C. (1975) .Trace elements and plant nutrients consideration of recycling sewage sludges on agricultural land. Proc .Second Nat and solids sponsored by Am .Inst . Chem .Eng . and U.S. Environ Protect .Agency , 4-8 May , Chicage , 111.

Palazzo . A.J. (1979) The effect of wastewater application on the growth and chemical composition of forages .National Technical Information Service . Crrel . Report 76-39, p.1-8.

El- Bassam , N.and Tietsen ,C. (1977) Municipal as organic fertilizer with special reference to the heavy metals constituents , in "Soil Organic Matter Studies ", Vol .2 IAEA , Vienna .253.

El- Hassanin , A.S. ,Labib , M.T.and Dobal ,A.T.(1992) .Potential Pb, Cd Zn, and B contamination of sandy soils after different irrigation periods with sewage effluent . Water , Air & Soil Pollution . 66 (3-4): 239-249.

El- Keily , O. M. (1983) . Effect of sewage sludge on soil properties and plant growth . Ph. D. Thesis, Fac . of Agric . Alex .Univ . 215 P.

El- Nennah , M., El-Kobbia , T. Shehata , A.and El- Gamal , I . (1982) . Effect of irrigating loamy sand soil by sewage effluents on its content of some nutrients and heavy metals . Riyadh Univ . (Saudi Arabia). Coll.of Agric .Plant and Soil , 65:289-292.

Foy ,C.D.,Chaney ,R.L.and White ,M.C.(1978) .The physiology of metal toxicity in plants . Ann . Rev Plant Physiol .29:511-566.

Gough , L . P., Shacklette , H.T., and Case , A. A. (1979) . Element concentrations toxic to plants , animals , and man .U.S.Geol . Surv.Bull ., 1466 : 80.

Harris , M.R.,Wilson , N, J., and Lepp , N.W. (1981) . Varietal differences in trace metal partition by six potato cultivars grown on concentraion soil .PP.399-402.In proc .Int'I Conf."Heavy Metals in the Environment ". CEP Consulants , Edinburgh.

Hondenberg , A. and Finck ,A .(1975) .Ermittung von Toxizitas – Grenzwerter fur Zink .Kupfer und Blei in Hafer und Rotklee . Z. Pflanzenernaehr Bodenkd .4/5 , 489.

Hook , J. E., Kardos , L.T. and Sopper, W.E.(1972) .Effects of land disposal of wastewater on soil phosphorus fixations .Conference on on Recycling Treated Municipal Wastewater Through Forest and Crop Land .August 21-24 . The Pensylvania State University , Univ . Park , pp.179-195.

Jackson , M.L .(1967) .Soil Chemical Analysis .Prentice Hall .Inc .Engle Wood Cliff. USA.

Jones , J .B .(1972) .Plant tissue analysis for micronutrients , In "Micronutrient in Agriculture ". Mortvcd .J.J., Giordano ,P.M.and Lindsay .W.L.Eds , Soil Science Society of America , Madison , Wis ., 319.

Kabata-Pendias , A.(1979) .Effects of inorganic air pollutants on the chemical balance of agricultural ecosystems .Paper presented at United Nation- ECE Symp .On Effects of air – borne pollution on vegetation .Warsaw , August 20.134.

Kitagishi , K. and Yamane .I., Eds .(1981) . Heavy Metal pollution in Soils of Japan . Japan Sci . Soc . Press, Tokyo. 302.

References

Abd El- Elnaim , F.M.(1988) .Use of sewage water in irrigation . Regional Seminar : Wastewater Reclamation and Reuse . FAO , Cairo , Dec , 11-16, 1988.

Baker ,D.E,Esbelman , R.M.,and Leach ,R .M. (1975) Cadmium in sludge potentially harmful when applied to crops .Sci .in Agric. 22 :14-15.

Banın , A , Navrot , J., Noi , Y. and Yoles , D. (1981) . Accumlation of heavy metals in arid zone soils irrigated with treated sewage effluent and their uptake by Rhodes grass . J. Env . Qual ., 10 (4) : 536-540.

Behjat , B.(1985) .Heavy metal availability and uptake by Barely and Swiss chloride from clcare-ous soil fertilized with sewage sludge . Ph .D.Thesis , Utah Univ ., 139 p.

Bergmann , W . and Cumakov , A.(1977) .Diagnosis of Nutrient Requirement by plants .G. Fischer Verlag, Jena and Priroda . Bratislava . 295 (CZ) .

Bouwer , H.(1982) "Wastewater Reuse in Arid Areas" ,in Water Reuse . Ann. Arbor Science Pub-lishers , An Arbor .PP.137-180.

Chaney , R.L.(1973) .Crops and food chain effects of toxic elements in sludge and effluents . PP.129-140. In Proc .Joint Conf . on Recycling Municipal Sludges and Effluents on Land , July 9-13, Champaign ,I11.

Chaney , R.L. and Giordano , P.M. (1977) . Micro element as related to plant deficiencies and tox-icities . PP.234-279.In L.F.Elliot and F.I.Stevenson (eds) .Soils for Management and Util-ization of Organic Wastes and Waste Water . Soil . Sci . Soc Amer . Inc , Madison , wisconsin .

Cordonnier , M.J.and Johnston , I.J.(1980) .Soybean and development as affected by irrigation mu-nicipal wastewater and well water . Amer . Agron , 25 :16-22.

Davis , R.D.,Beckett, P.H.T. ,and Wollan , E.(1979) .Critical levels of twenty potentially toxici elements in young spring barley .Plant & Soil , 49 : 395.

Day, A.D, McFdyer, J.A.Tucker, T.C. and Cluff , C.B.(1979) . Commercial production of wheet grain irrigated with municipal waste water and pump water . J . Eniviron . Qual ., 8 : 403-406.

Eid , M.A.M.(1984) .Studies on some heavy metals in soils and waters M. Sc.Thesis . Fac. of . Agric . Ain Shams Univ., 81 p.

Table (6) : Total concentration of soil trace elements considered as phytotoxic (mg/kg) as compared to the concentration of soil elements in the study area .

Elements	Concentrations as given by various authors						Concentration detected in soil collected in the study area
	a	b	c	d	e	f	
Cd	-	5	8	5	3	-	0.334
Cr	-	100	75	100	100	-	28.15
Cu	60	100	100	100	100	125	29.33
Mn	3000	-	1500	-	-	-	579.75
Ni	-	100	100	100	100	100	13.40
Pb	-	100	200	100	100	400	18.16
Zn	70	300	300	400	300	300	33.582

Data collected from

A = Kovalskiy,1974

B = El-Bassam and Tietsen ,1977

C = Linzon , 1978

D = Kabat – Pendias , 1979

E = Kloke ,1979

F = Kilagishi and yamane , 1981

Table (7) : Total concentration of trace elements in mature plant tissue for various species (mg/kg)as compared to the concentration of elements found in the plant (shoots of Bermuda grass)collected from the study area .

	Trace element level reported *			Concentration detected in plant collected in the study area
	Deficient	Normal Range	Cytotoxic	
Fe	50	50-250	Not Known	-
Cd	-	0.50-0.2	5.30	1.29
Cr	-	.01-.05	5.30	16.79
Cu	2-5	5.30	20-100	19.23
Mn	15-25	20-300	300-500	88.07
Ni	-	0.1-5	10-100	7. 5
Pb	-	5-10	30-300	64.7
Zn	10-20	27-100	100-150	101.16

* Data collected from Bergaman and Cumakon (1977) ;
Davis et al . (1979) ; Gough et al .(1979) ; Hondenberg and Finck (1975) ; Jones (1972) ; Kabatpendias and Pendias (1979) ; Kitagishi and Yamane (1981) ; Mengel and Kirky (1978).

Trace elements content in plant :

Trace elements content in plant , collected from the study area was studied in relation to the reported literature and their toxic levels . It is obvious that prolonged use of wastewater stream flow for more than ten years (the concentration of Cr , Cu , Mn , Ni, Pb ,and Zn in the sewage water was associated with increase in soil content of trace and micronutrient elements . However , the concentretion of those elements in soil did not reach the critical level causing toxicity of plants (Table 6) . The plant (Bermmuda grass) grew well along the wastewater stream and showed no symptoms of toxicity due to the prolonged flow of wastewater stream .The trace and micronutrient elements were not accumlated in plant tissues to cause serious hazard to plants , animals and humans (Table 7) . The toxic elements accumulated in plant tissues may be introduced to the food chain by means of animals food or human food (Banin et . al ., 1981).

According to criteria of element allowable concertration in plant tissues (Table 7) , most of micronutrient and trace elements were in the permissible range .The accumulation of those elements in vegetable and field crops may represent a real problem , thus further detailed investigation is needed in this respect . Therefore , care should be taken in the recommendation of using such kind of water source in irrigation , particularly with regard to trace elements . Plants markedly differ in their metal uptake , and in tolerance to soil when all other factors were held constant (Chaney and Giordano , 1977 and Sommers , 1980).

or have low solubilities . As a result , the availability of these elements to plants is restricted and consequently very little plant uptake occurs . The remaining heavy metals , Cd ,Cu , Mo , Ni and Zn , can accumulate in plants and pose a hazard to animals or humans , and to the plants themselves under certain circumstances .

For example , Cd , a non – essential element , can be a serious hazard to animals and humans if the dietary intake level is increased . Cadmium could cause certain health problems due to the cumulative effect of prolonged low- level exposure in animals and humans (Baker et . al . ,1975) .The possible hazard to humans from elevated concentration of Cd in plants is greater than the possible toxicity to the plants themselves , particularly if dietary levels of Ca , Zn and Cu are low or marginal (Chaney ,1975) .

The effect of plant sampling time on plant content of micronutrient and trace elements (except Cd) was significant . However , Fe content of plant increased and Zn , Mn , Cu , Ni, Pb and Cr contents of plant decreased with advanced time of sampling (from time 1 to 5) (Table 2) . The effect of plant sampling location on content of Mn , Cu, Cr ,and Cd was not significant (Table 3) . However , the plant contents of Fe increased and the plant content of Zn , Ni and Pb decresed along wastewater stream (from location 1 to 5) (Table 3) . The effect of plant sampling side on plant content of micronutrients and trace elements was not significant (Table 4) . The plant contents of Mn , Cu , Cr and Cd were higher in shoot than the root part of the plant . However , the plant content of Fe , Zn, Ni , and Pb was higher in root than the shoot part of the plant (Table 5) .

plant (Table 4) .However , the N,P,K,Ca and Mg were higher in the shoot than the root part of the plant .

Micronutrients and Trace Elelements :

The plant contents of Fe , Zn , Cu ,Mn ,Ni ,Cd, Cr , and Pb , are shown in Tables (2 to 5) .The average plant content of these elements were moderately high and wastewater steam contents of some of these elements (Cr, Cu , Mn , Ni ,Pb and Zn) were likely to exceed the safe limit of the use of domestic wastewater for irrigation .

The toxic elements accumlated in plant tissues may be introduced to the human food (Banin et . al ., 1981) . Heavy metals are known for their harmful effect on soil ,crops , animals , and human beings. Sewage is a major source of heavy metal contamination of crop land , enter sewage as a result of industrial activities .

Application of sewage can be beneficial to crop land . Sewage contains many essential plant nutrients , may act as a soil conditioner and increase water soil holding capacity . Plants grew well along the wastewater stream and showed no symptoms of toxicity due to the prolonged periods of wastewater stream flow .

The heavy metals and other potentially toxic elements present in sewage can be divided into two categories based on whether they present a potentially serious hazard to plants , animals , or humans . The metals , Mn , Fe , Cr , As , Se , Sb , Pb, and Hg pose relatively little hazard crop production and do not accumlate in a toxic level when the sewage is applied to soil within reasonable limit . This is because they are present in relatively low concentration in the soil and /

Table (5) : Effect of sampling plant part on chemical composition of plants grown along the wastewater sream and their teats of significance .

Plant part	Nitrogen (N)	Phosphorus (P)	Potassium (K)	Calcium (Ca)	Magnesium (Mg	Sodium (Na)	Iron (Fe)
	g/kg	g/kg	g/kg	g/kg	g/kg	g/kg	mg/kg
1	20.714 A	0.603 A	35.507 A	23.807 A	9.909 A	18.385A	806.914B
2	5.030 B	0.269 B	11.236B	19.372 B	7.263B	19.164 A	1305.822A
Overall Mean	12.872	0.436	23.371	21.589	8.586	18.775	1056.368
LSD	0.586	0.055	2.331	2.419	0.827	1.287	114.973

Plant part	Zinc (Zn)	Manganese (Mn)	Copper (Cu)	Nickel (Ni)	Lead (Pb)	Chromium (Cr)	Cadmium (Cd)
	mg/kg	mg/kg	mg/kg	mg/kg	mg/kg	mg/kg	mg/kg
1	58.561B	116.754 A	22.92 A	6.058 B	53.247 B	26.904 B	2.118 A
2	103.770 A	59.404 B	15.552 B	8.929 A	76.184 A	6.680 B	0.470 B
Overall Mean	81.165	88.079	19.236	7.493	64.715	16.792	1.294
LSD	11.853	15.537	2.567	0.853	11.853	1.575	0.157

Plant part :
1- Right
2- Left

L.S.D =Least significant difference at 5%
A = 1st highest category
B = 2nd highest category
C = 3rd highest category

Cordonnier and Johnston (1980) used secondary treated municipal wastewater and well water to irrigate soybean field . They stated that the wastewater treatmeant yielded 354 kg/ha more than the control and 205 kg /ha more than the well water . The irrigated plants were taller and matured 5-6 days later than the non – irrigated plants .

The efffect of plant sampling time on plant content of N, P, K, Ca, Mg and Na was significant . The plant content of these nutrients decreased with advanced time of sampling (from time 1 to 5) (Table 2) . The effect of plant sampling location on plant content of P , Ca and Mg was not significant . However , the N content of plant increased while K and Na content of plant decreased along the wastewater stream (from location 1 to 5) (Table 3) . The effect of plant sampling side was not significant for all macronutrient contents in

Table (3) : Changes in the chemical composition of plants grown along the wastewater stream and their tests of significance .

Location	Nitrogen (N)	Phosphorus (P)	Potassium (K)	Calcium (Ca)	Magnesium (Mg	Sodium (Na)	Iron (Fe)
	g/kg	g/kg	g/kg	g/kg	g/kg	g/kg	mg/kg
1	12.26 B	0.354 A	22.501 a	24.515 A	7.815 A	16.455 C	1091.05 B
2	12.158 B	0.458 A	26.818 A	19.969 A	8.92 A	17.916 BC	950.655 B
3	12.801 AB	0.468 A	25.76 A	21.247 A	7.624 A	17.695 BA	937.785 B
4	13.105 AB	0.468 A	24.719 A	24.191 A	8.563 A	20.377 AB	840.50 B
5	14.036 A	0.431 A	17.111B	18.026 A	10.008 A	21.43 A	1461.85A
Overall Mean	12.872	0.436	23.371	21.589	8.586	18.775	1056.368
LSD	1.312	0.122	5.214	5.411	1.461	2.878	257.135

Location	Zinc (Zn)	Manganese (Mn)	Copper (Cu)	Nickel (Ni)	Lead (Pb)	Chromium (Cr)	Cadmium (Cd)
	mg/kg	mg/kg	mg/kg	mg/kg	mg/kg	Mg/kg	mg/kg
1	112.129 A	65.33 A	19.20 A	9.23 A	62.100 A	14.099 B	1.232 A
2	95.428 AB	89.80 A	15.885 A	8.215A	71.491 A	15.727 B	1.428 A
3	84.315 B	100.35 A	19.55 A	7. 541 AB	73.400 A	17.119 AB	1.165 A
4	70.89 B	96.035 A	21.665 A	6.227 B	73.235 A	17.31AB	1.336 A
5	43.067 C	88.88 A	19.88A	6.255 B	43.350 b	19.705	1.311
Overall Mean	81.166	88.079	19.236	7.494	64.715	16.792	1.294
LSD	26.508	34.749	5.740	1.908	14.159	3.524	0.352

LDS = Least Significant difference at 5%   B = 2nd highest category

A = 1st highest category   C = 3rd highest category

Table (4) : Variation in the chemical composition of soil samples collected from both sides of the wastewater stream and their tests of significance .

Side	Nitrogen (N)	Phosphorus (P)	Potassium (K)	Calcium (Ca)	Magnesium (Mg	Sodium (Na)	Iron (Fe)
	g/kg	g/kg	g/kg	g/kg	g/kg	g/kg	mg/kg
1	13.276 A	0.416 A	23.194 A	21.922 A	8.420 A	18.576 A	1090.976 A
2	12.468 A	0.456 A	23.548 A	21.257 A	8.752 A	18.974 A	1021.760A
Overall Mean	12.872	0.436	23.371	21.589	8.586	18.775	1056.368
LSD	0.586	0.55	2.331	2.419	0.827	1.287	114.973

Plant part	Zinc (Zn)	Manganese (Mn)	Copper (Cu)	Nickel (Ni)	Lead (Pb)	Chromium (Cr)	Cadmium (Cd)
	mg/kg	mg/kg	mg/kg	mg/kg	mg/kg	mg/kg	mg/kg
1	83.954 A	80.358 A	19.832 A	7.376 A	64.737 A	17.691 A	1.349A
2	78.377 A	95.80A	18.64 A	7.611A	64.694A	15.893A	1.24A
Overall Mean	81.165	88.079	19.236	7.493	64.715	16.792	1.294
LSD	11.853	15.537	2.567	0.853	6.331	1.575	0.157

Side of the stream

1- Right

2- Left

L.S.D =Least significant difference at 5%

A = 1st highest category

B = 2nd highest category

C = 3rd highest category

produced greater yield and removed more N and P than those grown on the lighter textured soils .In a field experiment where irrigation of calcareous soils with TSWwas practiced , plant tissue analysis indicated normal concentration of Fe , Zn , Mn and Cu and no detectable Cd , Ni , Cr and Pb after 40 years of effluent application . Effuent data indicated no salt or sodium hazard and no Cd , Cr , Ni or Pb accumulation . In general , it was concluded that sewage effluent is a potential source of irrigation water and plant nutrients on southwestern agricultural calcarious soil of the United States .

Table (2) : Effect of sampling time on the chemical composition of plants grown along the wastewater stream and their tests of significance.

Trip No	Nitrogen (N)	Phosphorus (P)	Potassium (K)	Calcium (Ca)	Magnesium (Mg)	Sodium (Na)	Iron (Fe)
	g/kg	g/kg	g/kg	g/kg	g/kg	g/kg	mg/kg
1	14.268 A	0.541 A	49.226 A	26.715 A	14.47 A	11.206 A	510.400 C
2	13.817 AB	0.522 A	29.554 B	23.70 A	13.036 A	16.325 B	831.72 B
3	12.755 BC	0.441 AB	11.237 C	26.50 A	8.733 B	16.292 B	1012.97 B
4	12.344 CD	0.380 BC	10.95 C	13.658 B	4.996 C	18.862 B	1441.75 A
5	11.178 D	0.294 C	15.89 C	17.824 B	1.695 D	31.187 A	1485.0 A
Overall Mean	12.872	0.435	23.371	21.679	8.586	18.774	1056.368
LSD	1.312	0.122	5.214	5.411	1.849	2.878	257.135

Trip No	Zinc (Zn)	Manganese (Mn)	Copper (Cu)	Nickel (Ni)	Lead (Pb)	Chromium (Cr)	Cadmium (Cd)
	mg/kg	mg/kg	mg/kg	mg/kg	mg/kg	mg/kg	mg/kg
1	197.45 A	121.01A	25.93 A	10.055A	111.85A	31.195 A	1.387 A
2	190.056 B	117.50 A	27.20 A	9.00 AB	51.055 BC	26.314 B	1.285 A
3	37.398 C	91.41 AB	16.55 b	8.048 B	51.00 BC	11.008 C	1.325 A
4	38.925 C	57.235 BC	16.25 B	6.450 C	64.50 B	9.043 CD	1.278 A
5	42.0 C	53.25 C	10.25 C	3.915 D	45.072 C	6.400 D	1. 197 A
Overall Mean	101.166	88.079	19.236	7.494	64.695	16.792	1.294
LSD 0.05	26.508	34.749	5.741	1.908	14.159	3.524	0.352

Trip No .Time of Sampling   L. S D=Least significant difference at 5%

1   9/5/1991   A = Ist highest category

2   9/8/1991   B = 2nd highest category

3   9/11/1991   C = 3rd highest category

4   10/5/1992

5   29/9/1992

Table (1) : Summary of ananlysis of variance for chemiacl composition of plant .

Source	DF	OSL	Nitrogen (N)	Phosphorus (P)	Potassium (K)	Calcium (Ca)	Magnesium (Mg	Sodium (Na)	Iron (Fe)
			g/kg	g/kg	g/kg	g/kg	g/kg	g/kg	g/kg
Side (S)	1	OSL	0.055	0.306					
Time (T)	4	OSL	0.000**	0.000**	0.000**	0.000**	0.000**	θ.000**	0.000**
Location (L)	4	OSL	0.041*	0.299	0.004**	0.092	0.087	0.005**	0.000**
T×L	16	OSL	0.393	0.067 *	0.037*	0.118	0.370	0.000**	0.000**
Plant Part (P)	1	OSL	0.000**	0.000**	0.000**	0.012*	0.000**		0.000**
T×P	4	OSL	0.000**	0.004*	0.000**	0.001**	0.000**	0.000**	0.319
L×P	4	OSL		0.167	0.123		0.000**	0.000**	
L×T×P	16	OSL			0.069*		0.016*	0.000**	
EMS	49		4.261	0.037	67.314	72.502	8.468	20.515	163724.929

Source	DF	OSL	Zinc (Zn)	Manganese (Mn)	Copper (Cu)	Nickel (Ni)	Lead (Pb)	Chromium (Cr)	Cadmium (Cd)
			g/kg	g/kg	g/kg	G/kg	g/kg	g/kg	g/kg
Side (S)	1	OSL		0.164				0.111	
Time (T)	4	OSL	0.000**	0.000**	0.000**	0.000**	0.000**	0.000**	
Location (L)	4	OSL	0.000**	0.310	0.376	0.010*	0.000**	0.035*	
T×L	16	OSL	0.000**		0.216	0.003**	0.012*	0.122	0.284
Plant Part (P)	1	OSL	0.000**	0.000**	0.000**	0.000**	0.000**	0.000**	0.000**
T×P	4	OSL	0.000**	0.053*	0.000**	0.001**	0.000**	0.000**	
L×P	4	OSL	0.002**		0.018*	0.002**	0.012*	0.231	
L×T×P	16	OSL	0.000**			0.004**		0.159	
EMS	49		1740.023	2990.046	81.611	496.474	30.745	0.307	

* significant at 0.05 level   OSL = observed statistical level

* * significant at 0.01 level   DF = degree of freedom

EMS = error mean square

The N (130.6 mg/L) and Mg (187.03 mg/L content of sewage effuent exceed the safe limit (N=30 mg /L and Mg =60 mg/L) and may present a problem for plant , animal and human being (Bouwer, 1982) .The effect of wastewater application on growth of plants was studied by many workers . Palazzo (1976) stated that the greatest forage yields, N and P removal occurred when 15 cm/wk (6 in /week) of wastewater was applied .Forages grown on the heavier textured soils

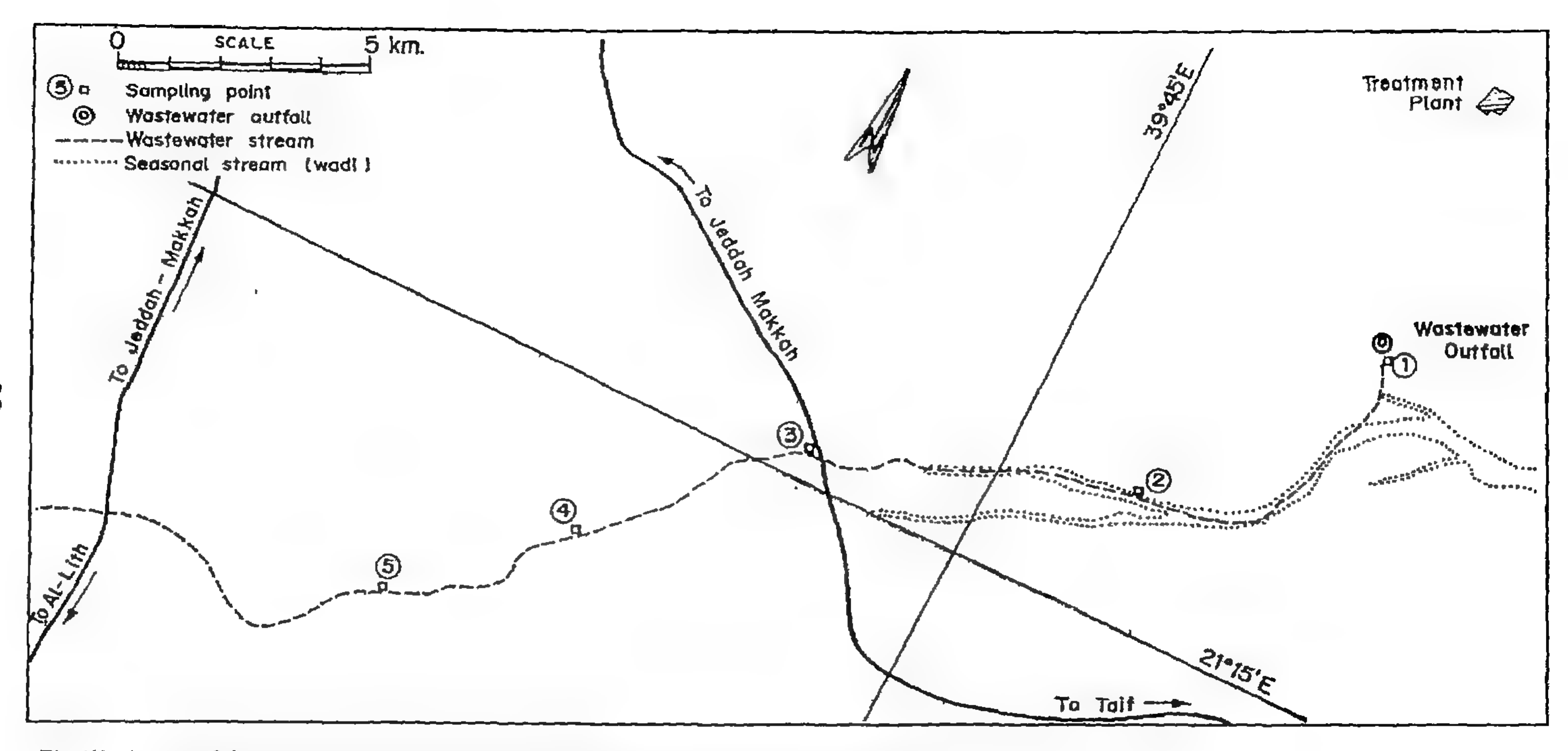


Fig (1): A map of the waste water and plant sampling points along the waste water stream.

extraction using the perchloric nitric digestion procedure of Shelton & Harper (1941) .The concentration of these elements were measured by a Perkin- Elmer 5000 AAS .The procedure of determining the nitrogen involves the digestion and distillation steps according to the kjeldahl method (Jackson, 1967) using Kjeltec auto 1030 analyzer .

RESULTS AND DISCUSSION

Chemical properties of plant :

The summary of analysis of variance for chemical composition of plant , along the wastewater stream was presented in Table (1) .The effect of plant sampling time was significant at ($p<0.01$) for all plant chemical composition elements (except Cd) . The effect of plant sampling location was not significant for the following plant element contents :

P. Cu .Mg ,Mn ,Cu and Cd .However ,the effect of plant sampling location was significant on those plant element contents : N , K, Na , Fe , Zn , Ni , Pb and Cr . The effect of plant sampling side was not significant for all chemical properties of plant .The effect of plant sampling part was significant for all element contents of plant except Na.

Macronutrients in plant (N,P,K,Ca,Mg and Na)

Nitrogen (N) , Phosphorus (P) , Potassium (K) , Calcium (Ca) ,Magnesium (Mg) ,and Sodium (Na) are the major nutrients for plant growth . The total N,P,K,Ca,Mg and Na content of plant are shown in Tables (2 to 5) .

Abdl El- Naim (1988) , El- Nennah et al,(1982) and Eid (1984) obtained tremendous increase in the concentrations of both total and DTPA- extractable metals in sandy soils upon utilizing sewage water for irrigation . El – Hassanin et . al . (1992) , found that affer 67 years of sewage water application , total Pb increased 9 times , total Cd 6 times , total Zn 50 times and total B 5 times .

MATERIALS AND METHODS

Plant sampling :

Five trips were made for plant sampling .Plant samples were collected from naturally grown plants at the five specified cross sections at two points (one on each side of stream , approximately 1 meter from the stream . The plant dominating the wastewater stream was Bermuda grass (Cynodon lactylon) (Fig1).It was considered as the representative plant in the study area . The total number of plant samples was ten . The plant samples were placed in paper bags , transferred to the laboratory and placed in an oven at 70 5C for drying . The dry samples were ground , and stored in paper bags in a refrigerator at 45C . A portion of dry material (0.25 g) was taken from each sample and used for the determination of Fe, Mn ,Cr,Pb,Cd ,Cu ,Ni ,P,and K . Another portion of the dry material was used for total nitrogen determination .

Plant analysis :

The total nitrogen and trace metals analyses were perfomed on plant samples .Macro and micro nutrients and heavy metals (Fe ,Mn ,Cr ,Pb, Cd, Cu, Ni, Zn, Ca , Mg ,K, and Na) were determined after

Analyses performed in 1974 and 1975 showed reduction in the levels of K in soil and forage , indicating a need for K fertilization for sustained forage productivity .The reduction of K was related to the uptake of this element by the forage and its low concentration in the wastewater .Hook et . al . (1972) had monitored the rate of phosphorus as treated municipal sewage effuent was applied to croplant and forested areas.Ten years of monitoring had indicated a high degree of effciency of the soil plant system to retain and use phosphorus . Larsen (1976) got inconclusive reults that provided a true measure of increased yield or chemical composition of wheat straw due to wastewater application.

Murphey and Bowier (1975) studied the response of pulpwood species to municipal sewage plants .The results proved that average annual increment and fiber length were different for irrigated and control samples at the 1% level of significance . Saha et. al. (1996) mentioned that application of treated effluent sewage water increased considerably the availability of P in water and soil .

Cordonnier and Johnston (1980) used secondary treated municipal wastewater and well water to irrigate soybean field . They stated that the wastewatre treatment yielded 354 kg/ha more than the control and 205 kg /ha more than the well water . The irrigated plants were taller and matured 5-6 days later than the non – irrigated plants .

Williams et. al . , (1980) ,and El- Hassanin et.al ., (1992) indicated that application of sewage effluent to land often resulted in significant accumlation of toxic matals in the soils concentration of Hg ,Zn .Cu,and Se increased more than 100% and Ni, Cr and Pb more than 50% .

15 times more Ni than did corn , and orchard grass 5 times more Cu than did tall fescue .

Harris et .al ., (1981) studied the differences in metal uptake among six potato cultivars when they were grown on an old sludge farm .Although these potatoes were grown on sludge farm soil , the unpeeled potato tubers contained only normal Cd levels (mean – 0.28 mg/kg) ; the metal contents though in lower ranges , differed significantly among cultivars.

Mohammed and Battikhi (1997) reported an increase in concentration of N,P,Fe,Zn and Mn in barley grains and straw , and an increase in the growth was obtained .

Effect of sewage water effluent on metal content of plant :

Mahajan et. al . (1978) showed in two – years trials that sewage water and nitrogen significantly increased celery seed yield but when applied separately , sewage water was more effective than nitrogen. Working on turfgrass and using municipal wastewater for 30 weeks , Sidle and Johnson (1972) recommended that turfgrass can be irrigated with sewage effluent at common rates without hazard of nitrogen pollution to ground water .

In a study applying secondary treated municipal effuent to sandy dune soil grown with Rhodes grass , Vaisman et al (1981) found that higher quantites of water or fertilizer did not improve yields further. Wong et.al . (1995) reported no effect of sewage water on plant growth (mangroves) .

Palazzo (1976) stated that the greatest forage yields ,N and P removal occurred when 15 cm/wk of wastewater was applied .Forages grown on the heavier textured soils produced greater yields and removed more N and P than those grown on the lighter textured soils .

Metallic plant toxicity :

Studies showed that most trace elements are toxic to higher plants if they occcur in soil solution in excessive amounts (Behjat , 1985) . Zn, Cu, and Ni toxicities were more commonly observed with addition of sludge when there was improper management of soil pH or cumulative metal application (Page and Chane ,1975) .Excessive additions of Cu ,Ni ,or Co usually cause injury to plant roots and inhibit translocation of Fe from roots to shoots . Phytoxicity is usually expressed as yellow (chlorotic) young leaves because of metal- induced Fe deficiency (Foy et. al., 1978) .

Crops also vary in the relative toxicity of soil Zn,Cu, and Ni .Soil pH affects the relative toxicity coeffcients for any added soil metals (Michell et al ,1978) for differences in Cd and Zn uptake among maize inbreeds and maize hybrids . Harris et al , (1981) studied the differences in metal uptake among six potato cultivars when they were grown on an old sludge form . Metal uptake was least hazardous when the edible portion of the plants was grain or fruit .

Sauerbeck (1991) and otabbong (1997) found that Cd ,Zn ,and Ni uptake by plants is high , while Pb and Cr uptake is low .They also added that most dicotyledon plants absorb more heavy metals than monocots. Only Cu and Ni were translocated into the fruits and seeds . Roots accumulate Cd , Ni , Zn and Cu but do not enrich Pb and Cr .

Plant species and cultivars :

Crops markedly differ in their metal uptake , and in tolerance to soil when all other factors were held constant (Chaney and Giordano , 1977 ; Sommers ,1980) . Growing on the same sludge amended soils . spinach contains 10 times more Zn than did tall fescue , orchard grass

Cd were higher in the shoot than in the root part of the plant .However ,Bermuda grass content of Zn,Ni and Pb were higher in the roots than in the shoots .The plant content of Na was not affected by plant part .

Plant species , or cultivar differences possess natural variability and markedly vary in their metal uptake and tolerance to metal concentration (Page , 1974) .Behjat (1985) described the nature of sludge advantage and limitation of its application to land .Input trails on sand and silt loams , ray grass yields increased slightly from 1.67 to 1.81 t/ A with the application of 71 tons sludge /acre but higher rates caused reduction in yield. Day et. al. (1979) found that wheat irrigated with pump waste water mixture produced taller plants ,more heads per unit area , heavier seeds , higher grain yield and higher straw yields as compared to wheat grown with only pump water .

In another study,Rabie (1984) and Eid (1984) ,found that sludge application up to 15 t/ acre significantly increased dry matter of fababean giving a relative yield of 172% at 15% application rate . When sludge application rate increased to 2%, dry matter of shoots and roots of beans slightly decreased , but they were significatly higher than the control treatment giving a relative yield of 164% .El-Keily (1983) found that the mean fresh weight of eight cuts of alfalfa increased markedly with increasing the amount of sludge addition .The fresh weight increased to 7.4, 9.0 and 11.0 times that of control for sludge addition at rates of 10, 20 and 50g/kg soil , respectively . Saber (1990) showed that sewage water application was effective in increasing the productivity of most crops for 4-years application of sewage water and resulted in an increase in maize from 200 to 2000 kg / fed .

Cairo Univ. Stud. Rev. 26 (2004) : 13 - 33

Influence of Waste Water Land Disposal on the Chemical Composition of Bermuda Grass Grown Along the Discharge Stream in Arid Land Areas

Samir G.Al-Solaimani and Maged H.Hashim

ABSTRACT

Effluents discharge from makkah wastewater treatment plant in to the wadi of Uranah were used to assess the effects of inland disposal of conventionally treated wastewater on chemical composition of Bermuda grass .Five trips were made for collecting plant samples .On each trip , samples from five specified cross sections along the sewage water stream at two points (one at each side of stream and 3 m apart) were collected .All plant samples were analyzed for macronutrients (N, P, k, Ca, Mg and Na),micronutrients (Fe, Zn ,Mn .and Cu) and toxic elements (Ni,Cd,Cr and Pb) .

Results revealed that plant content of N , P, K, Ca, Mg, Na, Zn, Mn, Cu, Ni, Pb and Cr decreased while plant content of Fe increased with advanced time of sampling . However , plant content of Cd was not affected by time of sampling .Plant content of K ,Na ,Zn , Ni and Pb decreased while plant content of N and Fe increased along the wastewater stream .However ,plant content of P, Ca ,Mg ,Mn ,Cu ,Cr and Cd were not affected by location .The effect of plant sampling side was not significant for all macronutrients , and toxic elements . On the other hand ,plant content of N ,P ,K ,Ca ,Mg ,Mn ,Cu ,Cr and

Fac . of Meteorology , Environment and Aird Land Agriculture , King Abdul Aziz University , Jeddah .

تأثير مياه الصرف الصحي على قوام التربة والسعة التبادلية الكاتيونية والمادة العضوية في البيئات الجافة

سمير جميل السليماني وماجد حسين هاشم

كلية الأرصاد والبيئة وزراعة المناطق الجافة ـ جامعة الملك عبد العزيز، جدة

ملخص

يهدف هذا البحث إلى دراسة تأثير مياه الصرف الصحي من محطة المعالجة بمكة المكرمة على قوام التربة والسعة التبادلية الكاتيونية والمادة العضوية تحت ظروف البيئات الجافة .

أظهرت النتائج حدوث زيادة في النسبة المئوية للطين والرمل بينما نقصت النسبة المئوية للسلت على طول امتداد مجرى المياه ، وعلى امتداد عشر سنوات يمكن القول أنه لم يحدث تغيير معنوي في رتبة القوام Textural Class ، وفي نفس الوقت حدثت زيادة معنوية على طول امتداد مجرى مياه الصرف الصحي في نسبة المادة العضوية والسعة التبادلية الكاتيونية ، وبالنسبة تأثر الجانب الذي أخذت منه عينات التربة sampling side ، كانت نسبة الطين والمادة العضوية في الجانب الأيمن أعلى منها في الجانب الأيسر لمجرى المياه ، ولوحظ عدم تاثير السعة التبادلية الكاتيونية .

أما بالنسبة لعمق عينات التربة soil sampling، فلم يعطي العمق تأثيراً معنوياً فيما يخص الخصائص الثلاث المدروسة ، إلا أنه بطبيعة الحال حدث نقص ملحوظ في نسبة المادة العضوية والسعة التبادلية الكاتيونية .

Kealeel ,R.K,R.Reddy and M.R.Overcash . (1981) . Changes in soil physical properties due to organic waste application J.Environ . Qual ., 10: 133-141.

Kolsheans , M. and J.Grielich .(1981) .Relationships between organic matter ,particle density and bulk density of soil . Archiv . Fur Kacker – und pf/ amzenbau and Bodenkand , 125 (9) : 519-523 (C.F.Soil & Fert .4315 , 1982) .

Labib , T.M ., A.S .El – Hassanin , and A..T.Dobal .(1992) . Changes in soil characteristics due to recent and long – time water irrigation . Water Sci ,11:47-53.

Lindsay , B.J.(1998) . Field response of soil physical properties to sewage sludge . J.Environ . Qula., 27 (3) : 534-542.

Lunt, H.A.(1953) .The case of sludge as a soil improver with emphasis on value of pH control and toxicity of minor elements . Kepr . Wat . E. Sewage WKs . pp .7Copn , Agric . Exp . Sta , New Haven , USA .

Mays , D.A.,G.L.Therman and J.C.Duggan .(1973) . Municipal compost , effect on crop yields and soil properties . J. Environ . Qual. , 2:89-92.

Richards, L.A. (1954). Diagnosis and improvement of saline and alkali soils. USDA Handbook No.60, Washington, D.C., USA .

Shahalam, A., B.M. Abu Zahra ,and A.Jaradat. (1998) . Wastewater irrigation : effect on soil, crop and environment .A pilot scale study of Irbid , Jordan . Water, Air and Soil Pollution, 106 (3-4) : 425 – 445 .

Swartzenduber, D. and R.L. Uebler . (1982) . I. Flow of Kaolinite and sewage suspensions in sand and sand silt . II . Hydraulic conductivity reduction . Soil Sci . Soc . Am . J ., 46 : 912 – 916 .

References

Abdul El- Naim , E.M.(1988) Use of sewage water in irrigation . Regional seminar : Wastewater Reclamation and Reuse . FAO, Cairo , 11-16 Dec. ,1988 .

Banerjee,M.R,D.L.Burtion ,and S.Depoe (1997) .Impact of sewage sludge application on soil biological characteristics. Agric . Ecosyst ,.Environ .66 (3) :241-249

Cox ,L , R.Celis ,M.C.Hermosin ,A.Becker and J.Cornejo. (1997). Porosity and leaching in soil amended with olive mill wastewater .Agric .Ecosyst .Environ. 65(2):151-161.

Day ,R.A.(1956).Comparative analysis.(3rd ed .). Englewood Cliff , Prentice – Hall , Inc .,NewYork .

Dimian , W.N.(1983) .Soil and water management of study soils . Ph .D. Thesis , Fac of Agric , Cairo Univ, Egypt .

El- Gamal, I.M.I.(1980) .Evaluation of Cairo liquid sewage sludge applied to soil with special consideration to its heavy metal contents .M.Sc.Thesis ,Fac. of Agric ,Ain Shams Univ ., Cairo , Egypt .

Epstein,E.(1975) .Effect of sewage sludge on some soil physical properties. J.Environ . Qual ., 2:139-142.

Epstein , E.,D.B.kean ,J.J.Meisnger and J.O.Legg.(1978) .Mineralization of nitrogen from sewage sludge and sludge compost .J.Environ Qual. ,7:217-221.

Goyal , S.K.Chander and K.K.Kapoor .(1995) .Effect of distillery wastewater application on soil microbiological properties and plant growth .Environ . Ecol ., 13(1):89-93.

Greenberg , A.E.(1952) .Reclamation of sewage water . Am.J.Public Health, 42: 401-415.

Gupta,S.c.,R.H.Dowdy and W.E.Larson .(1977) .Hydraulic and thermal properties of sandy soil as influenced by incorporation at sewage sludge . Soil Sci .Am.Proc . 41: 601-605.

Hinesly, T.D.,E.L. Ziegle and G.L.Barrett. (1979) .Residual effects of irrigating corn with digested sewage sludge. J.Environ .Qual., 8:35-38.

Hortenine , E.C.and D.E.Rothwell .(1968) Garbage Compost as a source of plant nutrients for oats and radishes . Compost Sci .,9(2): 23-25.

Huluyalle , N.R.(1996) .Effect of pelletized sewage sludge on soil particles of a cracking clay from eastern Australia .Waste Management Res.,14 (6) :571-580.

Jackson , M.L.(1973) . Soil chemical analysis . New Delhi, India , Prentice Hall of India .

hand , CEC was not affected by side of soil sampling . However, organic matter percentage was higher in the right side than the left side of the wastewater stream .

Effect of soil sampling depth on soil texture (Table 3) showed that the percentage of sand increasesd and the percentage of silt decreased with increasing soil depth . However , the percentage of clay was not affected by soil sampling depth .On the other hand , no significant changes in the textural classes of different depths are recoded .The organic matter (%) and CEC were affected by soil sampling depth (Table 3) .It showed that the OM and CEC decreased with increasing soil depth .

The data revealed considerable accumlation of organic matter in soil due to continuous water flow of the sewage stream ; of course , these accumulations were more pronounced in the surface layers . This basically was due to continuous addition of organic materials in sewage water which deposits on the surface layers (Gupta et al.1977 , Dimian 1983 and Abdul Naim ,1988) . As expected , CEC of the subsurface layers were affected to , a lesser extent , by the flow of sewage stream which was anticipated due to the lack of the subsurface layers to both organic matter and clay content .

However , the percentage of clay and silt increased from 1 and 22% (control soil profile) to 4.3 and 30.7% , respectively . On the other hand , the percentage of sand decreased from 76% to 64.8% .Also ,the organic matter (%) and CEC increased from 0.0% and 2.8 meq /100 g soil (control soil .) to 0.203% and 5.623 meq /100 g soil , respectively .

Hinesly et.al (1979) indicated that application of municipal sewage sludge increased soil content of organic matter and cation exchange capacity . El- Gamal (1980) reported that prolonged use of sewage water markedly increased soil organic matter .

Effect of sampling location on soil texture along the wastewater stream was presented in Table (3) .It showed that the percentage of clay and sand increased but the percentage of silt decreased along the wastewater stream (from location one through five). These limited small changes in the soil texture along the wastewater stream were mainly related to the suspended colloidal materials floating away with sewage water ,nevertheless , no significant changes in the textural classes were recorded (Abd Elnaim , 1988; Labib et , al . 1992). On the other hand , cation exchange capacity (CEC) increased but the soil organic matter (OM%) decreased along the wastewater stream (Table 3) . Obviously , this increase in CEC values was mainly associcated with tremendous increase in clay content of soil along the wastewater stream .

Effect of soil sampling side (1 : Right , 2 : Left) on soil texture (Table 3) showed that the percentages of silt and sand were not affected by the side . However, the percentage of clay was higher in the right side than in the left side of the wastewater stream . On the other

Table (3): Variation in soil texture ,organic matter (OM) and cation exchange capacity (CEC) due to soil sampling location , direction, distance and depth of the wastewater stream and their tests of Significance.

Variable	Particle size distribution			Soil texture	Organic matter %	CEC meq /100 soil
	Sand%	Silt%	Clay%			
Location						
1	59.583 D	38.667 A	1.250 B	Sandy loam	0.261 A	4.345 B
2	64.500 C	33.083 BC	1.250 B	Sandy loam	0.201 AB	4.408 B
3	65.583 BC	33.917 B	1.000 B	Sandy loam	0.227 AB	4.875 B
4	65.833 B	32.250 C	2.167 B	Sandy loam	0.194 BC	4.758 B
5	68.500 A	15.583 D	15.833B	Sandy loam	0.135 C	9.742 A
L.S.D	1.315	1.542	1.345		0.059	0.592
Side						
1	62.267 A	30.333 A	4.0467A	Sandy loam	0.225 A	5.718 A
2	64.333 B	31.067 A	4.133A	Sandy loam	0.182 B	5.533 A
L.S.D	0.588	0.689	0.601		0.027	0.251
Distance						
1	63.00 B	32.733 A	4.333 A	Sandy loam	0.209 A	5.853 A
2	66.600 A	28.667 B	4.267 A	Sandy loam	0.194 A	5.398 B
L.S.D	0.588	0.689	0.601		0.027	0.251
Depth						
1	63.050 C	32.250 A	4.800 A	Sandy loam	0.252 A	6.128 A
2	65.150 B	30.600 B	4.050 A	Sandy loam	0.192 B	5.469 B
3	66.200 A	29.250 C	4.050 A	Sandy loam	0.167B	5.280 B
L,S ,D	1.018	1.194	1.042		4.573	0.436
Overall Mean	64.800	30.700	4.300	Sandy loam	0.203	5.625

L.S.D = Least significant difference at 5%

A = 1st highest category

B = 2nd highest category

C = 3rd highest category

sand and silt and CEC.On the other hand , the effect of soil sampling depth was significant for the percentage of sand and silt , organic matter (OM) and cation exchang capacity (CEC) .

Data of soil texture , organic matter and cation exchange capacity of soil are presented in Table (3). It is obvious that the virgin soil

(control soil profile) is sandy loam in texture through the different layers . Also , continuous water flow of the sewage stream for more than ten years did not exhibit recent changes in the soil texture .

Table (2) : Summary of analyis of variance for soil texture , organic matter and cation exchange capacity (CEC) of soils along the wastewater stream.

Source	DF	Particle size distribution			Organic matter(%)	Cation exchange capacity (CEC) Meq/100g
		Sand %	Silt%	Clay%		
Side	1	0.029*	0.134		0.025*	0.297
Location(L)	4	0.000**	0.000**	0.000**	0.003**	0.000**
Depth D	2	0.000**	0.000**	0.252	0.002**	0.001**
LX D	8	0.001**	0.028*			0.456
Distance DS	1	0.000**	0.000**			0.013
LX D S	4	0.000**	0.000**			0.379
LX D S	2	0.033*	0.313			
LX D X DS	8	0.003**	0.029**			0.319
EMS	59	2.480	3.411	2.598	0.005	0.454

* Significant at 0.005 level DF = Degrees of freedom

** Significant at 0.01 level EMS = Error mean square

The sixty soil samples were air dried , crushed , sieved through a 20-mesh sieve, mixed thoroughly and stored for laboratory analysis .

Total organic matter (OM) in the soil was determined by the procedure described by Walkeley and Black method (Jackson , 1973) . Soil texture was determined by the hydrometer method as described by Day (1956) at 255C using pyrophosphate as a dispersing agent . Cation exchange capacity (CEC) was determined using NaOAC-NH4 OAC method (Richards , 1954).The soil analysis for the virgin control sample is shown in Table 1.

RESULTS AND DISCUSSION

The summary of analysis of variance for soil texture, organic matter (OM) and cation exchang capacity (CEC) of soil along the wastewater stream is presented in Table 2.

The effect of soil sampling locations was significant for the percentage of sand , silt and clay , OM and CEC.However , the effect of soil sampling side was significant only for organic matter (OM) .The effect of soil sampling distance was significant for the percentage of

Table (1) : Soil analysis for control sample located at 900-1000 m from the main wastewater stream .

Soil depth (cm)	Particle size distribution			Soil texture	Organic matter %	Cation Exchange Capacity (CEC) mg / 100 g soil
	Sand%	Silt%	Clay%			
0-30	76	23	1	Sandy loam	0.0	2.8
30-60	76	23	1	Sandy loam	0.0	2.8
60-90	77	22	1	Sandy loam	0.0	2.7

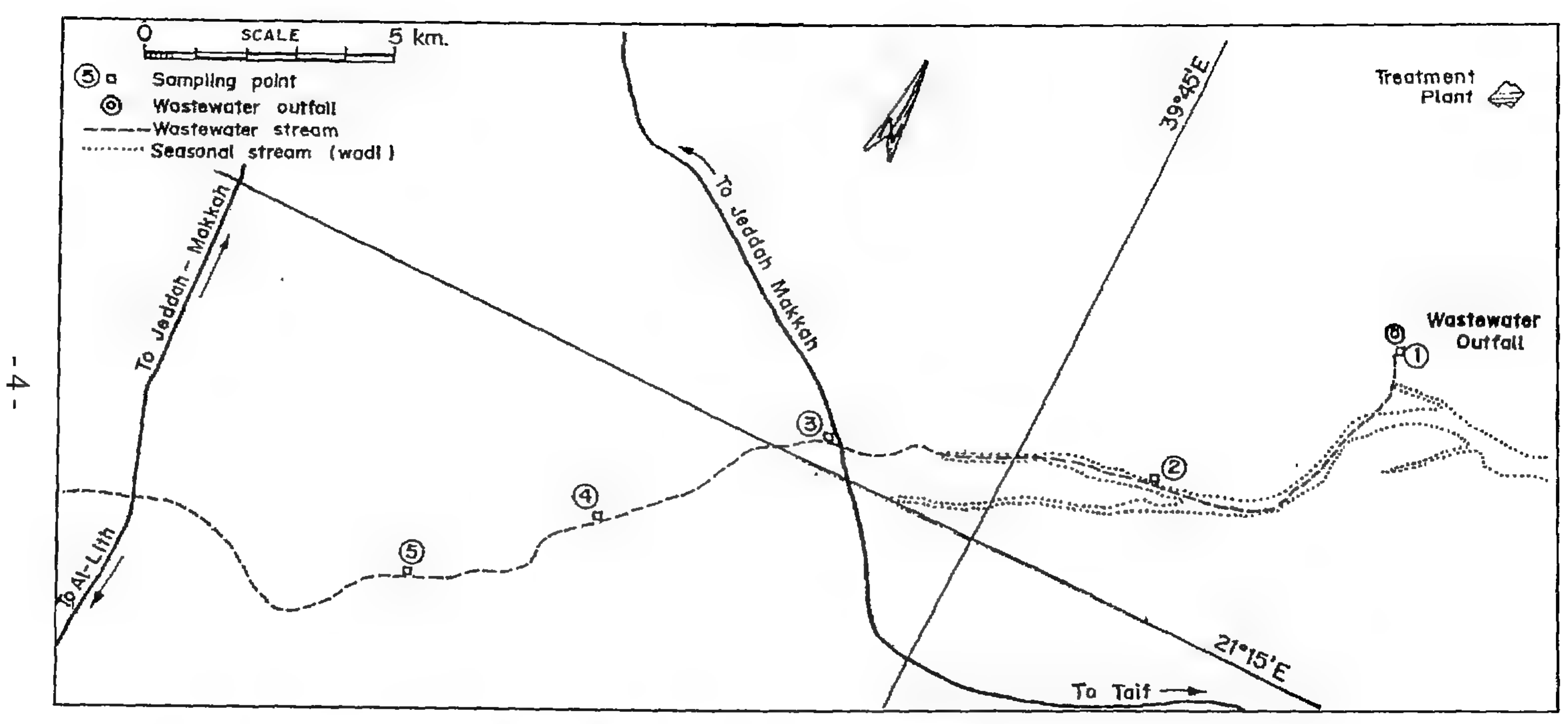


Fig (1) : A map of the waste water and soil sampling points along the waste water stream.

MATERIALS AND METHODS

The wastewater effluent from Makkah sewage treatment plant is being disposed of in a dry wadi bed , which is a tributary of wadi Naaman , located to the south of the city .The effuent runs as a natural open channel flow , towards the Red Sea for about 20 km , crossing the road Taif through a bridge .

Camels , herds of sheep and birds have a free access to stream and its vicinity .Wild vegetation is growing on the banks of the stream. Organic matters precipitate during over – flooding were observed on the banks of the stream .

Towards the end of the main stream , the flow of wastewater was still relatively high. The stream breaches into several shallower , yet wider channels . The width of the main stream varies from about one and half to several meters .

In the vicinity near the termination of the stream , there are several farms in which agricultural activities are taking place . Water supply for these farms are from wells dug out in the alluvium . Also, a new farm is being constructed . It is believed that wells are in hydraulic connection with the stream .

Soil sampling :

Five trips were made for sampling , however , the last soil samples were used to determine organic matter (O.M) , cation exchange capacity (CEC) and soil texture , because the expected changes in these soil parameters during such a short time (time of the study) was minimum .

Soil samples from the five specified cross sections along the sewage stream (Fig .1) at four points (two on each side , 3 m apart) were collected at three different depths (0-30, 30-60 and 60- 90cm) .

mate increases bacterial activities which will result in higher rate of removal for the biodegradable matters .

Addition of sewage water remarkably improves soil structure and sewage increases soil water holding capacity (Greenberg , 1952; Lunt, 1953) . Water and compost tend to increase the water holding capacity and improve the physical conditions of most soils (Hortenine and Rothwell, (1968).Mays at al (1973) and Shahalam et .al,(1998) found that incoroporation of compost made from municipal refuse and sewage sludge over two – year period to the soil exhibited no significant effect on soil physical properties . Epstein (1975) and Epstein et .al. (1978) found that sludge and sludge compost were beneficial as organic amendmants for improving the physical properties of marginal soils .Gupta et.al.(1977) concluded that application of sewage sluge increased soil aggregation,decreased bulk density and improved water holding capacity and hydraulic conductivity .Abdul El-Naim (1988) reported that the increase of fine soil particles in the top layer reached 40 to 55% .Soil aggregation increased in sandy soil due to increasing their organic matter content (Dimian,1983) .A highly significant relationship between soil organic carbon and percentage of reduction in bulk density was obtained by kolsheans and Grielich (1981) and kealeel et.al .(1981). Swartzenduber and Uebler (1982) observed that the addition of sewage water to fine quartz sand and sand silt (95% fine quartz and 5% quartz silt) caused a reduction in the soil hydraulic condutivity. A decrese in bulk density was reported by Hulugalle (1996) ,Cox et .al .(1997) and Lindsay (1998) .On the other hand , Lindsay (1998) noticed an increase in porosity , moisture retention ,soil aggregtion and mean weight diameter of aggregates due to the addition of sewage sludge to soil .There was an increase in microbial soil biomass (Goyal et .al . ,1995, Banerjee et .al .,1997) .

Cairo Univ. Stud. Rev. 26 (2004) : 1 - 12

Influence of Waste Water on Soil Texture , CEC and Organic Matter Content in Arid Environments.

Samir G. Al-Solaimani , and Maged H. Hashim

ABSTRACT

Effluent discharge from Makkah wastewater treatment plant was analyzed to assess the effects of inland disposal of conventionally treated wastewater on soil texture ,CEC and organic matter .

Results revealead that the percentage of clay and sand increased while the percentage of silt decreased along the wastewater stream . However , no significant changes were recoreded in textural classes over a period of ten years . Meanwhile, CEC and soil organic matter increased along the wastewater stream .As for sampling side , the percentages of clay and organic matter were higher at the right side than at the left side of the wastewater stream . CEC was not affected regarding the effect of soil depth . No significant changes were recorded with soil sampling depth . However , CEC and soil organic matter decreased with sampling depth .

Treated wastewater is usually disposed of by dilution in rivers and natural lakes . This is not the case in Saudi Arabia where in – land wastewater disposal simply means discharge into dry wadis .Under arid land conditions , such method results in concentration of pollutants due to the high rate of evaporation . Furthermore , the hot cli-

Faculty of Meteorology, Environment and Arid Land Agriculture, King Abdul Aziz University, Jeddah .

CONTENTS

Cntribution to this magazine are welcomed and should be sent to:

Prof. Dr. El- Sayed A. Flefil

Inst. of African Research & Studies, Cairo University, 12613 Giza, Egypt

AFRICAN STUDIES REVIEW



Vol. 26 2004

Issued by the Institute of African Research & Studies, Cairo University.